

تَفْسِير

# الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

سُورَةُ يَس

تَأْلِيفُ

ضَيْثَانُ الْمُلْكَانِ الْمُهَبَّانِ

مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَنْدَ الدِّينِ الشِّعْبَانِيِّ

انْسَارَاتُ بِيلَار

قَمْ



Princeton University Library



32101 047112105

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.

44-312100

44-312100  
YRM 7203720



M. Sadr al-Din Shirazi

تفسير

# القرآن العظيم

سورة يس

تأليف

ضندل المتنانين  
محمد بن إبراهيم ضندل الدين الشيرازى

مع تعلیقات الحکیم الالهی  
المولی علی النوری (قدھ)

توضیح محمد خواجوی

انتشارات بیدار

قم

~~2273~~

~~.8283~~

~~1944~~

~~juz' 5~~

(RECAP)

2273

8283

1981

juz' 5

مطبعه

سید الشهداء علیه السلام

قم - ایران

شوال ۱۴۰۲

مرداد ۱۳۶۱

لضيق المجال في آخر الكتاب  
وضعنا فهرس الاعلام في أوله

## فهرس الاعلام

- |                                   |                                   |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| ابن مسعود : ٧٥ ، ٧٠ ، ٦٣ ، ٢٤     | آدم (ع) : ١٢٣ ، ١٩٦ ، ٢٣٠         |
| ٣٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٣ ، ١٧٢ ، ١٠٣       | ٢٦٩ ، ٢٣٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٠٢ |
| ابن نوح : ٣٤                      | ٢٧٢ ، ٣٦٤                         |
| ابوبصیر : ٤٠٧                     | ابراهيم (ع) : ٤٢ ، ٥٧ ، ١٨٤       |
| أبو بكر : ٢٨٣                     | ٢٣٤ ، ٢٨٣ ، ٢٥١ ، ٢٤٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٥ |
| ابو جعفر المداني : ١٩١ ، ٧٠       | ٣٣٦ ، ٢٨٥                         |
| أبو جهل : ٣٤٤                     | ابليس : ٢٣١ ، ٢٧٤ ، ٢٣٨           |
| أبو ريحان البيروني : ١١٧          | ابن سينا : ١١٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢  |
| أبو سعيد المكاري : ١٠٨ ، ١٠٧      | ٣٧٧ ، ٢٥١                         |
| أبو سعيد المهنئ : ٢٥١             | ابن عامر : ٧٧ ، ٢٤٣               |
| أبو العالية : ١٨                  | ابن عباس : ١٧ ، ١٨ ، ٤٤ ، ٣٩ ، ٥٩ |
| ابو عبدالله (ع) : ٤٠٧ ، ٣٤٥ ، ١٣٦ | ١٧٤ ، ١٤٧ ، ٧٥                    |
| أبو عبيدة : ١٩٤                   | ٣٥١ ، ٢٦٥                         |
| أبو علي الطبرسي : ١٠٧             | ابن فارض : ٢٨٧                    |
| أبو عمرو : ٢٤٣ ، ١٥٢              | ابن كثير : ١٥٢                    |
| أبوجلوب : ٣٤٤                     | ابن كيسان : ١٩٠                   |

٣٠١ ، ٢٦٨ ، ١٣٤  
 جنيد : ٢٩٤  
 حارثة الانصارى : ٢٥٨ ، ١٥١  
 حبيب النجخار : ٥٧ ، ٥٦ ، ٣٩ ، ٥٧  
 ٧٠ ، ٦٩ ، ٥٩ ، ٥٨  
 حسان بن ثابت : ٢٨٧  
 حسن : ٦٨ ، ٦٣ ، ٢٩ ، ٢١ ، ١٨  
 ، ١٧٤ ، ١٤٨ ، ١٣٢ ، ٧٥ ، ٧٠  
 ٣٢٦ ، ٢٨٢ ، ٢٦٥ ، ٢٤٣ ، ١٩٠  
 ٣٤٥  
 حلاج : ٢٥١ ، ١١٦ ، ٦٥  
 حلبي : ١٣٦  
 حفص : ١٩١  
 حمزة : ١٥٢ ، ٧٧  
 حواء : ٢٣١ ، ٢٣٠  
 خالد بن سنان : ٢١  
 الخليل (ع) : ابراهيم  
 خواص : ٩٢  
 ذى الرمة : ٧٠  
 الرضا (ع) : ١٠٩ ، ١٠٨  
 روح : ٢٤٢ ، ١٥٣  
 زجاج : ١٩٤

ابويزيذ : ١١٦ ، ٢٥١ ، ٣٧٨  
 ابي بن خلف : ٣٤٥ ، ٣٤٤  
 ابي بن كعب : ٤٠٦ ، ٣٢٦  
 ازهري : ١٩٣  
 اسرافيل (ع) : ٧٨  
 أشعث بن حاتم : ١٠٩  
 أعرج : ٢٤٣  
 أعشى : ١٥٢  
 أعمش : ٣٢٦  
 أمير المؤمنين (ع) : ١٨ ، ٣٧ ، ٥٨  
 ، ١٧٧ ، ١٢٠ ، ٦٠ ، ٢٤٣ ، ١٨٤  
 ٣٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٨٧  
 امية بن خلف : ٣٤٥  
 انس بن مالك : ٤٠٧  
 اوميرس : ٢٨٤  
 الباقي (ع) : ١٨  
 برهمان الهندى : ٤٢  
 بلعم بن باعورا : ٢٤٦  
 بيضاوي : ١٠٦  
 تبع الاكبر : ٥٨  
 جبائي : ٣٣٤ ، ٢٦٥  
 جبرائيل (ع) : ٧١ ، ٦٧ ، ٥٩ ، ٤١

- |  |   |
|--|---|
| <p>٢٣٤<br/>عمران : ١٠٨<br/>عياشى : ١٠٩<br/>عيسى (ع) : ٤٣ ، ٣٩ ، ٣٧ ، ٢١<br/>٣٩٦ ، ٢٣٤ ، ١٢٦ ، ١٠٨ ، ٧٦<br/>غزالى : ٢٠٨ ، ٢٠٥ ، ١٩٨ ، ٧٩<br/>فارابي : ٢٨٧<br/>فرعون : ١٤٩<br/>فوفوريوس : ٣٧٧<br/>فضل بن سهل : ١٠٩<br/>فيثاغورس : ٣١<br/>قارون : ٢٤٦<br/>قنادة : ٢١ ، ١٣٥ ، ٦٣ ، ١٧٤ ،<br/>٣٤٥ ، ٢٦٥<br/>قسن بن ساعدة : ٢١<br/>كعب الاخبار : ٢٥١<br/>كعب بن حام : ١٢٦<br/>كعب بن زهير : ٢٨٧<br/>كعب بن مالك : ٢٨٧<br/>كلبى : ١٩٠<br/>كلينى (ره) : ٢٩٧<br/>لبيد : ١٩٤</p> | <p>زمخشري : ٤٣ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٢٨٣<br/>٣١٠<br/>زهرى : ٢٤٣<br/>زيد : ٢٤٣ ، ١٥٢<br/>سعدى : ٢٨٧<br/>سعید بن جبیر : ١٨ ، ٣٤٥<br/>سلمى : ٢٥٦<br/>سلیم بن قيس : ٢٩٧<br/>سنائى : ٢٨٧<br/>شارح المقاصد : ٧٩<br/>شبلی : ٩٢<br/>شمعون : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧٦<br/>شهاب الدين السهروردى : ٢٠٥<br/>٢٨٧ ، ٢٠٦<br/>صاحب يس : حبيب التجار<br/> العاصم : ٧٧ ، ٢٤٣<br/>عاصي بن وائل : ٣٤٤ ، ٣٤٥<br/>عايشة : ٣٢٦ ، ٢٨٣<br/>عبدالمطلب : ٢٨٣<br/>عرائى : ١٢٤<br/>عطار : ٢٨٧<br/>عقبة بن ابي معيط : ٢٨٢<br/>على بن الحسين(ع) : ٢٢٦ ، ٢٠٧</p> |
|--|---|

- |  |  |
|--|--|
| ١٢٣ ، ١٢١ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٦٩<br>١٤٧ ، ١٤٥ ، ١٤٢ ، ١٢٥ ، ١٢٤<br>١٧٦ ، ١٦٦ ، ١٦١ ، ١٥١ ، ١٤٩<br>١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٨٤ ، ١٨٢ ، ١٧٨<br>٢٢٣ ، ٢٢١ ، ٢٠٢ ، ١٩٩ ، ١٩٨<br>٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٧٣ ، ٢٤٨ ، ٢٣٤<br>٢٩٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥<br>٣٢١ ، ٣٠٦ ، ٣٠١ ، ٢٩٧ ، ٢٩١<br>٣٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٣ ، ٣٢٥<br>٣٧٤ ، ٣٦٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤<br>٤٠٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٦ ، ٣٩٦ ، ٣٨٨<br>٤١٣<br>نمرود : ٢٣٨<br>نوح (ع) : ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٧<br>٢٩٠ ، ٢٣٤<br>ورش : ١٥٢<br>ورقة بن نوفل : ٥٨<br>وليد بن المغيرة : ٣٤٤<br>يعقوب : ١٥٢ | لوط : ٦٧<br>مؤمن آل فرعون : ٥٨<br>مأمون : ١٠٩<br>مجاهد : ١٧٣ ، ١٣٥ ، ٦٨ ، ٦٣<br>٣٤٠<br>محمد - صدر الدين (مؤلف) : ٤٠٩<br>محمد بن حبيب : ١٨<br>محمد بن جنفية : ١٨<br>محمد بن عبد الكريم الشهروستاني : ٢٧٤<br>محمد بن مسلم : ٤٠٨<br>محى الدين : ٢٨٧<br>مريم (ع) : ١٠٨<br>مقاتل : ١٤٧<br>موسى (ع) : ٢٣٤ ، ٩٢ ، ٧١ ، ٥٢<br>مولوي : ٢٦٨<br>المهدي (ع) : ٧٦ ، ٤٥<br>النبي (ص) : ٢١ ، ٢٠ ، ١٨ ، ١٧<br>٤٧ ، ٤٤ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٢٧ ، ٢٥<br>٦٨ ، ٥٨ ، ٥٤ ، ٥٢ ، ٤٩ ، ٤٨ |
|--|--|

بسمه تعالى

نسخة الكتاب الذي بين يديكم كان قد استنسخها الصديق العزيز الفاضل  
ال الكريم محمد خواجوي - وفقه الله تعالى لمرضاته - وطابقها مع النسختين  
المخططيتين اللتين عرفهما في مقدمته بالفارسية والنسخة المطبوعة حجرياً، ثم  
أهدى إلى النسخة - مشكوراً - فراجعتها وطابقتها مع نسخة خطية عندي و  
استخرجت ما استطعت من الأحاديث ووضعت الفهارس وهيئتها للطبع واود  
أن الفت نظر القراء الكرام إلى أمور :

- ١- أشرت إلى اختلاف النسخ المغيرة للمعنى بوضعها بين قوسين و  
أعرضت عن ذكر غيرها من الجزئيات التي لم تكن في ذكرها فائدة .
- ٢- لعدم وجود المعاجم القرآنية قديماً وردت أخطاء في الآيات المستشهد  
بها فأرجعتها إلى القرآن الكريم .
- ٣- تعليقات الحكم الالهي المولى علي النوري (قده) التي جاءت في  
آخر هذا الجزء كان استنسخها السيد خواجوي من نسخة مكتبة ملي بطهران  
وإذ لم تكن عنده نسخة أخرى شوهـد فيها أـغلـاطـ كـنـتـ مـأـيوـسـاًـ عـنـ تـصـحـيـحـهاـ  
حتـىـ مـنـ "ـ اللهـ عـلـيـنـاـ بـاـهـدـاءـ الـفـاضـلـ النـبـيـلـ السـيـدـ اـحـمـدـ التـوـيـسـرـ كـانـيـ صـورـةـ  
فـتوـغـرـافـيـةـ مـنـ نـسـخـةـ ثـمـيـنةـ مـحـفـوظـةـ لـدـيـهـ عـلـيـهـ حـوـاشـيـ الـحـكـيمـ المـذـكـورـ بـرـبـخـطـهـ  
الـشـرـيفـ،ـ فـجـعـلـتـهـ أـصـلـاـ فـيـ طـبـعـ الـحـوـاشـيـ ،ـ وـالـجـدـيرـ بـالـذـكـرـ أـنـ مـنـ حـوـاشـيـ

تفسير سورة الحديد التي نشر أخيراً لم تكن عندي غير هذه النسخة .

٤- جميع الحواشي - الا نادراً - كانت مختومة بكلمة «نوري» فمع ان  
القسم الاخير ايضاً كان بنفس الخط جعلت للتمييز بين القسمين في آخر  
القسم الثاني علامة كهذه (\*) .

٥- ماجاء من الحواشي مختومة بكلمة «منه - ره» فلم المؤلف (قده) .

٦- لتعريف النسخة المذكورة تأني بنفس ما كتبه سماحة السيد التويسر كاني  
- أدام الله توفيقاته - في الصفحة الآتية .

وفقني الله وجميع المؤمنين لمرضااته

الناشر

بسمه تعالى

۱۳۶۰/۷/۱

پس از عرض مراتب ارادت بهمراه فتو کپی سوره جمعه که بازحمت بسیار تهیه گردید تقدیم می گردد امیداست مورد استفاده واقع گردد مخصوصاً که حواشی به خط خود مرحوم ملاعلی نوری میباشد ، خصوصیات نسخه عبارتست از :

مشتمل بر تفسیر سوره یس ، الم سجله ، حدید ، جمعه ، الطارق ، الاعلی .  
کاتب : جعفر بن محمد باقر الحسینی .

تاریخ اتمام کتابت : شهر محرم الحرام سنه ۱۱۱۹ .  
قطع کتاب : ۱۷ در ۲۴ .

نسخه ای است نفیس ، مشحون بحواشی و تعلیفات حکیم متالله آقا ملاعلی نوری - أعلى الله مقامه - و در حواشی کتاب آمده : ۱ - کتاب مشاعر ملا صدرا ۲ - تفسیر سوره فاتحه از شیخ شمس الدین جونی ۳ - تفسیر سوره فاتحه از خواجه نصیر الدین طوسی ۴ - پاسخ سوالات مولانا شمس الدین گیلانی از ملا صدرا ۵ - پاسخ چند سؤال فلسفی که سؤال اول پیرامون مشیت است ۶ - مطالبی سودمند در معرفت نفس آدمی و عقل و بیان طرق ثلثه شریعت و طریقت و حقیقت بفارسی ۷ - اشعاری که ظاهراً از ملاعلی نوری است ۸ - شرح کامل این شعر :

تقدیر بیک ناقه نشانده است دو محمل لیلای وجود تو وسلمای عدم را

توفیقات شمارا آرزو مندم

احمد بن محمد باقر بن عبد الغفار الحسینی التویسی کاذب

## بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف مبعوث وختام النبيين ، محمد المصطفى وعلى وزير خليفته علي أمير المؤمنين وأولاده الطيبين الطاهرين ، لاسيما مولانا الاعظم ، قطب دائرة الوجود وعين الشاهد والمشهود حجة بن الحسن صاحب العصر والزمان وخليفة الرحمن صلوات الله عليه وعليهم أجمعين الى ابد الابدين .

اما بعد : چون چاپ جلد آخر از تفسیر کبیر بقلم بلاغت شیم خاتم الحکماء الالهیین وصدر العرفاء والمتألهین صدر الدین محمد شیرازی قدس الله سره الزکی بهمت برادر فاضل ودوست ارجمند جناب آقای محسن بیدارفر مدیر کتابخانه بیدار قم از آخر قرآن باول آن که از افکار تابناک این فیلسوف الهی سوچشمه گرفته و تاکنون سوره های زلزله وطارق وأعلى وجمعه وواقعه وحدیدو المسجده بتصحیح این حقیر در دوم مجلد چاپ و منتشر گردیده اکنونکه شروع بچاپ جلد سوم که تفسیر سوره یاسین است نموده از این جانب خواسته اند در ضمن مقدمه ای نسخی را که در مقابله و تصحیح از آن استفاده نموده ام معرفی نمایم .

نسخ مورد استفاده سه نسخه بوده : نسخه اول همان چاپ سنگی است که در سال ۱۳۲۲ هجری بطبع رسیده ، و نسخه دوم بشماره ۲۰۰۲ متعلق به مدرسه عالی سپهسالار (سابق) که در سال ۱۳۷۱ بخط نسخ بدون اسم کاتب

کتابت ، ونسبتاً بی غلط بود ، ونسخه سوم بشماره ۷۷۳ متعلق بکتابخانه ملی بوده ، وبر عکس نسخه دوم بخط شکسته نستعلیق کتابت ، وجز سوره یاسین شامل سوره های جمعه و طارق هم هست ، که هر سه سوره محسنی باحواشی حکیم الهی علی بن جمشید نوری است ، دو سوره قبلی چاپ و اینک سوره یاسین باحواشی مفصل نوری معروف بملالعی نوری بحلیه طبع آراسته میگردد ، ودر صفحه اول نسخه چندین مهر از جمله مهر ناصر الدین شاه و مشیر السلطنه و دو مهر دیگر بنام هدایت الله بن حسین ، ورضا الحسینی برپشت آن زده شده ، وحقیر شفاه از مدیر کتابخانه ملی شنیدم که میگفت این نسخه از کتابهای مرحوم فرهاد میرزا معتمد الدوله بوده است ، در هر صورت بخط محمد صادق خراسانی در سال ۱۲۵۹ هجری کتابت شده است .

اما راجع بسوره جمعه که جزو این سلسله انتشارات چاپ شده است استدرا کا عرض مینماید : اگر چه آنرا از روی همین نسخه نفیس باحواشی مرحوم نوری ، ونسخه ای دیگر متعلق بکتابخانه مجلس که عکس هردو موجود است تصحیح نمودم ، ولی در کاشان نزد دوست عزیزم آقای فیضی که از اخلاف مرحوم ملا محسن فیض قدس سرہ اند سوره جمعه و طارق و آیه نور بخط عنبر سای صدر الحکماء والعرفاء که بازافه مشکختا پهلو میزند موروث ، وحقیر سوره جمعه و آیه نور را از روی آن خط عنبرین ، و آن رشك نگارخانه چین تطبیق و تصحیح نموده ام و اشاء الله در تجدید چاپ سوره جمعه و چاپ آیه نور آن نسخه و نسخ دیگر را معرفی خواهم کرد .

وچون یاسین قلب قرآن و خطاب بانسان کامل حقیقی یعنی پیغمبر گرامی و مخصوصاً مباحث معاد در آن بنحو و افی بحث و مدلل گردیده ، لذا مفسر الهی باین سوره توجهی خاص داشته ، و آنرا در مکاشفات مختلفه ، و اسرار عرفانی و تبیانات کلامی ، و اشارات قرآنی ، و باذکر اصول هفت گانه در موعد تحقیقی

که توجه بدان اصول مقدمه‌ای برای درک صحیح معاد است بپایان رسانیده است ، و در آن موعد تحقیقی میفرماید : اعتقاد مادر اعاده و بازگشت آنست که در قیامت کبری انسان بانفس و بدن بوده ، و این بدن معین شخصی و نفس هر دو باهم در آخرت باز می گردند ، نه با بدنی دیگر ، همچنانکه گروهی چنین گمان کرده‌اند ، و این همان گرایش واعتقاد واقعی درباب معاد و رستاخیز است ، که مطابقت باشرع انور ، و عقل صحیح دارد ، پس هر کس آنرا تصدیق و بآن ایمان آورد مؤمن حقیقی بود ، یعنی از کسانی است که ایمان بروز حساب و جزاء آورده است و کوتاهی و سستی از رسیدن باین مرتبه ، خلل و نقصان دریکی از اصول اعتقاد ، و نارسانی در ایمان برستاخیز و معاد است ، و برای رسیدن بعمق این اقیانوس ژرف و بیرون کشیدن اتصاف و جواهر نفیس و گرانایه از قعر این دریای بیکران ، و اظهار مطالبی از پنهانیها و ناگفته‌های این موضوع شریف ناچار از بنای بنیانی محکم ، و بیان اصول و گسترش فضولی چندیم - که بعد از آن شروع ببیان اصول هفتگانه ، و اثبات معاد بطريق استدلال و برهان و قرآن مینماید .

درپایان از خداوند منان خواهانم که ناشر محترم را در انتشار دیگر مجلدات از این تفسیر نفیس بنیکو ترین وجهی مددویاری فرماید ، و از مطالعه کنندگان گرام امید چنان دارم که بدان بدیده گذشت و چشم پوشی نگریسته مصحح و ناشر و دیگر معاضدین را که قصدی جز خدمت بعلوم الهیه ندارند بدعای خیر یادو شاد فرمایند به محمد و آله الطاهرين .

بتأریخ لیلۃیکم از شهر رمضان المبارک سنۃ یکهزار و چهار صد و دو هجری قمری علی هاجرها ألف ألف سلام و تحيۃ .

تفسير

# القرآن الكبير

سورة يس

تأليف

ضد الظلماء  
محمد بن إبراهيم ضد الدين الشيشاني

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك سبحانك من مبدع أفاد بالهيته وجود الجواهر القدسات ، و  
أجاد بحكمته صور حقائق الماهيات ، فكتم في حجب الجبروت و مكامن  
الملائكة ما كتم وستر ، ثم كشف عن مكنونات علمه وقدرته وأظهر أجمل  
الأشياء في قضائه السابق أولا ثم فصل وقدر ، وأنشأ مفردات الوجود ومبسوطاطها  
ومن كتبانها ومحسوساتها في دفاتر استعداداتها وسجلات دورات أزمنتها و  
أوقاتها والواح أرقام تشكّلاتها وهيئاتها على وفق ما كتب يمينه وصورها في  
الرقم الاول والقضاء المعجل من كتابه المبين ولوحه المحفوظ عن مس  
الشياطين ، المكنون عن الحواس والعيون ، الذي لا يمسه الا المطهرون عن  
أنفاس الوساوس والأوهام ، والافكار المتعلقة بعوارض هذه الاجسام وهيئات  
عالمن الظلام .

فكتب حروف الكائنات على صفحات القابليات بمداد الهيولي - التي هي كالبحر  
المسجور - وأنشا منها معاني كلمات الله الروحانية التي مانفذت ولو نفدا البحر  
قبل أن تنفذ كلماته في يوم النشور ، وخلق منها صور المركبات الثلاثة عند  
ما اعتدل مزاج المفردات ، واستكمل وسقط بالتصفيه عن لبابها الفشر وخرج  
بالتنقية عن صافها العكر .

ثم خصوص من بينها أشرف الانواع وثمرة الصنع والابداع بكرامة خلافة الله وتعليم الاسماء كلها ، وجعله مسجوداً لملائكة الله تشريفاً وتعظيماً ، وسخر له بجنوده الحسيّة ما في الارض جمِيعاً ليجمع له أسباب السلطنة الصغرى ، ثم أتى به الجنود لمتروها ، وسخر لهم بهذه الجنود العقلية جميع ما في عالم الملك والملكون لقوله : \* (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض)\* [١٣/٤٥] ليتّسم له أسباب السلطنة الكبرى ، وانما يسر الله هذه الخلافة على الحقيقة لمن اصطفاه وارتضاه من انباء الله واولياته ، خصوصاً سيد الكل في الكل ومقتدى الانبياء والرسل محمد وآلته اهالي بيوت الوحي والتزيل وأئمه علم القرآن والتأويل .

أما بعد: فيقول الملتجيء إلى باب ربه الكريم ، محمد بن ابراهيم الشهير بصدر الدين ، رقاہ اللہ الی رتبۃ المتین ونجاتہ (نحّاتہ - ن) عن عالم الطبیعة ومعدن الشیاطین :

اعلموا أقربائي الروحانيين وذوى أرحام الرحمانيين هداكم الله طريق الحق واليقين ، وسهل عليكم الوصول الى فهم كتابه المبين : ان الله تعالى لما شرع في الابداع وخلق حقائق الانواع ، كان عنده علوم جمة غفيرة من غير مجال ، وأرقام كثيرة من غير آلية من لسان ومقال ، وكتب عديدة بلا صحائف او اوراق ، فكتب على نفسه الرحمة قبل وجود الانفس والافاق ، وخاطب بخطاب «كن» في مرتبة ذاته لمن لم يكن ، او جد حروفاً وارقاماً عقلية وأفاد كلمات ابداعية قائمة بذواتها من غير مادة و موضوع ليست كعلوم في صدور أو كأرقام على رق منشور ، بل ذات تلك الكلمات علوم ابداعية وحقائقها أنوار عقلية ، ثم أخذ في كتابة الكتب و تعليم الكلمات العقلية على ألواح الاجرام والابعاد ، و تصوير الجواهر والاعراض وهيئات الافلاك والعناصر و

المركيبات بمداد بحور المواد وقلم العقل الججاد .

ولما تمت لـه كتابة الجميع على التحقيق وحصل منها فذلكة حساب الجمع والتفريق أمرنا بمطالعة هذه الحكمة العتيبة الالهية وقراءة هذه الآيات البينات الربانية، بقوله : \* (فاقرئوا ماتيسر من القرآن) \* [٢٣ / ٢٠] وبقوله : \* (اقرأ باسم ربك الذي خلق) \* [٩٦ / ١] وبقوله : \* (أولم ينظروا في ملوكوت السموات والارض) \* [٧٤ / ١٨٥] وحيث كنا في ابتداء الامر ضعفاء الابصار كما قال : \* (وخلق الانسان ضعيفاً) \* فلم تصل قوة ابصارنا الى اطراف هذه الارقام وأكنااف هذه الكلمات العظام لتبعاد حافاتها وتعاظم حروفها وكلماتها فتضمر عنا تضرعاً جبلياً اليه، واطرحتنا أنفسنا بين يديه ، راغبين بمالديه، فائلين بلسان استعدادنا: «الهنا وهادينا وغاية غایاتنا ومبدء مبادينا، ارحم على قصورنا واجير فاقتنا وكسورنا ولا تؤيينا عن روحك ورحمتك، (رحماتك - ن) واهدنا سبيلاً الى مطالعة كتبك و كلماتك » .

فتلطف بنا بمقتضى حكمته الكاملة وقدرته البالغة فأعطي لنا نسخة منتخبة من آثار رحمته الالهية وأسرار كتبه وكلماته الربانية، ثم قال : \* (وفي أنفسكم تبصرون) \* [٥١ / ٢١] فأيدىنا بقوة اكرامه ، وجعل بصري بصيرتنا حديثاً بنور الهماسه ، فبعثتنا نفوساً مقدسة هي نفوس الانبياء والآولياء – صلوات الله عليهم من الملاء الاعلى – كل منها كتاب مبين مشتمل بحسب ما أودعه الله فيه على حقائق العالمين وأسرار النشأتين وخلاصة ما في الملك والملكون ، ونقاوة ما في عالم الجنبروت، واصطفى من بين الادميين كلمة جامعة الاهية اوتيت جوامع الكلم، ونوراً ربانية فيه مجتمع الحكم، و \* (بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) \* كان ذاته «يس» وخلقه «القرآن المحكيم» وهو «من المرسلين

على صراط مستقيم» ومعه «تنزيل العزيز الرحيم» فتم لـه الملك والملائكة  
و كمل لـه الخلق و الامر \* (فسبحان الذي بيده ملائكة كل شيء و اليه  
ترجعون) \*

فجعل نسخة وجوده وسيلة نجاة الخلق من عالم الجهل والظلمات ، والقرآن  
النازل عليه برأته العبد من عذاب السينات ، والاقتداء بنوره صراط الله العزيز  
الحميد ، والاهتداء بهداه سبيل الوصول الى جنابه المجيد .

فافتح بصيرتك يا انسان بنور معارف القرآن ، وانظر أولية المبدئ الرحمن  
بآخرية رسول الانس والجان ، واعلم أن الباري وحداني الذات في أول الاولين  
و خليفة الله فرداني الذات في آخر الآخرين ، \* (كما بدمكم تعودون) \*[٢٩/٧]  
فالله تعالى رب الارض والسماء ، وهذا الخليفة مرآة يرى بها وفيها صور جميع  
الأشياء ، بل يتذكر بعيته الى أنوار عالم الأسماء ، ثم الى نور المسمى «من عرف  
نفسه فقد عرف ربه» (١) والنبي اولى بنامن أنفسنا لقوله تعالى :\*(النبي اولى  
بالمؤمنين من أنفسهم)\* [٦/٣٣] ولقوله صلى الله عليه وآله : «ألاست اولى  
بك من أنفسكم؟» (٢) لانه الاصل في الوجود والمؤمنون تابعون له في المقام  
المحمود ، فالمؤمن من صحت له نسبة التابعية ، بمثابة مرآة محاذية لمرآة  
و قع في مقابلة الشمس ، لأنّه من صفاتي عن مرآة وجهه بمصفاة التوحيد  
والعرفان ريون التعلقات ، ونفي عن صفة ذاته بمصفة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» نقوش  
الكائنات ، ليتجلى له حقيقة الحق عند نفي الشرك والظلم ، ويبقى وجه ربك  
ذو الجلال والاكرام .

١ - مصباح الشريعة : ٤٤ ، عن النبي (ص) ونسبة ابن أبي الحديد (٥٤٧/٤)  
إلى على (ع).

٢ - معروف من قوله (ص) في خطبة الغدير .

وانما هذه التصفيه هي (في - ن) ذهاب العبد الى الرب طلباً للهداية :  
 \*(اني ذاهب الى ربى سيهدين)\* [٩٩/٤٧] وهذه التنفيه مواجهه العبد مع  
 الرب :\*(اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض)\* [٧٩/٦] وهذه  
 التنفيه توحيد الذات عن ماسوى الله :\*(ان ابراهيم كان امة قانت الله)\* [١٢٠/١٦].  
 فاذا بلغ الانسان هذا المبلغ من البراءة من غير الله مات عن نفسه ، وصارت  
 نفسه مرآة مجلوة تحاذى بها شطر الحق ، فانعكس فيها سر الملكوت ، وفاض  
 عليها قدس الالهوت ، ومات عن غير الله وعن نفسه وهواد ، وحضر الى ربه  
 باقياً بيقائه ، متسرداً بسرميته ، ونفذ حكمه واستجاب دعائه على حسب  
 التابعية ومقام الرضا ، وتكرم بكرامة التكوين والايجاد :\*(ولكم فيها ماتشتهى  
 أنفسكم ولكم فيما تدعون)\* [٣١/٤١] وكتب اليه الباري سبحانه كتاباً الهيا  
 عنوانه - كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآلـه - قوله تعالى:  
 «من الحي القيوم الذي لا يموت ، الى الحي القيوم الذي لا يموت ، أما بعد  
 فاني أقول للشيء «كن» فيكون ، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء «كن» فيكون -  
 قال (ص): فلا يقول أحد من أهل الجنة «كن» الا ويكون» .

ثم لاما كان الوصول الى هذه المنزلة مستحيلاً الا بتحصيل العلوم الحقيقية  
 ومكاشفة الاسرار الالهية ، ولاشك ان أجل العلوم رتبة وأعلاها درجة ومنقبة  
 وأعظمها ثمرة وغاية هي معرفة الحق الاول وما يليه من عقوله وملائكته وكتبه  
 وصحاباته ملوكه ورسله واوليائه ، ومعرفة اليوم الآخر وأحوال القيمة وطبقات  
 الناس فيها بحسب السعادة والشقاوة ، وهذه المعارف هي المسماة «بالإيمان»  
 عند اولياء الشريعة ، و« بالحكمة الالهية » عند طائفة من أئمه العلوم الربانية  
 فكان (١) الله أول مادعي المكلفين من خلقه ، انما دعاهم الى النظر والاعتبار ،

١ - في النسخ الموجودة عندنا : «ولأن الله ...» والتصحيح قياسي .

الموصى الى توحيد ذاته ومعرفة صفاته وآياته بالدلائل الواضحة ، والبراهين الظاهرة الدالة على وحدانيته وتنزيهه ذاتاً وصفة وفعلا عن مشابهة خلقه وصنته وقطع عذرهم وأزاح عللهم ، حيث أمرهم بالنظر والاعتبار في كتابه المنزل من السماء بأكثر من أربع مائة آية تصريحاً وتلويناً ، وجعل بناء الصدق في الأحكام الاعتقادية على البرهان حيث قال : \* (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) \* [١١١/٢] ومدح الناظرين والمتأملين الذين عرفوه ودعوا الخلق إلى معرفته بآياته ، فقال عز من قائل : \* (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) \* اعلاماً بأن الموحدين بعد الله ولائكته هم أولوا العلم من الناس .

ومما يدل على أن القائل بنبوة رسوله صلى الله عليه وآله هم العلماء دون غيرهم قوله : \* (ويرى الذين اوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) \* [٦/٣٤] اذ كل عارف بشيء لا يعرفه إلا بما في نفسه من معناه ، فمن لم يكن له حظ من العلم ونصيب من المعرفة لا يعرف العالم وعلمه ، لخلوه مما يمكن به معرفته ، ولذلك قال : \* (أفمن يعلم إنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الآباب) \* [١٩/١٣] اعلاماً بأن المؤمنين المصدقين للرسالة وإنزال القرآن من الله إلى الرسول هم العلماء بالحقيقة دون غيرهم من العوام والمقلدين .

وحكى أيضاً عن خيار رسله وامنائه على خلقه استعمالهم طريق البرهان فيما يستكمل به نفوسهم وذواتهم ، واليه اشير بقوله في حق يوسف الصديق - على نبينا وآله وعليه السلام - : \* (لولا أن رأى برهان ربها) \* [٢٤/١٢] . وحكى أيضاً عنهم اشتغالهم بطريق المباحثة والجدل مع من ليس له رتبة البرهان والمكاشفة ، لأنه غوى عن المحاجة وضل وعدل عن الطريق الأمثل وأصل ، وهي احدى الصناعات الخمسة المشهورة في فن الميزان ، الذي هو

قسطاس مستقيم يوزن به مثاقيل الانظار وموازين الافكار، فقال في قصة نوح :\*(يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا)\* [٣٢/١١].

وقال في قصة ابراهيم أبي الانبياء وشيخ الموحدين - على نبينا وآلها وعليه الصلوة والتسليم - :\*(ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذي يحيي ويميت قال ألا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتأت بها من المغرب فهو الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين)\* [٢٥٨/٢].

وقال سبحانه في أخباره عن نظره واعتباره :\*(فلمّا جن عليه الليلرأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين - إلى قوله - فلم يرئ الشمس بازغة قال هذا ربى - الآية -)\* [٧٩ - ٧٧/٦] فسلك عليه السلام طريق الحركة في ثبات الربوبية ، فأخرج هذه الاجرام عن الربوبية بعلة اشتراكها في الاول والزوال والانتقال من حال إلى حال ، وسمى استدلاله حجة وأضافه إلى نفسه فقال عز وجل :\*(وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء)\* [٨٣/٦] فإنه تعالى بالعلم رفع درجة ابراهيم عليه السلام ، ثم أمر بذلك رسوله المصطفى صلى الله عليه وآلها :\*(بقوله أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً)\* [١٢٣/١٦] فيقتضي أمره تعالى أن يحتاج كما احتج ، ويستدل كما استدل ، فقال عز من قائل :\*(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والمواعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)\* [١٢٥/١٦].

فهذه ثلاثة صناعات من الصناعات الخمس المذكورة ، أعني : البرهان والخطابة والجدل ، اذ الصناعتان الآخران -أعني: الشعر والمغالطة- غير لاثقين بشأن النبي (ص) ، وما ينبغي له الشعر لدنائه ووهنه ، ولا المغالطة - لأن التغليط ينافي منصب النبوة والاهداء ، وجلالة النبي (ص) أرفع من أن يوقع عليه الغلط

وقال لكافة المؤمنين : \* ( ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هى أحسن ) \* [ ٢٩ ] / ٤٦ ] فأمره سبحانه وامته بايصال الحق بالجدل وكشف الحق عن الباطل ونهى عن التقليد وذم أهله ، وأمرهم بالصيير الى النظر والمعرفة ، وخوفهم بالزجر عن اتباع الرجال السابقين وتقليل الاسلاف والمشائخ الماخيين ، و القول في دينهم بغير دليل ، فقال سبحانه : \* ( اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا او لو كان الشيطان يدعوهـم الى عذاب العسير ) \* [ ٣١ / ٢١ ] وقال أيضاً في اخباره عن عدم امثال هؤلاء وردهم الى ما أتى به النبيـون ، فقال : \* ( انا وجدنا آبائنا على امة وانـا على آثارـهم مقتدون ) \* [ ٤٣ / ٢٢ ].

فتأمل كيف عيـرـهم الله به وجعل من أعظم ذنوبـهم تقليلـ الغـيرـ من غيرـ است بصـارـ ، وتركـهم النـظرـ والـاعـتـبارـ ، فـانـ الـادـلـةـ النـافـعـةـ وـالـحـجـجـ المـقـنـعـةـ أـنـفـعـ شيءـ المسـالـكـ في طـرـيقـ المـعـرـفـةـ ، اـذـ بـمـارـسـتـهـ يـتـأـدـىـ إـلـىـ الـبـرـاهـيـنـ الصـحـيـحـةـ وـالـمـشـاهـدـاتـ الـصـرـيـحـةـ لـآيـاتـ اللهـ .

فثبت بذلك أن المـعـارـفـ الـيـقـيـنـيـةـ وـالـعـلـومـ الـحـكـمـيـةـ أـسـاسـ الدـيـنـ وـرـأـسـ مـالـ أـهـلـ الـيـقـيـنـ ، الـذـيـ يـتـحدـ طـرـيقـهـ وـيـؤـمـنـ سـالـكـهـ وـيـكـفـرـ تـارـكـهـ ، وـلـاـ يـعـذـرـ مـنـ أـخـطاـ فـيـ اـجـتـهـادـهـ وـعـدـلـعـنـهـ ، وـلـهـذاـ قـالـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـيـلـهـ : « سـتـفـرـقـ اـمـتـيـ عـلـىـ ثـلـاثـ وـسـبـعينـ فـرـقةـ ، النـاجـيـةـ مـنـهـاـ وـاحـدـةـ » ( ١ ) وـبـرـوـاـيـةـ : « كـلـهـاـ فـيـ النـارـ الـاـ وـاحـدـةـ » ( ٢ ) وـفـيـ رـوـاـيـةـ : « قـيلـ يـارـسـوـلـ اللهـ وـمـاـ تـلـكـ الـوـاحـدـةـ ؟ـ قـالـ :ـ مـاـ أـنـاـ عـلـيـهـ الـيـوـمـ وـأـصـحـابـيـ » .

وهـذاـ بـخـلـافـ فـرـوعـ الـدـيـنـ ، فـانـهـاـ عـلـومـ مـتـعـلـقـةـ بـكـيـفـيـتـ الـاعـمـالـ ، وـهـىـ فـيـ

١ - بـحـارـ الـأـنـوـارـ : كـتـابـ الـفـقـنـ وـالـمـحـنـ ، الـبـابـ ١ : ٤٢٨ .

٢ - الـمـصـدـرـ السـابـقـ . التـرمـذـيـ : ٢٦٥ .

معرض التغيير والزوال، فلهذا قال صلی الله علیہ وآلہ وساتھی: «اجتهدوا، فکل میسر لاما خلق له» وروی ایضاً: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد» (١) ففرق - صلی الله علیہ وآلہ وساتھی - بین أصل الدين وفرعه لاما فی أصل الدين من الخطير العظيم والثواب الجسيم ، ومن طلب العظيم خطاطر لامحالة بعظيم ولا يكون فی هذا العلم کل مجتهد مصيبة ولا المخطي فی اجتهاده معذوراً مأجوراً ، بل باتفاق العلماء يكون مأزوراً ممکوراً مطروداً عن باب الله مهجوراً .

فإذا ثبت هذا فمن شأن العاقل أن يبدء بالاهم ، ويحتاط لنفسه و  
يطلب مافيه النجاة والفوز بالعقبى (في العقبى - ن) بعالى الدرجات فان امور  
الدنيا زائلة وعذاب الله شديد وأعظمه الاحتياجات عنه يوم القيمة ، وهو الاليم  
المقيم \* (كلا انهم عن ربهم يومئذ لم يحجوا بون ، ثم انهم لصالوا الجحيم)\*

ولا شبهة في أن القرآن العظيم إنما نزل لتعليم الخلق وهدایتهم إلى الصراط المستقيم، اذ فيه نقاوة علم البين وغاية معارف الأولين والآخرين، وثمرة أنظار الحكماء السابقين واللاحقين اذ كل سورة من سوره باب حكمة الله، التي لم ير مثلها عيون أعيان الأدميين، وكل آية من آياته نور يستضاء به سهل حضرة رب العالمين .

ومن بينها سورة يس لها مزيد اختصاص في كشف علوم الدين وأيضًا ح طرق اليقين، قلما يوجد في غيرها، وقد وردت الاخبار في فضلها وشرفها، و جزيل الاجر والثواب لقاريها وجميل الرحمة وحسن المآب لمتأمليها وتاليها وكفى بنا في ذلك شاهدًا مبينًا من قوله صلى الله عليه وآله: «لكل شيء قلب، وقلب

القرآن يس»(١) فان مزية القلب علىسائر الاعضاء ورياسته لها وتقدّمه في ما به الانسان انسان لما فيه من اللطيفة الملوكية غير مختلفة على اولي النهي وذوى المحبى .

فهكذا سورة يس لما ذكر فيها من عظائم الاسرار الالهية ، و العلوم الربانية ، ولطائف معرفة المبدء والمعاد ، و دقائق كيفية الوحي والرسالة ، و نشوء الآخرة لنفس العباد وأحوال الخلق في السعادة والشقاوة يوم القيمة وفناه الكل ورجوعها الى الواحد القهار .

فان هذه المعارف هي الغاية القصوى لاستكمال الانسان ، ولاجل الاهتمام اليها خلق الله هذا الخلق و كلفهم بالایمان ، و لاجلها بعث الرسول و أنزل القرآن ، اذ الغرض الاصلى من هذا البعث والانزال سيادة الناس الى الجنة و الرضوان ، والحضر الى الله في زمرة مقربية ومجاوريه من ملائكته وأنبيائه يوم يحشر المتدين الى الرحمن وفدا ، و خلاص أهل السعادة من دركة الخذلان ، وعذاب الطرد والنيران .

\* \* \*

و قد جمع لنا بتأييد الله وحسن توفيقه نكات و دقائق لطيفة فرقانية وتحقيقيات لمطالب شريفة قرآنية ، وبراهين لمقاصد لطيفة ايمانية ، ومسائل لحقائق عویضة عرفانية ، متعلقة بهذه السورة ، مختصة باشاراتها الربانية ورموزها النبوية ، وكنا قد رفينا الحجب عن سور عديدة من القرآن ، وكشفنا قناع الغمة عن وجوهها بتوفيق الله لهذا العبد المستهان ، فرأيت أن انظم هذه الرموز والنكات في سلكها ، واضيف هذه الفرائد في تلوها ، ذخراً ليوم المعاد وتقريباً الى الحق الم gioad .

وقد رجوت منه واستدعيت من جوده، وتشفعت بشفاعه يوم الدين ، وتوسلت بأئمّة طریق الحق والیقین محمد واهل بيته المقدسین - صلوات الله عليهم أجمعین - أن یوفقني لاتمام هذا التفسیر الكبير، ویسرّ لی اکمال هذا الامر الخطير، اذ بیده یتبیّن کل عسیر، ویحسن عنایته یمنجّر کل کسیر، ویعفو عن کل ذلة وتفصیر، فها أنة اشرع في المقصود مستمدًّا بوالله العقل ولا انت الا بكرمه العميم ولا اؤمل الا بفضلہ الجسيم .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] يس

اي : يالانسان - أعني محمداً صلى الله عليه وآلها وسلم ، وذلك لأنها الانسان الحقيقي المعنوي ، الذي اجتمعت فيه صور الاسماء كلها مفصلة كما في المقل الاول مجملة - لماراوي عن ابن عباس : «ان معناه «يالانسان» في لغة طي» وقيل في توجيهه لفظاً - ان صح النقل - : أن يكون أصله «يانيسين» فكثير النساء به على ألسنتهم حتى اقتصرت على شطره ، كما قالوا في القسم : «م الله» في «ايمن الله» .

وقد مررت الاشارة في سورة السجدة الى قاعدة كليلة في الحروف المقطعة ، بها يمكن أن يستنبط معنى الانسان الكامل من الكلمة «سين» فقط - ان كان «باء» حرف النداء - ومن مجموع «باء» و«سين» بوجه آخر - ان لم يكن كذلك - فليرجع اليها .

وقراء «ياسين» بالفتح ككيف وأين ، او بالنصب على «اتل يس» وبالكسر على الاصل ، وبالرفع على «هذه يس» .

وأتفق أكثر المفسرين على أن المراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان اختلفت العبارات وتعددت الاشارات، فقيل معناه : «يا انسان» - وهو قول ابن عباس - وقيل : «يارجل» - عن المحسن وأبي العالية - وقيل : معناه : «يا محمد صلى الله عليه وآله» - عن سعيد بن جبير ومحمد بن حنفية - وقيل معناه : «يا سيد» وقيل : «هو اسم النبي (ص)» - عن علي وأبي جعفر الباقر عليهما السلام - ولهذا يقال لآلهم السلام «آل يس» .

### والقرآن الحكيم [٢]

المحكم عن الباطل والتحريف، او: ذي الحكمـةـ لما فيه من الآيات الدالات على العلوم الربوبياتـ وفيه سر آخر وهو أن يكون المراد به عقل الرسول الذي فيه صور معلومات الأشياء وحقائقها كما في اللوح المحفوظـ وهو الذكر الحكيمـ وقد وقع الاصطلاح من أقوام على تسمية العقل الذي فيه مبدئـةـ تفاصيل المعقولاتـ «عقلا قرآنـياً»ـ وعلى تسمية النفس التي استمدت منه في حضور تلك التفاصيلـ «عقلا فرقـانياً»ـ فعلى هذا يكون هذا القسم من قبيلـ «لعمرك»ـ .  
ومما يؤكـدـ هذا المطلبـ أنـ كلـ ما ظهرـ منـ الآثارـ الصادرةـ منـ اللهـ فيـ مظاهرـ خاصـ بحسبـ ماـ يـوجـدـ فيـ هـيـهـ مـلـكةـ قـائـمةـ اوـ صـفـةـ رـاسـخـةـ اوـ اـتـصالـ قـوىـ بـالمـبـدـءـ الفـعالـ فـهـوـ اـنـمـاـ كـانـ مـنـ حـقـيقـةـ ذـلـكـ المـظـهـرـ، فالـقـرـآنـ بـحـسـبـ الـذـاتـ وـالـمـاهـيـةـ كانـ خـالـقـ الرـسـولـ، وهذاـ أـمـرـ اـتـفـقـ عـلـيـهـ أـذـواقـ أـهـلـ اللهـ .

### انك لمن المرسلين [ ٣ ]

من الحق الى الخلق في المسفر الثالث انزواي ، بعد المسفرتين الاولتين :  
أحدهما « المعراجي السماوي » والآخر « الاسمائي » فان الرسالة من قبل ملك  
مسبوقه بالوصول اليه ، والمعارفة الناتمة معه .

### على صراط مستقيم [ ٤ ]

وهو الطريق الذي يفضي سالكه الى الحق الاول ، وهو الذي كان مسلوك  
جميع الانبياء ثم الاولياء ثم الحكماء ، ثم الامثل فالمثل من دين التوحيد  
الالهي ، وهو تهذيب النفس أولاً بالاعمال والاداب الشرعية عن او ساخ الافاعيل  
الشهوية والغضبية ، الذي هو بمنزلة اماتة الاذى عن الطريق ، ثم صيانتها عن  
اغواوس الوهم واصلال شياطين الجن والانس بالعلوم الميزانية والتعليمية  
وهو بمنزلة مدافعة قطاع الطريق ، ثم تكميل أفضل أجزاء النفس ، وهو القوة  
النظرية بالعلوم الحقيقية والمعارف الالهية ، وعند ذلك يكون أو ان الوصول الى  
المقصود الاول ، الذي اليه ينتهي سير العقول \* ( لا الى الله تصير الامور ) \* [ ٤٢ ]  
[ ٥٣ ] والمتكفل لجميع هذه المعانى على اشرف وجه وآكده هو القرآن المجيد  
الذي \* ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) \*  
كما قال :

## تنزيل العزيز الرحيم [٥]

وقرء بالرفع على أنه خبر مبتدأ ممحذوف ، وبالنصب على تقدير «أعني» وبالجر على البدلية من «القرآن» أو من «الصراط» لأن القرآن المبين حبل الله المتيين ، وبه يسلك سبيل رب العالمين ، ويعرج إلى سماء الحق واليقين ، والتنكير في «صراط مستقيم» دال على أنه من بين الصراط المستقيم بحيث لا يكتنه وصفه ولا يحاط بحده .

ثم بيّن الغاية في إرسال الرسل وتنزيل الكتاب بقوله :

لتنذر

بهذا القرآن وتعلم بهذا الكتاب والحكمة .

قَوْمًا مَا نَذَرَ آباؤُهُمْ

الاقمون وأشياخهم الماضون بهذه المعرفة العامة الابيّة ، والمقاصد الشريفة الالهية ، خصوصاً علم المعاد وبعض أحوال المبدء مما لا يستقل به العقول ، ولا يدركه أحد الابنات أهل بيت الرسول (ص) .

فِيهِمْ غَافِلُونَ [٦]

عما وراء طور العقل ، كما يغفل سائر عوام الناس وأصحاب الحواس عمайдركه الاكياس بدقة عقولهم من غير استيناس بالقرآن ولا اقتباس .

وقوله : «قَوْمًا مَا نَذَرَ آباؤُهُمْ» صفة وموصوف من باب وصف الشيء بحال متعلقه ، اي «قَوْمًا غَيْرَ مَنْذُرَ آبَائِهِمْ» على نحو قوله \* (لتنذر قَوْمًا مَا آتَاهُمْ

من نذير من قبلك) \* [٤٦ / ٢٨].

والمعنى - والله أعلم - أن الأدیان والعلوم لم يكن في الأزمنة الماضية و الأمم السابقة بهذه المثابة من التمامية والكمال، والتقدس عن النقص والشر والوبال كما في قوله تعالى \* (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم مالم تكونوا تعلّمون) \* [١٥١ / ٢] .

وعن قتادة : لأنهم كانوا في زمان الفقرة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وعن الحسن : لم يأتهم نذير من أنفسهم وقومهم وإن جاءتهم من غيرهم . وقيل :

معناه لم يأتهم من أنذرهم بالكتاب حسب ما آتيت ، وهذا على قول من قال :

كان في العرب قبل نبينا صلى الله عليه وآله من هو النبي كخالد بن سنان وقس بن ساعده ، وهذا الوجه قريب مما ذكرناه أولاً فافهم .

ومنهم من جعل «ما» مصدرية او موصولة منصوبة على المفعولية الثانية فيكون الكلام على هذين الوجهين لاثبات الإنذار السابق للفيه ، اي : لتنذر قوماً إنذاراً آبائهم . او : لتنذر قوماً مانذر آبائهم من العذاب وغيره ، فقوله :

«فهم» متعلق على الأول بالنفي ، يعني : عدم الإنذار منشأ غفلتهم وزهولهم . وعلى الثاني متعلق بالإنذار من باب تعلق السبب المستدعي لشيء به ، كما تقول :

او عظ فلاناً فإنه غافل ، او : فهو غافل .

لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون [٧]

لأن الإيمان عبارة عن صيغة النفس بحيث يعرف الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويعمل بمقتضاه ويسلك بمؤداته ، وينهى النفس عمانيها ويعبد الله كأنه يراه ، وهذا مما لا يتيسر للنفس زكية وقلب اطيف قابل لتصوير

الحقائق ، وأكثر الناس غلبت عليهم الجسمية والكثافة والنفاق والشيطنة ، و كلها حجاب ، الا أن الأول من باب النقص الواقع بسبب التجسم في أول الفطرة ، والثاني من باب المرض المزمن الطارى .

فإذا تقرر ذلك فاعلم أن القول قوله \* (لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين) \* [١٣/٣٢] وهو عبارة عن حكمه القضائي وتقديره الازلي بأن نظام هذا العالم وعمراته وقوامه وجود العلماء المهدىين ، وعبوديتهم لا ينتظم ولا يصلح الآباء يكونون في العالم نفوس غلاظ وقلوب قاسية ، وشياطين انسية مكارية بحسب ما غالب عليهم من طاعة الشهوة والغضب ، وخدمة الهوى والتردى الى أسفل درك جحيم الدنيا \* (ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربكم لاملن جهنم من الجنة والناس أجمعين) \* [١١٩/١١] فيتو جـهـون بتلك الدواعي والأغراض الخسيسة الى عمارة الدنيا والسعى في طلبها والأخلاق إليها والعمل لاجلها ، من الزراعة والعمارة وخارج القنوات وتحصيل المزروعات وصناعة المكاسب الدنيـة والصناعـع الكثيفـة ، كالحجـامة والكنـس والحيـاة وغير ذلك ، وسبـيل عمارة الدنيا غير سـبيل عمارة الآخرة من تلطـيف السـر بالـتقـوى وتنـويـر الروح بالـعلم والـهدـى ، الا ترى الى قوله تعالى في الحديث القدسـي : « انى جعلـت معـصـيـة آدم سـبيـلاً لـعـمارـةـ العـالـمـ » وفيـ الحديث : « انـ اللهـ يـؤـيدـ هـذـاـ الـدـيـنـ بـالـرـجـلـ الـفـاجـرـ » .

وقد اورـناـ هـذـهـ المعـانـيـ والـدـلـائـلـ فـيـ تـفـسـيرـ سـوـرـةـ السـجـدـةـ (١)ـ عـنـدـ قـوـلـهـ تعالىـ : \* (ولـوـ شـئـنـاـ لـاـ تـيـنـاـ كـلـ نـفـسـ هـدـاـهـاـ وـلـكـنـ حـقـ القـوـلـ مـنـيـ لـامـلـنـ جـهـنـمـ منـ الجـنـةـ والنـاسـ أـجـمـعـينـ) \* [١٣/٣٢] .

ومن تأمل في وضع الدنيا وأسبابها علم أن التعيش لا يتصور الآباء يكون أكثر الناس غلبيـةـ الطـبـائـعـ ، دـنـيـةـ الـهـمـمـ ، بعيدـةـ عنـ تـذـكـرـ الدـارـ الـآخـرـةـ وـعـالـمـ

الملائكة، كما دلت عليه آيات كثيرة في هذا الباب كقوله : \* (وما اكثرا الناس  
ولو حرصت بمؤمنين) \* [١٢ / ١٠٣] وقوله : \* (وما يؤمنون اكثراهم بالله الا وهم  
مشركون) \* [١٢ / ١٠٦] وكقوله : \* (ولقد ذرنا لجهنم كثيراً من الجن  
والانس لهم قلوب لا يفقهون بها) \* [٧ / ١٧٩] الآية - وقوله : \* (وأكثراهم  
الكافرون) \* [٢٣ / ٨٣] وكقوله \* (وأكثراهم للحق كارهون) \* [٢٣ / ٧٠] وقوله :  
\* (ولكن أكثراهم لا يشكرون) \* [٦٠ / ١٠].

وكل من توجه بقلبه الى الدنيا سهل الله له طريقها، ومن توجه سره الى  
الآخرة وعالم الملائكة سهل الله له سبيلها، وكل ميسر لمن خلق له، وما آل طالب  
الدنيا الى الجحيم، وما آل طالب الآخرة الى النعيم ، من كان الله كان الله له ،  
ومن كان للدنيا كانت الدنيا سبيله ومتغاه ومولاه \* (ومن يشاقق الرسول من بعد  
ماتبيّن له الهدى ويتبّع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسائط  
مصيره) \* [٤ / ١١٥].

ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل الى تعليلهم وارشادهم بقوله :

انا جعلنا في أعناقهم أغلاقاً فهى الى الاذقان

الضمير للاغلال، لأن طوق الغل في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه  
تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجاً منها الى الذقن ، فلا يخلصه يطأطا  
رأسه ويوطئ قذاله .

## فهم مقممون [٨]

رافعون رؤسهم وغاضّون أبصارهم من «قمح البعير» اذاروا ورفع رأسه،  
وقيل للقانونين «شهر اقامح» لان الابل اذا وردت الماء رفع رأسها لشدة  
برده .

ومنهم من جعل الضمير للإيدي على سبيل الكناية وان لم تكن مذكورة  
لدلالة الأغلال والاعناق عليها، وذلك لأن الغل يجمع اليد الى الذقن والعنق،  
ولايجمع العنق الى الذقن ، وأكذ ذلك بما روى عن ابن عباس وابن مسعود  
أنهما قرءا : انا جعلنا في أيديناهم أغلالا ، وبقرائة بعضهم : في أيديهم . ورجح  
الاول بقوله : فهم مقممون ، حيث جعل آلقامح نتيجة ما ذكر ، والالم يكن  
للسببية وجه ظاهر ، وبأن الأضمار ضرب من التعسف وعدول من الظاهر ،  
وعلى الوجهين لا يتفاوت المعنى ، لأن الغل لا يكون في العنق دون اليد ، ولا في  
اليد دون العنق .

والمقصود تمثيل حال الجهلة الناقصين الكافرين ، او المعاندين والمنافقين ،  
المعرضين عن العلم واليقين والحكمة والدين ، في اعراضهم عن استماع كلام  
أهل الحق برجل غلت يداه الى عنقه لا يمكنه ان يبسطهما الى خير ، وهو اشاره  
الى قصور القوة النظرية التي هي بمنزلة اليد اليمنى للنفس عن درك الحقائق  
وقصر القوة العملية التي هي بمنزلة اليد اليسرى لها عن فعل المخارات وتراك  
اللذات ، وبرجل طامح برأسه لا يبصر موطن قدمه ، وهو اشاره الى استئناف  
النفس العسوفة الجحودة العنودة ، الممحوجبة بفطانتها البتراء ، المغترة ببعصائرتها  
العمشاء عن قبول التعلم ، والاستكبار عن الحق والاغترار بعقله الجزئي ، وذلك

لان المستكبارون عند استكباره يكون رافعأً رأسه، لا وياً عنقه، شامخاً بأنفه، لainظر الى الأرض .

وانما أوصاف يجعل الى نفسه املاً عند تلاوة النبي صلى الله عليه وآله القرآن عليهم ودعوه ايهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله: «حتى انسوكم ذكرى» [٢٣ / ١١٠] واما لان الموجد لهذه النفس الشقيمة الجاهلة التي كفرت بانعم الله اذ مخلقتها لاجل تعمير هذه الدنيا الفانية واستخدامها لامور حيوانية، وهو مما يستتبع لوصاف وأخلاق ذميمة وهيئات رديئة ينشأ منها هذه الحالات عند سماع الآيات ، لأنها مخلقت لاجل السعادة الآخرية ، بل خلقت لأشياء اخر لولم تكون هي لوقع الضرر في أشياء شريفة روعى جانبها ولقتها (لمها - ن) فافهم.

وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يصرون [٩]

هذا تمثيل لحالهم بحسب ما يوجبه الاسباب والعلل الخارجية ، كما ان الاول تمثيل لحالهم بحسب ما يؤودي اليه المبادى والهيئات الداخلية ، اي فمن هذه صفتهم في اعراضهم عن الحق وتمردتهم عن قبول الایمان والهدایة وسلوك الصراط المستقيم ، فقد حل فيهم غضب الله عليهم وخذلانه ايهم ، فكانه قال تركتناهم مخدولين وطردناهم ملعونين بأسباب تدعوهم إلى طريق الشر والخذلان والطرد ، اذ سد عليهم جوانبهم عن الوصول إلى دار النعيم ، وضيق عليهم الطريق إلى الجحيم ، لأنهم أشقياء مردودون إلى أسفل السافلين ، مقهورون بالقهر الالهي لا ينجع فيهم الانذار ، ولا سبيل إلى خلاصهم من النار \* (كذلك حفت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) \* [٣٣ / ١٠] \* (وكذلك حفت

كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار) \* [٤٠/٦] .  
سدت عليهم الطرق واغلقت عليهم ابواب، اذ القلب هو المشعر الالهي

الذى هو محل الالهام، فحجبوا عنه بختمه وطبعه ورينه، والسمع والبصر هما المشعران لادراك الانسان الكامل خليفة الله في أرضه، وهما بابان للفهم والاعتبار فحرموا عن جدواهما لطمس عيونهم وصمم آذانهم، فلا يمكنهم الانتفاع بهما والاستعمال لهما فيما خلقا لأجله، لامتناع نفوذ المعنى فيهما إلى قلبهما، فلا سبيل لهم في الباطن إلى العلوم الكشفية الالهامية، ولا في الظاهر إلى العلوم التعليمية الكسبية الادبية، فسدت عليهم الطريقتان.

فالسد الاول الواقع من بين أيديهم يوجب انسدادهم عن الوصول إلى عالم الآخرة وعالم الغيب والباطن، الذي يتوجه إليه التفوس بحسب الفطرة بالموت الطبيعي .

والسد الثاني الواقع من خلفهم يوجب انسدادهم عن الانتفاع بعالم الاجسام وصرف نعم الله من الالات والحواس الجسمانية فيما خلقت لأجله ، فحبسوها في سجون الظلمات ووقعوا في شجون أودية الهوى والدركات، مغشّتون بأغشية الهيئات الرديات، مقطوعون بأغطية الشواغل المادييات، ولذا قال : « فأغشيناهم فهم لا يصرون» اي غطيناهم وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئى ، لأن شرط الرؤية مفقودة ، لأنهم في حجب ثلاثة وظلمات ثلاثة : عمى القلب أولاً وعمى الشواغل والتعلقات ثانياً، وعمى الجحود والعناد ثالثاً، فما أعظم عذابهم ! وما أشد حجابهم حيث قال الله فيهم اعراضاً عنهم وتسريراً اياهم في مرتع الدواب خليعى العذار، وتسوية بينهم وبين الانعام السائمة بلا قيد وعقل :

وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تذر لهم لا يؤمنون [١٠]

لأن الإيمان مرتبة من العلم بالمبده والمعد، والتقوى بمحبته، والزهد في الدنيا، والتجدد عن دار الأضداد، والرضا بقضاء الله، والتوكيل عليه في كل المواد، وهي تفتقر إلى قريحة صافية وقادرة، وقلب خاشع خاضع لذكر الله، متشوق إلى عبوديته متواصل الفكر في طلب الحق، والوصول إلى دار القرار ومنزل المصطفين الآخيار، فكيف يتصور هذه الأمور من قلوب هي كالحجارة أو أشد قسوة فلا ينفع فيهم الإنذار ولا ينفع لهم التعليم والتكرار، بل الإنذار والتعليم إنما ينفع للقلوب الرقيقة اللطيفة الخاشية لله، الطالبة للحق و تذكر الآيات والمعارف كما قال :

انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب

لكونه ذا فطرة صحيحة وقلب خاضع خاشع لذكر الله، خاش من الرحمن في عالم الغيب، وإنما اطلق هذا الاسم للإشارة إلى أن خشية أهل العرفان حاصلة من ادراك العظمة لله و شدة النورية الإلهية وأشعة الرحمة اللامتناهية، وليس الخشية منهم خشية العقاب، والإناسب أن يذكر بدل اسم «الرحمن» اسم «المنتقم» او «القهار» او «العدل».

واعلم أن نفي الإنذار هيئنا عن النبي صلى الله عليه وآله بالقياس إلى الأشقياء المردودين كما يستفاد من كلمة «إنما» الكائنة للحصر ليس بمناف لثبوته سابقاً مع انتفاء الإيمان، وذلك لأن النفي هيئنا باعتبار نفي ترتيب الغاية والبغية،

لأن ثمرة الإنذار ترتب على الإيمان ، فإذا انتفت الشمرة فكأنه انتفى الإنذار ، وأما الأثبات فهو باعتبار تحققها في نفسه مع قطع النظر عن التأثير وجود الأثر فلا ينافي مان وهذا كالشمس المضيئة التي شأنها أضائة وجه الأرض ، فإذا حجب عنها حجاب وحدث فوق الأرض سحاب فلم يستضي منها وجه الأرض ، يصدق على الشمس حينئذ أنها مضيئة ، ويصدق أيضاً أنها غير مضيئة ، كل منهما باعتبار آخر .

### فبشره بمحفرة

من الله له عن ذنبه المتقدمة والمتأخرة ، كوروده في جحيم الدنيا ومصاحبة مؤذياتها وقبوله الصفات الهابطة مدة بشوم الاقتران مع الأقران السوء ورؤيتهم .

### واجر كريم [١١]

ونعيم جسيم من جنة الأفعال والصفات أو الذات ، على حسب الدرجات .

\* \* \*

ولما كان قبول دعوة الحق بالإنذار والهتقاء بفهم الآيات والأنوار ، وطلب اليقين بحقائق الدين يجب أن يحيى القلوب بالحقيقة الابدية الأخرى ، ويتنور بروح الحقائق والمعارف اليقينية : ويخلص من موت الجهالة وينجو من عذاب الأخلاق الرديئة ، وكل ما يخرج من القوة إلى الفعل فيحتاج إلى سبب مخرج إيه ، والمخرج للنفس الميّة بموت الجهل وعذاب النقص والافلة إلى روح العقل المستفاد المضيء في دار المعاد وفسحة المعارف والأنوار الواقعة في دار

القرار ومشاهدة الصور الحسان الموجودة في طبقات الجنان إنما يكون مبدعاً دراً كافياً للاستدلال ، خلافاً للعلوم المفارقة عن هذه الماديات ، وهو الباري سبحانه او ضرب من ملائكته المقربين ، اذ لو لم يكن حصول المعارف عنده او عند مقربيه بتائيده على سبيل الفعالية ، لكان مفتقرأ في ادراكه للمعارف والعلوم وخروجه من القوة الى الفعل الى مبدع آخر أجل منه رتبة وفضيلة فيلزم أن يكون الله العالم ناقصاً في رتبته ، مفتقرأ الى غيره في كمال وجوده ، وهو ممتنع عليه - تعالى عما يقوله الظالمون علوأ كبيراً - فعقب ذلك بقوله :

### انا نحن

اي هو تعالى او ضرب من ملائكته المقربين المهيدين ، الذين فعلهم مطوي في فعل الحق لفناء ذواتهم بغلبة سلطان النور الطامن الازلي على أنوارهم ، واختفاء أشعة تأثيراتهم العقلية تحت شعاع الضوء القيومي .

### زحيبي الموتى

من النفوس الهاكلة في عالم الظلمات ومقدمة الدنيا ، وقبور الهيئات البدنية النائمة نوم الغفلة ، وقصور الوجود بروح المعارف والعلوم ويقظة الكشف والشهود ، ويؤيد هذا ما ذكر عن الحسن : «احياؤهم أن يخر جهنم من الشرك الى الايمان» وقيل : «زحيبي الموتى ببعثتهم بعد مماتهم» .

## ونكتب ما قدموا وآثارهم

قيل : اى ما أسلفو امن الاعمال الصالحة وغيرها ، وما هلكوا عنده من آثار حسنة  
 كعلم علموه ، او كتاب صنفوه او بناء بتوه - من مسجداً او رباطاً او قنطرة او نحوه  
 ذلك - او سببها - كوظيفة و خراج انشأها بعض الظلمة على الناس ، او سكناً احدثها  
 فيها تخسيروهم - او لهو فيه صد عن ذكر الله من الحان ولاته كالنرد والشترنج ،  
 وكذلك كل سنة حسنة او سنّة سيئة يسكن بها ، و نحوه قوله تعالى : \* (ينبئُ الانسان  
 يومئذ بما قدّم وأخر) \* [١٣/٧٥] قدم من أعماله وأخر من آثاره .

### قاعدة فرقانية فيها مكاشفة قرآنية

الإشارة في تحقيق هذه الآية :

ان كل من فعل فعلاً وتكلم كلاماً ، او عمل عملاً صالحًا ، او اقترف معصية  
 فحصل من ذلك أثر في نفسه وحدث فيها حال وكيفية نفسانية هي ضرب من  
 الصورة والنّقش ، واذا تكررت الافعال وتكررت الاقوال استحكمت الآثار  
 في النفس ، فصارت ملوكات بعد ما كانت احوالاً ، و «المقام» في لغة أهل التصوف  
 هو هذه الملكة ، فيصدر بسببيها الافعال المناسبة لها بسهولة من غير روية .  
 ومن هيئها يتأتى تعلم الصنائع وتهيؤ المكاسب العلمية والعملية ، ولو لم يكن  
 هذا التأثير للنفس والاشتداد به فيها يوماً فيوماً لم يكن للانسان تعلم الحرف  
 والصناعات ، بل يحتاج في كل تراخ و تعطل الى تجشم كسب جديد ولم ينبع  
 التأديب والتهدیب في الانسان ، ولو لم يكن ايضاً في تأديب الاطفال وتمرينهما

الاعمال فائدة ، فالآثار المحاصلة من الافعال والاقوال في القلوب بمنزلة النقوش والكتابة في الاواح \* ( اوئلث كتب في قلوبهم الایمان ) \* [ ٥٨ / ٢٢ ] وتلك الاواح النفسية يقال لها : « صحائف الاعمال » .

وتلك الصور والنقوش الكتابية يحتاج في حصولها في تلك الاواح الى مصوريين وكتاب غير تملك الموضوعات ، لاما علمت من استحالة كون شيء واحد مصوراً ومتصوراً ونقاشاً ومنتقشاً ومعلماً ومتعلماً وبالجملة فاعلاً وقابلًا ، واستحالة كون المعطى للمكمال قاصراً عنه ، فالمصوريون والكتاب يجب أن يكونوا أهل رتبة وأشد تجرداً وأعظم كرامة من النقوس القابلة ، فهم « الكرام الكاتبون » وهم ضرورة من ملائكة الله المتعلقة بأعمال العباد وأقوالهم لقوله تعالى : \* ( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) \* [ ٥٠ / ١٨ ] .

وهم على كثرة أصنافهم حسب أصناف العباد قسمان : « ملائكة اليمين » وهم يكتبون أعمال أصحاب اليمين ، و « ملائكة الشمال » وهم يكتبون أعمال أصحاب الشمال واليه الاشارة في قوله تعالى : \* ( اذ يتلقى المتقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ) \* [ ٥٠ / ١٧ ] .

وفي الخبر : « كل من عمل حسنة يخلق الله منها ملكاً يثاب به ، ومن اقترف سيئة يخلق الله منها شيطاناً يعذب به » فالاول اشير اليه بقوله تعالى : \* ( ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة الاتخافوا ولا تحزنوا وابشرو بالجنة التي كتمت توعدون \* نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) \* [ ٣٠ / ٤١ ] والثانى اليه الاشارة بقوله تعالى : \* ( هل انبيئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افواك اثيم ) \* [ ٢٦ / ٢٢ ] وقوله : \* ( ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقىّض له شيطاناً فهو له قرين ) \* [ ٤٣ / ٣٦ ] .

وفي كلام فيثاغورس وهو من أساطير الحكام المقتبسين انوار معارفهم من

مشكوة علوم الانبياء عليهم السلام: «اعلم انك ستعارض بأقوالك وافعالك وافكارك، وستظهر لك من كل حركة فكرية او قوله او عملية صور روحانية وجسمانية فان كانت الحركة غضبية شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك في حياتك ويحجبك عن ملاقة النور بعده فاتك ، وان كانت الحركة عقلية صارت ملائكة تلتذ بمنادتها في دنياك ، وتهندي بنوره في اخراك الى جوار الله وكرامته » -انتهى - . وهذا النور ما يشار اليه بقوله تعالى: \* (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) \* [١٢/٥٧] وأمثال هذا في كلام الله كثيرة كما سيلوح لك بفضله انشاء الله .

\*       \*       \*

فإذا تقرر هذا فقوله: «ما قدموا» اشارة الى تلك الاحوال النفسانية، والارتسامات المتتالية مرة بعد اخرى قبل رسوخ تلك الصفات وصيروتها ملائكة يعسر زوالها وقوله: «وآثارهم» اشارة الى الملكات الراسخة التي هي اثر حاصل بعد انقضائها وانقطاع الاعمال المستدعاة لها .

ثم لما كان هذا العالم دار التغيير والزوال ، والواح النفوس المتعلقة به قابلة للمحو والاثبات، يمكن فيها تبديل الصفات والهياكل، وازالة السيئات بالحسنات، والتوبة عن المعاصي قبل حصول الاخلاق والملكات ، وسد أبواب المغفرة عند استحکام الريون والظلمات، وأما عند ظهور الاخرة فيستحکم الاخلاق بحيث يصير كل خلق ردى (صورة - ن) خلق آخر من الحيوانات ، فيحشر الناس على حسب هوياتهم كما ورد في الحديث ، وهذا معنى قوله : \* (يومئذ يصدر الناس أشتاناً ليروا اعمالهم) \* فمن يعمل مثقال ذرة) \* الآية - [٩٩/٦-٧]

## (زيادة كشف)

رسوخ الهيئات و تأكيد الصفات الحاصلة من تكرر أعمال الحسنات و السيئات هو المسمى عند الحكماء بـ «الملكة» وفي لسان أهل النبوة والمشاهدة بـ «الملك» و «الشيطان» والمعنى واحد وان اختلفت الاشارات ، ولو لم يكن لتلك الملائكة النفسانية من الثبات ما يمكّن أبداً الاباد لم يكن لخلود أهل الطاعة والمعصية في الشواب والعقاب وجه لأن منشأ الدوام لو كان نفس العمل أو الحالة الزائلة من النفس يلزم بقاء المعلول مع زوال العلة .

وايضاً الفعل الجسماني الواقع في زمان متناه ومكان خاص كيف يكون منشأ للجزاء الثابت في الزمان الغير المتناهي ؟ ومثل هذه المجازاة لا يليق بالحكيم ، وقد قال : \* (وما أنا بظلام للعبيد) \* [٥٠ / ٢٩] وقال : \* (ولكن يؤخذكم بما كسبتم قلوبكم) \* [٢٢٥ / ٢] ولكن انما يخالد أهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بالثباب في النيات .

ومن هيئنا ظهرت نكتة اخرى في قوله : \* (ونكتب ما قدموا و آثارهم) \* وهي بيان السبب الموجب للعقاب من غير ظلم وجور واعتساف وميل وحيف في الميزان والحساب ، فكل من فعل مثقال ذرة من الخير أو الشر يرى أثره وملوكه في صحيحة ذاته أو صحيحة أرفع من ذاته في كتاب لا يجيئها إلا لوقتها وذاهان وقت أن يقع بصره إلى وجه ذاته عند كشف الغطاء ، وفراغه عن شواغل هذه الأدنى وما يورده الحواس ، ويلتفت إلى صفحة باطنها وقلبه وهو المعبر عنه بقوله : \* (وإذا الصحف نشرت) \* [٨١ / ١٠] فمن كان في غفلة عن ذاته وحضور قلبه يقول عند ذلك كما حكى الله عنه بقوله : \* (مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة و

لاكبيرة الا أحصاها ووجدو ما عاملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً) [٤٩/١٨] واشير الى نشر الصحف ايضاً بقوله تعالى: \* (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرأً وما عاملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) [٣٠/٣]. وفي الخبر ايضاً: «ان من قال سبحان الله غرست له في الجنة شجرة» (١) ومن قال كذا وكذا حسنة ، خلق الله له حور العين وقصوراً وبيوتاً وأنهاراً يتمتع بها ابداً مخلداً .

وكذا الحكم في جانب المعصية ، فيخلق الله من سيّشات المجرمين و المافقين ما يكون سبب آلامهم دائماً مخلداً ، وقال تعالى في قصة ابن نوح عليه السلام: \* (انه عمل غير صالح) [٤٦/١١] وفي الخبر «خلق الكافر من ذنب المؤمن» ونظائر هذه كثيرة في الآيات والأخبار .

ومنشأ ذلك ان الدار الآخرة دار الحيوة لقوله : \* (وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) [٦٤/٢٩] ومواد اشخاص الآخرة هي التصورات الباطنية والتأملات القلبية ، لأن الدار الآخرة ليست من جنس الدار الدنيا لأن هذه دار الشهادة وهي دار الغيب ، والانسان اذا انقطع عن الدنيا وتجرد عن مشاعر هذا الادنى وكشف عنه الغطاء يكون الغيب بالنسبة اليه شهادة وحضوراً والعلم عيناً ، والخبر عياناً ، والسر علانية .

فككل أحد يكون بعد كشف الغطاء ورفع الحجاب حديد البصر لقوله تعالى : \* (فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد) [٢٢/٥٠] فيكون بصيراً بنتائج أعماله ، مشاهداً لأثار أفعاله ، قارئاً لصفحة كتابه ، مطلعاً على حساب حسناته وسيّشاته لقوله تعالى : \* (وكل انسان الزمان طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتاباً يلقاه منشوراً \* اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) [١٤-١٧/١٧]

فمن كان من أصحاب اليمين وأهل المعرفة واليقين او تي كتابه من المجهة التي تناسبه - وهي جهة عليين \* (ان كتاب البرار لفي عليين \* وما أدرك ما عليهن \* كتاب مرقوم يشهد له المقربون) \* [٢١ - ١٨ / ٨٣] ومن كان من أصحاب الشمال والمنكوسين الفجوار وصاحب الانظار الجزئية والافكار المتعلقة بالاعمال والآثار، فقد او تي كتابه بشماله لقوله تعالى : \* (وأما من او تي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه) \* [٢٥ / ٦٩] أو من وراء ظهره لقوله تعالى : \* (وأما من او تي كتابه وراء ظهره \* فسوف يدعوا ثبوراً \* ويصلى سعيراً) \* [٨٤ / ١٠ - ١٢] ويكون ايضاً كتابه في سجينين لقوله تعالى : \* (ان كتاب الفجوار لفي سجينين) \* [٧ / ٨٣] لانه من جملة المجرميـن المنكوسين لقوله تعالى : \* (ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم) \* [٣٢ / ١٢].

ثم اعلم ان جميع هذه الكتب و الصحائف انما ينتسب عن اصل مقدس عظيم هي فروع له و ابواب مأخوذة منه و جداول منشعبة من بحره، وهو ام النسخ و امام الكتب، وهو كتاب عقلى مبين فيه صور جميع الممكنات على وجه أعلى وأرفع لا يمسه الا الملائكة المطهرون والعقل المقدسة عن ارجاس عالم الحواس وأنفاس الوهم والوسواس ، ولذلك قال بعد الاشارات الى صحائف الاعمال وكتب الافعال لاصحاب الشمال :

و كل شيء أحصيناه في امام مبين [١٢]

اي عدنا كل شيء من الحوادث في كتاب ظاهر الكتابة لأن حقائق الاشياء مسطورة أولاً فيه ثم يتفرع منه العلوم المفصلة ، و يتشعب من بحره أنها ر الحقيقة و جداول المعارف ، وهو «اللوح المحفوظ» و «لوح القضاء الالهي»

الناخذ حكمه في المدارك النفسانية والألواح القدرة، وعنه مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم وعنه خزان العلوم والمعارف المتعلقة بالحوادث الكائنة والآتية، لقوله تعالى: \* (وعنه مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) [١٥/٦] وقوله: \* (وان من شيء عندنا خزائنه ومانزل له القدر معلوم) \* [٢١] وتلك المفاتح لخزان العلوم والمعلومات هي قلوب الملائكة المقربين، المحفوظين بحفظ الله وتبقيته وحراسته ايامهم عن الخلل والتفصان والذهول وعالمهم «عالم القضاء» السابق على عالم القدر واللوح النفسي وعالم اللوح المخارجي، - اي المادة بما فيها من الصور العينية.

قيل: الوجه في احصاء كل شيء في الكتاب الالهي اعتبار الملائكة به، اذ قابلوا به ما يحدث من الامور، فان صدور الانواع الكثيرة يحتاج إلى جهات كثيرة في عالم الالهية ، يوجب تكثير الفيض من الواحد الحقيقي الذي مأموره الواحد كلام بالبصر ، ففي هذه دلالة على حصول صور الاشياء كلها في ذلك الكتاب على وجه مفصل مرتب يجمع ويرتقي إلى أمر واحد ، وقد بسطنا القول فيه بوجه تحقيقة في مقام آخر ، ذكره يؤدي إلى التسطوين ، ويخرج عن طور الكلام في التأويل.

### واضرب [يامحمد] لهم مثلا

اي : مثل لهم مثلا من قولهم : « هؤلاء أضرب » اي: أمثال ، و « هذه الاشياء على ضرب واحد » اي : على مثال واحد . وقيل : « اذكر لهم مثلا » اي : قصة عجيبة .

## أصحاب القرية

وهي أنطاكية - على رأى المفسرين - وأصحابها كانوا عبدة أو ثان .

## اذ جائها المرسلون [١٣]

وهم رسول عيسى عليه السلام الى أهلها، أرسلهم داعين الى الحق .

## اذ أرسلنا اليهم اثنين

اى رسوليin من رسليn ، وانما اضيف الارسال هيئنا الى الله تعالى ، وان كان عيسى عليه السلام هو الذي أرسليهم ، لأن ارساله كان بأمر الله - كما قيل - او لانه لغاية قرب عيسى عليه السلام من الله وتجزده عن أغراض النفس واستهلاك نوره في نور الحق كان في مقام العبدية ، فكان فعله فعل الحق ، من قبيل قوله تعالى : \* (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) \* [١٧/٨] .  
ومثل قول النبي صلى الله عليه وآلـه : «من أطاعني فقد أطاع الله» (١) .  
وقوله صلى الله عليه وآلـه وسلم : «من رأني فقد رأى الحق» (٢) .

١) البخاري : كتاب الاحكام ، الباب ١ : ٧٧/٩ .

٢) البخاري : باب في التعبير ، الباب ١٠ : ٤٢/٩ .

وكمـا في الحديث المشهور : « لا يزال العبد يتقارب إلى بالنواقل حتى أحبيته » (١) .

\* \* \* \*

وهيئنا سرـآخر ، وهو أن الإنسان إذا بلغت منزلته في البرائة عن الهوى والنفس ، إلى أن مات عن نفسه واتـصل بعالم القدس يصـير بحـيث يـفيض عليه نور الحق بلا تـوسط مـلك مـقرب أو نـبـي مـرسـل ، فـإذا كان مـأـمورـاً باصلاح النوعـ كان لـغاـية استـعدادـه وـقرـبـه من الحق يـقـبـل منـصب الرـسـالـة أوـالـخـلـافـة بلا واسـطـةـ وـانـكانـ حـصـولـ هـذـاـ المـقـامـهـ بـنـورـ المـتابـعـهـ لـمـنـ اـسـتـخـلـفـهـ ، وـهـذـاـ كـمـاـ لـامـيرـ المـؤـمنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ حـيـثـ كـانـ اـمـامـاـ لـلـمـؤـمـنـينـ ، وـخـلـيـفةـ لـرـسـولـ رـبـ الـعـالـمـينـ بـنـصـ منـ اللهـ لـاجـلـ كـرـامـتـهـ فـيـ نـفـسـهـ وـقـرـبـهـ مـنـ اللهـ بـحـسـبـ التـابـعـيـةـ ، كـمـاـيـدـلـ عـلـيـهـ أـحـادـيـثـ كـثـيـرـةـ ، مـثـلـ قـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ : « أـنـاـ وـعـلـيـ مـنـ نـورـ وـاحـدـ » (٢)ـ وـقـوـلـهـ : « لـاتـسـبـّـواـ عـلـيـّـاـ فـاـنـهـ مـمـسـوسـ بـنـورـ اللهـ » (٣)ـ وـنـظـائـرـ ذـلـكـ .

وبـالـجـمـلـةـ بـعـضـ المـنـاصـبـ لـشـرفـهـ لـابـدـ وـأـنـ يـكـونـ مـنـ قـبـلـ اللهـ بـلـامـشـارـكـةـ أـحـدـ لـقـرـبـ الـاستـعدـادـ وـانـ كـانـ الـاـمـورـ كـلـهـاـ مـنـ اللهـ ، الـأـنـ بـعـضـهاـ مـتـرـتبـ عـلـىـ بـعـضـ ، وـبـعـضـهـاـ فـيـضـ مـنـ اللهـ بـلـاـ وـاسـطـةـ الـخـلـقـ ، وـذـلـكـ كـالـنـبـوـةـ وـالـرـسـالـةـ وـالـوـلـايـةـ ، فـانـ « الـوـلـايـ » وـلـىـ بـكـرـامـةـ باـطـنـيـةـ مـنـ اللهـ ، وـكـذـاـ « الـحـكـيمـ » وـ« الـعـارـفـ » ، فـانـ كـلـاـ مـنـهـمـاـ فـيـضـ وـرـحـمـةـ مـنـ اللهـ لـاـ يـمـكـنـ اـنـتـقـالـهـ مـنـ شـخـصـ الـىـ آخـرـ بـاختـيـارـ الـعـبـادـ ، وـلـيـسـتـ كـذـلـكـ السـلـطـنـةـ وـالـحـكـومـةـ وـالـقـضـاءـ وـالـأـمـارـةـ وـتـوـلـيـةـ الـأـوقـافـ وـمـاـيـجـرـىـ مـعـرـاـهاـ .

(١) التـوحـيدـ : ٤٠٠ـ . الـبـخـارـيـ : كـيـتـابـ الرـقـائـقـ : ١٣١/٨ـ .

(٢) الـخـصـالـ : ٣١ـ .

(٣) فـيـ الـمـنـاقـبـ لـابـنـ شـهـرـ آـشـوبـ (٢٤١/٣ـ) : لـاتـسـبـّـواـ عـلـيـّـاـ فـاـنـهـ مـمـسـوسـ فـيـ ذاتـ اللهـ .

ولهذا حكى في قصة رسولي عيسى عليه السلام - كمما نقل - أنهم قالوا - حين سُئل عنهم ملك القرية : «من أرسلكم؟» - : «أرسلنا الله الذي خلق كل شيء» ومن هيئنا علم أن أمثال هذه المناصب موهبة وإن كان للكسب فيه مدخل على وجه الأعداد والتقدمة بتوفيق من الله وتسهيله .

### فكذبوا بهما

أصحاب القرية، قال ابن عباس : «ضربوهما وسجّنوا بهما» .  
 وشرح قصتهما - كما نقل - أنهم لما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنائمات له - وهو حبيب النجار صاحب يس ، فسألهم عن حالهما فأخبراه ، فقال : «أمعكم آية؟» فقالا : «نشفي المريض ونبرى الراكمه والأبرص؟» ، وكان له ولد مريض من سنتين ، فمسحاه ، فقام ، فأمن حبيب وفشا الخبر ، فشفى على أيديهما خلق كثير .  
 ورقى حدثيهم إلى الملك ، فقال لهم : «أ لنا الله سوى الهنا؟» قالا : «نعم ، من أجدك وألهتك» فقال : « وما حتى أنظر في أمركم؟» فتبعهما الناس وضربوهما وقيل : حبسا .  
 ثم بعث اليهم عيسى عليه السلام رسول آخر لقوله :

### فعززنا بثالث

إي : فقوينا بهما وشدنا ظهورهما برسول ثالث ، يقال «المطر تعزز الأرض» اذا لم يلتفت لها وشدها ، و«تعزز لحم الناقة» وقرى بالتحفيف مأخوذاً من «العزة» و«المنعنة» من «عزه ، يعزه» اذا غلبه وقهقه ، اي فغلبنا وقهقنا بثالث وهو شمعون .

وترك ذكر المفعول به واضماره للاشعار بأن الغرض ذكر المعزز، ومما لطف فيه من حسن التدبير حتى قهر الباطل وأذل المنكر، وإذا النصب الكلام في محظ الغرض من سياقه فلا ضير في طرح ماسواه ورفضه ، كقولك : « حكم الامير اليوم بالحق» من غير ذكر المحكوم له او عليه .

\* \* \*

وحكى انه لما أرسل شمعون الى أهل القرية دخل منتذراً وعاشر حاشية الملك، حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به، فقال له ذات يوم : «بلغنى أنك حبس رجلين فهل سمعت ما يقولانه ؟ ». قال : « لا، حال الغضب بيني وبين ذلك ». فدعاهما، فقال شمعون : « من أرسلكمما ؟ ». قالا : « الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك ». فقال : « صفاء واجزا ». قالا : « يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ». قال : « وما آتتكمما ؟ ». قال : « ما يهمني الملك » .

فدعى بغلام مطموس العينين، فدعى الله حتى انشق له بصره، وأخذنا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما، فقال له شمعون : « أرأيت لو سئلت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف ؟ ». قال : « ليس لي عنك سران الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ». وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلبي ويتصفع ويحسبون أنه منهم ثم قال : « ان قدر الهمكما على احياء ميتآمنا به » فدعوا بغلامات من سبعة

أيام ، فقام وقال : « اني ادخلت في سبعة او دي من النار ، وأننا احذركم ما انتم فيه فآمنوا - وقال : - فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة » .

قال الملك : « من هم ؟ »

قال : « شمعون و هذان »

فتعجب الملك ، فلما رأى شمعونا أن قوله قد اثر فيه نصيحه فآمن و آمن قومه ، ومن لم يؤمن صاح عليهم جيرئيل صيحة فهلكوا .

### فقالوا انا اليكم مرسلون [١٤]

قال شعبة : « كان اسم الرسولين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس» وقال ابن عباس و كعب : « الاولان صادق وصدق و الثالث سلوم » قالوا لهم : يا أهل القرية قدار سلنا الله اليكم .

قالوا - اي قال أهل القرية : - ما أنتم الا بشر مثلنا

فلا تصلحون للرسالة كما لانصلح لها ، لأن أفراد البشر أفراد نوع واحد ، والطبيعة الواحدة النوعية أفرادها متماثلة في استحقاقية شيء واحد بحسب ذاتها ، فكل مجاز لأحد جاز للمجتمع ، لكننا نعلم بديهية أن مارأينا من الأمثال غير مستحقين لرسالة الله ، لغاية انكبابهم الى الدنيا وظلمة نفوسهم وقساوة قلوبهم ، فالجميع هكذا ، ولذلك قالوا كما حكى الله عنهم يقوله :

وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكذِّبُونَ [١٥]

هذه غاية شبهة المحادين للحق والمنكرين للبعثة والرسالة ، ولا يبعد أن يكون احدى الفوائد والأغراض المسوق إليها هذه القصة هي حكاية هذه الشبهة وارتكازها في اوهام ضعفاء العقول ، المنتسبة إلى الفلسفة ، المتشبهة بهم من الطبيعية والدهرية والصبوية ، وبراهمة الهند المنسوبة إلى برهمان الهندي ، حيث أنهم بعد علمهم بأحوال المبدئ وتقىنهم بوجوده وتنزهه وتقديسه تحرروا في أحوال الآخرة والمعاد ، وأضطربت أفكارهم في حقيقتها وحقيقة الرسالة وحقيقة رسول المندوب وقوعها ، وسعادتها وشقاوتها ، ونير انها وجنانها ، وسلبياتها وزفونها ، ومالكتها ورضوانها ، بل صرحوا بنفي المعاد بعد الممات ، حيث ورد ان الانسان المتكون من مزاج حاصل من أضداد عند امتزاج مهما فسد لا يرجى له ولغيره فيه فائدة ، فحكموا بأنه اذا مات ، مات ، ومعاده قد فات ، كما حكى الله عنهم بقوله : \* (ما هي لحياتنا الدنيا نموت ونحيانا وما يهمكنا الا الدهر) \* [٤٥/٢٤] والانسان عندهم كالعشب والمرعي ينبت وينمو من الارض فيصير غناءً أحوى .

وعلى هذه الطريقة جرت خصوم الخليل عليه السلام من الصابئة - على ما حكى الله تعالى عنهم في مواضع جمّة من كتابه ، مثل قوله : \* (أبشر يهودوننا) \* [٢٣/٢٤] \* (ما هذا الا يبشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم) \* [٦/٦٤] (يأكل مماثلاً كلون منه ويشرب مما تشربون) \* [٣٣/٢٣] ومدار انكارهم واستكبارهم على هذه الشبهة التي اشير إليها في مواضع من الكتاب كما قال الله تعالى : \* (وما من الناس أن يؤمنوا بآياتهم الهدى لأن قالوا أبشع الله بشراً رسوله) \*

[١٧/٩٤] فحضر الله مدار اصرارهم وجوههم على أن البشر لا يصلح للرسالة ، لأن أفراده مشتركة في الماهية ، فمن المحال أن يختص واحد منها بخاصية دون بعض آخر .

\* \* \*

هذه حجتهم الداحضة وغاية انكارهم العامضة ، الا أنها مندفعـة بوجهيـن شريفـين قرآنـيين كلـهما في غـاية الاستـنارة والاستـحكـام :

الـأول ما وقـعت الاـشارة إلـيـه هـيـهـنا حـكـاـيـة عـمـا الـهـمـهـ بـهـ رـسـلـ عـيسـىـ عـلـيـهـ

الـسـلـامـ جـوـابـاـ عنـ انـكـارـ أـهـلـ القرـيـةـ رسـالـتـهـمـ حـيـثـ ماـغـتـرـواـ بـهـ بـفـطـانـهـمـ الـبـرـاءـ

منـ الشـبـهـةـ التـىـ شـرـحـنـاـهاـ ،ـ وـهـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :

قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون [١٦]

لاعلى الوجه الذى فهمه الزمخشرى ومن تبعه ، وهو ان قوله : «ربنا يعلم»  
جار مجـريـ القـسـمـ فيـ التـوـكـيدـ ،ـ كـقـوـلـهـمـ «ـشـهـدـ اللـهـ»ـ وـ«ـعـلـمـ اللـهـ»ـ لـانـ معـنىـ الآـيـةـ  
دفعـ الشـبـهـ الـعـلـمـيـةـ الـمـفـصـلـةـ فـاستـيـنـافـ الدـعـوـىـ مـقـرـونـةـ بـالـقـسـمـ غـيرـ منـجـحـ ،ـ وـ  
الـبـيـانـ الـقـسـمـيـ غـيرـ نـافـعـ فـيـ الـمـقـامـاتـ الـعـلـمـيـةـ التـيـ لـاـ يـوـصـلـ إـلـيـهـاـ الـأـبـالـطـمـأـنـيـةـ  
الـيـقـيـنـيـةـ ،ـ عـلـىـ أـنـ اـحـتـمـالـ التـورـىـ فـيـ القـسـمـ قـائـمـ ،ـ ثـمـ اـعـتـذـارـهـ –ـ بـأـنـ هـذـاـ القـسـمـ  
لـماـكـانـ مـشـفـوـعـاـ بـالـبـيـنـةـ الشـاهـدـةـ وـالـإـيـاتـ الـواـضـحـةـ مـسـتـحـسـنــ كـمـاـ تـرـىـ .ـ

وـ اـنـّـمـاـ حـمـلـهـ عـلـىـ هـذـاـ التـوـجـيـهـ فـيـ الآـيـةـ أـمـرـانـ :ـ أـحـدـهـمـ وـجـودـ الـلـامـ  
لـلـتـأـكـيدـ فـيـ «ـمـرـسـلـوـنـ»ـ الـثـانـيـ دـوـنـ الـأـوـلـ .ـ وـثـانـيـهـمـ :ـ الـمـهـاـيـةـ الـمـعـنـوـيـةـ بـيـنـ قـوـلـهـمـ  
«ـرـبـنـاـيـلـمـ»ـ وـقـوـلـ النـاسـ «ـشـهـدـ اللـهـ»ـ وـ«ـعـلـمـ اللـهـ»ـ الـوـاقـعـيـنـ أـحـيـاـنـاـ فـيـ مقـامـ القـسـمـ وـ

كلا الوجهين ضعيف كما لا يخفى .

ولا يضُلُّ الوجه الذي فهمه أتباع الاشاعرة من قولهم: ان للفاعل المختار أن يرجح بعلمه وارادته بعض الامور المتماثلة من غير مرجح، لأن الالهية إنما يتحقق بأن يفعل ما يشاء ويختار ما يريد - اي من غير مخصوص، قالوا: - كما أن شأن الارادة تخصيص أحد الطرفين المتساوين - كما في قدحي عطشان و طريقي هارب - فكذا شأنها تخصيص احدى المتساوين في الماهية ولو ازماها من غير افتقار الى مرجح وداع، وذلك لأن اثبات الفاعل المختار على هذا الوجه مفسوخ الاصل مبرهن الفساد -- كما حرق في مظانه -- بل بأن يكون المراد منه أن الله تعالى بحسب عنایته الازلية المتعلقة بنظام هذا النوع الانساني و علمه الازلي بمصلحة الكائنات ، يهدى من يشاء من عباده ويصطفى من الناس من يصلح للرسالة ، لا لمجرد اتفاق او جزاف - تعالى عن ذلك علواً كبيراً -- بل بحسب اختلاف الأفراد في سبق الاستعداد وصلاح القوابل و المواد ، وتفاوتهم في اللطافة والكتافة ، وصفاء القلب ونورية الفؤاد و قلة الحجب وكثيرتها عن المبدئ الجواد .

فإن الأرواح الإنسانية بحسب الفطرة الأولى والثانية مختلفة في الصفاء والكمورة، والقوة والضعف متترتبة في درجات القرب من الله ، وكذا المواد السفلية بازائتها متفاوتة تفاوتاً نوعياً او صنفياً او شخصياً ، وقد قدر بازاء كل مادة ما يناسبها من الروح ، فحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والأخلاق والصفات والكمالات ، فأعظم السعادات لوجود الاستعدادات وأكمل الكماليات لشرف الأرواح وهي أرواح الأنبياء والأولياء عليهم السلام في كل زمان بحسب اوضاع كل وقت، وأشرف أرواح الأنبياء روح خاتمهم وسيدهم سيد الكل في الكل صلى الله عليه وآله وبعد طبقة أولياء أهل بيته

الظاهرين المستمر سلسلتهم إلى زمان ظهور المهدى ولبي آخر الزمان صلوات الله عليه وآبائه أجمعين .

و إنّما وجّب بلوغ الكمال في النوع بحسب مملكة العلم والحال إلى مرتبة النبوة بأمر من عناد الله و حاجة من الخلق في بقائهم الدنيوي و خلاصهم الآخرى لما ثبت أنّ الإنسان مدنى بالطبع :

أما الأول : فمن لم يهمل أخصم القدمين دون التصغير مع قلة نفعه بل تكميلاً للزينة المستغنى عنها ولم يضع تقويس الحاجبين موترة بوتر أهداب العيون وتسوية أشعارها مع حقاره فوائدتها ، فبأن لا يسوغ الضئّة بافاضة النبوة على روح من الأرواح البشرية مع كونه رحمة للعالمين كان أولى .

وأما الثاني : فمن نظر في العالم الصغير الذي هو الهيكل الانسّى متى لم يكن رئيس مطاع لقواه وأعضاه يسوى كل واحد منها على مكانته ، ويدبر لكل منها غذاء يناسبه ، وقسطاً من الحرارة الغريزية والروح البخاري يلائمها ، وغير ذلك من كميات مراتب الهضم والمدفع والنحو والتوليد لخرب سريعاً ، حيث أصبح كل منها مطاعاً مطيناً ، بل لا بد المكل من أمير واحد ورئيس واحد يدبرها ويسوّها ، ولو كان المدبّر فوق واحد كان البدن كما قيل : «خانه بهدو كدبانو نارفته بماند» .

وإذا كان أمير العالم الصغير لا يتم " ولا يتمشى دون قاهر أمير ، فما ظنك بعالم العناصر المثار لآثار الفتن ، المكمن لأنواع المحن بل لا بد" للخاقان من الهدایة إلى كيفية المصالحة وجلب المساعي والمناهج وجود هاد للخلق مؤيد من عند الله ، يأتمرون بأمره وينزجرون بزجره \* (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهَاكم عنه فانتهوا) \* [٥٩ / ٧] .

فحالصل هذا الجواب عن شبهتهم أن أفراد البشر وإن كانوا متماثلين بحسب

معنى الانسانية النوعية الا ان بعضهم اختص بكرامة الهيئة و عنایة ربانية لاجل استحقاق خفي و عصمة باطنية لا يعلمه الا الله ، فلا بد في العناية الازلية من بعثه و ارساله ، وهو مفاد قوله \* (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) \* مثل قوله تعالى : \* (الله اعلم حيث يجعل رسالته) \* [١٤ / ٦] و قوله : \* (الله يصطفى من الملائكة رولا) \* [٧٥ / ٢٢] و قوله تعالى : \* (الله يجتبي من رسلي من شاء) \* [١٧٩ / ٣] .

\*       \*       \*

الوجه الثاني ، في حل شبّهتهم ودفع حجّتهم وهو أن أفراد الانسان وان كانت متماثلة في البشرية الا أنها مترافقـة الحقيقة بحسب مواطن والارواح ونشو الآخرة من نفوسها -- وقد مر تحقيق ذلك في تفسير سورة الم سجدة -- والآيات الدالة على أن أرواح الانسان محشورة يوم القيمة على صور مترافقـة في الحقيقة كثيرة .

وهذا مما يحتاج دركه بعد قيام البرهان العقلي والنقلـي عليه الى صفاء في القلب وذوق شديد ونحوـن عظيم في معرفة النفس وكيفية اتحادها بالمعقولات وتقلـبها في الاطوار والنشـات ، لينكشف ان افراد الانسان وان كانت متفقة في معنى نوعـي هو معنى الحيوان المدرك المكتـبات بالقوـة ، لكنـها بعد صيرورة عقولـها الهـيولـانية متـحدـة بما يخرجـ به من القـوـة الى الفعلـ من الهـيـاتـ والـملـكـاتـ تصـيرـ مترافقـةـ المـحـاـفـقـ .

والنفس وان كانت امراً صوريـاً في عالم الحـسـ والـشـهـادـةـ ، مـقـوـماً لـالـنـوـعـ المـخـاصـ البـشـرـىـ الذـىـ اـجـتـمـعـتـ فـيـهـ اـنـوـاعـ الصـورـ الـحـسـيـةـ الطـبـيـعـيـةـ وـالـنبـاتـيـةـ وـالـحـيـوـانـيـةـ ، الاـ انـهاـ فـيـ اـوـلـ الـفـطـرـةـ هـيـ مـحـضـ القـوـةـ وـالـفـاقـةـ بـالـنـسـبـةـ اـلـىـ عـالـمـ الـغـيـبـ وـالـنـشـأـةـ الـاـخـرـةـ نـسـبـتـهـاـ اـلـىـ الصـورـ الـغـيـبـيـةـ التـيـ فـيـهـاـ نـسـبـةـ الـهـيـوـلـيـ الـاـوـلـىـ

الى الصور الحسية .

وَكَمَا أَنَّ الْهَيْوَلِيَّ وَاحِدَةٌ نُوْعِيَّةٌ مُتَمَاثِلَةٌ فِي جَمِيعِ الطَّبَابِيعِ بِحَسْبِ جَوَهْرِيْتَهَا  
الْأَوَّلِيَّ مُتَخَالِفَةٌ الْجَوَاهِرُ بِانْضِمَامِ الصُّورِ المُقَوَّمَةِ إِيْسَاهَا جَوَهْرِيَّةً ثَانِيَّةً فَكَذَلِكَ  
النُّفُوسُ الْإِنْسَانِيَّةُ بِحَسْبِ فَطْرَتِهَا الْأَوَّلِيَّ مُتَمَاثِلَةٌ مُتَحَدِّدَةٌ النُّوْعُ ، وَ بِحَسْبِ مَا  
يَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفَعْلِ مِنَ الْمُلْكَاتِ وَ الْإِخْلَاقِ الْحَاصِلَةِ لَهَا مِنْ تَكْرَرِ  
الْأَعْمَالِ وَ الْأَفْعَالِ مُتَكَثِّرَةٌ الْأَنْوَاعُ ، يَنْسَبُ كُلُّ نُوْعٍ مِنْهَا لَنُوْعٍ مِنْ تِلْكَ الْمُلْكَاتِ  
وَ الْإِخْلَاقِ ، وَ لِحِيَوَانٍ غَلْبٍ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْخَلْقُ ، فَيَحْشُرُ عَلَى صُورَتِهِ لِكَوْنِهَا عَلَى  
صَفَّتِهِ .

فَعَدَدُ الْحَيْوَانَاتِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي النَّشَأَةِ الثَّانِيَّةِ بِحَسْبِ النُّوْعِيَّةِ  
أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ أَنْوَاعِ الْحَيْوَانَاتِ فِي هَذَا الْعَالَمِ ، لَأَنَّهُ سَيُظَهِّرُ مِنْهَا فِي الْقِيَامَةِ أَقْسَامَ  
مِنَ الْحَيْوَانَاتِ لَمْ يَعْهُدْ مِثْلَهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ ، لَهُنَّا بِالْمَسْخِ الْحَاصِلِ لِبعْضِ  
النُّفُوسِ مِنْ امْتِزاجِ اُوصَافِ حَيْوَانَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ اجْتَمَعَتْ فِي بَاطِنِهَا وَرَسَخَتْ  
بِكُثْرَةِ الْأَعْمَالِ الْمُؤَدِّيَّةِ إِلَيْهَا بِطُولِ الزَّمَانِ ، أَوْ بِشَدَّةِ التَّعْلُقِ مِنْ تِلْكَ النُّفُوسِ  
بِفَنُونِ دَوَاعِي تِلْكَ الْحَيْوَانَاتِ وَأَغْرِاضِهَا وَمَقَاصِدِهَا ، فَحَشَرَتْ هِيَ فِي الْقِيَامَةِ  
عَلَى صُورَةٍ تَحْسَنُ عَنْهَا الْقَرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ – كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ  
اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – .

وَالتَّنَاسُخُ بِهَذَا الْمَعْنَى ثَابَتْ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْكَشْفِ وَالْشَّهُودِ، مُصْرَحُ بِهِ فِي  
مَوَاضِعِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى يَحْمَلُ كَلَامُ أَسَاطِيرِ  
الْحَكَمَاءِ الْمُتَقْدِمِينِ ، الْقَائِلِينَ بِالنَّفْلِ ، لَا عَلَى تَعْلُقِ النَّفْسِ مِنْ بَدْنِ عَنْصُرِيِّ الْأَيْمَانِ  
بَدْنَ آخِرٍ ، لَنْهُوْضُ الْبَرَهَانِ الْقَطْعِيِّ مِنَ الْعَرْشِيَّاتِ الَّتِي أَلْهَمَنِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا  
بِفَضْلِهِ وَكَرْمِهِ عَلَى اسْتِحْالَتِهِ ، وَقَدْ أُورَدَنَا فِي كِتَابِ الْمُبَدِّءِ وَالْمَعَادِ وَأَوْلَائِكَ  
الْأَقْدَمُونَ أَجْلَ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَغْفِلُوا مِنْ مَفْسِدَةِ القَوْلِ بِالتَّنَاسُخِ ، بَلْ مَقْصُودُهُمْ

يُوافق شريعتنا المصطفوية - على الصادع بها وآلها أجزل الصلة والتحية -. والحاصل ان الانسان بحسب الاعمال والافعال والافكار والنيات المستنيرة لحصول الاخلاق والملائكة، يصير اماماً من جملة الملائكة او الشياطين او الحيوانات المحتكسة الرؤوس الى جهة السفل ، ولكل من هذه الاجناس الثلاثة أنواع كثيرة يمكن أن يصير اليها أفراد الانسان بحكم المناسبة ويحشر في زمرةها بمقتضى الميل والمحبة ، ولهذا المعنى قيل للانسان انه «باب ابواب» كما نقل عن حكماء الفرس .

\* \* \*

فإذا تقرر هذا فنقول: أرواح الانبياء وال الأولياء - سلام الله عليهم وتقديساته - بمنزلة الملائكة المقربين ، اي الكروبيين الواقعين في الصف الاول من صفوف الملائكة ، ومن بينهم نبينا صلى الله عليه وآلها وسلم بمنزلة العقل الاول ، وقد ذكرنا في تفسيرنا لآية الكرسي كون المراد من الحديث المتفق عليه عنه صلى الله عليه وآلها وسلم : «أول مخلوق الله العقل»(١) هو النبي صلى الله عليه وآلها وسلم ، وتمام ما ذكر فيه من «الاقبال والادبار ، وبك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعقاب» شرح لا حواله صلى الله عليه وآلها وسلم منطبق عليه صادق في حقه .

ثم كل طبقة من طبقات العرفة والعلماء والصلحاء بمنزلة طبقة من طبقات الملائكة وصف من صفوفهم الواقعه بعد الصف الاول ، محشورة معها ، وعوام أهل اليمان بمنزلة عوام الملائكة .

ونفوس المنافقين من أهل المكر والوسوسة والجحيلة والجريبة تحشر في القيامة مع الشياطين لقوله تعالى: \*(لتحشرنهم والشياطين)\* [٦٨/١٩] ونفوس

(١) الفقيه : باب النواذر (آخر ابواب الكتاب) ٣٦٨ / ٤ . حلية الاولياء : ٣١٨ / ٧

أهل الدنيا - الغالب عليها حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المفطرة من الذهب والفضة وحب الرئاسة من الخيل المسمومة والانعام والحرث - تحشر مع الانعام والدواب .

فإذا كان التخالف بين أفراد الإنسان بهذه المثابة من التخالف الجنسي - فضلاً عن النوعي - فكيف يدعى أحد أن نفس النبي صلى الله عليه وآله كنفوس عوام الناس؟ وقال صلى الله عليه وآله: «لست كاحدكم أبیت عند ربی يطعمني ويسقینی» والله سبحانه قد كفّر من ذهب إلى مماثلة النبي مع سائر الناس وقال ببشريته لقوله تعالى: \* (أَبْشِرِيهِدُونَا فَكَفَرُوا) \* [٦/٦٤] وأما قوله: \* (قَلْ انْمَا أَنَا بَشَرٌ مِّنْكُمْ) \* [١٨/١١٠] فهو مماثلة بحسب النشأة الحسية والاشتراك في الجسمية المشتركة .

فالمماثلة التي ادعتها المنكرون للنبوة المتمسكون بهذه الشبهة، إن ادعوها بحسب المادة البدنية المشتركة فالجواب بعد تسليم هذه المقدمة أن اختصاص النبوة ببعض الأفراد إنما يكون بكرامة لاحقة وفضيلة فائضة من الله على حسب صفاء القوابل ولطافة المحل، فلا يلزم تخصيص بلا مخصوص أصلاً كمامر في الوجه الأول، وإن ادعوها بحسب الأرواح والبواطن، فالمماثلة ممنوعة بل المثبت المحقق خلافه كما مر في الوجه الآخر ، فالشبهة عن أصلها منقلحة منحسمة .

\*     \*     \*

وللمتأمل أن يفهم من هذه الآية اشعاراً لطيفاً بالوجه الثاني من وجهي الجواب عن شبهة المنكرين لرسالة الرسل الثلاثة - على نبينا وآله وعليهم السلام - بأن يكون المراد أن جهة المخالفة النوعية الحاصلة بيننا وبينكم ليست مما يمكن أن يصل إلى ادراكه أو فهام أمثالكم ، لانه أمر خفي لا يعلمه إلا الله ، ولا يمكن الوصول إلى دركه الا بالهام الله وتعليمه من اختاره من عباده

للهداية ، لأن صفة النبوة والولاية أمر باطني ونور عقلي يحصل من الله تعالى ويقذف منه في قلب من يشاء من عباده وأولئك ، وإذا تنور الباطن بذلك النور خرج عمّا كان عليه وانقلب نفسه عقلاً مستفاداً ، وناره نوراً مضيئاً في المعاد . وفي القرآن آيات كثيرة وأشارات بلية وتلميحات لطيفة دالة على أن أرواح المؤمنين مخالفة في الحقيقة لنفوس الكفارة والمنافقين ، وعلى أن أرواح الأنبياء جواهرها مخالفة لأرواح غيرهم وأن روح خاتم الأنبياء - عليه وآلـه الصلوة والسلام من الملك الأعلى - فوق الجميع .

ولايتوهمن أن قوله تعالى : \* (قل إنما أنا بشر مثلكم) \* [١٨/١١٠] ينافي ما دعيناه من مخالفة حقيقة الرسول صلى الله عليه وآلـه لعامة الناس ، لما دريت أن الاشتراك والمماثلة بحسب البشرية التي هي متفقة المعنى بين الناس ، والمخالفة بحسب الباطن ومقام العندية ، وعلى هذين المقامين يتوزع كل ما ورد في الاتفاق والاختلاف له مع عامة العباد .

فكـل ما كان من قبيل قوله تعالى : \* (قل إنـما أنا بـشر مـثلـكم) \* [١٨/١١٠] كان المراد به الاشارة إلى مقام البشرية والنزول في هذه الدار ، وكذلك قوله تعالى : \* (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنـتي مـلك) \* [٦/٥٠] \* (ولـوـكـنـتـ أـعـلـمـ الغـيـبـ لـاستـكـشـرـتـ منـ المـخـيـرـ وـمـاـسـنـيـ السـوـءـ أـنـأـناـ الـأـنـذـيرـ) \* [٧/١٨٨] وـقـوـلـهـ : \* (قل سـبـحـانـ رـبـيـ هـلـ كـنـتـ الـأـبـشـرـ أـرـسـوـلـاـ) \* [١٧/٩٣] وـقـوـلـهـ : \* (هـوـ الـذـىـ بـعـثـ فـيـ الـأـمـيـنـ رـسـوـلـاـ مـنـهـمـ) \* [٦٢/٢] وـقـوـلـهـ : \* (لـقـدـ جـائـكـمـ رـسـوـلـ مـنـ أـنـفـسـكـمـ) \* [٩/١٢٨] وـقـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ : \* (إـنـيـ أـبـنـ اـمـرـأـ كـانـتـ تـأـكـلـ الـقـدـيدـ) \* (١) .

وـكـلـ ماـ كانـ منـ قـبـيلـ قـوـلـهـ : \* (مـنـ يـطـعـ الرـسـوـلـ فـقـدـ أـطـاعـ اللهـ) \* [٤/٨٠]

١) ابن ماجه : كتاب الاطعمة ، باب القديد ١١٠١/٢

وقوله : \* (قُلْ إِنَّ كَنْتُمْ تَحْبِبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِي يَحْبِبُكُمُ اللَّهُ) \* [٣١/٣] وقوله : \* (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ الْأَرْحَمَةَ لِلْعَالَمِينَ) \* [٢١/١٠٧] وقوله : \* (نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) \* [١٥/٥] كان المراد به باطنه بحسب مقامه المحمود الموعود له في قوله : \* (عَسَى أَنْ يَبْعَثَنِي رَبِّكَ مَقَاماً مُحَمَّداً) \* [١٧/٧٩].

اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ التَّابِعِينَ لَهُ، الْوَارِدِينَ مَعَهُ وَمَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمَقْدِسِينَ الْمَوْضِعِ،  
الْمَحْشُورِينَ مَعَهُمْ، الْوَاقِفِينَ تَحْتَ لَوَائِهِمْ .

وقوله سبحانه :

### وما علينا إلا البلاغ المبين [١٧]

تحذير شديد ايام والزام بلية لهم، وجواب على نمط آخر عن كلامهم  
يناسب جمهور الناس .

ووجه الاحتجاج بهذا القول عليهم بعد القول الاول المناسب للمخواص:  
أن وجوب النظر أمر عقلي ، كل عاقل يعلم من نفسه بحسب الغريزة العقلية التي  
أعطاه الله ، والفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها ، ويكون حجة الله على خلقه  
والقاضي بينه وبينهم أن شكر المنعم واجب ، لأن في اهماله خطر سوء العاقبة  
وفي فعله الامن والسلامة ، والعاقل لا يختار الخطر على الامن ، ولا يرجح احتمال  
الضرر على تيقن السلامة .

نعم ، ربما يغفل عن مقاييسة الجانبيين ويدخل عن تصور الطرفين لشدة توغله  
في الشواغل ، فيحتاج إلى منبه ، والله تعالى لغاية رحمته على عباده بعث الرسل  
إليهم من خارج ، بعد أن أعطاهما عقلاً من داخل ، ليتبه تلك الرسل عقولهم  
عن نوم الغفلة ورقدة الجهالة وسنة التقليد ، ولذا قيل : « العقل شرع من داخل  
والشرع عقل من خارج » فلو لم يكن الله قد أفاوض في الداخل العقول لما كانت

مهتدية ، ولائهم فائدة من بعثة الرسول ، فالمعنى : وليس يلزمـنا الأداء الرسالة وتبليغ الأحكام .

وقيل معناه : وليس علينا أن نحملكم على الإيمان ، فانا لانقدر عليه ، لأن الإيمان عطائـي حاصل بافاضة الله تعالى على القلب ، ولا يمكن حصولـه بالاكراه والجبر ، كقولـه تعالى : \* (لا اكره في الدين) \* [٢٥٦/٢] .

\* \* \*

ثم لما كان من عادة الجهـال والارذـال لغاية محبتـهم بالدنيـا والنـفس والمـال أن يخافـوا من زوالـشـيء ممـّـا تلذـذوا بهـغايةـ الخـوف ، فيـقـمنـوا بـكـل ماـشـتهـوهـ آثـرـوهـ وـقـبـلـتـهـ طـبـاعـهـمـ ، وـتـشـأـمـوا بـكـل ماـنـفـرـواـعـنـهـ وـكـرـهـوهـ ، وـحـيـثـ كـانـتـ الدـنـيـاـ مـبـلـغـ هـمـتـهـمـ وـغـاـيـةـ قـيمـتـهـمـ ، وـرـأـواـأـهـلـالـدـيـنـ وـالـورـعـ فيـ وضعـ الـبـذـادـةـ وـالـتـقـشـعـ ، لـتـطـلـيقـهـمـ الـدـنـيـاـ وـإـيـشـارـهـمـ الـآخـرـةـ عـلـيـهـاـتـشـوـقـاـ إـلـىـ لـقـاءـ الـمـوـلـىـ ، وـرـأـواـ الـمـعـرـضـينـ عـنـ الـحـكـمـ وـالـمـعـرـفـةـ بـخـلـافـ ذـلـكـ ، فـتـطـيـرـواـ بـأـهـلـالـدـيـنـ وـتـشـأـمـواـ مـنـ مـصـاحـبـةـ أـرـبـابـ الـعـلـمـ وـالـيـقـيـنـ ، وـتـيـمـنـواـ بـخـدـمـةـ الـظـلـمـةـ وـالـشـيـاطـينـ ، وـافـخـرـواـ بـصـحـبـةـ الـحـكـامـ وـالـسـلاـطـينـ ، فـلـوـصـاحـبـواـ أـحـدـاـ مـنـ الـصـلـحـاءـ فـكـلـ مـاـصـابـهـمـ مـنـ قـبـيلـ الـأـفـةـ وـالـنـفـصـ فـتـطـيـرـواـ بـهـ ، كـماـحـكـيـ اللـهـ عـنـ اـهـلـ القـبـطـ وـتـشـأـمـهـمـ بـأـهـلـ السـبـطـ بـقـوـلـهـ : \* (وـانـ تـصـبـهـمـ سـيـئـةـ يـطـيرـواـ بـمـوـسـىـ وـمـنـ مـعـهـ) \* [١٣١/٧] وـمـنـ مـشـرـكـيـ أـهـلـ مـكـةـ وـتـشـأـمـهـمـ بـالـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ \* (وـانـ تـصـبـهـمـ سـيـئـةـ يـقـولـواـ هـذـهـ مـنـ عـنـدـكـ) \* [٧٨/٤] فـلـذـلـكـ قـالـ أـصـحـابـ الـقـرـيـةـ كـمـ حـكـيـ سـبـحـانـهـ عـنـهـمـ

بـقـوـلـهـ :

قالوا انا طييرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا  
عذاب أليم [١٨]

لما عجزوا عن الزام الرسل، وسكتوا عن اقامة العذر عن قبول دعوتهم،  
ولم يبق لهم مهرب عن ذلك، تشبّثوا بذيل النفس والدنيا، وأقرّوا بالعجز عن  
ترك هذا الدنى، وتعلّلوا اعذارهم في عدم الایمان بالرسل وقبول دعوة التكليف  
بأن صحة الهداة والمذكرين شؤم لهم. ثم ما اكتفوا بذلك حتى قابلوا أهل  
الله بالمعاجدة بالنزاع والمخاصمة والرجم والابلام الشديد .

وذلك كله لفساد العقل ومحبة الباطل وطاعة الهوى وقبول دعوة الشيطان  
لان الشيطان يغدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء وسوء الفتن بالله، وترك التوكّل وتكميد  
الرسل، والاعراض عن الحق والأقبال على المخلق، وانقطاع الرجاء من الله، ومتابعة  
الشهوات ومواصلة السينيات، وايشار الحظوظ وترك العفة والقناعة، والتمسك  
بالمملوك والظلمة ، وتعلق القلب بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة ويندر  
كل بليّة .

فهذه كلها وأضعافها من فروع وسوسة الشيطان وترويجه الباطل في معرض  
الحق، فمن فتح على قلبه باب وسوسة الشيطان وترويجه ولم يقمع فساده وشره  
عن قلبه بالعقل الكامل والبرهان النير القدسی ، الدال على خسّة الدنيا وحقارته  
طالبيها، او بالسماع من أهل الله وأصحاب القلوب، المذكرين لخساسة الدنيا  
وزوالها ووحامة عاقبة شهوة النفس ووبالها ، فسوف يبتلى بهذه الآفات ويقع  
في عرضة هذه البليّات ، التي من جملتها التشوش بصحبة الفقراء وأهل الدين  
الذينهم ملوك الآخرة وسلطانها، وخدمتهم مفتاح أبواب الرحمة والسعادة ،

والوصول الى صحبتهم مقصود الاولىء ومجهودهم في الدعاء، كما في الصحيفة الملكوتية لمولانا وسيدنا زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام من قوله : « اللهم حبّب الي صحبة الفقراء وأعذّي على صحبتهم بحسن الصبر ». .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عليه صلوات الله عليه وآله بصحبتهم وحسن معاناتهم والصبر معهم والاطالة في مجالستهم بقوله : \* (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم - الآية - ) [٢٨ / ١٨] لأن في صحبتهم خير الدارين ، وفي صحبة المجال واهل الترفة والتنعم شر الدارين ، وصرف العمر في هوئ النفس وطاعة الشيطان ، وفساد الآخرة ووبالها ، لشوم اقتران عبادة الهوى والاثان ، لهذا قال حكاية عن جواب رسالته لاعدائه :

**قالوا طائركم معكم أشن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون [١٩]**

قرىء « طيركم معكم » أي : سبب شؤمكم معكم وهو الكفر أو أسباب شؤمكم معكم وهو الكفر والمعاصي ، فان رأس الشقاوة الابدية الكفر مع الجحود ، لأنـه جهل مضاد للبيتين ، وبعده المعاصي والاعمال القبيحة ، كما ان رئيس السعادات الابدية اليمان الحقيقى ، لأنـه ضرب من العلم اليقيني بالامور الالهية وأحوال المبدء والمعاد ، لأنـ معنى السعادة ادراك الخير والملائيم ، وخير الخيرات هو الله سبحانه وملائكته ورسله وآوليائه وعباده الصالحين ، فادراكه وادراك مقربيه ومعتكفيه أذـ الخيرات وأشرف السعادات ، وبعد هذه السعادة الذاتية السعادة الحاصلة من فعل الحسنات ، لأنـها توجب الفوز بدرجات الجنان والنجاة من عذاب يوم القيمة والنيران .

فإذا تقرر أن السعادة والشقاوة بحسب العلم والجهل ذاتيستان أولاً وأبدأ، مخلدتان دائمًا سرداً ، وبحسب الأعمال والأفعال يتربّع عليهما المكافأة ، والمجازاة، وتقدّر بحسبهما المثوابات والعقوبات بقوله : \* (جزاءً بما كانوا يكسبون) \* [٩٥] فلا شئم كشوم الكفر، ثم المعاصي. ولا خير كخير اليمان، ثم الحسنات. الان هذه المسائلة معوضوها وانارتها قد خفيت على أكثر الاذهان ، لاشتعالهم بما يلهيهم عن الذكر وينسيهم عن طلب السعادة وترك الشقاوة ولذا قال: «أئن ذكرتم» معناه ان تدبّرتم عرفتكم صحة ما قلناه وقيل معناه: «ان ذكرتم تطيرتم بِمَا مَعَكُمْ» .

وقرىء: «أن ذكرتم» بهمزة الاستفهام، «وان» الشرط.

وقرىء: «آ ان ذكرتم» - بـألف بينهما - بمعنى «أنظيرون ان وعظتم».

و القراءة «أ ان ذكرتم» - بـأن الناصبة بعد الهمزة الاستفهامية - بمعنى «أنظيركم لأن ذكرتم».

و القراءة «أن» الناصبة بغير استفهام فيكون اخباراً ، اي «تطيرتم بأنفسكم لأن ذكرتم».

و القراءة «أين ذكرتم» - على التخفيف - اي شئمكم لازم معكم بحيث يسرى في كل مكان ذكرتم ، و ذلك يتصور بوجهين : اما بأن كانوا اذا ذكر أساميهم لعنوا وشتموا وشتموا بهم لقبح أفعالهم وسوء أعمالهم وابدائهم الظلم والبدعة كامراء المجرور، واما بأن كان ذكرهم يؤدي الى الوحشة والغيبة والعداوة والبغضاء بين الناس ، والا فصيرورة المكان مشؤماً بمجرد ذكر طائفة - كما فسره صاحب الكشاف - حيث قال: «و اذا شتم المكان بذكرهم كانوا بحلولهم فيه أشاماً» فلا وجه له ظاهراً ، لأن المكان لو شتم بذكر الكفار والظلمة فما من مكان ومجمع كالمساجد والمساكن الشريفة الا وقد يذكر فيها أحياناً الكفار و

الاشرار ، خصوصاً اذا كانوا ملوّكاً وأمراء في الدنيا ، فيذكر اسمائهم في كل مجتمع بغيرهن من الذكر مدحأ وذمأ ، فيلزم أن يكون أكثر المجامع شؤماً . ثم ذكر سبب شؤمهم ومبداً شرهم وهو افسادهم لفساد عقلهم بقوله : « بل أنتم قوم مسرفون » لأن « الاسراف » في اللغة : الافساد ومجاوزة الحد « والسرف » الفساد ، ومعنىه : ليس فيها ما يجب التشوّم بنا ، ولكنكم متتجاوزون عن الحد في التكذيب والمعصية ، فمن قبلكم أثاكتم الشؤم لامن قبل رسول الله وذكريهم او (قبل) بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم ، متمادون في غيركم حيث تتشاهدون بهن يجحب التبرك بهم واستفاضة الخير من صحبتهم من رسول الله واوليائه المذكرين الله وسبيل العافية والدار الآخرة فغاية منشأ الشؤم التشوّم بما يجحب التبرك به ، كما أن غاية الجهل عناد أهل العلم والمعلمين ، وغاية الضلال معاداة أهل الهدایة والهادين .

قوله سبحانه : وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ، قال يا قوم  
اتبعوا المرسلين [ ٢٠ ]

هذا الرجل هو « حبيب بن اسرائيل النجار » وكان في سابق الزمان ينتحت الاصنام ، وهو كناية عن اشتغاله سابقاً بالاعتقادات الجزئية والصور الخيالية والوهمية التي يتصور وجودها في الخيال بتصرف القوة المتفكرّة ، وهي التي من شأنها تصوير الحقائق في كسوة الحكاية الخيالية ، وانكار العقائد الحقة الالهية الافي صور المحسوسات ، فصاحب العقيدة الوهمية لقصور علمه ما يعتقد له ، وليس لها وعبوده - على حسب اعتقاده - الا ما يوجده بوهمه ويتصوره بقوته المتصرفة ، فهو الذي ينتحت صنماً ويعتقد له ويتحذه معبداً

كما في قوله تعالى : \* (أَفَرَأَيْتَ مِنْ أَنْخَذَ الْهُوَاءِ) \* [٤٥ / ٢٣].  
 وأكثر الناس - الامن أبىده الله بالتقديس الاتم والتنزيه الاكميل - عابدو  
 أصنام العقائد الجزئية، وعتقدوا الصور الوهمية، حتى أن عبدة الأصنام المخارجية  
 الحجرية والخشبية والمعدنية انما عبدوها لاعتقادهم معنى الالهية في تلك الاجساد  
 من الجمام وغيره ، فهم ايضاً بالحقيقة قد عبدوا معتقداتهم وما حصل في اوهامهم  
 فالهوى معبودهم جميعاً أولاً وبالذات ، والصنم المخارجي معبود لهم بالعرض  
 فعلى هذا غير الموحد العارف لهم جميعاً اشتراك في الاشتراك واتفاق في طلب  
 الهوى وعبادة غير الحق وما سواه .

وما من مؤمن الاوله عبور عن هذه الاعتقادات الجزئية ، فورود الصور  
 الوهمية او الاصنام الخيالية لاعلى وجه الاذعان بل على مسلك التقليش وتصوير  
 الاحتمالات البعيدة ، ليقام على نفيها البرهان ، كما وقع للخليل - على نبينا  
 وآله وعليه السلام - من العبور على آلة عبدة الكواكب لزيادة الكشف واليقين  
 في تنزيه الحق الاول عن مهاتتها ، ولا قامة البرهان على فساد توهם الممحوجين  
 وخروج تلك الصور التي هي الاه سائر المعتقدين من المشركين والمعطلين  
 من أن يستأهل اعتقاد الاوهية فيها ، فإنه يوجب العذاب الاليم ، ويستدعي عقوبة  
 الاحتياج من الله والتردى الى اسفل درك الجحيم .

فقد ظهر أن أهل البصيرة الالهية يعبرون عنها في أسرع زمان من غير أن  
 يتصرروا بها ، كما قال واحد من أهل البيت عليهم السلام : «جزناها وهي خامدة»  
 واليه الاشارة في قوله سبحانه : \* (إِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارْدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا)\*  
 ثم ننجي الذين اتفقا ونذر الظالمين فيها جيشًا \* [١٩ / ٧٢].

فكان حبيب النجاشي من جملة أهل البصيرة الذين نور الله بواسطتهم بكشف الحقائق  
 والارتفاع من عالم الوهم والخيال الى عالم التقديس بنور المعرفة والحال ،

وهو أحد السباق الثلاثة المذكورة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (١) : «سباق الامم ثلاثة لم يكروا بالله طرفة عين : على بن أبيطالب، وصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون» وفي تفسير الشعبي بزيادة قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «وعلى أفضليهم» .

وهو من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينهما ستمائة سنة ، كما آمن به تبع الأكبر (٢) وورقة بن نوفل (٣) وغيرهما ، وهذا أحد خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ لم يؤمن أحد بنبي غيره الا بعد ظهوره ، وفيه سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم (٤) : «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين» .

وهيئنا سراً آخر وهو أنه قدورد في الحديث عنه عليه السلام : «ان لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس» (٥) فلعل ذلك لما قد ذكر الله فيها «حبيب» المشهور «بصاحب يس» ووصفه بما يدل على قرينه و منزلته عند الله من التوحيد والكرامة والنصيحة لقومه ، وهو من آمن بنبينا قبل بعثته بستمائة سنة ، ففي ذلك آية عظيمة لنبوته صلى الله عليه وآله وسلم ، وكونه حبيب الله الذي آمن به حبيب قبل ظهوره هذا .

وقيل كان في غار يعبد الله ، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه ايام

(١) جاء ما يقرب منه في الجامع الصغير : ٣٧١

(٢) راجع كمال الدين للصدقون (ره) : باب في خبر تبع : ١٦٩ .

(٣) راجع السيرة النبوية لأبن هشام : ١٩١ / ١ و ٢٣٨ .

(٤) المناقب لأبن شهراً شوب : ٢١٤ / ١ وجاء في الترمذى : ٥٨٥ / ٥ : بين الروح والجسد .

(٥) ماضى في مقدمة المؤلف .

وقاول الكفراة المجددة ، فقالوا : «وأنت تخالف ديننا؟» فوثبوا عليه فقتلوه ، وقيل : توطنوه بأرجلهم حتى خرج قصبه ، وقيل : رجموه وهو يقول : «اللهم أهد قومي» وقبره في سوق أنطاكية ، فلما قتل غضب الله عليهم واهلكوا بصيحة جبرائيل (ع) .

ويفهم أيضاً من قوله تعالى «وجاء من أقصى المدينة» انه ممن كان مستوحشاً عن الخلق مؤثراً للعزلة والخلوة .

وقيل : كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة ، وكان قد آمن بالرسل عند ورود اثنين منهم القرية ، كما نقلنا من قصتهما وسبب إيمانه برسالتهم ، فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل وهمّوا بقتلهم جاء يعدو ويشتد ، قال : «يا قوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله إليكم واقروا برسالتهم» .

وعن ابن عباس : انه كان به زمانة وجذام فابرأوه فأمن بهم ، وقيل انه انما علم ببنو تم لانهم لما دعوه قال : «أتأخذون على ذلك أجراً؟» قالوا : «لا» ويفيد قوله تعالى :

اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون [٢١]

وهذه الآية كلام تام في الترغيب إلى الإيمان بما يقول الرسول ونصيحة جامعة في اعلام المحجوبين عن الوصول إلى معرفة حال الانبياء وحثّهم على الاهتمام والاقتداء بقولهم ، اي لا يأخذون من دنياكم شيئاً حتى يقع لكم الخسارة باتباعهم ، ويوصلون اليكم الخير الكثير والهدایة إلى طريق النجاة عن العذاب الأليم يوم القيمة ، فلكلم في اتباعهم انتظام خير الدنيا والآخرة ، وهذا أقرب معالجة في دفع مرض الشك في صدق الانبياء عن المذاقين في المعرفة واليقين .

ويقرب منه ما قال امير المؤمنين عليه الصلوة لبعض من قصر عقله عن فهم حقيقة الدين . وكان شاكاً في صدق خبر المرسلين : «ان صبح ماقلت فقد تخلصنا جميعاً، والافق تخلصنا وهلكت» اي العاقل هو الذي يختار طريق الامن في جميع الاحوال فطريق ترغيب المنكرين للشريعة والدين كما يستفاد من كلام امير المؤمنين عليه السلام حسب ما شرحه بعض اعلام المسلمين أن يقال لهم : ان ما قال الانبياء والرسل المؤيّدون بالمعجزات هل هو ممكن الصدق او ممتنع الصدق ؟

فإن قال قائل منهم : «اني أعلم أن ما يقولون أمر مستحيل كاجتماع النقيضين ، وحلول عرض واحد في محلين ، وكون شخص واحد في آن واحد في مكانين» فهو فاسد العقل مخروق لا يوجد مثله في العقلاة ، بل خارج عن حد التكليف كالصبيان والمجانين .

وان قال : «اني شاك فيما يقولونه» فيقال : «لو أخبرك شخص مجهول عند تر كك طعاماً في بيتك لتأكله ساعة اخرى «انه قد ولدت فيه حيّة وألقت سمّها فيه» وجوزت صدقه فهل تأكل منه ام تتركه ، وان كان أذن الاطعمة عندك ؟» فتقول : اتر كه لامحالة ، لانه ان قبلت قوله - وان كان كاذباً - فلا يفوتنى الاهذا الطعام ، والصبر عنه وان كان شديداً فهو أقرب ، وان لم أقبل وكان صادقاً فيفوتنى الحياة ، وألم الموت بالإضافة الى الم الصبر عن الطعام عظيم .

فيقال له: سبحان الله كيف تؤخر صدق الرسل والأنبياء والآولياء والعلماء كلهم - مع ما ظهر معهم ولهם من المعجزات - عن صدق رجل واحد مجهول الحال لعل له غرضاً فيما يقوله ؟ فكيف ترجح قوله في التصديق على قول أولئك الآخيار ؟ بل جميع العقلاة وذوي الالباب قائلون باليوم الآخر وان اختلروا في كيفية كونه روحانياً او جسمانياً او مجموعاً ، فان صدق الرسل والعلماء وأنت

معرض عن قبول ما يقوّلونه فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد، وان كذبوا فلا يفوتكم لوفاتك البعض شهوات هذه الدنيا الفانية الكدرة .

فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر الميسير أن يقبل دعوتهم ، اذ لانسبة لمدة العمر الى أبد الآباد ، فانا لو قدرنا الدنيا مملوقة بالذرة وقدرنا طائراً يختطف كل سنة واحدة منها ، لفنيت ولم ينقص من أبد الآباد شيء ، فكيف يغتررأي العاقل في الصبر عن شهوة الدنيا لاجل سعادة تبقى أبد الآباد ؟

### ومالي لأعبد الذى فطرنى واليه ترجعون [٢٢]

هذا نمط آخر له في نصيحة الجاهلين من أهل القرية وايقاظ النائمين من قومه، وهو التلطف لهم والمواساة معهم، والتسوية بين نفسه وبينهم فيما اختار لنفسه، فأبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه قصدأ لمناصحتهم وطلب الصلاح حالهم، لغاية الشفقة عليهم والمساهمة معهم حيث لم يرد لهم الاماء راد لروحه، ولهذه الرعاية في اثبات المشاركة والمساهمة وقع قوله : \* (ومالي لأعبد الذى فطرنى) \* بدل قوله : «ومالكم لاتبعدون الذى فطركم» الاترى أنه كيف عاد عمما ساق الكلام لهذه الرعاية الى ما يستدعيه سوق الكلام لاصل المقصد من الخطاب لهم للنصيحة والارشاد وارائهم سبيل السداد، فقال : «واليه ترجعون» بعد قوله : «الذى فطرنى» اذ المقابلة بين المبدء والمرجع مما يقتضي أن يكون أحدهما مقيساً الى ما يقاس اليه بعيته الآخر، ويقاس الى أحدهما ما يقاس بعيته الى الآخر، ولما لم يلتفت لفت هذه المخاطبة على ما يستدعيه المقابلة، بل نسب الى المبدء بالخلق والاجادة غير مناسب الى المعاد بالرجوع والاعادة ، فعلم أن تغيير الاسلوب كان تنصيحاً على المساعدة وتأكيداً للمناصحة .

وقيل انه لما قال لهم : \* (اتبعوا من لا يسئلوكم أجرأوهم مهتدون) \* اخذوه ورفعوه الى الملك ، فقال له الملك : «أفانت تتبعهم ؟» فقال : «وما لي لأن عبد الذي فطرنني واليه ترجعون» اى تردون عند البعث فيجزيكم بکفركم ، ثم انكر اتخاذ الاصنام وعبادتها فقال :

أَتَخْذِدُ مِنْ دُونِهِ آلَهَةً إِنْ يَرْدَنَ الرَّحْمَنَ بِضَرِّ لَا تَغُنُّ عَنِّي شَفَاعَتَهُمْ  
شَيْئًا وَلَا يَنْقذُونَ [٢٣] إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مَبِينٌ [٢٤]

اى كيف ساعي في اتخاذ الاصنام آلهة لي ان اردا الله اهلاكي والاضرار بي لاندفع عنّي شفاعتهم شيئاً، بمعنى أن لا شفاعة لهم ولا ننقذونني، اي لا يمكن لهم أن يخلصوني من ذلك الهلاك والضرر والمكروره ، اني ان فعلت ذلك لفي عدول واضح فطر عليه العقول .

والوجه في وقوعه على نمط الاحتجاج ، ان العبادة لا يستحقها الا المنعم باصول النعم والمعطى للعبد ما به القوام وما به يدفع عنه الهلاك واللام ، وليس هو الا القيّوم الواحد احد ، والغرض من مخاطبة النفس مجرد تصوير الدليل وتحقيق المقدمات ، لا اظهار الندامة على ما سبق كما توهم اي كيف يجوز للعاقل أن يستحل عنده أن يتخد الله من دون الله ويختار على عبادته عبادة الاصنام لا يقدرون على دفع ضر وآفة عنه ، ولو اراد الرحمن بضرره لم يتمكنوا على شفاعته ، ولو شفعوا له لم ينفع شفاعتهم اياه ، ولا ايضاً يقدرون على انقاذه عن شر الطبع والهوى بالشفاعة وغيرها كالملائكة والنبين انه في هذا الاختيار لراكب متن الضلاله الظاهره وساكن سفينه الانحراف المبين عن جادة العقل الرزين ومنهج الحق اليقين ، ولا يبعد ان يكون هذه الاية على

مساق الآية المتقدمة، اي: أتتخدون من دون الله أصناماً آلهة ان أرادكم الرحمن بضر لاتغرن عنكم شفاعتكم شيئاً، فأنتم اذاً لفي غواية جلية وضلالة بيضة . وفي الكشاف: « وقد ساق الكلام الى أن قال :

انی آمنت بربکم فاسمعون [۲۵]

يريد: فاسمعوا قولى وأطعوني ، فقد نبّهتكم على الصحيح الذى لا مدخل  
عنه، ان العبادة لاتصح الالمن منه مبتدئكم واليه مرجعكم ». لعقيدة  
وفيه بعد ، والارجح ان يكون هذا الكلام منه مع الرسل اظهاراً قلبه واعلاناً  
بكلمة التوحيد وشهاداً لهم على صحة ايمانه ، اي اسمعوا ذلك  
مني حتى تشهدوا الي به عند الله .

ويعتقد هذا بمانقل انه لمانصح قومه أخذوا يرجمونه، فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل، فقال لهم : « اني آمنت بربكم فاسمعون » عن ابن مسعود قال : ثم ان قومه لم اسمعوا ذلك القول منه وطقوه بأرجلهم حتى مات ، فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق ، أراد مثل قوله تعالى : \* (بل أحياه عند ربهم يرزقون) \* [١٦٩/٣] والي ذلك اشار تعالى :

قيل ادخل الجنة

استياف كأنه وقع جواباً عن السؤال عن حاله بعد الشهادة ، لأن المقام  
مطنة المسئلة عن حاله عند لقاء ربـه ، كيف صار بعد هذه المجاهدة في الدين  
ونصرة رسول الله ، وعن قيادة: رجموه حتى قتلواه . وعن الحسن ومجاهد: إن

قومه لما أرادوا أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو في الجنة لا يموت الابناء الدنيا و هلاك الجنة - و قالا - : ان الجنة التي دخلها يجوز هلاكها . و قيل : انهم قتلواه لأن الله سبحانه أحياه وأدخله الجنة ، فلما دخلها :

**قال ياليت قومي يعلمون [٢٥] بما غفر لى ربى**

اي سترني بنور رحمته وكساني بكسوة الكرامة والعلم ، ورباني ورقاني من حد النقصان النفسياني الى حد الكمال المقلاني ، والتربية : تكميل الشيء تدريجاً ، والله سبحانه يربى النفوس الإنسانية بالفضيلة والحال من حد النقص الى حد الكمال ، وذلك لأنها في أول خلقتها في غاية الضعف لقوله : \* (خلق الإنسان ضعيفاً) \* [٢٨/٤] لأنها نشأت من اللاشيء ، كما قال : \* (لم يكن شيئاً مذكوراً) \* [١/٧٦] ولا أضعف من اللاشيء ، وتكونت من وسخ الطبيعة وظلمة الهيولي كما أشار اليه بقوله : \* (يخرج جهنم من الظلمات الى النور) \* [٢/٢٥٧] وانما استكملت بالتدريج من حال الى حال ، وبلغت من مرتبة العقل الهيولي الى عالم العقل الفعال ، بتناли الهامات من الله ، وترادف كمالات عقيب رياضات من المبدء الأعلى ، حتى زالت عنها العيوب والقصور ، وخلصت كالذهب الخالص من الاوساخ والاكدار ، الباعثة لاسم الذوبان في الكور ، والاغشية والظلمات الموجبة للثبور ، والهيئات والاغلال الموبقة المعقبة لعذاب القبور ، والجهالات الحاجبة عن البلوغ الى عالم النور .

وهذا معنى التربية للنفس ، المقتضي لها الشرف والكرامة ، ولذا عقبَه

بقوله:

## وجعلنى من المكرمين [٢٧].

وانما تمنى علم قومه بحاله، ليكون علمهم بكماله سبيلاً لهم في استحصال مثل ذلك لأنفسهم، والرغبة منهم في سلوك طريقه واكتسابهم العلم والإيمان، وتوبتهم عن الكفر والعصيان، تكثيراً لأهل الخير والاحسان، وسوقاً لعباد الله إلى الجنة والرضوان وفي الحديث (١) : « نصح قومه حياً وميتاً » .

وفيه تنبیهات عظيمة على أسرار لطيفة من وجوب كظم الغيظ، والصبر على كيد الكافرين، والمعطوفة على الجاهليين ، وطلب الهدایة لمن اوقع نفسه في الهلاك ، واستحصال الخلاص لمن تورط في الموبقات ، وافتتحم في نار الشهوات كالفراش المبثوث ، والنصيحة لأهل البغي والعناد ، والتشمر في تخلص أعدائه ، والتلطف في نجاة خصومه ، والنسيان عن ظلم الاعدادي وطلب انتقامهم وعوض ايلامهم ، والصفح عن زلاتهم وخصوصياتهم ، والذهول عن الشماتة بهم ، والدعاء عليهم بتحمی المخیر لقاتلیه ، وهم كفارة لئام ، وطلب الرحمة لهم لمهلكیه وهم عبدة أصنام.

نظير ذلك ما حکى أَنَّه لِمَا فَعَلَ بَابِنْ مَنْصُورٍ مَا فَعَلَ ، سَمِعَ مِنْهُ هَمْهَمَةً، فَلَمَّا أَصْبَغَ إِلَيْهِ فَهُوَ يَقُولُ فِي مَنَاجَاتِهِ: « أَلَهِي أَفْنَيْتَ نَاسَوْتِيَّتِي فِي لَاهُوْتِيَّتِكَ فَبِحَقِّ نَاسَوْتِيَّتِي عَلَى لَاهُوْتِيَّتِكَ أَنْ تَرْحَمَ عَلَى مَنْ سَعَى فِي قَنْلِيَ ». .

و قيل يجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطاء فاحش في أمره، وأنه كان على صواب وحق، وكان الحق معه مربياً له، ومكملاً لنفسه بالعلم والحال ، ورافقاً روحه الى عالم الكرامة والجمال ، وأن عداوته لم تورثه

الا زبادة في شرفه وفضله ، ولم يعثّبه الا فوزاً بنصيبيه الاعلى من سعادته ، لأن في ذلك تخلص الذهب عن الكدورات ، واصعاد له الى عالي الدرجات ، مع زيادة لذة وسرور ، وتصاغف عيش وحضور .  
وقريء «المكرمين» بالتشديد.

و «ما» في قوله «بما غفر لي» امّا مصدرية فعلية ، والمعنى «بمحفرة الله لي وستره ذنوبني النفسانية وعيوبني الجسمانية» واما موصولة اسمية ، اى «بالذى غفر لي به» كالايمان بالله ورسوله واليوم الاخر وامّا استفهامية حرفية «أي «بأي شيء غفر لي؟» كما يقال: «علمت بما صنعت؟ وبم صنعت؟» باثبات الآلف وحذفها ، وان كان المحذف في مثل هذا المعنى أكثر وأشهر ، يراد به ما وقع منه مع قومه من المصاibرة الشديدة ، وتجرع كاسات المحن الالية ، وتوطين النفس على تحمل الضرب والطعن والقتل ، اعزازاً للدين الله واعظاماً لاوليائه ورسله ، حتى فارقت نفسه البدن وارتحلت عن دار الفتنة والمحن الى دار المحفرة والكرامة ، منحرطاً روحه في سلك الملائكة ، ومحشوراً مع أرواح الانبياء الكبار وال AOLIاء اولى الابصار ، منجدباً سره الى نور الانوار ، انجداب ابرة ضعيفة الى مغناطيس غير متناه في القوة والاثار ، متلذاً بأشعة الاضواء العقلية ، المتعاكسة اليه من طبقات العقول والارواح ، المستفيضة كل منها أنواراً بالاستقامة والانعكاس من النور الاول وعلم العلل ، بمنزلة مرائي مقابلة الوجوه متعاكسة الاضواء والانوار ، المقابلة وجوهاً جميعاً لوجه الشمس .

ثم حكى سبحانه ماأنزله بقومه من العذاب والاستيصال لما جرى من سنة الله من اهلاك قوم أهلوكوا موحد زمانهم وولي الله في دورانهم فقال:

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمٍ مِّنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنَدٍ مِّنَ السَّمَاءِ.

يعني : وما أنزلنا لـأهلاـكـ قـوـمـهـ منـ بـعـدـ قـتـلـهـ اوـ دـفـعـهـ جـنـدـاـ منـ السـمـاءـ ، أـىـ  
وـماـ اـحـتـجـنـاـ فـيـ اـهـلـاـكـ قـرـيـةـ فـجـرـتـ وـعـتـ عنـ أـمـرـ رـبـهـمـ إـلـىـ اـنـزـالـ جـنـدـ منـ  
قـبـلـنـاـ ، كـمـاـ اـحـتـاجـ الـمـلـوـكـ فـيـ الـغـلـبـةـ عـلـىـ خـصـوـمـهـ بـأـسـبـابـ وـمـعـاـونـاتـ خـارـجـيـةـ  
وـأـشـخـاصـ وـجـنـودـ وـآـلـاتـ وـأـوـزـارـ للـحـرـبـ ، بلـ اـنـمـاـ أـمـرـنـاـ لـشـيـ ، اـذـاـ أـرـدـنـاـ أـنـ  
نـقـولـ لـهـ كـنـ فـيـكـوـنـ . لـانـ الـقـدـرـةـ الـالـهـيـةـ أـلـطـفـ وـأـمـتـنـ مـنـ أـنـ يـكـوـنـ بـوـاسـطـةـ  
أـسـبـابـ مـحـسـوـسـةـ وـأـجـنـادـ مـشـهـوـدـةـ ، الاـ اـذـاـ اـقـتـضـتـ الـحـكـمـ اـنـزـالـ الـعـذـابـ عـلـىـ  
طـائـفـةـ بـهـيـةـ خـاصـةـ وـصـورـةـ مـعـيـّنـةـ فـيـهاـ عـبـرـةـ لـلـنـاظـرـيـنـ وـمـصـلـحـةـ لـلـعـابـرـيـنـ ، فـرـبـمـاـ  
أـوجـبـتـ الـمـصـلـحـةـ هـلـاـكـ قـوـمـهـ عـلـىـ صـورـةـ دـوـنـ اـخـرـىـ ، وـهـلـاـكـ قـوـمـ غـيرـهـمـ عـلـىـ  
وـجـهـ آـخـرـ .

أـوـ لـاتـرـىـ إـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : \* (فـمـنـهـ مـنـ أـرـسـلـنـاـ عـلـىـهـ حـاـصـبـاـ وـمـنـهـمـ مـنـ  
أـخـذـتـهـ الصـيـحـةـ وـمـنـهـمـ مـنـ خـسـفـنـاـبـهـ الـأـرـضـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ أـغـرـقـنـاـ) \* [٤٠ / ٢٩] إـلـيـ بعدـ أـنـ  
يـكـوـنـ شـدـةـ الـبـأـسـ وـعـظـمـةـ هـيـةـ الـغـضـبـ عـلـىـ طـائـفـةـ شـقـيـةـ بـنـسـبـةـ شـقـاوـتـهـمـ وـكـفـرـهـمـ  
أـوـ نـسـبـةـ عـظـمـةـ الـمـبـعـوـثـ عـلـيـهـمـ الـمـنـذـرـ لـهـمـ مـنـ نـبـىـ اوـ خـلـيـفـةـ لـهـ ، وـلـهـذـاـ أـنـزـلـ اللـهـ  
جـنـودـاـ مـنـ السـمـاءـ يـوـمـ بـدـرـ وـالـخـنـدقـ ، قـالـ تـعـالـىـ : \* (فـأـرـسـلـنـاـ عـلـيـهـمـ رـيـحاـ وـ  
جـنـودـاـ لـمـ تـرـوـهـاـ) \* [٣٣ / ٩] \* (بـأـلـفـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ مـرـدـفـينـ) \* [٨ / ٩] \* (بـثـلـاثـةـ  
آـلـافـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ مـنـزـلـيـنـ) \* [٣ / ١٢٤] \* (بـخـمـسـةـ آـلـافـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ  
مـسـوـمـيـنـ) \* [٣ / ١٢٥] \* معـ اـنـهـ كـانـ يـكـفـيـ فـيـ اـهـلـاـكـهـمـ مـلـكـ وـاحـدـ ، بلـ رـبـشـةـ  
واـحـدـةـ ، بلـ صـيـحـةـ وـاحـدـةـ مـنـ صـيـاحـهـ ، بلـ اـرـادـةـ وـاحـدـةـ مـنـهـ باـذـنـ رـبـهـ ، فـقـدـ  
أـهـلـكـتـ مـدـائـنـ لـوـطـ بـرـيـشـةـ مـنـ جـنـاحـ جـبـرـئـيلـ ، وـبـلـادـ ثـمـودـ وـقـومـ صـالـحـ بـصـيـحـةـ .

ولكن لما كان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم جامع شؤون الانبياء كلهم ظاهراً و باطناً ، وحاوي شتات كمالاتهم وحالاتهم غيباً وشهادة ، فضلـه الله بكل شيء على كبار الانبياء واولى العزم من الرسل ، واولاده من أسباب الكرامات والكمالات ما لم يعطه أحداً، فأهلك خصوصه وجاهديه بفنون من الهلاك الجسماني والروحياني كل بحسبه، فمن ذلك انه أنزل جنوداً من السماء، ومن ذلك ما أشار بقوله \* (وما رميت اذرميت ولكن الله رمى) \* [٨ / ١٧] ومنه قوله تعالى : \* (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون) \* [٣٦ / ٩] ومن ذلك قوله : \* (غلّت أيديهم ولعنوا) \* [٥ / ٦٤] .

وتفصيل وجوه العقوبات على حسب مراتب الخصومات لحبيب الله ورسوله الجامع لجميع الفضائل والخيرات مما يطول، وشرحه خارج عن حد العقول، فلنكتف بمجمل هذا المقام، وهو أن الله نعمة جلية وخفية، كما أن له نعمة ظاهرة وباطنة .

وقيل معنى الآية: وما أنزلنا على قومه بعده رسالة من السماء.قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسليهم، وهو مروي عن مجاهدو الحسن، والمراد أن الجندهم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الانبياء، وهو اشارة الى انقطاع الوحي عنهم لسوء استعدادهم وغلوة جحودهم وعنادهم لحامليه ، وهذا أشد مراتب العقوبة حيث يوجب الهلاك الابدي والشقاوة السرمدي ، الحاصل من فساد الاعتقاد ويطلاق الروح بانقطاع الاغذية الروحانية عنها، التي هي الایمان بالله والطاعة والعلم والعبادة، وتوارد السموم المهلكة لها من الكفر والمعصية والجهل والغواية، وفي قوله تعالى :

## وَمَا كُنَا مِنْ زَلِيلٍ [٢٨]

اشعار لطيف بثوت ضابطة كلية و قانون الهى في اهلاك كل طائفة من الكفارة الفجرة بسبب مخصوص ، يعني أن انزال جنود من السماء والوف من الملائكة لانتصار خاتم الانبياء مما لا يؤهله غيره ، والعقوبة بها لا يناسبها الا اعدائهم ، الذين هم عند الناس للحق وأجحدهم للحكمة والمصلحة .

وذلك لأن نزول العذاب والقهر على الامم المكذبة من آثار غضب نبيهم وتأثير قوة قهره بحسب اتصافه بصفات الله ، والنبي الخاتم هو صاحب المقام الجمعي والمتصرف بجميع صفات الله المتخلى بأخلاقه كلها ، فله جميع أسمائه و الملائكة وفنونها وشعبها مظاهر أسمائية ، فلما كان تأثير ذاته الكاملة بجميع الاسماء ، كانت الملائكة نازلة بحسب تلك الاسماء وتأثيراتها ، فيغينونه ويمدونه وأما سائر الانبياء فلما كان اتصافهم ببعض الاسماء كان لا ينزل من قهرهم البعض الملائكة بحسب حالهم وقوة تأثير كمالهم .

وهيئنا دقيقه ينبغي أن لا تخفل عنها ، وهو أن التأثير بجميع الاسماء حتى أسماء اللطف والرحمة لainافي الغضب بها ونزول العذاب بحسبها وبأيدي مظاهرها التي هي ملائكة الرحمة ، وذلك لأن النقوس الشقيقة الضالة مما يتاذى ويتعدب بالرحمة والهدایة أكثر مما يتضرر بالغضب والنقم ، كمشال المجل و رائحة المسك - فافهموا واغتنم .

فمعنى الآية: ان انزال جنود الملائكة من الاجرام الفلكية من الخصائص العظيمة التي لم أفعله وما كنا نفعله لغيرك فضلا لمحبب النجّار غضباً على قومه . ثم بين سبحانه أن بأي شيء اهلاكم ، ليعلم المتفكر المتذمرون كيفية

هلا كهم مرتبتهم في النقصان ، فقال :

### ان كانت الا صيحة واحدة

اي مَا كانت الا خذة او العقوبة لاهل القرية الاصيحة واحدة اهللوكوا بها دفعة واحدة كفجأة ونحوهابنون واحد من الهلاك بحسب ما يستدعيه حالهم واعمالهم .

وقرء ابو جعفر المد니 بالرفع ، اي ما وقعت الاصيحة واحدة ، فيكون «كان» على هذا الوجه تامة ، لكن القياس والاستعمال يقتضيان تذكير لفظ الفعل التام ، لأن معناه ما وقع عليه شيء الاصيحة واحدة وقد اعتذر عنه صاحب الكشاف بأنه نظر الى ظاهر اللفظ ، وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ، ومثلها قرائة الحسن \* ( فأصبحوا لاترى الامساكنهم ) \* [٤٦/٢٥] وبيت ذي الرمة : «وما بقيت الاضلوع الجراشع» (١) والامر فيه هيئّن .

وقرائة ابن مسعود : «الازقية واحدة» من «زقالطائر يزقو ويزيقى» اذا صاح ومنه المثل : «أنقل من الزواقي» (٢) وبالجملة كان هلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر ، صيحت عليهم بأجمعهم صيحة واحدة حتى هلكوا جميعاً .

### فاذًا هم خامدون [٢٩]

كما يخمد النار فيعود رماداً ، قيل انهم لما قتلوا حبيب التجار غضب الله

(١) صدر البيت : طوى النحر والاجراز ما في غروضها .

(٢) هي الديكة تزقو وقت السحر فتفرق بين المتحابين (اللسان - زقا) .

عليهم فبعث جبرئيل حتى أخذ بعضاً من باب المدينة ، ثم صاح بهم صيحة ، فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار اذا طفيت .

وفي قوله تعالى «خامدون» استعارة لطيفة حيث شبه الروح الانسانية القائم بالطبيعة البشرية بنار اشتعلت من فتيلة ثم أثبتت له الخمود المحاصل المفتيلة في بعض الاوقات من النفح المحاصل من الفم الانساني في نحو الانبوة وغيرها ، وربما يكون معه صوت ، ولأجل ذلك عبر عن اهلاك النفوس بالنفح ، كما في قوله : \* (ونفح في الصّور) \* [٥١/٣٦] وكذا عن احيائها ، لأن بالنفح كما يحمد النار كذلك قد يشتعل على حسب اختلاف أنحاء النفح ، وهذا من سوانح وقت كتابتي هذه ولم أرفق كلام أحد .

### يا حسرة على العباد .

إى انهم أحقّاء بأن يتحسر عليهم المتّحصر ويندم عن أفعالهم النادمون او هم متّحصر عليهم من جهة الملائكة وأهل اليمان من الانس والجان ، او من جهة الله ، اما على سبيل الاستعارة في فرط انكاره تعالى لما فعلوه وتعظيمه ماجنوه على أنفسهم ، او باعتبار وقوع الحسرة من بعض عباده المخلصين ، من قبيل ما روي في حديث : «يا موسى مرضت فلم تدعني» (١) وكان المريض بعض الصالحين من عباده – تعالى عن النقص والشين علوًّا كبيرا – .

ويؤيد هذا الوجه قرائة من قوله : «يا حسرة» لأن المعنى : يا حسرة عليهم ، ثم الوجه في مثل هذا النداء انه عبارة عن احضار صورة في الخيال احضاراً قوياً حتى كأنها موجودة في العين ، ثم الخطاب معها بالطلب والدعا لان الحال

١) راجع المسند ٤٠٤ / ٢ . ومسلا : كتاب البر والصلة . ١٢٥ / ١٦ .

مما يستدعي حضور مثلها فمعنى هذا النداء ان : «يا حسرنا احضرى» فان هذه الحال من الاحوال التي يجب حضورك فيها ، فتحققك أن تحضرني فيها ، وهي حال استهزاء العباد وأهل العناد بالرسول .

وقرئ : «يا حسرة العباد» بالإضافة اليهم المفيدة للاختصاص بهامن توجهاها اليهم .

وقرئ : «يا حسره على العباد» بالهاء اجراء للموصى مجرى الوقف .

ثم بيّن سبب الحسرة ونشأ الندامة بقوله :

**ما يأتى بهم من رسول لا كانوا به يستهزئون [٣٠]**

وبسبب استهزاء الناقصين من الناس والكفرة والمنافقين بالرسل والأولياء وكل من سلك سبيلهم في الاشتهاي بذكر الله والتשוק إلى معرفته ومعرفة ما ينتهي إليه من ملائكته وكتبه ورسله وأوليائه وعباده المكرمين ، والاعراض عمأكب إليه الناس من طلب الجاه والمال ومعاشرة المخلق والمداراة معهم والخوض في امورهم والمشاركة في دنياهم .

وذلك لأن الرسل عليهم السلام ومن تابعهم هم رجال الله البالغون في العقل وال بصيرة، لا يؤثرون على لذة النظر إلى وجه ربهم لذة ، ولا يريدون غير الوصول إلى خدمته وطاعته نعمة وسروراً ، ولا يكدرون شراب محبة الحق الأول برجاء نعيم او خوف جحيم ، وبباقي الناس بمنزلة الأطفال الناقصين على درجاتهم ومراتب نقصاناتهم على حسب جهالتهم .

فإن مثال المخلائق في لذاتهم مانذ كره ، وهو أن الصبي في أول نشأته وحركته وتميزه يظهر فيه غريزة بها يستلزم اللعب واللهو ، ويكون ذلك عنده أذلاشياء

لقصور نظره وهمته عن ادراك ماعداه والتشوق اليه ، ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فسيتتحقق منها اللعب ، ثم يظهر بعده لذة الواقع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبله في الوصول اليها ، ثم يظهر بعد هذه الامور لذة الرئاسة والعلو والتفاخر والتكاثر ، وهي آخر درجات لذات هذه الدنيا وأعلاها وأقوىها ، وآخر ما يخرج عن رؤوس السالكين إلى الله .

وللاشارة إلى هذه المراتب في اللذات قال تعالى : \* (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر - الآية) [٢٠ / ٥٧]

ثم يظهر بعد هذه غريزة اخرى يدرك بها معرفة الله تعالى ومعرفة صفاتاته وأفعاله ، فيستحقها جميع ما قبلها ، فكل متأخر فهو أقوى ، وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن الصبي وحب النساء والزينة في سن البلوغ الحيواني وحب الرئاسة والعلو والتكاثر في سن العشرين ، وحب العلوم المعرفية في قرب سن الأربعين - وهي الغاية العليا ومرتبة رجال الله هذه المرتبة - .

والناس كلهم بالقياس الى هؤلاء في منزل واحد هي الدنيا ومحبة ماقبليها ، وكما أن الصبيان يضحكون عنمن يترك اللعب ويشتغل بملاءمة النساء وطلب الرئاسة ويستهزئون بهم ، فكذلك الرؤساء والمتضادون في المجالس والمتقلدون في المناصب يستهزئون بمن ترك الدنيا وزينتها ورفعتها ، واشتغل بمعونة الله واستهتر بذكر الله ، والعارفون بالله يقولون : \* (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) [١١ / ٣٨]

ولهذا ذكر بعض أصحاب القلوب : «ان الانسان اذا بلغ مرتبته في العلم بالله ومحبته بذكر صفاته وأفعاله الغاية العليا ، رماه الناس بالحجارة» اي يخرج كلامه عن حد عقولهم ، فيرون ما يقوله جنوناً .

فقصد العازفين كلهم لذة معرفة الله تعالى ووصله ولقائه فقط ، فهي قرة أعينهم التي

لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، وهي التي لاعين رأت ولاذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، واذا حصلت لهم لذة معرفة الله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية يضمحل منهم الرسم وينقطع عنهم الهموم الى غير طلب حبيبهم ، فليس لهم عند ذلك التشوّق الى شيء سوى الحق ، سواء كان من باب الدرهم والدينار ، أم من باب الاراضي والعقارات ، أم من بباب الترفيع والافتخار ، الذي هو أجل لذات هذه الدار .

والناس اذا شاهدوا منهم ما يخالف اطوارهم وأفعالهم من طلب الخمول والانزواء والاستئثار ، وترك التبسيط والتزين والاشتهار ، يعدونه اما من السحر والمكر واما من السفه والعبث ، فهم اما يعاندونه او يستهزئون به\*(والله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)\* لان نظام هذا العالم وتعميره لا يتصور الامن المكبيّن على الحسبيات ، الهالكين كالغراش في نيران الشهوات ، المعرضين كالخلفا في عن أنوار الحكم والعقليات ، الجاحدين كالكماء الا ضاليل لا لوان المعارف واليقينيات ، المنكرين كالعنين للذات النقوس العاليات وكراماتهم والعقول القadasات في مناجاتهم .

**أَلْمَ يَرُوا كُمْ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقَرْوَنَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ [٣١]**

«الرؤبة» هنا بمعنى «العلم» اي: ألم يعلموا اكثرة اهلاً كنا القرون ، ويسمى أهل كل عصر «قرناً» لاقرائهم في الوجود - كذا في مجمع البيان - والظاهر انه من باب حذف المضاف مثل: «واسئل القرية» ونظائره، والاسم بحاله في الاستعمال لقطعة من الزمان من غير وضع ثان .

ولفظة «كم» استفهامية كانت أو خبرية وان لم ي العمل فيها عامل - أما في الاستفهامية ظاهر، وأما في الخبرية فلان أصلها الاستفهام فحكمها واحد - إلا أن معنى العامل سار في معنى الجملة بنفسها سرايتها في مثل قوله «ألم يروا أن زيداً لمنطلق» وان لم يعمل في لفظها ، وهذا القدر كاف في تعلق جملة «كم أهلكنا» بعامل «ألم يروا» وانتصابها به و «كم» ينتصب بأهلكنا ، وقوله : «إنهما لهم» بدل من «كم أهلكنا» بحسب معناه من حيث هو ، لا بحسب لفظه .

والمعنى : ألم يعلم هؤلاء الكفار كثرة اهلاكنا القرون الماضية لجحودهم وانكارهم لأهل الحق أنهم لا يرجعون ؟ أي : كونهم غير راجعين اليهم أي : لا يعودون الى الدنيا ، أفلأ يعتبرون بهم ؟ ووجه التذكير بكثرة المهالكين أي : أنكم ستتصيرون الى مثل حالهم ، فانظروا لانفسكم واحذرؤا أن يأتيكم الهلاك وأنتم في غفلة عريضة وغرة شديدة .  
وعن الحسن «انهم» بالكسر فيكون استيفاناً لابدلا ، وفي قرائة ابن مسعود «ألم يروا من أهلكنا» فيكون البدل بدل الاشتمال .

\* \* \*

وفي الكشاف : «هذا مما يرد قول أهل الرجعة» وفيه نظر لا يخفى على المنصف ، فان عدم رجعة قرون من الكفرة الناقصين الهالكين هلاك الابد لا يدل على عدم رجعة غيرهم من النفوس الكاملة الحية بحمية العلم والعرفان ، فلا استحالة في انزال الارواح العالية باذن الله وقدرته في هذا العالم لخلاص الاسارى والمحبوسين بقيود التعلقات من هذا السجن .  
واما ما نقله تأييداً لمذهبة من منع الرجعة من قوله : «ويحكى عن ابن عباس أنه قيل له : ان قوماً يزعمون أن علياً (ع) مبعوث قبل يوم القيمة . فقال

بئس القوم، نحن اذن نكحنا نسائه وقسّمنا ميراثه» فمدفوع بأذنه مجرد حكاية غير معلومة الصحة ، وعلى تقدير صحة الرواية عنه فالمروري من نوع ، فإن المتبع في الاعتقادات اما البرهان واما النقل الصحيح القطعي عن أهل العصمة والولاية .

وقد صح عندنا بالروايات المتطابقة عن ائمتنا وساداتنا من أهل بيت النبوة والعلم حقيقة مذهب الرجعة ووقوعها عند ظهور قائم آل محمد - عليه وعليهم السلام - والعقل أيضاً لا يمنعه لوقوع مثله كثيراً ، من احياء الموتى باذن الله بيد أنبيائه كعيسى وشمعون وغيرهما - على نبينا وآلته وعليهم السلام - .

ثم يحتمل أن يرجع ضمير «انهم» الى الكفرة وضمير «اليهم» الى القرون ، ويكون معناه : ان هؤلاء لا يرجعون بحسب القوة والقدرة ، أو الشوكه والجاه ، أو العدة والكثرة اليهم ، فكيف لا يعتبرون بمن سبقهم .

ولايعد أن يكون المراد اهلاً لهم بحسب موت الجهل والكفر والعناد هلاكاً سردياً ، فحيثند معنى : «انهم اليهم لا يرجعون» ، أي في شدة الجحود والنفاق والاستكبار والاغترار بالظنون الفاسدة والعقائد الباطلة ، كما هو شيمة أصحاب الجدال وأهل المكر والاحتيال ، الذين هم أعدى أعداء الله ورسوله كما ذكر وصفهم وذمهم في القرآن كثيراً ، ويويد هذا الحمل كون هذه الآية عقيبة قوله : «ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون» فالمعنى ان هؤلاء لا يصلون في الاستهزاء بالرسول الى من أهلكنا قبلهم من المستهزئين بالرسل الذين كانوا أشد منهم في الجحود والاستهزاء ، على وزان قوله تعالى : \* (وَكُمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقَرْوَنِ) \* [٢٠/١٢٨] \* (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعُمِّرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمِّرُوهَا) \* [٣٠/٩]

## وان كل لما جمیع لدينا محضرون [ ٣٢ ]

من شد «الميم» في «لما» كعاصم وحمزة وابن عامر كانت عنده بمعنى «الا» كما في : «نشدتك بالله لما فعلت» و «ان» نافية ، والتقدير : ما كل الا لدينا محضرون . ومن خفّتها كالباقيين كانت «ما» صلة للتأكيد و «ان» مخففة من الثقلة وهي متلقاة باللام لا محالة ، والتقدير : وانه كل لجمیع لدينا محضرون .

والتنوين في «كل» عوض من المضاف اليه ، والمعنى : أن كلهم من السابقين واللاحقين محشورون مجموعون لدينا محضرون ، أي مبعوثون يوم القيمة للحساب والجزاء - كما عليه جمهور المفسرين - أو دائمًا ، لأن علمه بجميع الجزئيات والشخصيات حضوري ، فجميع الموجودات حاضرة عنده مجموعاً من غير تعاقب وتجدد وغيبة لبعضها عن بعض بالقياس إلى شمول علمه ونظره ، واحاطة سمعه وبصره ، فلا حاجة له في حضور الخلائق عنده إلى قيام الساعة وتبدل الدنيا بالآخرة ، إنما ذلك بالقياس إلى المحظوظين بالزمان والمكان ، المحبوسين في سجن الأفلاك والarkan ، حيث يتحكم عليهم تبدل الأزمنة والأقران ، ويسلط عليهم انفعالات المواد والبدان ، وكل من لاتعلق له بعالم الزوال والفناء فلا انتظار له في حضور الأشياء ومتولها بين يدي خالق الأرض والسماء ، فالدنيا والآخرة سيان له وعنه عالم الساعة وإليه يحشرون .

وقيل : معنى «محضرون» معدبون .



ثم لما كانت مسألة المعاد وحشر الاجساد وحضور العباد بأبد انهم الآخرية  
عند المبدء الجواب من عظام اركان الاعتقاد ، ولطائف مسائل الاجتهاد ، وفي  
ادراكها غموض شديد لا يمكن الوصول اليه بجهد جهيد ، كرر الله ذكرها  
في القرآن ، ومهـد لاثاته وجوهاً كثيرة من الأمثلة الموضحة لها عند البيان .  
منها ما ذكرها في هذه السورة التي هي مشتملة على جملة ما في الكتب  
الالهية من وجوه عديدة، أوضحها بياناً وأجلّها كشفاً وبرهاناً ما ذكره بقوله:

وآية لهم الارض الميتة أحيinها وأخرجنا منها حبًّا فمنه

[ ٣٣ ] يـأـكـلـون

ومن الآيات الواضحة والحجج القاطعة لمنكري البعث والمحشر - كالآباء والطبيعيين والدهريين والمتفلسفين ، وطائفة من العوام المقلدين لهؤلاء المتشبّهين بأذىال المتشبّهين بالعلماء والحكماء ، ظنناً منهم أن الحكمة توجب ابطال الشريعة - المبنية على ثبوت قدرة الله تعالى على حشر الأجساد واحياء الموتى من العباد هي الارض الميبة لغلبة جمود البرودة وضعف قوة الحرارة لفترط انحطاط الشمس عن سموات رؤوس بقاعها ، فلا ينبت شيئاً ولا يتحرك أجزاءها الكامنة فيها الى جهة العلو طليباً للكمال وارتفاعاً الى العالم الاعلى ، كالميت المنقطع عن الروح بحرارتها الغريزية ، المستدعاية للنمو والحس وحركة لطلب الكمال اللائق بحاله .

أحياناً: أى الأرض المقطوع عنها أثر الحياة من الحرارة المنشئة للنبات  
بنفس الحرارة السماوية بارتفاع دائرة الشمس بشعاعها المخروطي الشبيه بهيئة  
الصور الأسرافية النافخ باذن الله في النيرانات الكامنة في عروق الأرض و

أعماقها بالقوة، وأخر جنا منها ما كمن فيها من أنواع الأعشاب والحبوب التي يتقّونه مثل الحنطة والشعير والارز وغيرها ... فمنه يأكلون .

\* \* \*

فهذا ضرب من الاستدلال على ثبوت قدرة الله على اعادة الامثال وتوضيحة ان منكري المعاد انما انكروا احياء الموتى لما توهموا ان احيائهما توجب اعادة المعدوم بعينه وهو مما ثبت استحالتة.

والجواب: ان المعاد في المعاد هو الروح بعينه وهو باق غير فان مع بدن محشور مثل هذا البدن ل نفسه، حتى يلزم اعادة المعدوم، فالتمثيل بانبات الربيع وانحراف الحبوب من الارض بعد يبسها كما في هذه الآية وغيرها للاشعار بأن المعاد مثل البدن الاول كما دل عليه قوله تعالى: \*(ومن آياته انك ترى الارض خاسعة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحبي الموتى انه على كل شيء قادر) \* [٤١/٣٩] .

\* \* \*

وهذا القدر في معنى المعاد مما اكتفى به جم غفير من علماء الاسلام منهم الغزالى، واستدل شارح المقاصد عليه بأن النصوص دالة على اعادة المثل لا الشخص بعينه من البدن، كقوله صلى الله عليه وآله : «أهل الجنة جرد مرد»<sup>(١)</sup> وكون «ضرس الكافر مثل جبل أحد»<sup>(٢)</sup> وبقوله تعالى: \*(كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) \* [٤/٥٦] وبمثل قوله تعالى : \* (أوليس الذي خلق السموات والارض بقدار على أن يخلق مثلهم) \* [٣٦/٨١]. واني لا أرتضيه كما بيّنته في مواضع من كتبنا وتفاسيرنا، بل المعاد عندنا

١) الترمذى: باب ما جاء فى صفة ثياب اهل الجنة: ٤/٦٧٩ .

٢) المسند: ٢/٣٢٨ - ٣٣٤ - ٥٣٧ .

هو هذا الشخص بعينه، وهذا الوجه بعينه، وهذه اليد بعينها، وهذه الاعضاء بشخصيتها وتحقيق هذا المعنى يحتاج الى بسط عظيم خارج عن طور التفسير وان لم يمكن فهم بعض الآيات التي في بيان الحشر بدونه ، وقد بسطنا القول فيه في كتبنا، وسنذكر لمعة من أسرار المعاد في اواخر هذه السورة، فليراجع اليه من أراد ذلك .

فالاولى أن يحمل الآية على انها لدفع شبهة اخري لهم في نفي المعاد، هي ان استئناف الحياة في البدن يحتاج الى استعداد سابق وقبول مادة مستعدة حاصلة بالتوالد والازدواج المحاصل من الابوين، ثم حركة في الانفعال وتدرج في كمال بعد كمال، حتى يحصل الولد ويحيي المني المستعد، وهذه الاسباب مفقودة بعد هلاك الكل، فكيف يوجد المخلائق الكثيرة العظيمة ويحيي عظامها البالية الرمية دفعة من غير تعاقب وتوالد وتدرج في الاستكمال ، وحصول اسباب وانفعالات وسبق استعدادات الكمال بعد كمال ؟.

فالله سبحانه ازاح هذه الشبهة وأماط هذه الريبة بأن انشاء الموجودات في النشأة الثانية انما يكون بمجرد جهات فاعلية وأسباب علوية الهيّة لا بحر كات وانفعالات قابلية وأسباب هيولية ، كما ان انشاء الخلاق ابتداءً لم يكن الا بمجرد جود الله وابداعه الاسباب الفاعلية ، حتى تنزلت بتأثيراتها وانشأتها الى آخر الموجودات النازلة السفلية من غير سبق وسيلة و تقدمة استحقاق قوله: \* (كما بدعكم تعودون) \* [٢٩/٧] وقوله: \* (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) \* [٥٦/٦٢].

فمثيل الله تعالى لهذا المعنى بمثال انشاء النبات والاشجار، واحياء الارض بها كل سنة بعد يبسها وموتها بالاسباب العالية والاوپاع السماوية والقوى الفعالة، من قوة حرارة الشمس بارتفاعها واستئناف تأثيرها بحرّها وشعاعها

لا بالاسباب الارضية بقوتها المفتعلة في صورة الفاعلة - من بث المذور واجراء المياه على الارض وسقيها واصلاحها - فان شيئاً من هذه الامور لا يجدي نفعاً في حيوتها، لكن اذا حان وقت ارادة الله أحياها.

فكذلك الحال في وقت النشور واحياء الله تعالى حياة اخروية كل من في القبور، كما بين الله تعالى وأوضح هذا المعنى في عدة مواضع من القرآن، كقوله : \* (وترى الارض هامدة فإذا أنزلناها عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج \* وذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير \* وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) \* [٢٢] ٥ - ٧ وقوله : \* (ومن آياته أنك ترى الارض خاسعة فإذا أنزلناها عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى) \* [٤١/٣٩] وقوله : \* (والله أنزل من السماء ماءً فأحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لامة لقـوم لا يسمعون) \* [٦٥/١٦]

\* \* \*

ولما مثل الله تعالى في أحياء الاموات عند النشور وبعثة من في القبور  
بأحياء الأرض بعد موتها وبيسها، أراد أن يشير إلى أن حشر الناس يوم القيمة  
ووقوع الواقع على أقسام من الصور والهياط المختلفة حسب الاعمال والنيات  
فمثل إنشاء الخلائق إذا نفع في الصور بإنشاء الأزهار والشمار المبتلونة بفنون  
من النباتات والأشجار المختلفة حسب ما كمن فيها من البذور والاصول التي  
هي بمنزلة الأخلاق والاعتقادات الكامنة في الإنسان، التي سيبيرز ويظهر منه يوم  
حشر ما في القبور وحصيل ما في الصدور.

وفيه اشارة ايضاً الى انموذج من نعم الله الحاصلة من الارض لافتتاح عباده منها واغتنائهم بها ، ليتقىو وتوها منها ويتهيئوا لشكر خالقهم من شهيدهم ، لأن

جميعها مما لا يحيط به العد والحصر، فقال :

### وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ

أي بساتين وحدائق يوجد فيها أنواع الأشجار المخضرة والنباتات المثمرة فنوناً من الشمار من نخيل وأعناب - وإنما خص القسمين لكثره أنواعها ووفر منافعها .

### وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنْ الْعَيْوَنِ [ ٣٤ ]

أى : وفجرنا في تملك الأرض الميتة عيوناً من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل ، كأنه جار عيون الملوك العلمية بالقوة الكامنة في أرض النقوس الإنسانية التي بها يتحقق يوم كشف الغطاء نخيل المشاهدات وأعناب المكاففات .

وأصل مياه العلوم الكامنة فيها هو مياه أمطار جود الله وافتراضه وتوفيقه الهدایة والتحصیل فإذا اجتمع الماءان يوم الآخرة - ماء افاضة الله ، وامطاره علوم المشاهدة والمكافحة من سحاب لطفه ورحمته على القلوب ، وماء ينبع العلوم الكامنة في العقل وملكة حصول المعارف فيه - وهو العلم الاجمالي الذي نسبته إلى العلوم المفسانية التفصيلية كنسبة الكيمياء إلى الدنائز الغير المحسوبة ، ظهر أنواع الصور الاخروية ، ورطب استحلاء المشاهدات ، وعنبر شراب التجليّيات ، فالتحقى الماء على أمر قد قدر .

## لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمْرَه

أى ثمر النخيل، اكتفاء به لانه علم ان الاعناب في حكم النخيل أو ثمر أحد المذكورين، أو الجنات بالتأويل المذكور.

والنكتة في اثبات هذه الغاية فيما نحن بصدده من تطبيق هذه الآية على أحوال الارواح الانسية بحسب المعاد، هي أنه كما أن الغرض الاصلي من غرس الاشجار وتحصيل الشمار هو التقوت بها والتترقي الى غاية النشوء الصورى والاشد الظاهرى ، وكذلك الغرض من تحصيل المعرف والصور العلمية الحاصلة بما الافاضة الفاعلية وعین الاستفاضة القابليه ، هو تكميل النشأة الثانية الانسانية وبلغها الى غاية فطرتها الروحية وأشد حقيقتها المعنوية .

وقرىء «ثمره» بفتحين وضمنتين، وضمة وسكون .

وفي الكشاف : «الضمير لله تعالى ، والمعنى : ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ، ومما عملته أيديهم من الغرس والمسقى والابار وغير ذلك من الاعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وابان أكله ، يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقـه وفيه آثار من كدبنيـآدم» .

وفيه أيضاً : «أصله «من ثمرنا» كما قال : «وجعلنا ، وفجّرنا» فنقلـ الكلام من التكلـم إلى الغـيبة على طـريقة الـالتفـات» .

وـما عـملـتـهـ أـيـدـيـهـم

وـقرـيءـ : «ـما عـملـتـ»ـ منـ غيرـ رـاجـعـ ،ـ وهـيـ فـيـ مـصـاحـفـ الـكـوـفـيـنـ ،ـ وـعـنـدـ

قراء الحرميin والبصرة والشام مع الضمير، و «ما» فيها موصولة عطف على «ثمره» اي : والذي عملته أيديهم من أنواع الاشياء المتخذة من التخيل والعنب الكثيرة منافعها ، وقيل : يعني الغروس والزروع التي عملتها أيديهم وقادوا حراستها .

ولك أن تجعل «ما» فيها نافية ، يعني : هذه الشمار مع صورها ومنافعها وخصائصها ليست ماعملته أيدي الناس ، بل هي فائضة من عالم قدرة الله بواسطه ملائكته المسخررين لانشاء الصور النوعية ، يقال لها : «أرباب الاصنام» في لسان الاشراف ، ويسمى عندهم باسمي «كخداد» و «مرداد» و «اردي بهشت» وأمثال هذه ، ولهم في لسان الشريعة اسمي : «كملك المياه» و «ملك الجبال» و «ملك الرياح» ونظائرها .

\* \* \*

وفيه ايضاً اشارة الى مسئلة المعاد ورد شبهة أهل الجحود والعناد ، حيث أن وجود الصور الاخروية انما كان بانشاء الله بيد سدنة الجنان وملائكة الرحمة والرضوان ، وكما ان اعمال يد الانسان في غرس الاشجار وبث البذور للشمار مما لادخل لها في ايجاد الصور النباتية ، بل انما كان نوعاً من الحركة والرياضة مما له مدخلية في استجلاب رحمة الله ، التي يكفي فيها ادنى مرجح يخرج به من محض الامكان لشيء المتساوی طرفاً وجوده وعدمه .

فكذلك التفكيرات الانسانية والنباتات والعقائد الحاصلة من القوة المفكرة التي هي بمنزلة يد معنوية للنفس الفاكرة مما لادخل لها في توليد النتائج والصور الكسبية ، ولا تحصل هي بتعميل ايدي القوة الناطقة ، بل انما يفيض الصور من واهبها باذن الله ، والافكار وتعملاتها معدات للنتائج لامحصّلات ، وهذه الصور المحصلة العقلية (العلمية - ن) والعقائد الحقة ستتصير عند البعث والنشور صوراً

وأشخاصاً عينية على شكل وهيات حسية نورانية جنانية ينعم بها السعادة، أو قبيحة موامة موذية جحيمية يتذمّب بها الأشقياء، وهي أيضاً مما خلقها الله تعالى وأنشأها وأبدعها بجهات فاعلية من ملائكة الرحمة أو العذاب بيد سدنة الجنان أو النيران من غير تعمّل بشري وتصرف حيواني .

\* \* \*

فانظر كيف روعي في الكتاب العزيز هذه المناسبات بين عالمي الغيب والشهادة ، والدنيا والآخرة، ثم كرر النظر وأعد التفكير أيها العارف المستبصر في فوائد هذه الآية ولطائف نكاتها و دقائق أسرارها ليظهر لك حكمة بعد حكمة ونور بعد نور .

فتأمل كيف شبه النفس الهيولانية المساذجة من العلوم، الميتة بموت الجهل البسيط ، المستعدة للحياة العقلية ، الباقية في تلك الدار ، القابلة لأنوار العلوم و ثمار الاسرار ، التي هي بمنزلة صور الجنان و خيرات حسان ، لم يطمئن انس قبلهم ولا جان ، ولا يمسهن الا المطهرون من أدناس عالم المواد والarkan ، بالارض اليابسة الميتة ، لغلبة الجمود والبرد واليأس ، التي هي كالنفوس الجامدة الباردة الفظة الغليظة الساكنة من الفكر ، وشبه احيائها بافاضة مياه العلوم باحياء الارض بنزول الامطار ، لأن من الماء كل شيء حي .

فالماء مطلقاً يوجب الحياة مطلقاً، وكل نوع منه يوجب نوعاً مناسباً له من الحياة ، فالماء الجسماني يوجب الحياة الجسمانية، والماء الروحاني اي العلم يوجب الحياة العلمية الاخروية .

واعلم ان «الماء» مادة الحياة، وأما صورتها فهو «النار» على مراتها، و

«النور» من جملة مراتبها ، ففي الحياة الأرضية النباتية كمالاً بذ من ماء سماوي كالامطار ، وماء أرضي كالعيون والأنهار ، كذا لا بد فيها من نار سماوية كأشعة الشمس وغيرها ، ونار أرضية هي احدى العناصر الاربعة ، المجتمعية بالازدواج لحصول المزاج .

وهكذا في الحياة الأخرى على طبقاتها ودرجاتها كمالاً بذ من مياه العلوم الفائضة من العالم الأعلى ، ومياه العلوم الكامنة في النفس المتباوعة فيها بال جداً كردة والمراجعة والكلد والتعب ، فكذلك لا بد من نار علوية عقلية هي شعاع العقل الفعال ، ونار سفلية نفسية هي اشتعال النفس الزكية وقوة حدسها المتفاوتة في أفراد الناس ، البالغة في بعضهم إلى غاية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار العقل الفعال ، الذي هو نور ، اذا اتصل به العقل المستفاد كان نوراً على نور .

\* \* \*

ثم تأمل كيف أشار سبحانه إلى اخراج العلوم الجزئية والمعارف الجمهورية التي بها يتعيش جمهور الناس ويحيى أوساطهم ، من القلوب بالكلد والتعب والتكرار باخراج العيون من بطون الجبال والاحجار اليابسة ، ونبوع الماء والزلال من التراب الكدرة ، فعلم بذلك ان من القلوب كحجارة يتفجر منها الانهار ، اي أنهار العلوم والمعارف ، كما أشار إليه بقوله تعالى :\*(وان من الحجارة لما يتفجر منها الانهار)\* [٧٤/٢] .

وعلم أيضاً أن منها كحجارة او أرض يتشقق فيخرج منها الماء ، وهو قلب يظهر عليه في بعض الاوقات عند انحراف حجب البشرية ، فيظهر منه بعض اطائف المعانى وأنوار العلوم .

ويعلم ايضاً بالمقاييسة أن منها ماهي كالحجارة القاسية ، التي لا يتفجر منه

أنهار العلوم ، ولا يؤثر فيه شيء من الآيات والاخبار ، ولا يرققه بالتلبيين نكتة من الحكم والمواعظ ، وهو قلوب اكثراً أهل الدنيا وعامة الخلق ، ومنها ما هي أشد قسوة وأصلب ، وهي القلوب التي في الكدوره والصلابة كالحديد البارد ، لا يؤثر فيها شيء من النصيحة والتعليم للتلبيين ولا الزجر ولا الضرب للانقياد والطاعة ، الا القتل والعقاب بنار الجحيم ، وهكذا الحديد يتغىض عن قبول الطرق وطاعة الحداد ، فيستحق بذلك الدخول النار وتليينها باذن الله ، فعند ذلك يقبل كل طارق يطرق منه ، وهيئنا أسرار اخر لا يمكن التصریح بها .

\* \* \*

ثم تأمل وتدبر كيف ضرب الله مثلاً لروح الانسان وقلبه بجنتات جعل فيها من كل ثمرات من تخيل العلوم وأعناب المعارف ، لكونه مخلوقاً في أحسن تقويم مستعداً لجميع الكمالات والكرامات ، قابلاً لجميع الفضائل وجملة الشمائل المحسنات ، مكرماً بعلم جميع الأسماء والصفات ، منوراً بأنوار التجليات ، الحاصلة له في مظاهرها العقلية والخيالية والحسية ، من عالم الصورة والمعنى والشهادة والغيب ، كما في قوله تعالى : \* (أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ تَخْيِيلٍ وَاعْنَابٍ) \* [٢٦٦/٢] .

وفي القرآن آيات كثيرة دالة على تمثيل ما يصل إليه الانسان من ثمرات عقائد الإيمان ، ونتائج اكتساب العلم والعرفان في الآخرة عن درفع الحجاب بالجنتات والأنهار والأشجار والحور العين والصور الحسان ، وغيرها من الأمثال التي لا يعلمها أحد منخلق الآلهة السخون في العلم ، كما قال : \* (وَتَلِكَ الْأَمْثَالُ نَصِرُ بَهَا لِلنَّاسِ وَمَا تَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ) \* [٤٣/٢٩] . وقوله :

أَفَلَا يَشْكُرُونَ [٣٥]

اشارة الى الحث والترغيب الى معرفة هذه الأمثال والنعماء الالهية ، ووجه

ذلك أن الشكر من جملة مقامات الدين وأجزاء الإيمان واليقين ، فان الإيمان ليس كما ظن باباً واحداً ، بل هو نيف وسبعون باباً ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدنها امطة الأذى عن الطريق ، كما أن الإنسان ليس موجوداً واحداً بل هو نيف وسبعون موجوداً ، أعلاها القلب والروح ، وأدنها امطة الأذى عن البشرة ، ككون الإنسان مقصوص الشارب ، مقلوم الأظفار ، نقى البشرة عن الخبث ، حتى يتميز عن البهائم المرسلة ، المتناثرة باورانها المستكرونة الصور بطول مخالبها وأظلافها .

\* \* \*

وهذا مثال مطابق للإيمان ذكره بعض العرفاء لأن الإيمان بالحقيقة محصل حقيقة انسان ، بل هو عند الكاملين في الحكم والراسخين في المعرفة عين الإنسان الحقيقي ، ففي التطبيق يقال: الإيمان كالإنسان الحسي ، وقد شهادة التوحيد منه يوجب بطلانه بالكلية ، كما يوجب فقد الروح بطلان الإنسان الحقيقي بالكلية والذي ليس له الا شهادة التوحيد وشهادة الرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقود العينين ، مفقود الحواس ، ليس فيه الأصل الروح بالقوة .

وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت ، فيزيله الروح الضعف الناقصة فكذلك حال من اكتفى بأصل الإيمان من غير تحصيل الاعمال المورثة للاخلاق والملكات ، من الصبر والشكر والتوكّل والرضاء بالقضاء وغيرها من المقامات فهو قريب من أن ينفلع شجرة إيمانه بعواصف الرياح عند زلزلة الساعة ، اي القيامة الصغرى ، التي يخصّه في مقدمة قدوم ملك الموت ومشاهدة أهوالها وحالاتها ، وعند القبر والبعث في القيامة الكبرى التي تعمّه .

فكل إيمان لا يثبت في اليقين القلبي أصله ، ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت عند تصادم الاهوال وتزلزل الا هوالدوامه ، وعند ظهور ناصية ملك

الموت وطلوع صباح القيامة من مغربها قيامه، وخيف عليه سوء الخاتمة – نعوذ بالله – الاماسقى بسماء الطاعات، والتأملات القدسية على توالى الايام وال ساعات، والتعرض دائمًا لنفحات ألطاف الله ، حتى رسخ وثبت أصلها في أرض القلب وفرعها في سماء الاحوال والمقامات والدرجات ، كما أشار اليه بقوله : \* (ألم تر كيف ضرب الله مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) \* [١٤ / ٢٤] وقوله : \* (يثبتت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) \* [١٤ / ٢٧] .

\*       \*       \*

اذا تقرر هذا ، فالشكر لسائر المقامات ينتظم من ثلاثة امور : علم وحال وعمل ، وهكذا جميع المقامات لأنها منتظمة من علوم وأحوال وأعمال ، وهذه الثلاثة اذا قيست بعضها الى بعض لاح للظاهريين من الناظرين ، أن العلوم تراد لاجل الاحوال ، والاحوال تراد للاعمال ، فالعمل هو الأفضل عندهم وهو الغاية لديهم .

وأما عند أرباب البصائر فالامر بالعكس من ذلك ، فالاعمال تراد للاحوال والاحوال للعلوم ، فالافضل هي العلوم ، ثم الاحوال ، ثم الاعمال لأن الاعمال غايتها الاحوال وهي ترجع الى تصفية القلب عن العوائق ، وتصحيل وجهه عن الكدورات والمحجب .

ثم نفس التصفية والتصحيل ليس كمالاً وغاية مطلوبه ، لأنها أمر عدمي ، بل يراد لاجل أن يتمثل فيها صورة الحق – وهي العلوم الحقيقة – .

واما آحاد هذه الثلاثة : فالاعمال قد يتساوى وقد يتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض ، وكذا آحاد الاحوال وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم المكافحة ، اي علوم التوحيد من احوال المبدء والمعاد واحوال الملائكة والرسل

والكتب ، وأهل الانتقاء إلى الوحي - صلوات الله عليهم أجمعين - .

\* \* \*

وإذا ثبت أن الشكر كباقي مقامات السالكين ينتظم من علم وحال وعمل، وأن العلم هو الأصل المقصود من الأعمال والاحوال ، فلأجله يكون الحال ، ولأجل الحال يكون الأعمال ، وكما أنه المقصود الأصلي والغاية القصوى ، فكذا هو المورث المنتج لما سواه ، فهو الأول والآخر ، والمبدء والغاية ، فهو يورث الحال ، والحال يورث العمل، فقوله تعالى: «لعلكم تشكرون» معناه الأصلى عند العارف العالم باسلوب الدين والفهم للسان القرآن المبين: لعلمكم تعلمون علمًا ناشياً من حال ناش من عمل مشروط بعلم مقدم .

اذ لابد أولاً في الشكر من معرفة النعمة وأنها من المنعم ، ثم الحال ثانياً وهو الفرح الحاصل بانعامه ، ثم العمل ثالثاً وهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ، ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ، ولا بد للإحاطة بحقيقة الشكر من بيان هذه الأمور الثلاثة على وجه الاجمال ، لأن التفصيل فيها غير لائق بهذا المقام .

\* \* \*

أما بيان العلم الذي هو الأصل فهو أنه علم متعلق بثلاثة أمور: بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم، وجود صفاتة التي بها يتم الانعام ويصدر منه على من سواه، فإنه لابد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وارادة، فهذه الأمور لابد من معرفتها في حق غير الله.

وأما في حق الله فلا يتم الإبان يعرف أن النعم كلها منه وهو المنعم ، و الوسائل مسخرة من جهةه، فيحتاج في مقام الشكر إلى العلم بتوحيد الأفعال

بعد معرفتها على التفصيل والترتيب من العقول وترتيبها ، والنفوس الكلية واغراضها ومراتبها ، والاجرام الفلكية وأشواقه او حركاتها ، ثم الوسائل العنصرية بساحتها ومركيباتها .

وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس ، اذدخل التوحيد والتقديس فيها ، لأن المرتبة الاولى في معارف الایمان التقدسي ، ثم اذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف أنه لامقدس الا واحد ، وما عاده غير مقدس وهو التوحيد ، ثم يعلم أن كل ما عاده في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط ، فالكل نعمة منه ، فتفتح هذه المرتبة في الرتبة الثالثة ، اذ ينطوي فيها مع التقدسي والتوحيد كمال القدرة المقتضي لأن لامؤثر في الوجود الا الله ، ف تمام المعرفة في الشكرين في الشرك في الأفعال .

مثاله: ان من أنعم عليه ملك من الملوك بشيء ، فان رأى المنعم عليه لوزيره او ساعيه دخلا في ايصاله اليه ، فهو اشرف به في النعمة ، فلا يرى النعمة منه مطلقاً بل بوجه منه ، وبوجه آخر من غيره ، فيتوزع شكر فرجه وحاله عليهمما ، فلا يكون موحداً في حق الملك ، نعم لا ينقص عن توحيده في حقه وكمال شكر نعمته أن يرى أنها وصلت بتوجيهه بالقلم على الكاغذ ، ولا يشكرهما لعلمه بأنهما مسخران تحت قدرته ، وكذا لو علم أن الوزير والمساعي الموصل والمخازن ايضاً مضطرون من جهة الملك في الإيصال ، لانه اذا عرف ذلك كان نظره اليهم كنظرة القلم والكاغذ ، فلا يورث ذلك شركاً في توحيده في اضافة النعمة اليه ، فكذلك من عرف الله وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، وكذا العقل والنفس - اللذان هما فوق هذه الامور - مسخران بقدرته كالقلم والقرطاس في يد الكاتب ، وكذا الحيوانات لها اختيارات ، في نفس اختيارها مسخرات له ، فإذا عرفت الامور هكذا فقد عرفت الله وعرفت فعله ونعمته عليك ، وكنت موحداً وقدرت على شكره ، بل كنت بهذه المعرفة بمجردها

شاكراً لله .

ومما يدل على أن أصل العلم بهذه الوجه شكر تام لله، ما ذكر أنه قال موسى عليه السلام في مناجاته : « الهى خلقت آدم بيده وفعلت كذا وكذا ، فكيف شكرك؟ » فقال الله تعالى : « من علم أن ذلك مني فكانت معرفته شكرأً ». فاذن لا شكر إلا بأن تعرف أن الكل منه ، فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفاً بالنعم لابالمنعـم ، فلانفرح بالمنعم وحده بل بغيره ، فيقدر نقصـان معرفتك ينقصـ حـالـكـ فيـ الفـرـحـ ، وبنقصـانـ فـرـحـكـ يـنـقـصـ عـمـلـكـ ، فـهـذـاـ بـيـانـ هـذـاـاـصـلـ .

\* \* \*

واما بيان الامر الثاني : فهو الحال المستحبـةـ منـ أـصـلـ المـعـرـفـةـ ، وـهـوـ الفـرـحـ بالـنـعـمـ معـ هـيـثـةـ الـخـضـرـ وـالـتـواـضـعـ ، وـهـذـاـ ايـضاـ فيـ نـفـسـهـ مرـتبـةـ منـ الشـكـرـ ، لأنـهـ فعلـ مشـبـيـ عنـ تعـظـيمـ المنـعـمـ ، ولـكـ انـمـاـيـكـونـ شـكـرـأـ اذاـ كانـ حـاوـيـاـ شـرـطـهـ ، وـشـرـطـهـ اـنـ يـكـونـ فـرـحـكـ بـالـنـعـمـ لـابـالـنـعـمـ وـلـابـالـنـعـامـ ، وـهـذـاـ ايـضاـ اـمـرـعـظـيمـ ، وـاـمـارـتـهـ اـنـ لـايـفـرـحـ مـنـ الدـنـيـاـ الـابـمـاهـوـ مـزـرـعـةـ لـلـاخـرـةـ ، وـيـعـيـنـ عـلـىـ طـاعـةـ اللـهـ وـطـلـبـ التـقـرـبـ الـيـهـ ، وـيـحـزـنـ بـكـلـ نـعـمـةـ تـلـهـيـهـ عـنـ ذـكـرـ اللـهـ وـتـصـدـهـ عـنـ سـبـيلـهـ .

ولـهـذـاـ قـالـ الشـبـليـ : « الشـكـرـ رـؤـيـةـ الـنـعـمـ لـارـؤـيـةـ النـعـمـ » ، وـقـالـ الـخـوـاصـ : « شـكـرـ العـامـةـ عـلـىـ الـمـطـعـمـ وـالـمـلـبـسـ وـالـمـشـرـبـ ، وـشـكـرـ الـخـاصـةـ عـلـىـ وـارـدـاتـ الـقـلـوبـ » .

وـهـذـهـ رـتـبـةـ لـاـيـدـرـ كـهـاـكـلـ منـ انـحـصـرـتـ عـنـدـهـ اللـذـاتـ فـيـ لـذـةـ الـبـطـنـ وـالـفـرـجـ وـمـدـرـكـاتـ الـحـوـاسـ منـ الـأـلـوـانـ وـالـطـعـومـ وـالـرـوـائحـ ، وـخـلاـ عـنـ الـذـةـ الـقـلـبـ لـاـنـ القـلـبـ لـاـيـلـتـذـفـيـ حـالـ الصـحـةـ وـالـسـلـامـةـ اـبـذـ كـرـ اللـهـ وـمـعـرـفـتـهـ وـلـقـائـهـ ، وـاـنـمـاـيـلـتـذـبـغـيـرـهـ اـذـاـ مـرـضـ بـسـوـءـ الـعـادـاتـ وـالـانـحرـافـ عـنـ الـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ ، كـمـنـ يـلـتـذـبـأـكـلـ الطـيـنـ ، لـاـنـحرـافـ مـزـاجـهـ عـنـ نـهـجـ الـاسـتـقـامـةـ ، وـكـمـنـ يـسـتـبـشـعـ الـحـلـاوـاتـ وـيـسـتـحلـىـ

المرارات لمرض عرض له - فهذا بيان الامر الثاني .

\* \* \*

وأما الامر الثالث فهو العمل بموجب العلم والحال على وجه يؤدى إلى الكمال من العلم ، فالعلم هو الاول وهو الآخر ، لأن هذه الامور الثلاثة متعاكسة في الوجود الحدوثي والبقاء ، اي الابتدائي والرجوعي ، وذلك لأن العلم بالنعمه والانعام وكونهما من المنعم ، لو لم يكن أصلا لم يترتب عليه الفرح بالنعمه من حيث كونها من المنعم ، واذالم يحصل الانتعاش والفرح لم ينبع من العمل .

فإذا علمت هذا في الابتداء فأعلم عكسه في الرجوع ، فإن فائدة العمل اصلاح القلب وصفاته عن المشوشات ، واستقامته عن الانحراف عن جادة الحق والصراط المستقيم ، وتوسّطه بين الاطراف الموجبة لهواها في أسفل درك الجحيم ، وفائدة اصلاح القلب أن ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وأفعاله .

فعلم من ذلك أن ضرباً من العلوم بمنزلة عبيد وخدم يراد لأجل الاعمال والاحوال ، وهي العلوم العملية المتعلقة بكيفية الاعمال البدنية والقلبية ، وضرباً منه بمنزلة الملوك والسلطانين ، وهي المستخدمة منه لغيرها ، فأرفع العلوم «علوم المكافحة» ، وهي معرفة الله سبحانه والإيمان به وبصفاته وأفعاله ، وهي الغاية القصوى التي تطلب لذاتها وتتباين بها السعادة العظمى ، بل هي عين السعادة ، ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة ، وإنما يشعر بها في الآخرة ، فهي المعرفة الحرة التي لا قيد لها ولا يتقييّد بغيرها .

وهي مخدومة الجميع وغيرها عبيد وخدم لها ، لأنها إنما تراد لأجلها ، وكان تفاوتها بحسب نفعها بالاضافة إلى معرفة الله ، فيإن بعض المسائل والمعارف

يفضي الى بعض ، اما بواسطة او وسائل ، حتى ينتهي الى العلم الالهي ، فكلما كانت الوسائل بينه وبين معرفة الله اقل كان افضل .

\* \* \*

واما الاحوال ، فيعني بها احوال القلب من تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل القلب ، حتى اذا اظهر وصفا اوضح له حقيقة الحق ، فاذأ فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح القلب وتصفيته لوجه لان يحصل له المعارف الالهية ، وهكذا يتربى الاعمال في تأكيد صفاء القلب وجلب الاحوال ودفع الحجب والظلمات المانعة عن المكاشفات عنه .

فكما أن الحالة القريبة أو المقربة من صفاء القلب افضل مما دونها لامحالة فكذا الاعمال بحسب مرتبها في التأثير في صفاء القلب والدفع لما يجذبه إلى زخارف الدنيا ، والطاعة والمعصية عند المتحققين بالعائد الشرعية والقواعد الدينية اسمان موضوعان لباعث صفاء القلب وباعت كدورته وظلمته على درجاتها ، اذا المعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقسواته تكون كبيرة وصغريرة متفاوتة جداً ، وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته وترقيتها ، فدرجاتها بحسب تأثيراتها ، وذلك يختلف باختلاف الاحوال .

فإن قلت : فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها .

قلنا : ان الطبيب اذا أثنى على الدواء لم يلزم منه أن الدواء مراد لعينه ولا على أنه افضل من الصحة والشفاء الحاصلين به ، ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالباً ، فالحث على الاعمال يوجب اقدام العباد عليهـا ، ولكل عمل خاصية في القلب ، فيترتب على فعل المحسنات وترك المحظورات ما هو مقصود الشريعة من تصفيـة الباطن ، الموجبة لسيـاق الخلق الى جوار الله ومعرفته وقربه .

\* \* \*

فهذه خلاصة ما ذكره بعض علماء الآخرة وحجج الإسلام (١) ، نقلناها ليتحقق معنى الشكر ، ليتضح عند التدبر أن العمدة في باب الشكر هي معرفة نعم الله تعالى وكيفية صدور أفعاله سبحانه على وجه يقدس ويتعالى عن التكثير والتجسيم في البداية ، وعن التعليل والتشريك في الغرض والنهاية ، ويندرج فيه تقديس الذات عن شوائب الامكان ، وتوحيده عن مثاب (مثاب - ن) التركيب والنقصان .

\* \* \*

ولهذا أشار سبحانه بعد الحديث على الشكر إلى ما يتوقف عليه ، بل يتتحقق به من العلم بأن أسباب النعم كلها منه ، وكيفية صدور الأفعال عنه على وجه لا يوجب كثرة وامكاناً ، ولا يقدر في وحدانية ذاته ولاتقدس صفاته بقوله :

سبحان الذي خلق الازواجا كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم  
ومما لا يعلمون [٣٦]

وقد نزل الله سبحانه ذاته وعظمها أولاً عن نسبة النقص في الذات ، والشين في الصفات ، والفتور والتقصير في الأفعال ، واوضح دليله ثانياً بأنه هو الذي يستحق منتهي الحمد وغاية الشكر ، فيكون الكلام كدعوى الشيء بيبيته ، اي تنزيهاً وتعظيمهاً وبرائة عن الافة والنقص والسوء ، للذي خلق الانواع والاشبه والأشكال والامثال من كل نوع ، اي كل طبيعة متكثرة الافراد ، كانوااع الكائنات من اصول ثلاثة ، هي الموضوعات والقواعد .

(١) راجع احياء علوم الدين : كتاب الصبر والشكر ، بيان حد الشكر وحقيقةه :

لأن الانواع المتکثرة الأفراد ، الحاصلة بالقوة والاستعداد ، الناشية في سلسلة العائدات الى الباري تعالى ، المتعاكسة في الوجود لسلسلة البدایات منه: لابد لوجودها من مادة تقبل تکثرنوعيتها وتعدد أفرادها .

وذلك لأن التکثر في ماله حد نوعي وتأخذ طبيعی يحتمل بحسب الفرض أن يكون اما بالماهية او لازمها أو عارضها ، والقسمان الاولان يوجبان انحصر النوع في شيء واحد وهو خلاف المفروض ، فتعینن القسم الثالث ، فلا بد من مادة قابلة – ينفع عن الفاعل البري عن التغيير أحوالا وأغراضًا حادثة يحتاج في حدونها وتجدها الى قوة انفعالية وحركات استعدادية سفلية تابعة لحركات ومحصلات فلكية لاغراض علوية ، تلحق تلك الحركات الى فاعل غير متناهى القدرة في التأثير وقابل غير متناهى القوة في الانفعال ، فينفتح أبواب نزول الرحمة والخيرات ، وأسباب ورود النعمة والبركات ، لقوله تعالى : \* (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) \* [١٤ / ٣٤] وقوله : \* (لو كان البحر مداداً لكلمات ربى) \* [١٨ / ١٠٩] الآية .

\*       \*       \*

وهي على كثرة أفرادها وأنواعها منحصرة في ثلاثة أجناس :  
أولها: ما لا شعور لها ، ولا نفس حساسة فيها في حد حقيقتها ، وهي مهاتمت من الأرض ، والمراد منها ما يندرج فيه المعادن والنباتات ، اذ جمیعها « مما يخرج من الأرض » وينشأ منها .

وثانيها: ماله نفس شاعرة مریدة للحركات اقداماً واحجاماً ، جلباً ودفعاً ، طلباً وهرباً ، شهوة وغضباً ، ولا يخلو منه حیوان اذ أدنى مراتب الحيوانية فيما له قوة اللمس ، وهذه القوة موجودة لكل حیوان حتى الدود والخراطين ، التي تكون في الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقضمت للحرب ، لا كالنبات فانه

يقطع فلا ينقبض لعدم احساسه بالقطع - ومادة تكّون الحيوان وأصل خلقتها انما هي مواد فضلية منوية، موجودة في أبدان الحيوانات، حاصلة من فضلة الهضم الرابع ، باستخدام النفوس الحيوانية المقوى النفسيّة والطبيعة، كالجاذبة والمسكّنة والهاضمة والدافعة المحرّكة للمذاق في عروق البدن وأعماقه المخرجة للفضلة إلى أطراف البدن ومخارجها مستقرة في قرار مكين بوسيلة حركات وانفعالات جماعية، واقعة من نفوس الآباء والأمهات على أغراض حيوانية، طلباً للشهوة واللذة التي هي الغاية القصوى لفاعيلها ، فأشار إلى ذلك بقوله: «ومن أنفسهم» .

وثالثها: ماله ادراكات كليلة ، وهي عقول مجردة ومحظوظات مستقلة في الوجود البقائي والكمال الآخرى ، حاصلة من الأفكار والتأمّلات القدسية الواردة على العقول الهيولانية ، وإليها أشار بقوله: «ومما لا تعلمون».

\* \* \*

واعلم أن جوهر الناطق الذي بها يكون هوية الإنسان ذو حالتين: حالة بها تكون نفسها ، وحالة بها تكون عقلا فهو بحسب الحالة الأولى داخلة في النفوس الحيوانية، مبدئها المزاج ومتتها الموت بالانحلال. وبحسب الحالة الثانية داخلة في قسم الملائكة المقربين والعقول المقدسين، فمبدئ تكونها من عالم الامر ومرجعها إلى الله، فقوله: «ومما لا يعلمون» إشارة إلى مادة تكّون الأرواح الانسية الكاملة في العلم والعمل، لأنها ليست من عالم الشهادة ومن مدرّكات الحواس ولا مما يعلمه جميع الناس .

واما كيافيّة تولدها من الأمور العقلية والأعمال المقربة لها من الكمال، المخرجة إليها من القوّة إلى الفعل فهي مما يطول شرحه، وليس لكل إنسان نصيب في فهمه، بل المفترض بظواهر العلوم من يجحدون وجود عالم الامر

وبلغ الانسان اليه بوسيلة العلوم والتفكيرات ، جهلاً بأن هذا البلوغ هو الغرض الاعلى والغاية القصوى في ارسال الانبياء وانزال الكتب عليهم من السماء .

وتخليص القول أن الله تعالى كما يصور الجنين بصورة الحيوانية المرتبة على نطفة سقطت من الاب في الرحم بتدير الأربعينات ، فكذلك اذا سقطت من صلب نبّوة الانبياء ولالية الاولياء نطف العقائد اليمانية في ارحام نفوس أهل اليمان بتربية تصرفات المعلمين والمشائخ ، فالله تعالى يحوّلها من حال الى حال ، يكمّلها بكمال بعد كمال ، ويقلّبها من مقام الى مقام ، حتى ينتهي الى كمال التهيئة والاسواء ، فيخلق بقدرته وهدائه في رحم النفوس (النفس - ن) صورة وليد القدس و طفل خلفاء الله في ارضه ، على الوجه الذي يليق لتحمل الامانة حسب ارادة الله ومشيّته لقوله تعالى :\*(هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء )\*[٦/٣] فيستحق الان أن ينفح فيه الروح المختص بأبيائه ، واوليائه ، وهو الروح القدسي الذي هو مجعل القائم وصورة كتابته ، كقوله :\*(يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده)\* [٤٠/١٥] وكقوله :\*(اوئك كتب في قلوبهم اليمان وأيدهم بروح منه)\*[٥٨/٢٢]

ولهذه الفائدة العظيمة والنعمة الجسيمة أهبط الارواح من أعلى عليين القرب الى أسفل سافلين البعض كما قال :\*(اهبطوا جميعاً فاما يأتينكم مني هدي)\* [٢/٣٨] فإذا نفح فيه الروح القدسي يكون آدم وقته ، فيسجد له بالخلافة الالهية الملائكة كلهم أجمعون ، تفهم انشاء الله ونبه .

\* \* \*

والمحجوب عن غير هذا العالم كالظاهريين فسر ما لا يعلمون بأزواج من الحيوانات العفنية والجمادات المعدنية التي لم يجعل الله للبشر طريقاً الى

العلم بها، لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم. وفيه ما لا يخفى من التعسّف، إذ سوق الآية تدل على كون ما لا يعلّمون خلقاً عظيماً وصنيعاً بدليعاً أشرف مما وجد في البشر في هذا العالم الأدنى ، ونفي العلم به، والجهل بحقيقة انتقاماً هو بالنسبة إلى جمهور الناس وعامتهم لا الخالص الكاملين من عباده، وكثيراً ما يستعمل نفي العلم لأجل التعظيم بشيء والترغيب عليه والمناقشة فيه، كما في قوله تعالى: \* (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) \* [١٧/٣٢].

وفي الحديث القدسي : (١) «اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت و لا اذن سمعت ولا خطر على قلببشر» .

ويحتمل أن يكون كلمة «من» في الموضع الثلاثة بيانية ، فتكون اشارة إلى أعيان أجناس المخلوقات الثلاثة بذواتها ، لا إلى موادها وقوابـلها و موضوعاتها، اعلاماً بكثرة مخلوقـها وأنواعها وأصنافها وأعدادها ، الخارجة عن ما يحصره علم البشر وعن ضبطـه واحصائه ، دلالة على عظم قدرة باريها واتساع مملكة خالقها ومشئها جل ذكره ، وما ذكرنا أولـى ، لكونـ الحكمـ فيه أكثر ، والفائدة فيه أشمل ومعرفـةـ الشـيءـ بأسبابـهـ واصولـهـ اوـثـقـ .

قولـهـ سبحانـهـ :

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلومون [٣٧]

سلـخـ الشـيءـ: اخراجـهـ من لباسـهـ، ومنهـ اخراجـ الحـيوـانـ من جـلدـهـ ، يقال: «سلـخـ جـلدـ الشـاةـ» اذاـ كـشـطـهـ عنـهاـ وـأـزـالـهـ ، ومنـهـ: «سلـخـ الحـيـةـ لـخـرـشـائـهاـ» أيـ: جـلدـهاـ، ومنـهـ قولـهـ تعالىـ: \* (فـانـسـلـخـ مـنـهـ) \* [١٧٥/٧] ايـ: فـخـرـجـ منـهاـ خـروـجـ

١) ابن ماجة: كتاب الزهد، باب صفة الجنة، ٢/٤٤٧.

الشيء مما لا يسعه، فوقع هيئنا مستعاراً لازالة نور الشمس وكشفه (كسفه - ن) بحر كتها عن سطوح الاجرام الارضية الكثيفة او اعماق الاجرام البحاريه اللطيفه بوجه، او المائية المعتقدة، لأنها كلها مظلمة الذوات قابلة للانوار الكوكبية والعنصرية ، التي أصلها مستفاد من ضوء الشمس ، فإذا غربت عنها الشمس رجعت الى ظلمتها الاصلية.

والظلمة ليست صفة وجودية - كما توهّم الناس - ولا أيضاً عدم ملائكة أي عدم النور عمّا من شأنه قبول النور - كما زعمه المشائخون - حتى يجوز أن يكون بعض الاجسام خاليةً عن النور والظلمة جميعاً ، بل هي مطلق عدم النور من غير شرط وقيد، لأنّا اذا غمضنا بصرنا وفتحناه في هواء مظلم لم نجد فرقاً بين الحالين ، ولم نجد الا زوال الانكشاف وعدم الظهور ، ولذا قال : «فإذا هم مظمون» أي : دخلون في الظلام عند انسلاخ النهار عن ليل الاجسام وزوال ضوء الشمس عن ابصار الانام .

\* \* \*

واعلم أن الغرض المسوق اليه هذه الآية هو الدلاله على وجوب الصانع المبدع (المبدع-ن) للانسان ومعاده، حيث يظهر من تحقق الليل والنهار على وجه التكافؤ وولوج أحدهما في الآخر، ودخول الزيادة والنقصان عليهمَا على ترتيب مخصوص ، وكيفية وضع الارض التي هي مقر الخلاف من النبات والحيوان في وسط الافلاك، ويستعلم منها ومن وضع مدار الشمس التي نورها سبب وجود الكائنات على هذا الوجه عنابة البارى سبحانه وتربيته الموجودات على الوجه الاكملي الاوافق .

أو لا يرى انه لولم يكن الارض كثيفة قابلة للنور والظلمة لم يقف عندها ضوء النهار ولو لم يكن ايضاً في الوسط لم يكن نظام الكائنات على هذا المنوال

بل لائز فيها النور اما بالافراط او بالتفريط لقربها المفرط من الشمس أو بعدها المفرط عنها .

وأيضاً لو لم تكن الشمس دوارة حول الارض لكانـت دائمة التبريد أو التسخين فلم تفعـل ما فعلـته من التعـديل والنـصح .

وأيضاً لو لم يكن النـير الاـعـظـم في وـسـطـ الـافـلاـكـ السـبـعـةـ كانـتـ اـمـاـ بـعـيـدةـ عنـ وـجـهـ الـارـضـ بـعـدـ مـفـرـطـاـ اوـ قـرـيـبةـ مـنـهـ قـرـيـباـ مـفـرـطـاـ، فـفـسـدـتـ الـمـرـكـبـاتـ سـيـماـ الـحـيـوـانـاتـ الـمـعـتـدـلـةـ الـامـزـجـةـ ، اـمـاـ مـنـ غـاـيـةـ الـحرـارـةـ وـالـتـحـلـيـلـ ، اوـ مـنـ فـرـطـ الـبـرـودـةـ وـالـتـجمـيدـ .

وأيضاً لو لم تكن حرـكاتـهاـ العـرـضـيـةـ الـشـرـقـيـةـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـجـهـ مـنـ السـرـعـةـ وـ السـيـرـ الـحـيـثـ لـمـافـعـلـتـ الـيـوـمـ وـالـلـيـلـ بـهـذـهـ الـمـدـدـ الـيـسـيـرـةـ ، وـلـمـ اـخـتـلـفـ الـمـلـوـانـ عـلـيـنـاـ فـيـ قـدـرـ أـرـبـعـ وـعـشـرـيـنـ سـاعـةـ ، بـلـ كـانـتـ مـدـدـ الـيـوـمـ بـلـيـلـهـ مـقـدـارـ سـنةـ ، فـفـاقـتـ الـمـنـافـعـ وـ الـاـغـرـاضـ الـضـرـورـيـةـ الـمـتـرـتـبـةـ عـلـىـ تـحـقـقـ الـاـيـامـ وـالـلـيـالـيـ وـتـبـادـلـهـمـاـعـلـىـ التـتـالـيـ ، وـلـوـ لـمـ يـكـنـ مـدـارـ حـرـكـتـهاـ السـرـيـعـةـ مـائـلـةـ عـنـ مـدـارـ حـرـكـتـهاـ الـبـطـيـئـةـ ، لـبـطـلـتـ الـفـصـولـ الـأـرـبـعـةـ ، وـلـكـانـتـ الـبـقـاعـ الـوـاقـعـةـ تـحـتـ مـدـارـهاـ شـدـيـدـةـ الـحـرـ وـ لـمـ يـصـلـ أـثـرـ نـورـهـاـ إـلـىـ مـاـ بـعـدـتـ عـنـ مـدـارـهـاـ (١)ـ .

فـقـىـ وـجـودـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـجـهـ الـمـشـاهـدـ مـنـ الـمـدـارـ دـلـالـةـ عـظـيمـةـ عـلـىـ وـجـودـ الـواـهـبـ الـبـدـيـعـ ، وـفـيـضـانـ الـخـيـرـ الدـائـمـ مـنـهـ عـلـىـ كـلـ شـرـيفـ وـ وـضـيـعـ .

وـفـيهـاـ ايـضاـ اـشـارـةـ إـلـىـ اـفـتـارـ الـمـاهـيـاتـ الـمـظـلـمـةـ الـذـوـاتـ الـمـعـرـاةـ فـيـ اـنـفـسـهـاـ

(١) عـرـضـ المـصـنـفـ (رـهـ) بـيـانـ حـكـمـةـ خـلـقـ الشـمـسـ وـ مـنـافـعـهـاـ وـ لـاـ فـرـقـ هـنـاكـ بـيـنـ ماـ كـانـ الـمـعـتـقـدـ فـيـ الـهـيـثـةـ الـبـطـلـيـمـيـسـيـ وـ ماـ ثـبـتـ بـالـارـضـادـ الـجـدـيـدـةـ مـنـ دـوـرـانـ الـارـضـ وـعـدـمـ سـكـونـهـاـ .

عن فور الوجود المنبث" على هيكلها إلى نور الانوار وشمس عالم الوجود ومنبع المخير والوجود، لأن ذاته سبحانه عين حقيقة النور الظاهر بذاته، المظاهر لغيره ، والماهيات الامكانية خفية في ذواتها مكتومة في أنفسها، والله تعالى مظهرها من مكمن الخفاء وموجدها ومخرجها من سر العدم إلى فضاء الشهود وسعة الوجود، فبداته النيرة ينور غسل الماهيات المظلمة الذوات، وينشر رحمته ونوره في أهوية الهويات ، ويطلع شمس حقيقته من آفاق حائق الممكنات، ويطرد العدم والظلمة عن اقليم المعاني والمعقولات، فلو سلخ من ليل ماهية الممكنات نهار الوجود الفائض منه عليها لحظة، لرجوع الخلائق ككلهم إلى عدمهم الأصلي وفنائهم الفطري، فإذا هم مظلمون، كما هو المشاهد من انسلاخ ضوء الشمس الحسي عن وجه الأجسام ودخولها في الظلام، لأن المستنيرات الحسية إذا زال عنها النور الحسي عدلت عن الحسن ، وأمسى الممكنات المستنيرة بنور الوجود فانها إذا زال عنها فيض نور الحق فعدلت في أنفسها وهلكت بحسب حقيقتها أو زالت عن العقل والخارج جمياً، فوجود الليل والنهار وتبدل الضوء بالظلمة آية عظيمة دالة على وجود الحق المقيم للعالم، المديم للممكنات على الوجه الاتم الأدوم .

والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم [ ٣٨ ]

المستقر: هو الحد الموقّت المقـدر الذي ينتهي إليه حرارة الشمس في فلكها آخر الدورة، كأول الحمل في كل سنة عند من جعله أول الدور أو غيره عند آخرين، ويحتمل أن يراد به نقطة الوج التي فيها غاية بطء الحرارة، وبعد الشمس عن الأبصر وصغر جرمها عند الانظار أو مقابلتها من نقطة الحضيض

أو يراد به نقطة المغرب التي تتوجه إليها مدة حركتها فوق الأفق حتى تبلغ إليها في مسيرها كل يوم، ثم يرجع عنها في مرائي عيوننا، أو نقطة مقابلتها من المشرق، فإن حركتها في أحد النصفين من مدارها اليومي تخالف حركتها في النصف الآخر بالقياس إلى موضع الناظرين، ولا بد فيما بين الحركتين المختلفتين من حد معين ومستقر خاص ينتهي إليه ويتدنى منه، كمنزل المسافر المعهود لاستقراره.

ويحتمل أن يراد به الحد الذي فيه غاية ارتفاعها في منتصف النهار عند قطع نصف مدارها الصاعد، وهو حد بلوغها دائرة نصف النهار فوق الأفق، أو مقابلة من نقطة تقاطع مدارها مع دائرة نصف الليل تحت الأفق.

ويحتمل أن يكون مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه مقدار جريها وكمية سيرها، فاستقرت عليه من غير تغيير عمّا فطر الله عليه وهو مقدار السنة. ويحتمل أيضاً أن يراد منها تشابه حركتها المختصة من غير رجوع وانعطاف، ولا اختلاف في السرعة والبطء، فكأنها على مستقر واحد، أو يراد ثبات وضعها من غير انحراف ولا استواء ولا سكون ولا هوى إلى جانب السفل ولا ارتفاع إلى جانب العلو، ليدل ثبات وضعها وتشابه حركتها على تدبير حافظ مديم وتقدير عزيز علیم.

وفي قرائة ابن مسعود: «لامستقر لها» أي: لا تزال تجري لاستقرار، لأن داعي حركتها ليس غرضها حيوانياً شهرياً أو غضبياً، ولا التفاتاً بالسافل وارتفاع الكائنات بها، بل تشوقاً إلى بارتها وتقرباً إلى الله زلفى، وطلباً لما عنده من الخيرات الدائمة والأنوار الغير المتناهية.

وقرئ أيضاً: «لامستقر لها» على أن يكون «لا» بمعنى «ليس ذلك». وقيل: المستقر الوقت الذي يستقر فيه وينقطع جريها - وهو يوم القيمة

ذلك الجري والسير الحديث في طلب المبدأ الأول على ذلك التقدير والوجه الذي يكمل في حسابه الدقيق دقائق الافهام ، ويتحير في استنباطه العقول والاوہام، ويترب عليه مع نفع الكائنات السافلات ونشو المحيوان والنبات على هذا النظام غايتها الاصلية التي هي التشبّه بالخير الاعظم، والتقرّب إلى القيوم المنّور بنور الوجود والكرم لحقائق العالم، المخرج لها عن ظلمة العدم، ما هو الا بتقدير العزيز العليم، القاهر فوق عباده، والغالب على كل مقدور، والمحيط علمًا بوجوه الخير والنظام في كل معلوم، وكل ما كانت قدرته كاملة وعلمه شاملًا ، فيجب أن يكون رحمته دائمة ونعمته باسطة ، ويكون وجود الموجودات منه على غاية المخـير في النـظام، ونـهاية الفـضـيلـة وـالـتـامـ وـالـاسـتمـرارـ والـدوـامـ .

### و القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم [ ٣٩ ]

«والقمر» قرىء مرفوعاً ، اما على الابتداء او عطفاً على الليل ، اي : ومن آياته القمر وقرىء منصوباً بفعل يفسره «قدرناه» ولا بد حينئذ من ارتکاب حذف مضاف ، اي: قدرنا مسیره منازل ، اذ لامعنى لتقدير نفس القمر منازل .

والقمر جرم كري غير مشف مر كوز في سخن فلكه، يستضيء أكثر من جرمه من دور الشمس لكثافته وصقلة سطحه، الواقع دائمًا في محاذاة الشمس من غير حجاب ، الا عند مقاطعته الحقيقة او ما يقرب منها مع الشمس في حجبه الأرض عند ذلك عن مواجهة الشمس ووقوع ضوئها عليه، فيرى مظلماً من خسفاً كله أو بعضه .

و انما هدى الناس الحكم باستئنارقه من الشمس مشاهدة التشكّلات

النورية والاختلافات الهلالية والبدريّة مع مشاهدة المحسوف له عند المقاطرة فيعلم بضرب من الحدس ان نوره مستفاد من الشمس .

\* \* \*

«والمنازل» ثمانية وعشرون منزلًا وهي التي يقطنها القمر في كل شهر بحر كته الخاصة لفلكه، فيرى كل ليلة نازلاً بمحاذة واحد منها، وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب «الأنواع المستطرة» لأن «النو» سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وكل نجم منها هكذا إلى انقضاء السنة ماخلاً الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً.

و كانت العرب يضيفون الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها، فيقول: «امطرنا بنوء كذا» والجمع «أنواع» وهي: الشرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، الشترة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرف، العوا، السماءك، الغفر، الزبانى، الاكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، الرشا .

وهذه الأسماء مشهورة فيما بين العرب متداولة في محاوراتهم وعشقياتهم مذكورة في قصصهم وأشعارهم ، وبها يتعرفون أوقات الليل وأقسام الفصول، فان سمنينهم لما كانت مختلفة الاوائل لكونها باعتبار الاهلة، حيث وقع أولها تارة في وسط الصيف - مثلا - وتارة في وسط الشتاء ، احتاجوا إلى ضبط السنة الشهادية ليشتغلوا في استقبال كل فصل بما يهمهم في ذلك الفصل فوجدوا القمر يعود إلى وضعه الأول من الشمس في قريب من ثلاثة عشر يوماً فيسير في المنازل الثمانية والعشرين من ليلة المستهل " إلى الثامنة والعشرين ، ثم يخفي

في أواخر الشهر ليترين أو ما يقاربها اذا نقص الشهر ، فاسقطوا يومين من زمان الشهر بقى ثمانية وعشرون ، وهو زمان مابين أول ظهوره بالعشيّات في أوائل الشهر ، وآخر رؤيته بالغدوات في أواخره ، كما دل عليه بقوله : «حتى عاد كالعرجون القديم» فقسّموا أدوار الفلك على ذلك ، فكان كل قسم من الأقسام الثمانية والعشرين اثنى عشر درجة واحدى وخمسين دقيقة حاصلة من قسمة درجات تمام الدور - أعني ثلاثة وستين درجة - على عدد الأقسام المذكور فسمّوا كل قسم منزلًا وجعلوا لها علامات من الكواكب التي يقرب منطقه البروج لانطباق مدار فلكه الكلي عليها ، ولهذا أصاب كل برج من البروج الاثني عشرية منزلان وثلث منازل .

ثم توصلوا الى ضبط السنة الشمسية بكيفية قطع الشمس لهذه المنازل فوجدوها يقطع كل منزل في ثلاثة عشر يوماً تقريباً ، وذلك لأنهم رأوها تسير دائمأ ثلاثة منها ماهي فيه بشعاعها وما قبلها بضياء الفجر وما بعدها بضياء الشفق فوجدوا الزمان بين ظهوري كل منزلين ثلاثة عشر يوماً بالتقريب فأيام المنازل ثلاثة وأربعة وستون ، لكن الشمس تعود الى كل منزل بعد قطع جميعها في ثلاثة وخمسة وستين ، وهي زائدة على أيام المنازل بسوم ، فزادوا يوماً في منزل «الغفر» وانضبّطت لهم السنة الشمسية بهذا الوجه ، وتيسّر لهم الوصول الى زمان الفصول وغيرها من الاوضاع والاصول .

واعلم أن القمر اذا أسرع في سيره فقد يتخطى منزلًا في الوسط ، وان أبطأ فقد يبقى ليترين في منزل واحد ، وقد يرى في بعض الليالي بين منزلين ، فما وقع في عبارة الكشاف وتبعه البيضاوي من «انه ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقارئ عنه» ليس له وجه .

وانما شبه الله تعالى القمر عندما كان في آخر منازله «بالعرجون» و هو

«عود العذق» مابين شماريخته الى منبته من النخلة لدقّته واستقواسه ، ووصفه «بالقديم» زيادة في وجه الشبه ، فانه اذا قدم ازداد دقة وانحناءً واصغراراً فشبهه القمر به من وجوه ثلاثة .

وقرئ «العرجون» (١) بوزن «الفرجون» وهو الغتان كالبزيون والبزيون (٢)  
في المسندس .

\* \* \*

وفي الكشاف: «قيل: ان أقل مدة الموصوف بالقدم المحول ، فلو أن رجلاً قال: «كل مملوكٍ لى قديم فهو حر» او كتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول او أكثر» .

وفيه أن هذا المنقول غير معلوم الثبوت بحسب اللغة ، لأن أمثاله امور نسبية ، فرب قديم بالقياس الى أمر كان جديداً بالقياس الى غيره ثم على تقدير صحته انما كان اذا لم يكن هناك قرينة دالة على تعين المدة تحقيقاً او تخميناً كما في الاقارير والوصايا ، ولهذا اختلفت الفقهاء في تعين ما يطلق عليه اسم «القديم» واحتاجوا الى المرجحات ، فلو كان أمراً ثابتاً في اللغة لما وقع منهم الاختلاف .

والظاهر أن فيما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما دل عليه مانقله صاحب مجمع البيان أبو علي الطبرسي رحمه الله ، وهو قوله: «قيل: ان العذق يصيّر كذلك في كل ستة أشهر» .

ومن الشواهد المنقوله عن بعض ساداتنا و موالينا - صلوات الله عليهم أجمعين - مارواه علي بن ابراهيم باسناده ، قال : دخل أبوسعيد المكارى - و

١ - بكسر العين.

٢ - بفتح الباء وضمها .

كان واقفياً - على أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فقال له : أبلغ من قدرك أنك تدعى ما ادعاه أبوك؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام : مالك اطفأ الله نورك وأدخل الفقر بيتك ، أما علمت ان الله عزوجل اوحى الى عمران: «اني واهب لك ذكرأ بيرى الاكمه والابرص» فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ، ومريم من عيسى ، وعيسى ومريم شيء واحد ، وأنا من أبيي ، وأبي مني ، وأنا وأبي شيء واحد .

قال له ابو سعيد: فأسئلتك عن مسئلة . قال عليه السلام: سل ، ولا اخالك تقبل منّي ، ولست من غنمی ولكن هلمّها .

قال: ماتقول في رجل قال عند موته: «كل مملوك لي قدیم فهو حر لوجه الله»؟

قال أبو الحسن عليه السلام : ما ملكه لستة أشهر فهو قدیم وهو حر .  
قال : وكيف صار كذلك ؟

قال: لأن الله تعالى يقول: «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» سماه «قدیماً» ويعود كذلك لستة أشهر . قال: فخرج أبو سعيد من عنده وذهب بصره ، وكان يسئل على الأبواب حتى مات . (١)

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ.

دَبَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَمْرَ الْعَالَمِ الْجَسْمَانِيَّ بِهَا تَيْنَ الْآيَتَيْنِ - آيَةُ الْمَيْلِ وَآيَةُ النَّهَارِ - كَمَا دَبَّرَ أَمْرَ الْعَالَمِ الرُّوْحَانِيَّ بِآيَتَيْنِ قَدْسَيْتَيْنِ: آيَةُ النَّفْسِ وَآيَةُ الْعُقْلِ وَعَظَمَ اللَّهُ أَمْرَهُمَا لِيَعْرِفَ الْإِنْسَانُ كَيْفِيَّةَ تَدْبِيرِهِ تَعَالَى لِبَاطِنُ أَحَبَّائِهِ وَعِبَادِهِ

(١) تفسير القرني: في تفسير الآية، ٥٥١ مع اختلافات يسيرة في اللفظ .

الصالحين بتوسط نشأتي النبوة والولاية في العالم الإنساني ، فان موجودات هذا العالم و مظاهره مرائي يدرك بها أحوال العوالم المستعلية ، فجعل لكل من هاتين الآيتين قانوناً مضبوطاً وأجلها معلوماً ومدة معينة ، فالشمس لا يقطع فلكها الا في سنة ، والقمر يقطع فلكه في شهر ، فكانت الشمس حرية بأن يوصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر ، والقمر جدير بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره .

وقيل: لما بابن الله بين فلكيهما و مجراهما فلا يمكن أن يدرك أحدهما الآخر ما داما على هذه الصفة، ولا يجتمع لهما ليس بينهما يوم، كما لا يجتمع نهاران ليس بينهما ليل، وذلك لدورية حركات الشمس بالرجوع ، واحاطة الفلك الذي مجراهما جوانب الأرض فوق الأفق وتحته، والا لجاز أن يكون الطالع في كل يوم شمس آخر لها نهار آخر وليل آخر، فيجتمع ليل أحدهما مع نهار الآخر في وقت واحد لا يسبق عليه .

## حکایة

روى العياشي في تفسيره بالاسناد عن الاشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا عليه السلام والفضل بن سهل والمأمون في الايوان الحبرى بمرو، فوضعت المائدة ، فقال الرضا عليه السلام : ان رجلاً من بنى اسرائيل سألنى بالمدينة، فقال: «النهار خلق قبل أم الليل فما عندكم؟» .  
قال فأداروا الكلام فلم يكن عمنهم في ذلك شيء ، فقال الفضل للرضا عليه السلام: «أخبرنا بها أصلحك الله» .

قال : «نعم ، من القرآن أم من الحساب؟» قال له الفضل : «من جهة الحساب» .

قال : قد علمت يا فضل أن طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها، فزحل في الميزان، والمشترى في السرطان، والشمس في الحمل، والقمر في الثور ، فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء ، فالنهار خلق قبل الليل . وفي قول الله تعالى : لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار - اى قد سبقه النهار (١) .

\* \* \*

ثم في هذه الآية أسرار شريفة لا ينبغي كتمانها : منها : أن الشمس لما كانت مثلاً للعقل ، وعلمه أجمالي بسيط فعال لتفاصيل وفياض للعلوم النفسانية المتکثرة ، والقمر مثال للنفس لكونه قابلاً للنور الحسي الوارد عليه من النير الأعظم كما أن النفس في ذاتها خالية عن أنوار العلوم ، وإنما يفيض عليها من المبدء العقلاني الفعال باذن الله حفائق الصور و الكمالات ، وعلومها تفصيلية متکثرة منتقلة من معقول إلى معقول ، فناسب الحركة البطيئة لها ، الحاصلة من دورة واحدة في سنة واحدة تامة جامحة لجميع أحوال الفصول الاربعة ، المشتملة على حدوث أشخاص كل نوع من الانواع الطبيعية كالناس والخيول ، وناسب القمر الحركة السريعة المشتملة على دورات كثيرة في كل سنة ، وليس في دورة واحدة منها ما يجمع سائر الأجال والفصول ، ولا يفي مدتها بأن يسع فيها نشوء ماله قدر وخطر من المولدات حتى الخضرويات والبقويل .

فانظر كيف جعل الله الشمس والقمر خليفين عظيمتين في تدبير الكائنات وإنشاء النبات والحيوانات في عالم الأشباح ، كما جعلهما آيتين عظيمتين للعقل الكلي والنفس الكلية ، اللذين كل منهما خليفة الله في عالم الأرواح .

وأنظر كيف جعل أنورهما وأعظمهما آية النهار ، وأصغرهما آية الليل ،  
كما جعل العقل الأعظم آية نهار عالم الجبروت والقدرة والتأثير ، وهي أوائل  
الوجود الفائضة بحسب الابداع من الحق المعبود ، وجعل النفس الكلية آية  
مساء عالم الملائكة والتأثير والقبول ، وهي ثوانى الوجود التالية عن العقول  
في قبول الرحمة والجود .

فقوله: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ» اي : لا تدرك آية النهار آية  
الليل في وصف الحركة والانتقال والتعدد من حال إلى حال ، لكون القمر  
أقرب إلى عالم القوة والانفعال وضعف الأحوال ومنبع الدثور والزوال ، وهي  
الهيولى الأولى الواقعه في مهوى جحيم النكال ، وأسفل درك الخسنة والوبال  
بخلاف الشمس فانها أقرب إلى عالم الثبات والدوم والاتصال ، ومعدن الشرف  
والبقاء والكمال ، وأجدر بمجاورة القيوم المتعال ، الغالب على أمره والقاهر  
على كل شيء بالقدرة والجلال .

وقوله: «وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ» اي : لا يسبق آية الليل آية النهار في  
وصف النورية والشروع وقوّة الوجود والظهور ، فإن الشمس نيرّة الذاتها ،  
قاهرة للغسل بحسب فطرتها وجوهرها ، يطرد الوحشة والظلمة عن هذا العالم  
كما يطرد ذات الباري تعالى العدم والأمكان عن العالم الأعلى ، والقمر يستعير  
النور من الشمس ويكتسب ويستوّه بضياء الشروع عنها وبسببيها ، وكيف  
يسبق المستعير الكاسب المستغليس المستوّه بصفة كمالية على المبدع الفياض  
الواهب المعطى ايها ؟

وفي هاتين الآيتين أسرار عظيمة لمن تأمل وتدبر في ابداعهما وتفكيرهما  
خلقهما وخلق عجائبهما وعجائب غيرهما من أنوار الكواكب والافلاك  
ملائكة عالم السموات والارض ، اذ في كل منها آثار عجيبة وأنظار دقيقة لمن

نظر فيها وفي دورانها وطلوعها وغروبها واختلاف مراياها ومناطقها وأقطابها ومحاورها ومشارقها ومغاربها ودؤبها (دورانها - ن) في الحركة على الدوام من غير فتور وتعب وقصور في الانظام والأملال ولا كلال في الطلب والشوق إلى عبودية الله على الانصال.

وعجائب السموات مما لا مطبع في احصاء عشر عشرين من جزء من أجزاءها، وما من كوب إلا وله حكم كثيرة في خلقه وابداعه، ثم مقداره وشكله، ثم في سمكه وارتفاعه، ثم في نوره ولوئه، ثم في وضعه من السماء وقربه وبعده من منطقة الفلك، وارتباطه بغيره من الكواكب، ثم في حركته على الدوام وتشبيهه بمبدئه العقلي الكامل على النمام، ثم استكماله في عبوديته وطاعته لمبدئ الكل وظاهرة الجميع ذي الجلال والاكرام، الذي يضم محل في جنب نوره نور كل عقل ونفس وطبع وحسن، وتبهر في ادراك عظمته عقول الملائكة والخلائق والانام.

## سر آخر

ومن الاسرار التي يدركها الانسان بمحاجة النيرين وسائر الكواكب انه كما ان نور القمر انما هو عين نور الشمس، قد انعكس عن صفحة جرميه الى اعين الناظرين لصقالته وكثافته فيتوهم الانسان أن له نوراً غير نور الشمس سواء كان مستقلاً - كما توهّم العوام - او مستفاداً منها كما ادركه الخواص بدقة علومهم البهتية، وكلاهما زيف وغلط من الحسن او العقل.

بل الحق الحقيق بالتصديق ما انكشف لدى الاخصيin من خواص الناس المتخالصيin عن ظلمات عالم الحواس، وأنناس القوى الوهمية المتعلقة بالارجاس، المقدسيين عن اغواء شياطين الوهم بالوسواس ، وهو أن نور

الحسي كالنور العقلي حقيقة واحدة لها مراتب متفاوتة في القوة والضعف ، وقرب والبعد من ينبع عنها وأصلها ، ومرائي وقوابيل متعددة مختلفة في المطاففة والكتافة ، والصفاء والكدرة ، والجلاء والخفاء ، والانقطاع والانطباع . وهذا النور ذاتي للشمس بوجهه ، موجود لها بالذات ، وعرضي ل manusها موجود لها بالتبع ، بمعنى أنها مظاهر لشهادته ومجالي لوجوده بواسطة العلاقة الوضعية التي بها مع الشمس كالمقابلة أو مافي حكم المقابلة ، لأن حقيقة النور حالة فيها أو صفة قائمة بها ، وهكذا يكون حكم نور الوجود لأنها حقيقة واحدة هي عين القيوم تعالى ، ولها مظاهر مختلفة ومجال متعددة يدرك بحسبها ومن وراء حجبها حقيقة الوجود على ما يقتضيه طبيعة تلك المظاهر والحجب من الماهيات والاعيان كل بحسبه لا على ماعليه الحقيقة في نفسها ، لامتناع الاكتناه لها والاحاطة بها \* (ولا يحيطون به علمًا) \* (وعنت الوجوه للحي القيوم) \*

## سر آخر

وهو أن لكل من الموجودات مرتبة في ظهور الوجود بحسب الواقع ، وله مرتبة فيه بحسب مدارك الناظرين ، فقوّة الوجود والظهور وضعفهما كما يكونان للشيء بحسب الواقع كذا يكونان له في ملاحظة الناظرين لأن فرط الظهور قد يؤدي إلى الخفاء والقصور بالقياس إلى المدارك الضعيفة ، لقلة الاحتمال وعرض الكلال ولهذا يكون عند أكثر الناس الأجسام والمحسوسات أقوى وجوداً وأظهر انكشافاً من العقول و كليات الحقائق لقصورهم عن دركها ، والحق أخفى عندهم من كل شيء مع أنه تعالى أظهر الأشياء وأجلها وهذا لكونهم متوطنين في عالم الظلمات ، فعيونهم العقلية وبصائرهم الباطنية في ادراك العقليات والاهيات كعيون الخفايفيش وأبصار العمشان ، بل العميان

في ادراك أنوار الحسيات لقوة الاشراق منه وضعف الاحداق منهم .

فإذا علمت هذا، فالحال في نورى النيرين على ذلك المنوال، من كون أحدهما قوى الوجود والنورية بحسب نفسه في الواقع، ولكن لا يحتمله قوة الابصار فيعرض له الاستئثار، والآخر ضعيف الوجود والنورية في الواقع ولكن يقوى ظهوره عند الظلام ويتجلى نوره في الليالي على أعين الانام .

وهذان بعينهما مثلان للعقل والنفس، فإن أحدهما قوى الوجود والنورية العقلية في الخارج، ولكنه يختفي وجوده وظهوره عن الخلق، والآخر يعكس ما ذكر ، بل هما مثلان للحق جل ذكره بالنسبة الى النشأتين -- نشأة الدنيا ونشأة الأخرى -- فإن الحق مستور والخلق مشهود في هذا العالم بالقياس الى مدارك الضعفاء العقول ، المتوطنين في الظلمات كالخفافيش بعيونها الضعيفة الناقصة وأما وجوده في الحقيقة وبحسب النشأة الاخرة وبالقياس الى العقول المنيّرة المقدسة فمشهود جلي ، وجود الخلق مستور خفي على عكس ما هو عند أهل الحجاب .

فالشمس والقمر آيتان دالتان على رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فآية النهار مثال لوجود الحق في العقبي ، وآية الليل مثال لوجوده في الاولى ، وبوجه آخر هما مثلان لوجود الحق والخلق ، فإن أحدهما فياض النور على ذات الآخر ، ولهذا يختفي عند سطوع نوره الاقهر وجلاله الاظهر ويظهر عند غيبته عن الحواس وانبساط ظلمة الليل على أعين الناس ، فقوله: «ولا الليل سابق للنهار» من قبيل قوله: \*(أن يسبقو ناساً ما يحكمون) \*[٢٩/٤] .

## سر آخر

كلما بعد القمر عن جرم الشمس امتلاء نوراً وشروعاً وزاد جلاءً وظهوراً

وكلما قرب منها دق وضعف واستيقوس ظهره وانحنى قامته حتى اذا صار في  
غاية القرب عند المقارنة الحقيقية انمحق نوره بالكلية و زال ظهوره رأساً،  
 فهو مثال المسالك الواصل الفاني في مقام العندية والقرب ، وهو ايضاً مثال  
الممحجوب الباقي مع النفس في مقام الغيرية والبعد ، «فالليل» مثال هوية العبد  
 وأنانية الموصوفة بظلمة الامكان وسوداد الحدثان ، «والنهار» مثال الوجود  
الفائض عليها من شمس الحقيقة وقيوم الوجود ، فالممحجوب المطرود عن  
باب الله يتوهם أن لهويته وجوداً مستقلاً سابقاً في شهوده وادراكه على وجود  
الحق ، فللاشارة الى نفي هذا الاحتمال عن بصائر او لابصار وقع قوله  
تعالى : «ولا الليل سابق النهار».

## سر آخر

اعلم - أيدك الله تعالى - ان القمر عاشق صادق لملك الكواكب ، و أمير  
السيارات و قاهر الظلمات بالنور ، حافظ الازمة والدهور ، باسط الخيرات على  
الكائنات ، دافع الشياطين و مردة الجن والغيلان بالانوار الراجمات الزاجرات  
منبع أنوار الحواس و قامع وحشة الظلمة والوسواس ، واهب البهجة والسرور  
محبي أموات النائمات من النفوس في مراقد القبور ، بنفح صور الحرارة  
الغريزية في صباح النشور ، مخرج حيوة المواليد من القوة الى الفعل ، مثال  
الله الاعظم في هذا العالم ، مظهر رايات العبودية ومظهر آيات العبودية .

ومن دأب العاشق المسكين التوجه الى جناب معشوقه والتوصل الى صحبة  
محبوبه ، فلهذا صار القمر سريعاً السير لا يمكث في منزل الا يوم واحد غالباً ،  
وربما يتخطى يوماً واحداً منزليين ، لشدة شوقه وسرعة سلوكه الى جناب معشوقه  
في سير سيراً حثيناً حتى يرتقي من حضيض البعد والانفصال الى اوج القرب

والاتصال، فإذا فنى عن ذاته عند الانمجان، وتنور بنور محبوبه في شدة القرب  
والاشراق، قال بلسان حاله هذا المقال :

وكان مكان مما لست أذكره \* فظن خيراً و لا تسأل عن الخبر

ثم اذا رجع الى ذاته وعاد الى الصحو بعد المحو ، و سافر من الجموع الى التفرقه والتفصيل ، وأخذ منصب الخلافه والرساله في ارشاد السالكين للسبيل ، و يبعث لهداية المתוطنين في الظلمات ، و تعلم النازلين في مراقد الجهالات ، فازبت المقابلة الوضعيه الحسيه ، فانعكسست الى ذاته الاشعة الشمسيه ، وأضائت ذاته بأنوارها بعد ما كان مظلماً ، وأنار جوهره بأشعتها غلب ما كان مغيمأً ، فائلاً : «من رآني فقد رأى الشمس» وربما نطق :

اذا تغريبت بدا وان بدا غريبني \*

فلمما نظر الى ذاته فما رأى شيئاً خالياً من أنوار الشمس وعطليها ، فقال  
عند ذلك في غاية سكره : «أنا الشمس» لولا أن ثبته الله بالقول الثابت مثل ما  
قال أبو يزيد والحلاج وغيرهما من أصحاب التجريد، وسکاری شراب المحبة  
والتوحيد، حيث كانوا أقمار سماء التفرييد، ومرائي شمس الحقيقة والتمجيد،  
فلما أضائه أراضي قلوبهم وصفحات وجوههم بنور الرب باحروا بالسر الخفي،  
اما لغاية السكر والوجود - فكلام المجانين يطوى ولا يروى - واما للاشتباه  
بين المرأة والمرئي ، او لا ترى أن المرائي المتعددة المختلفة في الصقالة و  
الكدوره والاستقامه والانحناء اذا تجلت فيها صورة واحدة في حالة واحدة  
ظهورت فيها بحسبها، ولو كان تجليها في المرائي حلولاً أو قياماً لما أمكن حلول  
شيء واحد في مجال متعددة مختلفة .

\* \* \*

فأعلم وتبثت - أيها العارف السالك - أن التجلي غير المحلول والاتحاد

والاتصال ، لثلا تقع في الفضلال والكفر والاحتجاب والانفصال ، فتدعى  
بوقاحتك الاصناف بالكمال ، وتسبق بنورك الموهوم وجودك المتهم المبهم  
الميشوم نور المهيمن المتعال ، وجود المبدع الفعال ، ولا تتوهّم أيها  
المحجوب لذاته وجوداً سوى ما أفضله العزيز القهار ، ولا تكون بظهوره هيّتك  
الموهومة ممحّلاً لظهور نور الانوار ، كأشفأً لنوره عن شهودك كسف القمر  
نور الشمس عن عيون الناظرين من الابصار ، وائل قوله تعالى : « ولا الليل  
سابق النهار ». »

### وكل في فلك يسبحون [٤٠]

« التنوين » في « كل » عوض من المضاف اليه ، و« الفلك » جرم كروي  
 مجرى الكواكب ، سمي به تشبيهاً بفلكلة المغزل في الاستدارة والحركة الدورية .  
 ذكر الشيخ ابوريحان البيروني في القسانون المسعودي : « ان العرب و  
 الفرس سلكوا في تسمية السماء مسلكاً واحداً ، فان العرب يسمى السماء « فلكاً »  
 تشبيهاً بفلك الدولاب ، والفرس سموها بلغتهم « آسمان » تشبيهاً لها بالرحي ،  
 فان « آس » هو « الرحي » بلسانهم و « مان » لفظ دال على التشبيه » انتهى .  
 والمعنى : وكل واحد منهم - أي من الكواكب بدليل ذكر بعضها وهو  
 الشمس والقمر - في فلك من الافلاك يسبحون ويتحرّكون من موضع الى  
 موضع ، ومن وضع الى وضع بالعقل والتدبر والارادة والاختيار ، طلباً  
 لعبادة الله وطاعته ، كما يدل ضمير الجمع لذوي العقول ، وليس في العقل  
 انقباض عن كون الافلاك وما فيها أحیاء ناطقون ، بل في الانظار العقلية والقواعد  
 الحكمية ما يدل على كونهم عشاقاً الهبيّن وعباداً راكعين ساجدين طوافين

على باب حضرة رب العالمين، رقاصين متواجددين في ادراك عظمة أول الاولين  
هو الذي أدار رحاحها وبسم الله مجريها ومرساها .

\* \* \*

وقد أطبق الطبيعيون بعلوّهم الطبيعية والالهيون بفنون حكمتهم الالهية  
على أن الأفلاك بأجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيبة لمبدعها وخالقها ومنشئها و  
محركها، الا أن الطبيعيين تفطّنون به من جهة استدارة الحركات من الاجرام  
التي يتحدد بها الجهات قبل وجود الاجسام المستقيمة الحركات، حيث يحتاج  
دوامها إلى قوة روحانية عقلية غير جسمانية متناهية الافعال والانفعالات ، وأما  
الالهيون فعلموا بذلك من جهة كثرة العقول وتنوع المبادي والغايات، ووجود  
الاشواق الكلية للعشاق الالهية ، وحكموا بأن غرضها من حركاتها نيل التشبه  
بجنابه ومقربيه ، والتقارب إلى سكان حضرته ومجاوريه .

والاشراقيون منهم على ان حركاتها لورود الشوارق القدسية وسنوح  
البوارق الالهية عليها آناً فأناً ، فكل اشراق يقتضي شوفاً وحركة ، وكل حركة  
تسعدعي اشراقاً وفاضة ، فتنتصل الحركات حسب توارد الاشراقات ، كما يقع  
لأهل المواجه من أصحاب البدایات في السلوك والتّوحيد . وأما الكمال فلهم  
مقام التمكين كالعقل المهيّمن .

وذهب جم غفير من الحكماء إلى أن كل كوب بل كل كرة أثيرية له نفس  
عليحددة تحركه بحركة مستديرة على نفسه ، وحكمه في الشعور والارادة و  
الشوق إلى مفارق عقلي والتّشبّه بمعشوّق قدسي حكم الفلك الكلي، فحكموا  
أن لا ميت في عالم الأثير .

وبعضهم ذهب إلى أن النفس الفلكي يتعلق أولاً بالكتو كوب ، لانه بمنزلة  
القلب للحيوان الكبير ، وبتوسطه تتعلق بالتداوير ، والأفلاك الجزئية والمتممّات

التي هي بمنزلة الأعضاء والبعض فيه .

والشيخ أبو علي بن سينا مال إلى هذا القول ورجحه وحكم به في النمط السادس من اشاراته حكماً بتّيأً حيث قال : « ويلزمك على اصولك أن تعلم أن لكل جسم منها كان فلكاً محظياً بالأرض موافق المركز أو خارج المركز أو فلكاً غير محظياً بالأرض مثل التدويرات أو كواكب ، شيئاً هو مبدئ حر كته المستديرة على نفسه لا يتميز الفلك في ذلك عن الكواكب ، وان الكواكب تتنقل حول الأرض بسبب الأفلاك التي هي مر كوزة فيها ، لا بأن تنحرق لها أجرام الأفلاك .

ويزيد في ذلك بصيرة أنك اذا تأملت حال القمر في حر كته المضاغفة او جيه وحال عطارد في او جيه ، وأنه لو كان هناك انحراف يوجبه جريان الكواكب أو جريان فلك تدوير لم يعرض ذلك كذلك » انتهى .

وليس الغرض من هذا النقل الركون إلى اصوله التي قد بني عليها ثبات هذا المرام من امتناع الخرق على الفلكيات والاتيماء ، اذ لا استحالة عندنا على حسب اصولنا اليقينية الايمانية في بوار الأفلاك وفناء السموات بحسب قدرة الله ورادته ، متى شاء ، في أي وقت من الاوقات أراد ، وان كان الواقع ثبات اجرامها منذ خلقت وعدم انحرافها والتباينها ، كما دل عليه قوله تعالى : \* (وبنينا اجرامها من خلقناها ونحيها ، كما دل عليه قوله تعالى : \* [٢٨/١٢] وقوله : \* (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) \*

[٢١/٣٢]

بل الغرض من ذلك أمران : ترجيح القول بأن الكواكب - بل الأفلاك - كلها أحيا ناطقون مطعون لله تعالى كمدالت عليه هذه الآية ، قوله : \* (والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) \* [٤/١٢] وكسر سورة المصرين من المتفاسفين على انكاره ، وتسكين صولة المشنعين من الفقهاء الظاهريين على من قال به .

و كفى في اثبات هذه الدعوى على المنكرين ما وقع في بعض خطب امام الاولياء وسيد الاوصياء أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله من الرب الاعلى من قوله: «فَمَلَائِكَةٌ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، فَمَنْ هُمْ سَاجِدُونَ لَا يَرْكَعُونَ وَرَكْعَةٍ لَا يَقْتَصِبُونَ [وَصَافَوْنَ لَا يَتَزَالُّونَ] (١) وَسَبَّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نُومُ العَيْنَ وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ» (٢).

ثم ما انبأعث لجحود أهل الحجاب الا ما شاهدوا من هذه الحبيبات  
العصبية المحمية المأنوسة لهم من الكلاب والذئاب أنها ليست الا ذوات  
رؤوس وأذناب، بل لم يتوهموا أنفوسهم الا هيما كل محسوسة متكترة الادوات  
مركبة من القوى والالات، ولم يعلموا انها غير داخلة في مفهوم الحي الدراك  
فمنعوا من اطلاق الحياة على مافي الافلاك، ولو تأملوا قليلاً لعلموا أنفسهم  
التي بها أنانيةهم ونشأ جحودهم لهذا القول حية قائمة غير ذات رأس وذنب  
وشهوة وغضب، فتعسأ لجماعة جّوزوا الحياة والدراك لمثل البعوضة والنملة  
فما دونها ولم يستو غوا للاجرام الشريرة الالهية والبدائع اللطيفة النورانية.

وقد عظم الله أمرها في كتابه الكريم، فكم من سورة يشتمل على تفخيم السماء والنجوم وخصوصاً النويرين وبعض السيارات ، وكم من آية تشتمل على القسم بها وبمواقعها، كقوله:\*(والسماء ذات البروج) \*[١/٨٥] \*(والسماء والطارق\* وما دراك ما الطارق \*النجم الثاقب)\* \*[١/٨٦] \*(والشمس وضحاها\* و القمر اذا تسلىها)\* \*[١/٩١] \*(فلا اقسم بالخمس \* الجوار الكنس)\* \*[١٥/٨١] \*(والنجم اذا هوى)\* \*[١/٥٣] \*(فلا اقسم بمواقع

- ١ - الزيادة من نهج البلاغة .
  - ٢ - نهج البلاغة: الخطبة الأولى .

النجوم \* وانه لقسم لو تعلمون عظيم) \* [٧٥/٥٦] .

ومن الشواهد على كرامة ذاتها وشرافة جوادرها وقوام صورها المعترأة عن الاضداد والانداد ، ودوام نفوسها ومحركاتها بأمر المبدع المحواد ، جعلها واسطة لارزاق العباد ، حيث قال: \*(وفي السماء رزقكم وما توعدون) \* [٢٢/٥١] وكونها مرتفع الكلمات الطيبات والدعوات المستجابات لقوله تعالى : \*(كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) \* [٢٤ / ١٤] .

ومن الشواهد مدحه وثنائه تعالى على المتفكرین والناظرین في بدائع فطرة السموات ، فقال: \*(ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا) \* [١٩١/٣] وقال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم : «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبّلـته (١) أي : تجاوزـها من غير فـكر ورويـة .

وتوبـيهـ المـعـرـضـينـ عـنـهـ فـقـالـ : \*(وـجـعـلـنـاـ السـمـاءـ سـقـفاـ مـحـفـظـاـ وـهـمـ عـنـ آـيـاتـهـ مـعـرـضـونـ) \* [٣٢/٢١] فـأـيـ نـسـبـةـ لـهـذـهـ المـتـغـيـرـاتـ مـنـ الـأـرـضـ وـالـبـحـارـ إـلـىـ السـمـوـاتـ التـيـ هـيـ صـلـابـ شـدـادـ ،ـ مـحـفـظـاتـ عـنـ التـغـيـرـ إـلـىـ أـنـ يـلـغـ الكـتـابـ أـجـلـهـ ،ـ وـلـذـلـكـ سـمـاهـ اللـهـ «ـمـحـفـظـاـ»ـ كـمـامـرـ ،ـ وـقـالـ إـيـضـاـ : \*(أـنـتـمـ أـشـدـ خـلـقاـ أـمـ السـمـاءـ بـنـاهـاـ) \* رـفـعـ سـمـكـهـاـ فـسـوـاهـاـ) \* [٢٨/٧٩] .

فـانـظـرـ إـلـىـ هـذـهـ الـقـدـرـةـ وـالـمـلـكـوـتـ لـتـرـىـ بـعـدـ ذـلـكـ عـجـائـبـ الـعـزـةـ وـالـجـبـرـوـتـ وـلـاتـقـنـ أـيـهـاـ الـمـغـرـرـ بـعـلـمـكـ الـمـشـهـورـ الـمـكـشـوـفـ عـنـدـ الـجـمـهـورـ الـبـاعـثـ لـجـاهـكـ الـحـقـيرـ فـيـ عـالـمـ الزـوـرـ أـنـ مـعـنـىـ النـظـرـ إـلـىـ مـلـكـوـتـ السـمـاءـ بـأـنـ تـمـتدـ الـبـصـرـ إـلـيـهـ فـتـرـىـ زـرـقـةـ السـمـاءـ وـضـوءـ الـكـوـاكـبـ وـتـعـرـفـهـاـ ،ـ فـانـ الـبـهـائـمـ وـالـدـوـابـ تـشارـكـ فـيـ هـذـهـ النـظـرـ ،ـ بـلـ انـظـرـ إـلـيـهـاـ نـظـراـ عـقـلـياـ وـتـقـطـنـ بـهـاـ إـلـىـ مـلـكـوـتـهـ ،ـ وـتـعـبـرـ مـنـ

١ - تفسير البرهان : ٣٣١/١ (ثم مسح بها شبكة). وفي الدر المتشور : ١١١/٢ : (ولم يتفكر فيها).

عالها الى عالم آخر فيه خلائق روحانيون مجبورون على مشاهدة تقديس الله ، حائزون في شهود جماله وملاحظة جلاله لا يلتقطون الى ذواتهم المقدسة المتنورة بنور الحق - فضلا عن التفاتهم الى مادونهم - .

فتتحول أيها السالك بقلبك أولا في ميادينها وأفطارها ، وأطل فكرك في كيفية حر كاتها وتفنّن جهازها ودورانها ، ثم الى جواهر محر كاتها من نفوسها وعقولها ومعشوقاتها الى ان تقوم بين يدي عرش الرحمن الذي هو معبود الكل والمعشوق الاول ، فعند ذلك ربما يرجى أن يفيض عليك من رحمته الخاصة لعباده الصالحين ، ويهديك الى صراطه المستقيم المنعم به عليهم - لا المنحرفين الضالين .

ولا يتيسر لك ذلك الا بمجاوزة الحد الادنى حتى تصل الى الحد الاعلى على الترتيب ، فأدنى شيء اليك نفسك ويدنك ، ثم الارض التي هي مقرك ثم الهواء اللطيف المطيف بل المكتنف بك ، ثم النبات والحيوان ومامعلى وجه الارض وملكتها ، ثم عجائب الجو من ملائكة السحاب وزواجر الرعد والمطر ومشيعي الثأج الذي يدها مشاقيل المياه ومكائيل الامطار - فتحتاج الى العلوم المتعلقة بها من علم النبات والحيوان وعلم كائنات الجو - ثم السموات السبع بكونها وأشكالها وأوضاعها وحر كاتها وأنظارها - فتحتاج الى علم الهيئة والنجوم وعلم السماء والعالم - ثم الكرسي والعرش المحافظان للزمان والمكان ، المحددان للجهات والابعاد والاحيان - فتحتاج الى كليات علم الطبيعى وسمع الكيان -- ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات - فتحتاج الى علم الشريعة الحقة ومعرفة عالم الملائكة والجبروت ، وهو علم المبادي والغايات وعلم المفارقات .

ثم منه تجاوز النظر الى رب العرش والكرسي والسموات والارض ورب

الملائكة والروح، فتحتاج الى علم التوحيد الذي سلكه جميع الانبياء من لدن آدم الى الخاتم عليه وعليهم السلام، واليه الغرض فيبعثة نبينا صلى الله عليه وآله ، هذه سبيله وسبيل من اتبعه الى يوم القيمة لقوله تعالى :\*(قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)\* [١٢/١٠٨].

\* \* \*

فَبِيْنَكَ أَيْهَا الْغَافِلُ وَبَيْنَ مَا خَلَقْتَ لِأَجْلِهِ هَذِهِ الْمَفَازُ الْعَظِيمَةُ وَالْأُوْدِيَّةُ الشَّاهِقَةُ  
وَالْعَقِبَاتُ الشَّاهِقَةُ، وَأَنْتَ لَمْ تَفْرُغْ مِنْ أَدْنَى الْعَقِبَاتِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ نَفْسِكَ، ثُمَّ تَدْعُ  
بِوْقَاحِتِكَ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ وَتَقُولُ: عَرَفْتَهُ وَعَرَفْتَ قَدْرَتَهُ وَخَلْقَهُ— فَقَبِيلًاً مَا تَفْكِرُ؟ وَالِّي  
مَاذا تَطْلَعُ؟ .

وهذه غاية الفصور و نهاية الغرور ، فارفع - قبل أن يستعكم فيك هذا الجهل المر كتب ويترسخ هذا الغرور المعجب - رأسك الى السماء وانظر فيها نظر اولى العلم والدرایة والحكمة - لانظر اليها من الى الدولاب والدعامة - وفي كواكبها وفي دورانها على الدوام ودؤبها على الاستمرار في طاعة الله الملك العلام من غير فتور في حركاتها، ومن غير تقصير في سعيها وسيرها لا تغيير في نسقها وسنتها ، بل يجري جمیعاً في منازل مرتبة بحسب مقدار لا يزيد ولا ينقص ، الى أن يطويها الله طي السجل لكتاب .

ثم انظر كيفية أشكالها، وبعضها على صورة المحمل والثور ، وبعضها على صورة الأسد والعقرب، وبعضها على صورة البشر من الرامي والتؤمنين ، وما من صورة في الأرض الا ولها مثال في السماء .

ثم انظر الى عظمة مقدارها وقوتها قواها وشدة أنوارها وكثرة آثارها وقد اتفق الناظرون في علم الهيئة على ان الشمس مأة ونصف وستون أمثال الارض وفي الاخبار ما يدل على عظمة الكواكب التي نراها، أصغرها هي مثل الارض

ثمان مرات، وакبرها تنتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وفي الاخبار: «ان ما بين كل سماء وسماء مسيرة خمس مائة عام» (١) .

وانظر كيف عبر جبرئيل عليه السلام عن سرعة حركة الكواكب اذ قال النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم: هل زالت الشمس؟ فقال: لا، نعم. فقال: كيف تقول: لا، نعم؟ فقال: من حبني قلت: «لا» الى أن قلت: «نعم» سارت الشمس مسيرة خمس مائة عام (٢) .

فانظر الى عظم شخصها ثم خفة سيرها وسرعة طاعتها، ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم، كيف أثبت صورتها مع اتساع أكتافها في مرآة احدى حدائقك مع صغرها، حتى تجاس في الارض وتفتح عينيك، بل أحدهما نحو السماء فترى جميعها، بل انظر الى بارتها ومشيتها كيف أبدعها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتدلى بها بل استحفظها بعينه التي لاتنام .

وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه، والعجب منك انك تطيل النظر الى بيت فيه تصاوير وزخرفات، ثم لا تلتفت بقلبك الى هذا البيت العظيم والى أرضه وسقفه وعجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه وتصاويره فما هذا البيت دون الذي شغفت به، ومع هذا لا تنظر اليه نظر الشوق والمحبة، ليس لذلك سبب الا انه بيت ربك، وهو الذي انفرد ببنائه وتزيينه وأنت معرض عن الاله، ناس الاله ، لأنك من نسيت نفسك فأنساك الله ربك لان معرفة النفس يستلزم معرفة الرب، ونسيانها نسيانه .

ولهذه الملازمة الواقعـة بين المعرفتين والنسيـانـين قال الله تعالى: \* (نسوا

١ - الترمذى : كتاب صفة الجنة الباب ٨ : ٦٧٩ / ٤ وكتاب صفة جهنم الباب ٦ : ٧٠٩ / ٤ ( ما بين السماء والارض مسيرة خمس مائة سنة ) .

٢ - قال العراقي ( ذيل احياء علوم الدين ٤ / ٤٤٦ ) : لم أجـد له اصلا .

الله فأنساهم أنفسهم) \* [١٩/٥٩] وقال نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : (١) «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فاشتغلت بيطنك وفرجك، ليس لك هم الاشهوتك أو حشمتك، فأنت غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم عمار بيته المعمور وسكان سماواته ، ولا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتها ومن صنع الصانع فيه، ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك.

والفرق بينكمَا أنه ليس للنملة طريق الى هذه المعارف، وليس مكلّفة باداء شكر هذه النعم الجليلة، وأما أنت فلك استعداد واقتدار على أن تجول في عالم الملائكة فتعرف عجائبها، شاكراً لنعم الله التي أعطاكمَا، عارفاً بالله حامداً له حق معرفته وحمده بحسب ما أمكنك وتيسر منك ، لا على ما هو حقه بحسبه لأن ذلك شيء عجز عنه الواصفون واعترف بالصور الملائكة والأنبياء والمرسلون سبحانه رب العزة عما يصفون.

## وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون [٤١]

«الذرية» كما اطلق على الاولاد اطلق على الاباء، لانها مأخوذة من «ذرء الله» أي: خلقها، فيسمى الاولاد ذرية لانهم خلقوا من الاباء، وسمي الاباء ذرية لان الاولاد خلقوا منهم، والمراد هيئنا الاباء ان كانت «الفلك» يعني به سفيينة نوح عليه السلام لا المطلق، وانما سميت بها لانها تدور في الماء كما تدور «الفلكة» في المغزل، ويدور الفلك بالنجوم ، اي من جملة الآيات العظيمة للناس الدالة على قدرة الله وحكمته وعنایته لهم، أنه حمل آبائهم واجدادهم

الذين هؤلاء من نسلهم في الفلك المشحون - يعني سفينة نوح - المملوة من الناس والدواب والوحش والطير وسائر ما يحتاج إليه من فيها ، فسلموا من الغرق ، فانتشر منهم بشر كثير .

\* \* \*

قيل : ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام : « لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها » فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب ، فأخذ كفاف من ذلك التراب فقال : « أتدرون من هذا ؟ » قالوا : « الله ورسوله أعلم » فقال : « هذا كعب بن حام » .

قال : ( ١ ) فضرب الكثيب بعصاه فقال : « قم بأذن الله » فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام : « أهلكت ؟ » قال : « لا مت وأنا شاب ، ولكنني ظنت أنها الساعة فمن ثم شببت » .

قال : « حدثنا عن سفينة نوح » قال : « كان طولها ألف ذراع وعرضها ستة ذراع ، وكانت ثلاثة طبقات ، طبقة للدواب والوحش ، وطبقة للانسان وطبقة للطير » ثم قال : « عذرًا ذي الله كما كنت » فعاد تراباً .

وقيل : « الذرية » بمعنى النسل كما هو الاصل ، ومعنى حمل الله ذريّاتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين ، وهم في أصلابهم هم وذريّاتهم ، وإنما ذريّاتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجب من قدرته في حمل أعقابهم إلى يوم القيمة في سفينة نوح .

وقيل : اسم الذرية تقع على النساء لأنهن مزروعها ، وفي الحديث : « انهن عن قتل الدرارى » ( ٢ ) يعني النساء ، وقيل : الذرية هم النساء والصبيان .

١ - اي : فقال الرواى .

٢ - ابن ماجة : كتاب الجهاد . باب الغارة والبيات و ٠٠٠ : ٢ / ٩٤٨ .

«والفلك» هي السفن الجارية في البحار، وخص الذرية بالحمل في الفلك لضعفهم وعدم قوتهم كالرجال على المشي في السفر، فسخر الله لهم السفن المحمل في البحر، والابل المر كوب في البر فعلى هذا يكون معنى قوله :

وخلقنا لهم من مثله ما يركبون [٤٢]

وخلقنا لهم ، من مثل الفلك مطلقاً ما يركبون من الابل التي هي سفائن البر وعلى الوجه الاول معناه وخلقنا لهم من مثل ذلك الفلك المشحون وصورته من السفن والزوارق التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام ما يركبون فيها كما ركب فيه .

\* \* \*

انظر كيف روحيت المناسبة المفظية والمعنوية أولاً بين لفظي «الفلك» و «الفلك» في الآيتين القرinetين .

أما المناسبة المفظية فهو ظاهر ، أما المناسبة المعنوية فمنها ما نقلناه أولاً في تفسير الفلك – بفتحتين – ومنها ما ذكرناه ثانيةً في تفسير الفلك – بالضم -- . ومنها انه لا بد لحركة كل منها بل لحركة كل من الثلاثة من محرك نفسي ذي ادراك ونطق ، أما في الاخيرين فظاهر مشهور للعامة ، وأما في الفلك بمعنى السماء فهو ايضاً مبين مكتشوف للخاصة .

ومنها انه لا بد لحركة كل منها الى محرك ملاصق هي طبيعة او صورة ، فيحتاج كل منها الى المحركين المباشرين للتحريلك : أحدهما المحرك المدبر المفارق -- من نفس فلكي او انساني -- وثانيهما المحرك المباشر من طبيعة طائعة مجبورة او كارهة مقسورة .

و منها أنها تحتاج فوق المحركين المذكورين إلى محرك آخر مبائن مفارق، هو من رياح رحمة الله وبوارق ألطافه الخاصة والعامة العقلية والحسية فإن النفوس الفلكية كما برهن في الحكمة لاتحرك الأفلاك حركة دائمة بإمداد العقول القادسة التي هي بوارق اطف الله وجهات جوده ورحمته بتجدد اشرافاتها وتوارد رياح رحماتها كما في قوله: \* (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمئناً وينشيء السحاب الثقال) \* [١٣/١٢].

وكذا النفوس الإنسانية التي هي عمال السفائن لا تنفع دقائق حيلها وتدابيرها في جري السفن من دون هبوب الرياح من رحمة الله الممالك لجهات حر كاتها كما قال : \* (هو الذي ارسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) \* [٧/٥٧] وكذا الحال في «فلكة المغزل» فاعرفه .

ثم انظر كيف تحققت المشابهة ثانياً بين «الفلك المشحون» و«ما يركبون» اي: مراكب البحار، ومراكب البراري في الشكل والهيئه، ثم الخلقة والطبيعة ثم القوائم والأعمدة ، ثم الجرى والحركة ، ثم الالات من الطناب و الحبال والاعصاب وغير ذلك مما يحتاج بيانه الى التفصيل ، ويؤدى ذكره الى التطويل فاقض العجب حامداً لله مثنينا عليه في خلقه تعالى هذه المخلوقات العجيبة العظيمة المنافع ، ثم في اخباره تعالى عنها وعن منافعها بأو جز عبارة و أنور اشارة.

## تلویح تأویلی

واعلم أصلحك الله ان مثلك في هذه الدار وبحر الهيولى المواجه بما فيها من الصور والآثار مثل السفينة في البحر، المحكمة الة، المتقنة الاداة خلق الله

بحكمته وسخرها لك بعذابه وأجرها برياح عناءه، فانها لا يتهيأ لها السير الا بهبوب الرياح المحركة ايها الى الجهات، فإذا سكنت الرياح وقف السفينة عن ذلك الجري ، ولا ينفع شئ من آلاتها الاذهب الرياح، كذلك جسد الانسان اذا فارقته النفس وانقطعت عنه الافاضة لainته الله تلك الحركة ولم يعد من الله ولاذهب من اعضائه شئ الاذهب الرياح وانقطاع الفيض عنه فقط .

ومعلوم بالبرهان أن الرياح ليس من جوهر السفينة ولا السفينة حاملة لها ، بل هي محركة لها ، ولا يقدر السفينة ومن عليها على استرجاع الرياح بعد ذهابها بحيلة يعملونها او صنعة يصنعونها ، كذلك الروح الذي من أمر ربها ليس من جوهر الجسم ولا الجسم حامل للروح ، ولا يقدر أحد من العالم على استرجاع النفس اذا فارقت .

فإذا تحقق ذلك وثبت أن جسمك كسفينة معدة لهبوب الرياح بها وورودها عليها علم ان هلاك السفينة اذا هلكت من أحد الحالين :

اما بفساد جرمها وانحلال تركيبها فيدخلها الماء ، ويكون ذلك سبباً لغرقها وهلاك من فيها ان غفلوا عنها ولم يتداركوا بالاصلاح لها او التفقد لحالها كهلاك البدن من غلبة أحد العناصر ودخول الرطوبة المعنفة في البدن من بحر الهيولي من تهاون صاحبه به وغفلته عنه ، فلاتبقى الروح معه اذا فسد مزاجه وتعطل نظامه وتعوّجت نسبة وضفت آلتنه ، كما لا تبقى الرياح للسفينة ، والرياح موجودة في هبوبها غير معدومة ، كما أن الروح باقية ببقاء علتها في انعقاد معادها .

واما القسم الثاني فهو أن يكون هلاك السفينة بقوة الريح العاصفة المهابة الواردة منها على السفينة ما ليس في وسع آلتها حمله ولا القدرة عليه ، فيضعف الة ويكسر السفينة ، فان كان من فيها عارفين بعلم السباحة اطمأنوا نفوسهم ورضوا بقضاء الله فيهم وعظ بعضهم بعضاً ، فنجوا عند ذلك من الهلاك في

. البحر .

كذلك حال الحكماء العارفين بأحوال المبدء والمعاد، والكاملين في العلم والعمل الناجين من غرق بحر الهيولى، العالمين بعلم السباحة، بل الطيران في جو عالم القدس بجناحي المعرفة والتقوى .

\* \* \*

فإذا علمت هذا فنقول لك: «الذرية» في قوله تعالى: «وآية لهم انا حملنا ذريتهم» اشارة الى الروح الانسانية، و«الفلق المشحون» اشارة الى البدن المخلوق كالسفينة لاجل استكمال النفس واخلاصها من هذه الدار ومنزل الاشرار لكونها في أول الفطرة امراً ضعيفاً شبيهاً بالعدم ، وعقلها هيلاناً يكون كمالاته بالقوة فيحتاج كالطفل الى ما يكون له بمنزلة المهد .

فكونه «مشحوناً» اشارة الى كون البدن مملوءاً بالقوى المدركة والمخركة التي هي بمنزلة سكان السفينة وعمالها، ولكل منهم عمل خاص وآلية مخصوصة لجريان السفينة .

وقوله: «وخلقناهم من مثله ما يرکبون» اشارة الى البدن المثالي البرزخي الذي يتعلّق به النفس وتركب عليه مادامت تكون في عالم البرزخ عند القبر قبلبعث كما ذهب اليه الاقدمون من الحكماء ومال اليه كثير من الاسلاميين ودل عليه الكتاب والسنة، وأيده الامارات والشهاد ، كانذارات النبوة والرؤيا الصالحة في حكايات الموتى وغيرهما مما يؤدى بيانه الى التطویل ، وموعد ذكره مقام أليق من هذا في التنزيل .

## تنبيه عرفاً

هذه الدنيا الفانية المهلكة الدائرة الملهية ، هي بعينها طريق الى الآخرة

في حق من عرفها وعرف درجات العبد الى الله سبحانه اذ يعرف بنور البصيرة انها منزل من منازل المسائرين الى الله وهي كجزيرة في البحر اعد فيها المعلم والزاد وأسباب السفر الى المقصود، فمن تزود منها لآخرته واقتصر منها على قدر الضرورة فقد ربحت تجارته وفاز بنعيم الآخرة ومن عرج عليها واستغفل بذلك هلك وخسر خساراً مبيناً .

ومثال ذلك الخلق فيها كمثل قوم ركبوها في سفينة فانهت السفينة بهم الى جزيرة ، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة ، وختوفهم المقام واستعجال السفينة، فتفرقو فيها، فبادر بعضهم وقضى حاجته ورجع الى السفينة فوجد مكاناً خالياً واسعاً .

ووقف بعضهم ينظر في أزهار الجزيرة وأنوارها وطرائف أحجارها وأصنافها وعجائب غياضها ونغمات طيورها ، فرجع الى السفينة فلم يجد الا مكاناً ضيقاً .

وأكبّ بعضهم على تلك الاصداف والاحجار وأعجبه حسنها، فلم يسمح نفسه الا بأن يستصحب شيئاً منها، فلم يجد في السفينة الا مكاناً ضيقاً وزادته الاحجار ثقلاً على ثقل وضيقاً على ضيق، فلم يقدر على رميها ولم يجد لها مكاناً فحملها على عنقه وهو ينوء تحت أعيائه .

ويولج بعضهم الغياض ونسى المركب واستغله بالفُرُج في تلك الازهار والتناول من تلك الشمار، وهو في تفرجه غير خال من خوف السباع والحدر من السقطات والظلمات، فلما رجع الى السفينة لم يصادفها فقي على الساحل فأفترسه السباع ومزقته الهوام .

فهذه صورة أهل الدنيا بالإضافة الى الدنيا، وأصنافهم بالنسبة الى العقبى فتأملها واستخرج وجه الموازنة ان كنت ذا بصيرة والمطابقة مع (بين - ن)

هذه الآية والآية الآتية من قوله :

وَانْ نَشأْ نَغْرِقُهُمْ فَلَا صَرِيخٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقذُونَ [٤٣]  
الْأَرْحَمَةُ مِنَا وَمِنَاعًا إِلَى حِينَ [٤٤]

ان نشاً نهلكهم في البحر اذا حملناهم في السفن، ونغرقهم بتهيج الرياح  
القهريه والامواج والاضطرابات من آثار الغضب الالهي للفجار والاشرار ،  
الذين لا صلاح لوجودهم في هذه الدار .

«فلا صریخ لهم» اي لا مغيث لهم ، او لا اغاثة لهم ، كما يقال «أتاهم  
الصریخ» .

«ولاهم ينقذون» اي لا ينجون من الموت و الهلاك «الا رحمة منا» بأن  
نخلصهم في الحال من الاهوال و الغرق والموت الى وقت الاجال وموعد  
الانفصال والاتصال ، ونمتعمهم قليلا ثم نضطرهم الى النار ان كانوا من الفسقة و  
الفجّار ، لما في وجودهم مدة في الدنيا مصلحة لغيرهم في عمارة هذه الدار  
او نمتعهم متعاعاً حسناً الى حين الاجل لاستكمالهم مدة في العلم و العمل و  
صرفهم نعم الله ، فيهم في العبادة والطاعة برهة من الزمان شكرأً لله عزوجل ، لا  
في هواء النفس وشهواتها مع الحرص وطول الامل . وقرىء الحسن نغرقهم .

## حكمة قرآنية تتجلى بها عنانية رحمانية

اعلم ان الحكماء والمتكلمون اختلفوا في حكمة تعلق النفس بهذا  
اليدن المركب من العناصر المختلفة ، وركوبها في هذه السفينه الجارية في

بحر الطبيعة بأمر الله مدة من الزمان بمقتضى المشيّة وتشعّبوا القول فيها، و  
ما بلغ اليـنا من أكابر العلماء، واطـلـعوا بـمـطـالـعـة زـبـرـ الـقـدـمـاءـ منـ الـحـكـمـاءـ، وـ  
أـلـهـمـنـاـ اللـهـ بـحـسـبـ مـتـابـعـتـنـاـ طـرـيـقـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـأـوـلـيـاءـ هـوـ انـ لـكـلـ نـفـسـ مـنـ النـفـوسـ  
مـرـتـبـةـ مـنـ الـفـعـلـيـةـ وـالـكـمـالـ فـيـ الـوـجـودـ وـنـصـيـبـهـاـ الـلـائـقـ بـحـالـهـاـ مـنـ خـزـائـنـ الرـحـمةـ  
وـالـجـوـدـ، وـلـاـ يـمـكـنـ الـزـيـادـةـ عـلـيـهـ حـسـبـ ماـ جـبـلـ عـلـيـهـ وـفـطـرـ بـحـسـبـ هـوـيـتـهـاـ  
الـشـخـصـيـةـ مـنـ جـهـةـ الـفـاطـرـ الـوـدـودـ، وـهـوـ لـسـانـ عـبـادـتـهـاـ وـتـسـبـيـحـهـاـ الـحـقـ  
الـمـعـيـودـ.

وـسـبـبـ تـعـلـقـهـاـ بـالـبـدـنـ اـسـتـخـرـاجـ مـاـ فـيـ مـكـمـنـ ذـاـتـهـ وـمـخـزـنـ هـوـيـتـهـاـ مـنـ الـقـوـةـ  
إـلـىـ الـفـعـلـ وـالـتـحـصـيلـ، وـاسـتـكـمالـ جـوـهـرـهـاـ بـالـكـمـالـ الـلـائـقـ بـحـالـهـاـ مـنـ تـكـرارـ  
الـأـفـاعـيـلـ، وـهـذـهـ الـمـرـتـبـةـ مـنـ الـكـمـالـ الـاـضـافـيـ الـوـجـودـيـ الـمـخـتـصـ بـوـاـحـدـ وـاـحـدـ  
مـنـ أـفـرـادـ الـنـفـوسـ غـيـرـ مـاـ يـمـكـنـ حـصـولـهـ لـطـبـيـعـةـ هـذـاـ النـوـعـ الـأـنـسـانـيـ الـذـيـ هوـ  
الـغـاـيـةـ الـقـصـوـيـ فـيـ الـكـمـالـ، وـلـطـبـقـةـ خـاصـةـ مـنـ أـفـاضـلـ أـفـرـادـ الـمـقـرـبـينـ مـنـ الـحـقـ  
الـمـتـعـالـ، وـلـاـ يـنـافـيـ إـيـضـاـ مـاـذـ كـرـنـاـ شـقاـوـةـ أـكـثـرـ النـاسـ مـنـ الـكـفـارـ وـالـجـهـاـلـ وـ  
أـصـحـاحـ الشـمـالـ، وـحـرـمـاـنـهـمـ وـطـرـدـهـمـ وـبـعـدـهـمـ مـنـ رـحـمـةـ اللـهـ الـمـخـتـصـ بـحـالـ  
الـكـامـلـيـنـ فـيـ الـمـعـرـفـةـ وـالـمـحـالـ، الـمـقـرـبـينـ وـالـسـعـدـاءـ الـمـرـتـفـعـيـنـ عـنـ مـهـابـطـ  
الـأـرـذـالـ.

وـلـمـ سـبـقـ وـثـبـتـ فـيـ صـدـرـ هـذـهـ الـآـيـةـ انـ «ـالـذـرـيـةـ»ـ اـشـارـةـ إـلـىـ الـأـرـوـاحـ  
الـأـنـسـانـيـ، وـ«ـالـفـلـكـ الـمـشـحـونـ»ـ إـلـىـ الـبـدـنـ الـمـمـلـوـ مـنـ الـقـوـيـ وـالـمـشـاعـرـ الـحـسـيـةـ  
وـقـوـلـهـ: «ـوـخـلـقـنـاـ لـهـمـ مـنـ مـثـلـهـ مـاـ يـرـكـبـونـ»ـ اـشـارـةـ إـلـىـ الـبـدـنـ الـأـخـرـوـيـ الـبـرـزـخـيـ  
الـمـثـالـيـ، فـنـقـولـ:

انـ الـنـفـوسـ الـمـتـعـلـقـةـ بـهـذـهـ الـأـبـدـانـ الـعـنـصـرـيـ، الـرـاكـبـةـ عـلـىـ السـفـنـ الـجـارـيـةـ  
فيـ بـحـرـ عـالـمـ الـطـبـيـعـةـ مـنـقـسـمـةـ إـلـىـ أـقـسـامـ ثـلـاثـةـ:

المغرقون في بحر اللذات، المحترقون بنار الشهوات ، فلا صريخ لهم من ابناء عالم القدس وسكان الجبروت ولاهم ينقذون من قيود العالم الادنى و منزل الابالسة والشياطين ، المزدودين الى أسفل الساقفين ، يحطمهم نيران جهنم الاخرة التي قيل لها: هل امتلات؟ فتقول هل من مزيد؟ ويعذبهم الله العذاب الاكبر بما لديهم من موزيات الاخلاق الرديئة ومؤلمات الملوك المردية . ومنهم المرحومون لسلامة فطرتهم وقصور معاصيهم وضعف علائقهم الجسمانية ، فهم من أهل الرحمة والشفاعة ، سواء صفت نفوسهم عن الاخلاق الرديئة والامراض الفسانية ، او كانوا من خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، و ذلك لضعف عوائضهم ، وقلة علائقهم ، فنجوا عن العذاب المهيمن بشفاعة الشافعين .

ومنهم المقربون من أهل الكمال العلمي ، فلهم المحظ الاولى والمنزلة العظمى سواء بقوا في الحساب مدة وتعوّقوا في بعض المنازل بسبب تقصيرهم في بعض الاعمال ، أو بشؤم اقترانهم بجنسسوء من القوى المتأبية عن طاعة الروح في حق الله المتعصبة في الافعال .

فقوله: «ان نشاً نغرقهم» اشارة الى القسم الاول يدل عليه مطابقة ، وهم مثل الهاكين في البحر من التجار ، والخاسرين في سعيهم وتجارتهم \* (فما ربّحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)\* وهو ايضاً اشارة الى القسم الثاني دال عليه التزاماً ، لأن رفع المركب من الشيئين قد يكون برفع أحد جزئيه ، فتحقق عند هذا قسم آخر ، وهو الذي لا صريح له من معلم او مرشد يتعلم منه طريق الهداية ويسلك به سبيل النجاة ، الا انه ينقد وينجو من الهلاك بمجرد سلامه ذاته عن الوزر والوبال لقلة الاحمال والاثقال ، وهو بازاء من ينجو من الغرق عند انكسار السفينة في البحر بيد صفر من رأس المال والربح فيحتاج

إلى صدقة الغير وشفاعة من يشفع له من أهل الارباح ويسعى لاجله ما يتقدّم به باطنه ويكسو به ظاهره .

وقوله «الا رحمة منا ومتاعاً الى حين» اشاره الى القسم الثالث من المقربين حيث أمهلهم الله في الدنيا لاجل استكمالهم بالعلم والعمل، وسلوكهم سبيل الحق و عالم القدس في سفيضة البدن ، حتى فازوا بنعيم الازل ووصلوا الى رضوان الله سبحانه و مشاهدة صفاته و آياته قبل انقضاء الاجل ، وهم بازاء الاباحين بتجارتهم في سفر البحر والواصلين سالمين غانمين الى منزلهم المعهود مع الاهل والولد، واجدين غاية سفرهم وسعفهم من المال الذي بذلوا فيه غاية المجهود .

**و اذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون [٤٥]**

و اذا قيل للمشركين و الفجار ، المنافقين المغتررين بعقولهم القاصرة و فطانتهم المبتررة : اتقوا ما بين ايديكم من أمر الآخرة، فاعملوا لها واحذرؤا عقوبتها و عذاب نيرانها وما خلفكم من أمر الدنيا، فأحدروها ولا تغتروا بظاهر زينتها ورونقها وتزويقها، وذلك كما في قوله تعالى : \* (أَفْلَم يرَوَا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) \* [٩/٣٤]

لعلكم ترحمون: اي لتكونوا على رجاء رحمة من الله ، لأن من خاصية الاتقاء استجلاب الرحمة الالهية .

وعن مجاهد: اتقوا مامضى من الذنب و ما يأتي من الذنب. أراد به: اتقوا عذاب الله بالتوبه للماضي والاجتناب للمستقبل وعن قنادة: اتقوا العذاب المنزلي على الامم الماضية وما خلفكم من عذاب الاخيرة.

وروى الحلبى عن أبي عبد الله عليه السلام (١)، قال: «معناه انقوا مابين أيديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة» وسيأتي لك لهذا الوجه زيادة تحقيق وتطبيق .

وأما جواب «إذا» فهو محدود، دل عليه قوله: «إلا كانوا عنها معرضين» تقدير الكلام: إذا قيل لهم اتقوا أعرضا عن التأمل في الحجج والبيانات وعن التفكّر في أمور الآخرة عن مأخذ العلوم اليقينيّة دون ظواهر النقول والحكايات.

## مكاشفة قلبية

اعلم ان المعلوم المكشوف عند أهل الله أن تكرار الافاعيل و الاعمال  
يوجب حدوث الاخلاق والملكات وهي مما سيظهر في النشأة الاخيرة بصورة  
تناسبها فما هو سبب ايلام الاشقياء في العقبى من الحيات والعقارب والنيران  
والحميم والزقوم فهو بعينه موجود في سر قلبه ومكتنون باطنه وان لم يشاهده  
هذه العين وهذه العواس لأنها تنحصر ادراكها بلحظة الظواهر في صورها  
الدنياوية، وأما ادراكها بحقائقها وصورها الباطنية فانما يختص بذلك مشاعر  
باطنية ومدارك اخرية .

فما ورد الامر باتّفائه في قوله: «ما بين أيديكم وما خلفكم» يرجع الى أمر واحد تارة يكون في الدنيا بتطور يناسب ظهوره في هذه النشأة من صورة شهية ملذة يتلذذ بها الحواس ويستيقظ له الوهم العيولي والتخييل البهيمي، وتارة يكون في الآخرة بتطور يناسب ظهوره فيها من صورة مؤلمة موحشة

## ١) مجمع البيان : في تفسير الآية: ٤٢٧/٨

مؤذية يتأنم بها نفوس الاشقياء، ويتوحش منها كل من المشتغلين بها هيئها، قائلًا عند كشف الغطاء ورفع الحجاب وحلول العذاب : «ياليت يبني ويبنك بعد المشرقين فيئس القوين».

فيما في الحقيقة ما يكون في الآخرة سبب أيام المعدبين ومنشأ عقوبة الفاسقين هو معهم هيئنا وفي اهابهم من العقائد الباطلة والنتيّات الفاسدة والأغراض النفسانية والدواعي الحيوانية من حب المال والجاه والكبر والفخر والحسد والرعونة والمكر والخيلاة والرياء وطلب الشهرة وميل الرياسة ، وغير ذلك من الأمور التي تدرج الجميع تحت حب الدنيا التي هو رأس كل خطيبة. وهو «التنين» الذي يتولد منه للمحب للدنيا، المعرض عن طلب الآخرة تسع وتسعون حيّة ، لكل حيّة تسعه وتسعون رأساً ينهشونه ويلحسونه وينفعون في جسمه إلى يوم القيمة، كما ورد في الحديث في باب عذاب الكافر في قبره (١) فهذا التنين متممكـن من صحيـم فـؤاد الـكافـار والـمنـافقـين ، يـنهـشـهـم ويلـحسـهـم لـكـن لاـيدـرـكـون ايـلـامـ لـدـغـهـ وـلـسـعـهـ واـيـحـاشـ هـيـئـتـهـ وـشـكـلـهـ لـسـكـرـ نـفـوسـهـ بـمـسـكـراتـ الدـنـيـاـ ، وـنـوـمـ غـفـلـتـهـ بـمـرـقـدـاتـ الـهـوـيـ ، واـشـتـغـالـهـ بـمـزـخـرـفـاتـ هـذـهـ الـادـنـىـ .

وأهل الآخرة لصحة معرفتهم وقوّة بصيرتهم يشاهدون أيام هذه المشتهيات ويتقون سمّيّة هذه الحيات، المكرونة تحت نقوشها المزخرفات، المستورّة عن ادراك المكثفين الى طلب المذلات، وتحصيل المألفات الحسيّات ، المعرضين عمّا أعد الله لعباده الصالحين من ادراك الحقائق المعقولات ، والمعارف الالهيات مما لا عين رأت ولا اذن سمعت.

## تعلیم فرقانی فیه سر رباني

هل تعلم ما النكتة في التعبير عن الصور الواقعه في الدنيا التي هي دار المتغيرات والمتتجددات ، ودار الزراعة والحراسة به «ما خلفكم» وفي التعبير عن امور الآخرة التي هي دار الباقيات الثابتات ، ودار الشمرة والجزاء به «ما بين أيديكم»؟

النكتة فيه أن نفس الانسان من جملة المكونات لها توجه طبيعي الى عالم الآخرة وعالم البقاء، فهي منذ خلقت مجبولة بحسب الفطرة على أن تسافر من منزل الى منزل وتتحطى من مرتبة الى مرتبة، ومن حالة الى حالة، ومن طور الى طور حتى تنتهي الى آخر منزل من منازل الدنيا وأول منزل من منازل الآخرة، ولكل انسان سواء كان من السعداء او الاشقياء درجة معينة في الآخرة ومقام معلوم من الجنة والنار يقف عنده - هو آخر سيره ومتنهى سفره - اذ السلوك منقطع هناك فالمنازل والدرجات هناك بحسب مراتب السير هيئنا كمالاً و نقصاً .

فإذا تقرر هذا فنقول: ما من منزل من المنازل الدنيوية ونشأة من النشأت الصورية الا وتجاوزه النقوس وتخطاه وتجعله خلف ظهرها ، وما من منزل من منازل الآخرة الا وتسقطبه نفس من النقوس و تجعله نصب عينها ، ويكون حاضراً بين يديها ، فكل نفس من النقوس البشرية لها جادة معلومة عند الله تسير فيها بحسب ما يسرّ الله لها فان كانت بحسب ما تقرر في القضاء السابق أنها من جملة الاشقياء، فهي أبداً تقوى في تجوهها وتشتد في صورة طينتها وتطور في أطوار شقاوتها ودرجات بعدها من رحمة ربها الى أن بلغت غاية أشدّها الباطني . وان كانت بحسب التقدير من السعداء فلا يزال تقوى روحها بالاغذية الروحانية العلمية والشربة العملية، فتترقى من طور الى طور في سعادتها و

سلك سبيلاً سيرها ودرجات قربها من الرحمان، إلى أن بلغت أشدتها العقلى ورشدتها المعنوی ، فإذا رفع الحجاب وكشف الغطاء كانت كل واحدة منها في مرتبتها التي بلغت إليها طرفة عين .

وأيما الغرض الأصلى من ارسال الرسل وانزال الكتب، الاعلام والتأكيد لاهل الهدایة، وزيادة التشویق والترغیب والانذار والترحیب لهم، وابلاغ الحجۃ على أهل الشقاوة والجحود، وزيادة الابعاد والطرد والحجاب فيهم، فان التعليم والارشاد لا يوجب لاهل النعمة الاغیتَ وضلالاً، كما أن الماء الصافى لا يزدلفي الجيفة الا تعفينا وافساداً ، كقوله تعالى : \* ( يصل به كثیراً و يهدى به كثیراً وما يصل به الا الفاسقين ) \* [ ٢٦ / ٢ ] و كقوله تعالى : \* ( ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حي عن بيّنة ) \* [ ٤٢ / ٨ ] .

\*       \*       \*

فقوله : «انقوا» خطاب المشركون او لجميع المكلفين، الا أن السامع لهذا الكلام والمطيع له من عرف نهاية حال الواغلين في الشهوات و وخامة عاقبة المتملذدين بهذه المزخرفات وأما الجهال والمنافقون فشأنهم الاعراض عن سماع هذه الآيات والاستهزاء بمن أتى بالحجج والبيانات ، كما دلت عليه هذه الآية وما يتلوها كنایة وتصريحاً .

وقوله : «ما بين أيديكم» اشاره الى الصورة المؤلمة التي تشاهدتها الاشقياء في القبر والقيامة، وعندبعث والمحشر ، وعند الصراط والسياق الى الجحيم .  
 وقوله : «وما خلفكم» اشاره الى الاعمال والافعال القبيحة المؤدية الى الملکات والاخلاق الرديئة في عالم القلب الانسانى ، المنكوس الى السفل ، المنتجة في عالم الآخرة الى الصورة المؤلمة الموحشة المعدبة من النيران و الجحيم وسلامتها وأغلالها وحريمها وزقومها وعقاربها وحيثاتها ووهданها .

قوله جل شأنه :

وَمَا تُؤْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمُ الَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ [٤٦]

إِنْ لَيْسْتَ تُؤْتِيهِمْ آيَةً - أَيّْهَا آيَةً كَانَتْ مِنْ آلَائِيَاتِ - إِلَّا اذْهَبُوا عَنْهَا وَأَعْرَضُوا  
عَنِ النَّظَرِ فِيهَا، بِمَعْنَى أَنَّهُ كَلِمَةً وَرَدَ عَلَيْهِمْ أَوْ الْقَوْلَ الَّذِي يَهْبِطُ عَلَى أَحْوَالِ الْمُبْدِئِ  
وَالْمُعَادِ مِنْ بِرْهَانِ عِلْمٍ أَوْ مَوْعِظَةً خَطَابِيَّةً أَعْرَضُوا عَنْهَا وَأَنْكَرُوا لَهَا، فَ«مِنْ»  
الْأُولَى إِلَّا سَتَغْرِيَ لَكُونَهَا وَقَعَتْ فِي النَّفَيِ وَ«مِنْ» الْثَّانِيَةُ لِلتَّبَعِيَّضِ ، وَذَلِكَ  
سَبِيلُ مِنْ ضَلَالٍ عَنِ الْهُدَىِ إِمَّا بِكَثْرَةِ حَمْقَةٍ وَاشْتِغَالِهِ بِمَشَاغِلِ هَذَا الْأَدْنَى ، وَإِمَّا  
بِاغْتَرَارِهِ بِفَطَانِتِهِ الْبَيْرَاءِ ، وَجَحْودِهِ بِمَا سَوَى مَا أَدْرَكَهُ بِبَصِيرَتِهِ الْعَمِشَاءِ ، إِمَّا  
تَلَقَّفَهُ مِنْ غَيْرِهِ تَقْليِيدًا وَتَعَصُّبًا .

## افتتاح كشفي

اعلم أن سبب اعراض المخلوق عن استسماع آيات الله وعن التفكير في أحوال  
الآخرة امور ثلاثة : أحدها شوائب الطبيعة و مزيناتها . وثانيها : وساوس العادة  
وملهياتها . وثالثها : نواميس الأمثلة و تخيلاتها .

أما الأولى : فكدواعي الطبيعة وشهواتها ، كشهوة البطن و الفرج و محنة  
الأهل والمال والولد ، وذلك قوله تعالى : \* ( زيتُ للناس حب الشهوات من النساء  
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسمومة والانعام والحرث  
ذلك متاع الحياة الدنيا ) \* [ ١٤/٣ ] .

وأما الثانية : كدواعي النفس الحيوانية ، وهي أللذات الشهوية و  
أجل رتبة من أغراضها ومقاصدها ، وهي لذة الجاه و العلو في عالم الأرض و

الرياسة على سائر الأقران، فرب أنسان سهل عليه ترك لذة الأكل و المباشرة وجمع المال واليسار، الا أنه لا يمكنه ترك العلو والأفتخار، وهو آخر درجات الدنيا الذي لا يمكن الوصول الى نعيم الآخرة الا بالتجاوز عنه ، كما قال سبحانه : \* (تلك الدار الآخرة يجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ) \* [٢٨/٨٣].

وأما الثالثة : فكتسويلات النفس الامارة بالسوء وتزيينها الاعمال الغير الصالحة وترويجهما الكواسد وتحسينهما القبائح وابرازها الباطل في صورة الحق بسبب تخيلات فاسدة وتوهمات باطلة توجب اعجاب المرء بنفسه ، منشأها خبائث الباطن ودنائة الهمة وشيطنة الوهم ، كما في قوله تعالى : \* (قل هل نبشركم بالاخرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) \* [١٨/١٠٣].

وخصوصاً ما يكون منشأها هذه العلوم الرسمية والفنون المشهورة ، وهي أغفلتها حجاجاً ، وأعسرها دفعاً و أكثرها فساداً ، وأقواها اعجاضاً للمرء بنفسه و اغتراراً بحاله ، فهي ما يقع لاكثر المتتشبهين بالعلماء الحقيقة من اغترارهم بظنونهم الفاسدة وأفكارهم الكاسدة ، وما سمعوا من ظواهر أحكام الشريعة و تلقفوها من غير بصيرة ولا دراية ، وضموها اليها دعاوي باطلة ومقاصد شيطانية ولمقلديهم المشغوفين بما عندهم من سمع الحكايات والامثال الواردة ، و اجابتهم دعوة المضللين البطّالين ، الفارغى الهمم عن مقاصد الدين ، و متابعتهم استهواه الشياطين من الجن والانس ، والاغترار بخدعهم وتلبيساتهم المضللة المهلكة وهم الذين حكى الله عنهم وعن تحسرهم وندامتهم في العاقبة بقوله : \* (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس يجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلتين) \* [٤١/٢٩].

فهذه الامور الثلاثة هي مجتمع أسباب الغواية وأبواب مهالك الخلق ،  
الباعثة لهم على الاعراض عن تدبر الآيات ، لقوله : \* (وكاين من آية في  
السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون) \* [١٢ / ١٥] وهي المشار  
اليها في الحديث النبوي صلى الله عليه وآله (١) : « ثلاثة مهلكات : شح مطاع  
وهو متبع ، واعجاب المرء بنفسه » .

الا أن أعظم هذه الافتات الحاجبة عن مكافحة أسرار الدين ومشاهدة أنوار  
الحق واليقين ، الموجبة لاعراض الناس عن سماع الآيات والحكم واستئناسهم  
بالدنيا ونسيانهم أمر المعاد هو حسابانهم أهل الظاهر وعلماء الدنيا - الراغبين  
في طلب اللذات الباطلة العاجلة - هداة الخلق ورؤساء المذهب وأهل الاجتهاد  
في طلب الآخرة والمعاد ، وهو أعظم فتنة في الدين وأشد حجاب في سبيل  
المؤمنين ، لأن هؤلاء قطاع طريق الحقيقة واليقين ، وهل هذا الا مثل أن يظن  
بالجاهل المريض طبيباً حاذقاً ، ويجعل السارق المفلس أميناً \* (يعلمون ظاهراً  
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) \* [٣٠ / ٧] فلم يزدك متابعتهم  
والاقتداء بهم الا الغواية والضلالة والتردي في مزابل الجهنّم \* (وان تطبع  
أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا لظن وانهم لا يخرصون) \*

[٦ / ١١٦] .

## انذار قرآنی

ثم ان نتيجة الاعراض عن سماع الآيات ونسيانها وانكار المعارف الموضحة  
هي الظلمة في القلب والضيق في الصدر والوحشة في الطبع والمعيشة الضنك

في الآخرة والعمي والحرمان في الحشر، وذلك لأن قوام النشأة الآخرة للإنسان وبقاء حقيقته وروحه بالأغذية العلمية العرفانية والأدوية اليمانية اليقينية ، فمن لا معرفة له لا حيوة له في الآخرة، إذ الآخرة دار الحياة العلمية ، لقوله تعالى :  
\*(ان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)\* [٢٩/٦٤] .

فبقدر نور المعرفة واليقين وتذكر أحوال المبدء والمعاد يزداد قوة حيوة الإنسان في الآخرة، لقوله تعالى :\*(يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم)\* [٥٧/١٢] ومن لأنور له لا عيش له في الآخرة لقوله تعالى :\*(ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكًا)\* [٢٠/١٢٤] ومن لم يتذكر آيات الله أصلا ولم يتذمر في أسرار الآخرة يكون يوم الآخرة أعمى لقوله تعالى :\*(ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)\* [١٧/٧٢] ولقوله تعالى :\*(ونحشره يوم القيمة أعمى \* قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا \* قال كذلك آتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسي)\* [٢٠/١٢٦] .

وأي شقاوة أشد على الإنسان من أن يكون منسيّاً، والنسيان من قبله يوجب العدم والهلاك ، لأن صدور كل شيء منه إنما يكون بعلمه ، بل الصدور منه عين المعلومة والمذكورية عنده ، كما أوضحه الحكماء في أنظارهم العلمية فافهم.

قوله جل شأنه :

و اذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين [٤٧]

اذا قيل للمشتغلين بالجمع والادخار ، الناسين للآخرة والرجوع الى الواحد القهار – لأنهما كفهم في طلب المذرات واقتناء الشهوات ، واستغراقهم

في أبحر الشواغل الماديات ، ورقودهم في مراقد الجهالات - : انفقوا شيئاً مما رزقكم الله في طاعته واخرجوها ما اوجب عليكم اخراجه من أموالكم، احتج الذين كفروا وستروا أنوار الحق بظلمات صفاتهم الرديمة وأفعالهم القبيحة للذين آمنوا وشهدوا آيات معرفة الله بنور بصيرتهم في منع حقوق الله وانكار فائضه وابطال حكمه بأن قالوا : «كيف نطعم من يقدر الله على اطعامه ، ولو شاء اطعامه أطعمه ؟ فإذا لم يطعم دل على أنه لم يشاً ». .

وهذه شبهة واهية ومغلوطة داحضة احتاج بها طائفه من أهل الاباحه والضلال  
وانحبسـل بممثل هذه الحبـال كثير من العوام والجهـال ، وهـى او هـن من بـيت  
العنكبوت ونظير هذا القول قول من قال : « ان الله غـنى عن عـبادـتنا وغـنى عن  
أن يستقرضـنـا ، فـأـيـ معـنى لـقولـه تـعـالـى : \* (من ذـا الذـى يـقـرـضـ الله قـرـضاـ  
حـسـنـاـ) \* [٢٤٥/٢] وـغـنى عنـ المعـاملـة معـنا ، فـمـا وـجـهـ قـولـه : \* (انـالـلهـاـشـتـرىـ  
مـنـ المؤـمـنـينـ أـنـفـسـهـمـ وـأـمـوـالـهـمـ بـأـنـ لـهـمـ الـجـنـةـ) \* [٩/١١١] ولو شـاءـ اـطـعـامـ  
الـمسـاكـينـ لـاطـعـمـ وـلـاـ حـاجـةـ لـنـاـ إـلـىـ صـرـفـ أـمـوـالـنـاـ لـهـمـ » .

فانظر كيف كانوا صادقين في دعواهم ، وكيف هلكوا بصدقهم كأكثـر  
المتكلمين في مجالس العوام والحكام ، الممارـين مع أهـل الحق في مسائل  
الحلال والحرام بتمهـيد بعض المقدمـات المقبـولة من النقلـيات ، طلـباً للشبهـات  
واحـلاـلا للمـحرـمات ، فسبـحان من اذا شـاء اهـلـكـ بالـصـدقـ ، وادـا شـاء اسـعـدـ بالـجـهلـ .  
\*(يـصلـ بهـ كـثـيرـاً وـ يـهدـى بهـ كـثـيرـاً)\*

وأما افساد حجتهم وحسم مادة شبهتم فبأنه يجب أن يعلم كل أحد ان الصفات والأخلاق مواريث الافعال والمعاملات ، وأن الاعمال علاج لمرض القلوب ودواء لما في الصدور، والأمراض الباطنية حاجبة عن وصول العبد إلى سعادة

الابد ، وهى مما لا شعور بها لاكثر الخلق الا من ألهمه الله من الانبياء والولياة ولكل مرض من امراض القلوب دواء مخصوص ، وله قدر معلوم عند الله ، والطبيب اذا أثنى على الدواء لم يدل ذلك على أن الدواء مراد لعيته وعلى ان له فضيلة في نفسه ، بل المطلوب الاصلي هو الشفاء اللازم من تناول الدواء .

فهؤلاء الجهلة الناقصون لما ظنوا انهم استخدمو لاجل المساكين او لاجل الله ، ثم قالوا : « لا حظ » لنا في المساكين ولا حظ لله فيما وفي اموالنا وسعينا وجهادنا مع الاعداء ، أتفقنا او أمسكنا ، بارزنا أم قعدنا » فقد هلكوا بهذه البضاعة من العقل والتمييز ، وتمردوا عن طاعة الشريعة بهذه المرتبة الضعيفة من الفطانة ، فضلوا عن السبيل وانحرطوا في سلك الحمقى الاضليل ، ولم يعلموا أن المسكين الاخذ لما لك من المال – وهو المهلك لك في المال – يزيدك منك بواسطته مرض البخل المهلك ، ويستخرج من قلبك حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة ، وحب الدينار الذي اسْـ كـل فاحشة ، كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك ، فالحجام خادم لك جالب نفع اليك ، لأنك تخدمه وتجلب نفعاً اليه ، ولا يخرج الحجام من كونه خادماً بأن يكون له غرض في أن يصبح شيئاً بالدم .

فهكذا الصدقات وانفاق المساكين بالمال والطعام مطهرة للبواطن ومزكية للقلوب عن خبائث الملوك وأمراض الصفات المهنئات ، ولهذه الدقيقة امتنع رسول الله صلى الله عليه وآله من أخذها وانتهى عن تناولها ، كما نهى عن كسب الحجام ، وسمى الصدقة « وسخ أبدان (اموال - ن) الناس » (١) ، وشرف أهل بيته عليهم السلام بالصيانة عنها .



فإذا ثبت عندك ان الاعمال مؤثرات في القلب ، والقلب بحسب تأثيرها يستعد لقبول الهدایة ويستنير بنور المعرفة ، فإذا انكشف لديك هذا القول الكلي والقانون الاصلي الساري حكمه في جميع الاوامر والتواهي الشرعية وسائر التكاليف الدينية فاعلم ان الجواب عن قول الكفار : « لو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم» أن التكاليف من الله شيء غير المشية ، وتکلیف الله عباده بشيء من الطاعات يضاهي اعلام الطبيب للمريض دواء خاصاً يجب استغفاراً لمواده الفاسدة كالحجامة وغيرها مع استغنائه عن ذلك ، فكذلك الباري يكلف عباده مع كونه غنيّاً عن العالمين .

ثم ان نفس التكاليف بتناول الدواء من الطبيب لا ينافي علمه بعدم تناول المريض له ، فكذا تكليفه تعالى لا ينافي تحقق علمه الازلي وقضاءاته السابق ب عدم قبول بعض العباد تكليفه لما في ذلك من المصلحة الكلية والفائدة .

فان رجعوا وقالوا : «فما الفائدة في التكاليف في حق من لا يقبل ذلك من الكفار و الفساق ، حيث لم يتعلق المشية الازلية بقولهم ، بل تعلقت بعدم قبولهم» ؟

قلنا : فائدته يرجع الى من سواهم من المؤمنين المطيعين ، الذين يؤثرون فيهم الدعوة والتکلیف والانذار والتخويف \* (انما أنت منذر من يخشاها)\* [٤٥/٧٩] كما ان فائدة نور الشمس تعود الى أصحاب العيون الصحيحة .

وأما فائدة ذلك بالنسبة الى من ختم الله على قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة فكفائدة نور الشمس بالنسبة الى الاكمة والاعمش \* (واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وما توا وهم كافرون) \* [١٢٥/٩] غايته ذلك الزام الحجة واقامة البيسنة عليهم ظاهراً \* (لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) \* [٤/١٦٥] \* (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا ولو لأرسلت

البنا رسولا ) \* [٢٠/١٣٤] وهو بالحقيقة النعي عليهم بأنهم في أصل الخلفة ناقصون أشقياء .

وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم أيضاً لغاية نقصانهم، كما أن الأكمهربما لا يصدق أولى الأ بصار، ولا يعرف أن التقصير منه، وأن سائر الشرائط من معاداة المرئى وظهور المبصر موجود، وإنما يعرف نقصانهم أرباب الأ بصار ، فكذلك يعرف قصور الناقصين عن البلوغ إلى قبول أحكام الدين وادراك معالم الحق واليقين ذو وأ البصائر السليمة عن غشاوة الامتراء وآفة القصور والعمي.

### تنمية

اختلف أهل التفسير في هؤلاء الذين قالوا ذلك، فعن الحسن : ان هؤلاء هم اليهود حين امرؤا باطعام الفقراء .

وعن مقاتل : انهم مشركونا قريش ، قالوا لهم فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم : «أطعمونا من أموالكم ما زعمتم أنه لله» يعنيون به قوله تعالى : \*«وجعلوا الله مما ذرأ من الحرج و الانعام نصيباً فقالوا هذا الله بزعمهم ) \* [٦/١٣٦] فحرمواهم ، وقالوا : «لو شاء الله لاطعمكم » .

وقيل ، هم الزنادقة كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآلـه يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله بمشيته وارادته فيقولون: «لو شاء الله لاغنى فلاناً» و «لو شاء الله لاعز» فلاناً و «لو شاء لكان كذا» فاخرجوها هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشيية الله، معناه: أنطعم المقول فيه هذا القول منكم؟ وذلك لأنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله، لأنهم كانوا معطلة غير قائلين بالصانع .

وعن ابن عباس: كان بمكة زنادقة فإذا امرؤا بالصدقة على المساكين قالوا

« لا والله ، أيفقره الله ونطعنه نحن ؟ »

وقيل : كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرأ على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن أحق بذلك.

وقيل : كانوا يقولون : « ان كان هو الرزاق فلافائدة في التماس الرزق منا وقد رزقنا وحرمنكم ، فلم تأمرون باعطاء من حرمه الله » ؟  
وقوله : « ان انت الا في ضلال مبين » يحتمل أن يكون قول الله للمكفار ، ويحتمل أن يكون حكاية قول المؤمنين لهم ، ويحتمل أن يكون من تتمة جوابهم للمؤمنين .

قوله سبحانه :

ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين [٤٨]

كلمة «متى» هي هنا للاستعلام عن وقت قيام الساعة ، وهي في عرف أهل الحكمة سؤال عن نسبة الشيء إلى زمانه المعين او حد منه ، والزمان كالمكان من موجودات هذا العالم ، لانه كما ثبت في مقامه مقدار الحركة السريعة اليومية يتحدد به سائر الحركات المستديرة والمستقيمة وما يطابقها من الأزمنة والزمانيات كما أن بموضوعه يتحدد سائر الأبعاد والأمكنة والمكانيات ، والقيامة خارجة عن هذا العالم لأنها واقعة في مکمن حجب السموات ، فزمانها ومكانها نوعان آخران لا يمكن السؤال عنهما بـ «متى» و «أين» كما لا يمكن السؤال بـ «ما هو» عما لا ماهية له ، كالواحد الحقيقي والمقدس القيسيوي ، بل امور القيامة كلها أسرار على العلم الانساني بحسب طور هذه النشأة الدنياوية .

فلا يتصور أن يحيط بها أحد مadam في الدنيا ، ولم يتخلص عن قيد الوهم وأسر الطبيعة وزمانة الهوى ، ولكل موطن ونشأة نوع خاص من الشعور والادراك

كما أن لكل محسوس من المحسوسات حاستة مخصوصة، فعلم المبصرات عند البصر وعلم المسموعات عند السمع، فكذا علم الساعة مردود إلى من كان عنده تعالى وحشر في حضرته، وليس للكفار قوة ادراك الساعة، كماليس للاكمه قوة ادراك المبصرات.

قولهم : «متى هذا الوعد؟» سؤال عما يستحيل الجواب عنه على موجبه كما أن سؤال فرعون : «وما رب العالمين» سؤال عما يستحيل الجواب عنه على موجبه، فان أمر الساعة اذا كان كلمح البصر او هو أقرب ، وكان «متى» سؤالا عن الزمان استحال جواب السائل عنه، وهو كقول الاكمه اذا وصف له المبصرات المتلونة، فقال: «كيف تشم هذه المبصرات؟» أو «كيف تلمس هذه المقلوبات؟» والجواب الحق معه أن علم المبصرات يوجد عند البصر لا يمكن طلبها بالذوق واللمس .

فالجواب الحق مع الكفار اذا قالوا: «متى هذا الوعد ان كنتم صادقين؟» أن يقال لهم : «العلم بذلك عند الله» كما وقع في القرآن من قوله تعالى: \* (عنه علم الساعة) \*[٣١/٣٤] فمن يرجع الى الله عزوجل وحشر اليه و كان عنده، فلا بد وأن يعرف حينئذ حقيقة الساعة بالضرورة ، لأنه عند الله و عنده علم الساعة ، فاذن بالضرورة لاتقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول «الله» كماروي في الحديث عنه صلى الله عليه وآلـه وسلم (١).

فتثبت وتحقق تحقيقاً لاشك فيه أن علم الساعة مردود إلى الله تعالى كما قال سبحانه: \* (اليه يرد علم الساعة) \*[٤١/٤٧] وسؤال الكفرة والجهال عن ذلك نوع من الفسال والاضلال ، وليس لك أيها المؤمن بالله واليوم

1) في المستدرك للحاكم: ٤٩٤ / ٤ والجامع الصغير: ٢٠٢ / ٢ (حتى لا يقال في الارض: الله الله) .

الآخر أن تعلم من أسرار القيمة وأغوارها مادمت في هذه النشأة البشرية إلا أن إيمانك بالغيب وتصديقك بما جاء في الشريعة الحقة تصدق الأكمه بوجود الألوان من جهة الخبر والإيمان بالغيب ، لامن جهة الارراك واليقين .

وإياك أن تستشرف الإطلاع عليها من غير جهة الخبر والإيمان بالغيب بأن ت يريد أن تعلمها بعقلك المزخرف ودليلك المزيف ، فتكون كالاكمه الذي يريد أن يعلم الألوان بذوقه أو شمّه أو سمعه أو لمسه ، وهذا عين الجحود والأنكار لوجود الألوان فكذلك الطمع في ادراك أحوال الآخرة بعلم الاستدلال وصنعة الكلام عين الجحود والأنكار لها ، فمن أراد أن يعرف القيمة بفطانته المعروفة وعقله المشهور فقد جحدها وهو لا يشعر .

فتأمل أولاً في حال الأكمه كيف ينبغي له أن يؤمن بالألوان من طريق الغيب ، بأن يقطع نظره عن الحواس الأربع ومدركاتها وعزلها عن أحكامها حتى يمكن ويتصور له أن يؤمن بالغيب من غير تشبيه ولا تعطيل ، ثم طالب بعد ذلك نفسك بمثل هذا الإيمان حتى تكون مؤمناً بالغيب ، فتستعد لأن تصير موقفاً بالآخرة كما قال سبحانه : \* (يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة) - إلى أن قال : - وبالآخرة هم يوقنون \* [٤-٣/٢] فكانوا أولاً مؤمنين بالآخرة إيماناً بالغيب ، وهذه المرتبة في الإيمان بالله واليوم الآخر تتلذى بالمؤمن إلى العمل بالarkan من الصلوة والزكوة وغيرهما ، والاعمال الصالحة بصدق النية وصفاء الطوية ينجر به إلى مرتبة الإيقان لقوله تعالى : \* (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) \* [١٥/٩٩] .

## اشارة

نسبة قيام الساعة إلى أزمنة الدنيا ليست كنسبة طرف الزمان إلى الزمان ،

ولا كنسبة شطر لاحق الى سابقه - كالجمعة مثلا الى الخميس وما قبلها - فان الدار الاخرة ليست منسلكة مع هذه الدار في سلك واحد وكذا ليست حيّز الاخرة الى احياز الدنيا كنسبة فوق هذا العالم الى ما هو دونه، لأن كلها منها عالم آخر، والاخرة عالم تام برأسه لا يعوزه شيء من أشياء هذا العالم، ولا يتصل بغيره ، ولا هو واقع في جهة من جهات هذا العالم بحسب الزمان و المكان بل نسبة متها الى متى هذه الدنيا أشبه ب بالنسبة محيط الدائرة الى مركزها من نسبة بعض الخط الى بعض آخر او حدد منه الى غيره وكذلك الحال في قياس أينها الى ايون هذا العالم .

لان القيمة لو كانت واقعة في آخر شطر من أجزاء هذا الزمان الدنياوي أو في أي بعد شطر من أبعاض هذا المكان الحسي - كما زعمه أهل الفتن والتخيّم - لكان بعيداً غاية البعد من النفوس الإنسانية وهو باطل ، لأن الله تعالى وصفها بالقرب منا بحسب الزمان والمكان جميعاً.

اما الاول: فلقوله تعالى: \* (اقتربت الساعة) \*[١/٥٤] واما الثاني فلقوله تعالى: \* (واخذوا من مكان قريب) \*[٥١/٣٤] \* (انهم يرونـه بعيداً) \* ونراـه قريباً) \*[٧٠/٧٠] فكان نبيـنا صلـى الله علـيه وآلـه وسـلم يشاهد خازـن الجـنة ويتـناول بيـده من ثـمارـها وفـواكهـها ، وكـذلك عـلمـاء اـمـتـه وـهم المؤـمنـون حقـاً بأحوالـ الآخرـة كانواـ مشـاهـدين للـقيـمة، وهـيـ كانتـ قـائـمةـ فيـ حـقـهمـ، لأنـهمـ كانواـ محـشـورـينـ فيـ دـنيـاهـمـ إلىـ الحـقـ، رـاجـعـينـ إلىـ اللهـ .

ولم يحـكمـ رسولـ اللهـ صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ بـكونـ حـارـثـةـ «ـمـؤـمنـاـ حـقـيقـيـاـ» مـالـمـ يـكـنـ مشـاهـداـ يومـ الـآخـرـةـ ، نـاظـراـ إـلـىـ أـحـوـالـهـاـ، حيثـ قالـ: «ـأـصـبـحـتـ مـؤـمنـاـ حـقـاـ» قالـ صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـآلـهـ وـسـلمـ : «ـلـكـلـ حـقـ حـقـيقـةـ، فـماـ حـقـيقـةـ إـيمـانـكـ؟ـ» قالـ: «ـرـأـيـتـ أـهـلـ الـجـنـةـ يـتـزاـرـونـ، وـرـأـيـتـ أـهـلـ النـارـ يـتـعاـوـنـ وـرـأـيـتـ عـرـشـ رـبـيـ

بارزاً» فقال صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم: «أصبت فالزم».

وهذا الحديث متفق عليه بين الفريقيين وان اختلف في صورة الالفاظ، فثبت ان قيام الساعة قريب عند أهل الحق، وأما أهلظن والتخيين وأرباب المجازفة في الكلام من غير خوض في المعرف وتشتبه في الإيقان فهم الذين يزعمون يوم القيمة بعيداً عن الانسان بحسب الزمان\*( وما أظن الساعة قائمة)\* [٣٦/١٨] بحسب المكان\*( ويقدرون بالغيب من مكان بعيد)\* [٣٤/٥٣]

قوله سبحانه :

**ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون [٤٩]**

قرء ابن كثير وورش ومحمد بن حبيب عن الأعشى وروح وزيد عن يعقوب «يخصمون» بادغام الناء في الصاد مع فتح الخاء، وقرء أبو عمرو بفتح الخاء ايضاً الا انه يسمه الفتح ولا يشبعه، وقرء أهل المدينة غير ورش «يخصمون» ساكنة الخاء مشددة الصاد ، وقرء حمزة «يخصمون» ساكنة الخاء من خصمه وقرئ «يخصمون» مكسورة الصاد «ويخصمون» اتباع الياء الخاء في الكسر.

## كشف الهامى

قد أشرنا في الآية السابقة ان سر القيمة من الاسرار العظيمة التي لا يمكن كشفها للمحبوبين في حبس هذا الزمان والمكان ، والمسجونين بسجن هذا العالم مع هذه القرآن، ولم يجز للأنبياء عليهم السلام كشفها للناس ماداموا في قبور هذه الحواس\*( يستلونك عن الساعة أيتان مرسيها \* فيم أنت من ذكريها \* الى ربك منتهيها \* انما أنت منذر من يخشها)\* [٧٩-٤٢/٤٥]

يعني لارخصة لهم في كشف حقيقتها، بل لهم أن ينذروا بأهوالها وشدائدها وبعض حالاتها وأشراطها ومقدماتها .

ولهذا ذكر الله تعالى هيئنا شيئاً من أشراطها ومقدماتها، ونبه على أنهم - اى المحظوظين بقيود هذه النشأة الفانية - مايمكنهم أن ينظروا من حالاتها الا صيحة واحدة - اي نفحة واحدة - وهي النفحة الاولى التي تأتيهم بغتة وتغرنهم كلهم وهم يختصمون - يستغلون بخصوصياتهم في شهواتهم ومجادلاتهم في معاملاتهم ومتاجرهم، يتباينون في الأسواق ويتنافسون بالأموال والأقوال ، ويتفاخرون بالأنساب والألقاب، وساير مايتشاركون فيه ويتخاصمون به .

وبالجملة تبغيتهم وهم في أنهم وغفلتهم كما ورد في الحديث : « تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتباينانه ، فما يطويانه حتى تقوم ، والرجل يرفع أكلته الى فيه ، فما تصل الى فيه حتى تقوم ، والرجل يلبيط حوضة ليسقى ماشيته بما يسقيها حتى تقوم » (١) .

وقيل : وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب أم لا ؟

ومعنى يختصمون : يختص بعضهم ببعض .

وقيل : تأخذهم وهم عند أنفسهم يختصمون في الحجة في أنهم لا يعيشون.

## رَهْزُ عَرْشِي

« الصيحة » ضرب من النفحة ، وهي النفحة التي يصحبها شدة وهلاك وعذاب ، واللفظ كما مر مستعار لتأثير الفاعل الحق في إنشاء الصور ، وافادة الأرواح اما في هذا العالم بوساطة ملك روحاني او روح بشري ، أو في عالم الآخرة تشبيهاً له بالنفح في مادة النار - كالفحمة وما أشبهه - الموجب ثارة

لاشتعال النار الكامنة ، أو حصولها في الفحم بسبب مجاورته لنار أخرى ، و  
تارة لخmodها .

وذلك لأن النفوس الحيوانية الإنسانية بمنزلة نير أنفاس أو أنوار ملكتية حاصلة  
في مواد الأبدان ولطائف أعضائها الدخانية والبخارية ، المجاورة بسبب صفاتها  
ولطافتها لنار عالم الملوك حادثة فيها عند حصول الاستعداد التام والتسوية  
بالنفح الالهي ، كما في قوله تعالى : \* (فَإِذَا سُوِّيَتْهُ وَنَفَخْتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي) \* [٢٩/١٥] او بواسطة عبده المقرب كما في قوله تعالى : \* (فَانْفَخْ فِيهِ فَيَكُونْ  
طِيرًا بِأَذْنِ اللَّهِ) \* [٤٩/٣] .

وكما ان المادة الدخانية المجاورة للنار الحسية انما تصير ناراً مشتعلة  
بواسطة نفحات متعددة ، بعضها يحصل لها أصل الحرارة والكون ، وبعضها  
شدة التسخين والنارية ، وبعضها التنوير والاضاءة ، فكذلك خلق الله في مادة  
الإنسان صوراً ثلاثة بالنفحات الثلاث .

فبالنفحة الأولى تتولد قوة النماء والتغذى ، وبالثانية تتولد قوة المحس و  
الحركة ، وبالثالثة تتولد قوة النطق وادراك المعمول .

ففي الأول كان الإنسان بمنزلة النائم ، وفي الثانية بمنزلة (حیران) ذي  
هيeman ، كمن تنبئه من نوم شديد ، وفي الثالثة ينبعث من نوم الغفلة ويستيقظ  
من رقدة الجهرة قائماً منتصبًا لطلب العلوم ومعرفة الاحوال ، والتفطّن بحال  
من اوجده وبعثه من نومه الجمادي ، وستنه النباتية ، وحييرته الحيوانية ، شاكراً  
لنعمته تعالى ، عارفاً بحقه ، طالباً لخدمته ، سالكاً سبيل قربه وجواره ، منخرطاً  
في سلك عباده الصالحين .

وانما يستمكّل بعد الانتباه بكمال بعد كمال من ساعده التقدير ووافقه  
التدبر باضافات ونفحات أخرى رحمانية ، والهامت واعلامات تترى سبحانه

يرتفى بكل منها من عالم الى عالم ، ومن نشأة الى نشأة اخرى ، حتى بلغ الغاية القصوى ويرجع الى ربه الاعلى ، بعد استئناته بنوره القدسى - رجوع النار الكامن فى الخطب بعد حصولها بالنفحات ، واشتعالها الى نار عظيمة هي فوق هذا العالم الأدنى .

فالعالم بمنزلة شجرة ثمرتها « الإنسان » ، والانسان كشجرة ثمرتها « العقل النظري » ، وهو « كلمة طيبة » أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وهو ايضاً كشجرة ثمرتها « العقل الفعال » و « الروح القدس » ، الذي يكاد زيتها يضيئه ولو لم تمسسه نار ، وهذا الروح القدس كشجرة ثمرتها « لقاء الله الواحد القهار » يهدى الله لنوره من يشاء من عباده ، فارتقاً نور العبد الى نور الرب بعد أن هبط منه وحصل بنفحته في مَا من الكون .

\* \* \*

فإذا علمت هذا فاعلم أن وحدة النفح وكثرته ، باعتبار وحدة المتعلق به وكثرة ، ولما كان لمجموع النفوس والأرواح - بل لمجموع العالم - وحدة بها يكون الجميع أمراً واحداً - كما ثبت في مقامه - فتكون النفحات المتعلقة بها نفحة واحدة .

وأيضاً قد ثبت وتحقق وانكشف وتنور أن التعاقب والتتجدد والتكرر والبعد الواقعين في هذا العالم بحسب الحضور والغياب في المكانيات ، والمضي والحالية في الزمانيات إنما يكونان بالقياس إلى الموجودات الواقعة في هذا العالم ، لتقييد (ليعتقد - ن) وجود كل منها بمادة مخصوصة وانحصره في زمان معين ، وأما بالقياس إلى العوالي والشواهق العقلية والنفسية وما هو فوق الامكان ووراء حدوث فالمتغيرات الزمانية كلها كأن واحد ، ، والاختلافات المكانية كلها كنقطة واحدة ، فعلى هذا كون النفحات الكثيرة حسب كثرة المواد

والازمة نفخة واحدة بالقياس اليه لا يحتاج الى مؤنة بيان وبرهان ، وللأشعار بأن جميع الممكناًت حاصلة من فيض واحد من جانب الحق ونفخة واحدة وكلمة جامعه هي كلمة « كن » وعبر عن انبساط الفيض النورى الوجودى عنه تعالى على هيكل الممكناًت بـ« النفس الرحماني » المشتمل على الحروف الوجودية ، والكلمات الكونية ، الطالع من افق شمس الحقيقة فى صباح نور الازل ، المنتشر ضوئه فى أهوية الهويات الممكنته وسطوح قوابل الماهيات الاستعدادية ، المنقسم باعتبار كل موطن من مواطن القرب والبعد ، ومنزل من مسازل العلو والسفل الى الجوادر العقلية والنفسية والطبيعية والاعراض الكمية والكيفية والنسبية .

\* \* \*

ثم اعلم بعد ذلك ان من الجائز أن يكون نفخة واحدة احياء لقوم واهلاً كآخرين - أما بحسب الاختلاف فى نحو الصدور من النافخ رحمة وغضباً ، كان اختلاف نفخة من الانسان توجب حصول الناريه ، واخرى منه توجب اخمادها - كما مررت اليه الاشارة فى قوله تعالى :\*(فإذا هم خامدون)\* واما بحسب اختلاف القوابل مع وحدة النفح ، بأن تكون نفخة واحدة رحمة على قرية وغضباً على اخرى ، وحيوة لقوم ومما ل الاخرين ، او يكون راحة لأحد وكراهة ومشقة له فى وقت آخر ، او يكون مكروهاً لطائفة وفي أعينهم وهو خير لهم ، او محبوه بأعنهم وهو في الواقع شر لهم ، كما في قوله تعالى :\*(عسى أن تكرهوا)\* - الآية .

ألا ترى كيف أخرج الله الجنين من مضيق بطن امه الى فضاء العالم وهو مكره له ، مع كونه عين الرحمة له ، حيث غفر ذنبه الطبيعية التي اقترفها ، وسيئاته المادية التي اجترحها ، منذ كونه نطفة وعلقة - من تلطخه بالانجاس

وتغديه بدم الحيض وهو أنجس المحرمات، وانخلاده الى أرض الرحم بصحبة الظلمات - فظهوره عن تلوث الانجاس والاخبار ، وعرض له عن دم الحيض بلبن سائغ شرابه من منبع نهر كالسلسلي ليتغدى به بدنها ويتقوى قواه الجسمانية فيستريح في سعة العالم وينتعيش في فضاء الارض من حين تبدلت هذه الارض عن ارض الرحم ويتبعه منها حيث يشاء ، فخرج من ذنوبه السابقة كيوم ولدته امه .

وكذلك اذا بلغ درجة العلم والتميز وخرج من نوم الجهالة غفر الله له ما تقدم من ذنوب الجهل والنقصان وسيئات العمى والحرمان ، وظهوره عن دنس الغباء والضلاله ، وعوض له من الاغذية الجسمانية منذ أخذت في النقصان والقصور بالاغذية النفسانية التي هي ألوان المعارف والتصورات والاغراض الإنسانية .

\* \* \*

ومن هيهنا ينبغي أن يعلم ويتحقق أن الله الدنيا والآخرة لما كان واحداً وسنته لا تتبدل ولا تتحول فإذا كان منذ كون الإنسان وخلقه من لدن كونه جماداً ونباتاً ومضغة وعلقة إلى تمام خلقته وكمال عمله كل صيحة من الله وقعت عليه أو نفحة فتحت فيه يوجب له تحولاً من حياة دنيوية إلى حياة هي أشرف وأعلى ، فالظاهر أن امانته الله وتوفيقه للإنسان وآخرته إيه عن بطن هذا العالم يوجب له حياة كاملة تامة لا قصور معها ولا زوال ولا آفة ولا مرض ولا حزن فيستحكم عند ذلك رجاؤه ويقوى طمعه في جود الله بان الصيحة العظيمة وان كانت ذات تهويل وفزع أكبر وزلزلة عظيمة صعق بها من في السموات والارض ، الا ان جانب المغفرة أرجح وفضاء الرحمة أبسط وأوسع ، فربما تكون هذه الصيحة لطفاً لطائفـةـ وان كانت سخطاً لآخرـيـ او يكون امانته في نشأةـ

وهي بعينها احياء في نشأة اخرى، كما ان موت الحواس حياة للعقل وموت الارادة حياة الحقيقة، لأن الدنيا والآخرة متقابلتان - ما يوجب فناء احدا هما فهو يجب بقاء الآخرى - وسيأتيك زيادة كشف في تفسير النفخة الثانية.

قوله سبحانه :

**فَلَا يُسْتَطِعُونَ تَوْصِيَّةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ [٥٠]**

هذا اخبار عما يغشى الناس في النفخة الاولى عند قيام الساعة من الاحوال والاهوال، وما ذكره من الاحوال المشتركة بين القيامتين الكبرى والصغرى .

اما انهم لا يستطيعون - اي لا يقدرون على الايصاد بشيء ينفعهم في أمر آخرتهم او في أعقابهم وأخلفاتهم - فلانقطاع العمل والسعى عند قيام الساعة وانتفاء العقب والأهل والولد بعد الموت لأن ثبوت الشيء للشيء واضافته إليه متوقف على بقاء ذلك الشيء المنسوب إليه بل بقاء الطرفين ، وال一秒ل منتف في القيامة الصغرى ، والثاني في الكبرى .

واما نفي القدرة على الرجوع الى أهلهما لما علمت من استحالة رجوع النفوس من نشأة وقعوا فيها الى نشأة سابقة عليها ، لأن الطبائع مفطورة على التوجه الى غياراتها الذاتية ، والتوجهات الفطرية والتطورات الطبيعية ممتنعة الانعكاس والانقلاب - فطرا الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله - وهذا أصل متيقن قد أبنتني عليه كثير من القواعد والاحكام وقد بنينا عليه ابطال التناسخ كما هو مذكور في مقامه .

قوله سبحانه :

**ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون [٥١]**

هذه هي النفخة الثانية التي يحيي بها أموات القبور للبعث والنشور وان  
للنفخ صورة ونتيجة هي روحه وسره :

اما صورته : فاخراج الهواء من جوف النافخ الى جوف المنفوح فيه  
حتى يشتعل الحطب او الفحم وبالجملة الجسم القابل للصورة النارية ، فالنفخ  
سبب الاشتعال ، وصورة النفخ مستحيل في حق الله ، لانه قيوم صمد لا جوف  
له والمسبب والنتيجة غير محال في حقه وقد يستعار بالسبب والمبدء عن المسبب  
وال فعل المستعار منه ، فيعتبر عن نتيجة الغضب بالغضب ، وعن نتيجة الانتقام  
بالانتقام ، كما في قوله تعالى : \* (وغضب الله عليهم) \* [٤٨/٦] وقوله : \* (فانتقموا  
منهم) \* [٧/١٣٦] فان حقيقة الغضب مستحيلة في حقه تعالى ، لانه عبارة عن  
نوع تغيير ونقصان في التضيبيان يتاذى به ويتشفي بالانتقام ، ونتيجه اهلاك  
المغضوب عليه او ايلامه يعبر به عن النتيجة ، فكذا يعتبر عن نتيجة النفخ  
بالنفخ - وان لم يكن على صورة النفخ - فيكون مجازاً مرسلاً - .

هكذا قيل ، والأرجح عندي ان النفخ هيئنا عبارة عن مجرد انشاء الأرواح  
تشبيهاً بانشاء النار ، كتشبيه آلة النفخ بالصور على وزان تشبيه الأرواح الكامنة  
في مكامن استعداداتها من الابدان وغيرها بالنيران المختفية في مكامن موادها  
الحطبية والدخانية ، فيكون في الكلام استعارة مصريحة او مكنية او تمثيلية ،  
كل منها باعتبار .

هذا اذا كانت موضوعات هذه الالفاظ مما اشترط فيها كونها ذات اشكال  
واوضاع و هيئات جسمانية ، والا فمن الممكن أن يستعمل -- ولو بحسب

العرف الخاص ولسان الشريعة – على معانٍ هي غايات المعاني اللغوية وملائكتها وأسرارها وبواطنها، فيكون معمولات شرعية مستعملة في معانٍ لها الحقيقة عند أهل الحق.

فالصور – بسكون الواو – هو في اللغة بمعنى «القرن» فاستعير اونقل كما علمت لما يقع به النفح مطلقاً، سواء كان من قرن او جوهر آخر ، سواء كان محسوساً أم غير محسوس ، بل هو جوهر من جواهر عالم الملوك الاعلى اسمه «روح القدس» به يحيى الله أموات الاشباح الانسانية بالارواح الفائضة من هذا الروح الاعظم وهو الذي اشتعل به نور النفس في فتيلة النطفة خند التسوية اولا ، كما أشار اليه تعالى بقوله :\*(فَإِذَا سُوِّيَتْ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي)\* [١٥/٢٩].

فقد علم أن النافخ هيئنا إنما هو الله بذاته او بواسطته ملك مقرب هو الروح الاسرائيلي المقدس – المتوسط في فيض الحياة العقلية – والنور النطقي بين الله وبين الارواح الجزئية الانسانية التي هي أنوار ملوكية متعلقة بالابدان – كتوسط الشمس في فيض النور الحسي والحرارة الغريزية بين الله وبين الاكوان العنصرية وطبعاتها المستنيرة بالأنوار الحسية والحياة الدنيوية.

ومنهم من جعل «الصور» جمع «صورة» وأكد ذلك بتحرك «الواو» في قراءة بعض القراء ، والمراد منها الصورة النوعية يتهيأ بها الاجسام الانسانية لقبول النفس ، فيكون المراد منها ما يقبل النفح الالهي ، لا ما يقع به النفح من الروح الاسرائيلي المشار اليه في قوله :\*(وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي)\* [١٥/٢٩].

\* \* \*

فإن قلت: جميع الأشياء إنما حصلت من إيجاد الله لها برحمته وفيضه،

فما معنى هذه النسبة؟ فانها مما يوذن بمزيد اتصال واقتران، فان كان نسبة الى نفسه لان وجود هذا الروح منه فالجميع كذلك، وقد نسب البشر الى الطين ومنه قد حصل روح سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وان كان معناه انه جزء من الله افاض على القالب كما يفيض الماء من انان مملتو الى انان او كما يعطي المال على السائل، فهذا يوجب تجزية ذات الله الواحد وتکثیر أحاديته - وهو ممتنع - فقد بطل كون افاضته بمعنى انقصال شيء عن شيء .

قلنا: الكلام فيه موهم ، والعبارة عنه قاصرة عن بيان معنى هذه الافتراضية، ولنكتف الضعفاء البصائر ، القاصرون في ادراك العلوم الالهية بمثال الشمس في هذا القول، فان الشمس لو نطقت وقالت: «أفضت على الارض من نوري» لكان حقاً وصادقاً ، ويكون معنى هذه النسبة ان النور الحاصل منها على وجه الارض من جنس نورها الذي يوجب حياة المكونات ونشو الحيوان والنبات وابعاث النائمين من النقوس عن مراقد هي كقبور الاموات، ويقهر الظلمات ويعذب الكفارة الخفافيش والفويسيقات، ويطرد الموذيات، ويبعد مردة الجن والشياطين برواجم الساطعات وهذه الجنسية ثابتة وان كان الفائض الواقع على وجه الارض من النور في غاية الضعف بالقياس الى نور الشمس.

فعلى هذا القياس قد علم أن «الروح» منزه عن الجهة والاشارة والجسمية ولو ازمعها المكانية والزمانية، وفي قوته العلم بحقائق الماهيات، والاطلاع على المغيبات، والاقتدار على احضار صور المجردات، واستخدام ملائكة القوى والروحانيات، وأخذ الارض بقبضته وطى السموات بيديه، وهذه كلها توجب مصاهاة له مع الله وتشبيهه بأخلاقه تعالى ، كما اشير اليه في الحديث النبوي صلى الله عليه وآلـه وسلم (١) فلذلك وقعت له هذه الاضافة المعنوية وخصص

بهذه الكراهة الالهية من بين سائر الموجودات التي ليست لها درجة التجرد عن المادية والاحاطة بالعقليات.

\* \* \*

قوله: «من الاجدات» وهو جمع «جذث» اي: من القبور، وهي لغة أهل العالية، ويقول أهل السافلة بالفاء، «والنَّسُولُ»: الاسراع في الخروج ، اي: يخرجون سراعاً من القبور الى الموضع الذي يحكم الله فيه ، لاحكم لغيره هناك .

### مكاشفة قرآنية

ومن الاسرار العظيمة المتعلقة بقوله تعالى: \*(فإذا هم من الاجدات إلى ربهم ينسرون) \* انه لما تحقق وانكشف لذوي البصائر المستنيرة بنور الله و الصدور المنشرحة للإسلام ، ان الدنيا مثال الآخرة ، والفالب ظل القلب، فأحوال كل منهما شاهدة على أحوال الأخرى والعاقبة نتيجة السابقة، والظاهر عنوان الباطن ، فنسنل الابدان من القبور الى مواقف الآخرة كنسنل الارواح من الابدان الى المواقف الالهية ، ليعلم أن الرب تعالى غاية قصد الانسان وسعيه، كما أنه مبدء كونه وحدوثه ، ويتحقق حينئذ بمعنى قوله تعالى: \*(إلى ربهم ينسرون) \*

وهذا مما لا يتيسر لأحد الاطلاع عليه الا من جهة معرفة مباديء تكون الانسان وغاياته بعدما تصور وتحقق ان الانسان ذو وجهين، أحد وجهيه جسماني مظلم متغير في ذاته قابل المفاسد ، والآخر منها روحاني منير ثابت دائم بدوام علته الفياضة، باق ببقاء ربه الحي القيوم \*(كل من عليها فان ويفنى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) \*[٢٧/٥٥] والوجه الجسماني انما حياته، ودوامه بالوجه

النفساني، ومنه يصل الخير والمدد الى هذا الوجه، ولو انقطع عن هذا فيضه لحظة لخرب سريعاً وانهدم بناؤه وتعطلت آلاته وتفسخت صورته ، فأنانت اذا طلبت مبدء الانسان وفتشت عنه فعليك أن تطلب وتفتش مبدء جوهريته جمیعاً - الجسماني والروحاني .

فاعلم أولاً أن غاية كل شيء ترتبط بمبدئه بل هي عينه كما وقعت الاشارة اليه مراراً ، وأن المبدء والغاية كلما كانا أرفع من الواقع تحت الاكونات المتغيرة كانوا الى جهة الوحدة والجمعية أقرب ، وكلما كانوا أدنى وأنزل كانوا الى التعدد والافتراق أميل .

ثـ اعلم انه لا بد للخلق من المرور على المنازل والمراتب عند النزول عن عالم الوحدة والجمعية ، ثم الصعود اليها - ان ساعده التوفيق - بل لكل من الاكونات الطبيعية مبادئ متربة في النزول وغيابات متربة في الصعود الى جهة الحق ومبدء كل شيء وغايته .

فمعرفة المبدء والغاية للانسان بل لكل شيء أفضل أجزاء العلوم الحقيقة والمعارف النبوية ، والعلم بمعاد الانسان ومايقول اليه حاله من أهم المطالب ، وهو الدواء النافع والدربيات الاعظم والاكسير الاحمر ، والجهل بالآخرة هو السُّمُّ الناقع والمرض المهلل ، وبه تكون مرارة النزع عند الموت والفوز عند البعث للنفوس المريضة بداء الجهالة ، فمن عرف أن مجنته من أين عرف أن ذهابه الى أين ، ومن تأمل في كل واحد واحد من الافاعيل التي لها غيابات اختيارية أو طبيعية أو ذاتية ، وتدبر فيما هو المبدء بالذات لصدرها وما هو الغاية لورودها لعلم يقيناً أن الغاية في كل شيء هي بعينها ما هو المبدء على وجه أشرف وأرفع .

ونحن سنبيّن العلم بحقائق المبادى المتقدمة لوجود الانسان بكل جزئيه على وجه الاجمال، ونشير الى أن العلم بالغaiات ينوط بالعلم بالمبادى ليستنتاج وينكشف عن ذلك الحكم بأن الارواح الانسانية لا بد لها من رجوعها الى ربها، اما راضية مرضية، مشرقة زاهرة ناضرة ، واما منحوسة منكوسه الرؤوس، مسجونة مقيدة بالسلسل ، محبوسة بالاغلال، مطرودة من باب الله، معذبة بنار الله :\*(ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم)\* [١٢/٣٢] ليتحقق ان الكل - مع اختلاف دواعيهم ومساعيهم وتكتشـر نشـاتهم وحالـتهم - راجعون اليه تعالى ، وينكشف معنى قوله تعالى : «فـاـذـاـ هـمـ مـنـ الـاجـدـاتـ الـىـ رـبـهـمـ يـنـسـلـونـ» .

\* \* \*

اما تحصيل مبادى تكتـونـ الانـسانـ وـأـسـبـابـ تـحـقـقـهـ بـكـلـ جـزـئـيـهـ الجـسـمـانـيـ وـالـرـوـحـانـيـ فـمـبـادـيـ جـوـهـرـهـ الجـسـمـانـيـ بـعـدـ اـسـبـابـ القـصـوـىـ المشـتـرـكـةـ بيـنـ الكلـ منـ المـلـاءـ الـاعـلـىـ وـالـجـوـاهـرـ الـمـلـكـوتـيـةـ اـمـورـ :

اولها القوة الهيولانية التي هي قوة صرفة واستعداد محض .  
ثم مرتبة الجسم المطلق الذي لا نعمت له سوى الامتداد والانبساط في الابعاد، وهو مناط النقص والافـةـ ومنبع الجهل والتسيـانـ والـكـفـرـ - اذ لا حضور لصورة جـزـءـ منهـ عندـ جـزـءـ آخرـ ، وـالـعـلـمـ لـيـسـ الاـ اـدـرـاكـ صـورـةـ الشـيـءـ ، وهـيـهـنا غـابـ الكلـ عنـ الكلـ ، وـالـنـفـسـ اـذـ تـعـلـقـتـ بـهـ غـابـتـ عنـ نـفـسـهـاـ وـنـسـيـتـ عـالـمـهاـ وـ رـبـهـاـ \*(نسـواـ اللـهـ فـأـنـسـاـهـمـ أـنـفـسـهـمـ)\* [٥٩/١٩] .

ثم الجسم الطبيعي المركب الذي وجدت له صورة طبيعية غير الصورة الامتدادية هي مبدئـ الكـيفـيـاتـ الفـعلـيـةـ وـالـأـنـفعـالـيـةـ .

ثم الجسم النباتي الذي له صورة تفعل النماء و تطلب الغذاء ، كالـنـطفـةـ

التي حصلت فيها قوة الجذب والنشو وهي العلقة، ليصير بعد ذلك كالمضخة. ثم الجسد الحيواني الذي يقبل الحس والحركة الاختيارية كالجنيين والطفل.

ثم البدن الانساني الذي فيه قوة التمييز بين الضار والنافع ، والخير والشر.

فهذه خمسة مبادى وأجزاء متداخلة ، وخمسة حجب متربّبة جسمانية للانسان عن باريه سبعانه بحسب هويته الجسمانية .

\* \* \*

وأما المراتب التي له بازائتها بحسب هويته الروحانية عند ذوى الابصار فأولها كحال النفس وقت تعلقها بالجسم المفرد الذي لا نعت له سوى الجسمية ويكون اسمها فى هذه المرتبة: «القوة الطبيعية» ثم كحالها عند كونها في الجسم المركب، واسمها عند ذلك: «القوة المزاجية». ثم كوقوعها في درجة الاجسام النباتية ، واسمها حينئذ : «النفس النباتية » .

ثم كصيرورتها نفساً حيوانية كما في مرتبة الجنينية أو الصبوية فإن أحدهما «حيوان نائم» والآخر «حيوان مستيقظ» .

ثم كصيرورتها نفساً آدمية كما في مرتبة البلوغ وهيئنا غاية امتزاج النفس بالبدن وتواصلهما بقواهما وآلاتهما، ونهاية تعانقهما بجنودهما، والحق أن يقال عند ذلك: يبرز الاسلام كله والكفر كله .

\* \* \*

ثم بعده يفترقان في التوجه إلى الغاية، ويستدعيان البلوغ إلى الوطن الأصلي، فيتغالبان ، فيقع التطارد بين جندى الملائكة والشياطين في معركة

القلب ، والقلب متعدد بينهما و هو في التغيير والانقلاب دائمًا من جهة هذه الأسباب .

فالشهوات وأغراض الدنيا الدنية منبعثة من القوى البدنية بوسوسة الشيطان وهو موجود خلقه الله لعمارة هذه النشأة الأولى وبنائها بجنوده الشريرة من الشهوة، والغضب، والكبر، والحسد، وطول الامل، ونسيان الآخرة، واليأس من رحمة الله، والامن من مكر الله وغيرها مما يجري مجرى هذه الصفات .  
والعلوم والمعارف والتقدس والتقوى منبعثة من القوى الروحانية بالهام الملك ، وهو موجود أبدعه الله لعمارة الدار الآخرة بجنوده الخيرة الفاضلة من الصبر، والشكر، والخصوص، والتواضع، والزهد، والقناعة ، والخوف، والرجاء، والتملق، والدعاء، والهيبة، والخشية وغيرها مما يجري مجرى هذه فالقلب واقع -- مadam التسطارد باق بين الجنسين -- في مابين الملك والهame و الشيطان والهame ، لقوله تعالى : \* ( فألهما فجورها وتقواهما ) \* [٩١/٨] ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن » (١) الى أن يفتح القلب لاحدهما فيوطنه الروح ، فيكون اجتياز الشانى مجرد اختلاس ، وبه يتحقق حكم السعادة والشفاء في الآخرة .

فمراتب الروح بعد ذلك الفتح بسبب الغاية ايضاً خمس: فانها اذا تهيأت لرحمة الله واكتساب الاسباب واستعداد النظر في عالم الملائكة كان اسمها «العقل العملي» و«النفس المطمئنة». واذا نظرت في حقائق الاشياء وتأملت في المعالم الالهية والمقاصد اليمانية تسمى بـ «العقل النظري» و«النفس الفاكرة» واذا حصلت لها قوة الحفظ والاسترجاع تسمى بـ «النفس المحافظة» فاذا حصلت لها قوة المكالمة الحقيقة مع الحق ومشاهدة الحقائق بنور مستفاد من

(١) المستدرک للحاکم: ٥٢٥/٤ و ٣٢١/٤

الله يقذف في قلبه تسمى بـ «النفس الناطفة».

وإذا اتصلت الى لقاء الله وانخرطت في المقربين تسمى بـ «روح القدس»  
وحيثئذ بلغت الى غايتها الاصلية من غير علوق شيء من الاضداد والخصوم  
ومزاحمة شيء من العوائق والموذيات والهموم.  
واما اذا كانت الغلبة للجزء الظلماني بجنوده الظلمانية وقواته الشيطانية،  
وكان الروح أسيراً بيد الشيطان وجنوده، فلا يمالي في أي واد تهلكه من أودية  
الظلمات، وفي اي دركة تستهويه من دركات الجهات.

وهذه الدركات الجحيمية معادن الشياطين ومهالك الروح الإنسانية عند  
متابعة النفس والشيطان ومع ذلك يكون مرجع الكل الى ربهم \* (وحشرناهم  
فلم نغادر منهم أحداً) \* [٤٧/١٨] الا ان حشر الخلائق اليه تعالى على أنحاء  
مختلفة حسب أعمالهم ودرجاتهم ، فبعضهم مستوياً وبعضهم منكساً ولقوم  
على سبيل الوفد: \* (يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفداً) \* [٨٥/١٩] و  
لقوم على وجه التعذيب: \* (يوم يحشر اعداء الله الى النار) \* [١٩/٤١]  
\* (فوريك لتحشرنهم والشياطين) \* [٦٨/١٩] -- وبالجملة -- حشر كل أحد  
إلى عمله او إلى ما يفعل لاجله ويحبه: \* (احسروا الذين ظلموا وأزواجاهم) \*  
[٢٢/٣٧] حتى انه: «لواحد حجراً لحشر معه». (١)

### تنبيه (٢)

هذه الاختلافات الكثيرة متحققة فيما يحشر اليه الناس ومع ذلك فالجميع

(١) الامالي المصدق (ره): المجلس ٨٢ ص ٢١٠ .

٢- هذا التنبيه غير موجود في النسخة المطبوعة وكذا في نسخة مكتبة سبهاalar ،  
أثبتناه طبقاً لما كان في نسخة مكتبة ملّى وفي نسخة آخر مخطوطة عندنا.

محشورون الى الله، ألا الى الله تصير الامور واليه مصير كل صائر ، كما اليه  
بدو كل باد واليه معاد كل موجود، كما منه نشو كل ناش ، الله يبدء الخلق  
ثم يعيده ثم اليه تحشرون، وذلك لسعة مملكته وتعدد جهاته وكثرة أسمائه و  
شدة قوته واحاطة علمه وسمعه وبصره و تجرد ذاته عن الاغشية والحجب،  
فالزمان علبة التغير والتجدد مطلقاً ، والمكان علة التكثير والتعدد مطلقاً ، وهما  
مناطق الغيبة والخفاء، فإذا ارتفعا في القيامة ارتفعت الحجب بين الخلاق فيجتمع  
الخلاق كلهم الاولون والآخرون في عرضة القيامة لأهل القيامة ، فهي يوم  
الجمع \* (يوم يجمعكم ليوم الجمع) \* [٩/٦٤]

### مكاشفة أخرى

في تصويري معنى هذه الآية وخروج الخلق سراعاً  
من القبور إلى الله واسراعهم من الأحداث إلى ربهم

مما يجب أن يعلم كل من له نصيب من علم الكتاب ، وله قدم في  
العمل بما فيه من الخطاب ، أن الإنسان من لدن حدوته وتولده عند كونه نطفة  
ذات صورة طبيعية إلى نهاية أمره يكون أبداً في التحول والانتقال نفساً وبدناً  
وفي السفر والارتحال سراً وعلناً ، وفي التبدل والتطور من منزل إلى منزل ،  
ومن حال إلى حال ومن صورة إلى صورة ، ومن صفة إلى صفة إلى هذا  
الوقت الذي بلغ أشدّه .

وهذا أمر يظهر لمن نظر في أحوال الإنسان ، ولاحظ ترقياته وتوجهاته  
من كونه أولاً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جنيناً ثم خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن  
الخالقين.

ثم يتدرج في التوغل في نشأة أخرى من كونه صبياً مميزاً، ثم رجلاً عاقلاً، ثم صبوراً شكوراً، ثم حكيناً وقوراً وهكذا لا يزال في الامان إلى تقوية الباطن وتوهين الظاهر والتقارب إلى عالم الغيب والخروج عن عالم الشهادة يسيرأ يسيرأ، فيصير كهلاً، ثمشيخاً، ثم هرماً مضملاً، ثم فانياً، كل ذلك بحسب طبعه وجوهه - لا بأمر اتفاقي أو عرضي أو قسرى - .

ثم إذا بطلت منه هذه الحياة الدنياوية بطلت صورة التأليف وحصل الانفصال والانفصال .

ثم لا يبقى في هذا الانفصال أيضاً، بل يمتن البدن في الانحلال والتوجه إلى مركز الاتصال حتى ينتهي إلى الأرضية، ثم إلى الهيولية والجوهرية الصرفة ويُمتن النفس إذا كانت على الاستقامة في أطوارها وأحوالها حتى تبلغ الغاية القصوى التي موطنها الأصلي، وذلك لأن كل متوجه ومتتحول من مرتبة إلى مرتبة ومن منزل إلى منزل بحسب الطبع فله لا محالة حيث يرتحل ويبعد من مرتبة ويتجه ويسلك إلى مرتبة أخرى تكون غاية طبيعية ذاتية هي آخر ما يطمئن إليه ويسكن لديه ويتوطن فيه، ولابد أيضاً أن تكون هي أصلح الحالات وأوفتها لهدفها ذاتها، وأنسب المراتب والدرجات وأليقها لدиеه بجوهره، وما ذلك إلا ما يكون مبدء ذاته ومقدّوم وجوده.

فغاية ما يسافر إليه الشيء يجب أن يكون أول ماسافر منه، وهو الموطن الطبيعي والمعدن الأصلي - دون غيره من المراتب والغيارات الإضافية والحدود التي في الوساطة لأن كلها لو كان غاية حقيقة لما وقع التوجه منه إلى غيره توجهاً طبيعياً ذاتياً - ودأب الرحمة الالهية أن يمسك الشيء على أشرف الحالات التي تليق به، وأعلى المراتب التي تتصور في حقه من غير انتقال منه وارتحال عنه .

وتمامية الشيء وكماله إنما يحصل له عند وصوله إلى الحالة الأصلية التي كانت له بحسب الذات اذ هي مما يوافق ذاته ويلائم طباعه، وكل ما يكون غير تلك الحالة من سائر الحالات فهي لامحالة غريبة عن ذاتها مؤلمة لها، و الحالات الغريبة عن الشيء تزول عنه ، فيرجع الشيء آخر الامر إلى الصفة الأصلية التي له أولاً كما مر .

و الحالة الأصلية للشيء ، إنما تحصل له في مأواها الطبيعي ، والمأوى الطبيعي للنفوس والأرواح الإنسانية عالم الآخرة التي هي باطن هذا العالم الظاهر ، وغيب هذه الشهادة ، وهو عالم الأرواح وموطنها الحقيقي ومعادها بحسب طبقاتها ودرجاتها ومعادنها «الناس معادن كمعدن الذهب والفضة» (١) ومبادئ النفوس ومواطنها مختلفة ، وكلها من عالم الملائكة النورانية -- على كثرة طبقاتها -- و كل منها يرجع إلى أصله ان لم يزاحمها شيء من العوائق والسيئات \* (قل كل يعمل على شاكلته) \*[٨٤/١٧] \* (ولكل درجات مما عملوا) \*[٦/١٣٢].

\*     \*     \*

فالنفوس الصالحة المرضية تحشر في زمرة الملائكة وتأنى إلى رحمة الله، والنفوس الشقيّة تحشر مع الشياطين، ممنوعة عن عالمها، مطرودة عن باب الله، محرومة عن مواطنها، وما لم يصل النفس إلى عالمها ومعادنها لم تسكن ولم تطمئن من انزعاجها واستفزازها، لأنها كانت في مأواها الأصلي حبة مختارة لطيفة، عالمة، قادرة بقوّة مبدعها وسائحة في عالمها، فرحانة مطمئنة عند بارتها في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فإذا هبطت من عالمها وأمّاها وجنتها أبيتها وانحطت إلى السفل وجولت إلى الدنيا وأجسامها المكدرة الظلمانية انقلبـت

حيوتها موتاً، وتبدل اختيارها اضطراراً، ولطافتها كثافة، وقدرتها عجزاً وعلمها جهلاً، فزالت كرامتها وشرفها وكمالها إلى المذلة والهوان والخسنة والنقص والوبال، وصدرت منه معااصي كثيرة وآثار (آثام - ن) غريبة، كمن عرض له مرض شديد وحماء، فظهرت منه آثار كثيرة غريبة كالحرارة الشديدة - وهي علامة النار - والثقل العظيم - وهو أثر الأرض - وتورمت أطرافه - وهو أثر الهواء - وسائل العرق من مساماته وعن عروقه كقطارات الامطار، وهكذا الحال على الانصال إلى أن يعود إلى الحالة السابقة الأصلية، فينعدم هذه التولدات ، وتنعقد منه شيئاً فشيئاً إلى أن يزول بالكلية - إن ساعدته التوفيق.

وهكذا حال النفس في سقوطها عن مرتبتها وهبوطها عن نشأتها، حيث تكتُّن منها أمور مختلفة عند نقصانها وضعفها الذي يلحقها بسبب بعدها عن مقرها وعالمها، إذ البعد عن الموطن الأصلي منشأ (مثار - ن) الضعف والافرة ومناطق الكثرة والانقسام وتوزع البال واختلاف الأحوال، فإذا عادت إلى معادها زالت الكثرة والتفرقة عنها بالكلية، كأنها لم تكن ان لم يزاحمها قيد السلاسل والأغلال المستصحبة أيّها من جهة اقترانها بالأرذال وعلق غبار الهيئات الرديئة وظلمات الاعمال البدنية المقتنة بها بسبب مجاورة الأقران السوء وشُؤم صحبتهم ورجس خلطتهم .

أولاً ترى إلى الماء النازل من السماء كيف كان مجموعاً في مأواه الأصلي ذا وقار وثقل وأطمئنان وصفاء يتراكي فيه الصور والنقوش، فإذا منتقل إلى حيز النار تبدلت الجمعية بالتفرقة، والثقل بالخفة، والأطمئنان بالاضطراب، والصفاء والاستقامه بالكدوره والاعوجاج، فوقع إلى أودية الفراق وشعب الانفراق، ثم إذا رجع إلى مأواه الذي كان فيه زالت الأحوال الغريبة والافتات وعادت الحالة الأصلية - وكان قد خرج عن فطرتها ثم عاد إليها بعد تطورات و

تشكلات بأشكال غريبة وتسميات بأسماء كثيرة، فكان بحراً ، فإذا تبخر سمي «بخاراً»، وإذا تراكم بخاراً سمي «سحاباً»، وإذا تقاطر سحابه سمي «مطراً»، وإذا سال يسمى «نهرًا»، وإذا اتصل النهر بالبحر يسمى «بحراً» كما كان .  
وكذا القياس في غيره من الأarkan وفي كل جماد ونبات وحيوان، فانظر إلى حال السمك في مكان السمندل ، والسمندل في مكان السمك \*(قد فصلنا الآيات لقوم يفهون)\* [٩٨/٦] .

قوله سبحانه :

يَا وَيْلَنَا مِنْ بَعْثَنَا مِنْ مَرْقُدَنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدِقَ  
الْمَرْسُلُونَ [٥٢]

قرىء «يا ويلنَا» وفي مصحف ابن مسعود «من أهبتنا» من «هـب من نومه»  
إذا انتبه وأهبه غيره، وقرىء ايضاً «من هبتنا» بمعنى «أهبتنا» وقرىء «من بعثنا»  
و «من هبنا» على «من الجارة» وصيغة المجرور بها، لاعلى «من الاستفهامية»  
وصيغة الماضي الموصولة بها .

و «هذا» مبتدأ وخبره ما بعده، سواء كان الخبر مفرداً – ان كانت «ما»  
مصدرية – او جملة من صلة وموصول – ان كانت موصولة – ويكون المجموع  
جملة مستأنفة، ويكون «من بعثنا من مرقدنا» كلاماً تماماً يوقف عليه .

ويحتمل أن يكون «هذا» صفة للمرقد، اي : «مرقدنا الذي كنا رقوداً فيه»  
فيكون الوقف على «مرقدنا هذا» ويكون «ما وعد» مبتدأ خبره محدود تقديره  
اي : «ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم» أو يكون خبر مبتداء  
محذف، اي : «هذا وعد الرحمن» أي : فلما رأوا أهوا القيامة وشدائدها

لكونهم صاروا بسبب خروجهم عن قبورهم وقيامهم عن منامهم مكشوفين للطاء حديدي البصر، قالوا: «ياويلنا من بعثنا من مرقذنا وحشرنا من منامنا الذي كان فيه نياماً؟» ثم قيل لهم: «هذا بعينه ما وجد الرحمن وصدق المرسلون» اي : هذا وجد الرحمن وصدق المرسلين - على تسمية الموعود والمصدق فيه بالوعد والصدق - ان جعلت «ما» مصدرية - وأما ان جعلت موصولة فيكون معنى «الذى صدق المرسلون» بمعنى والذى صدق فيه المرسلون من قولهم: «صدقواهم في الحديث والقتال» ومنه: «صدقني سن بيده» (١) .

وانما يطابق هذا الجواب لسؤالهم عن الباعث لهم عن مرقدتهم، لكونه بمعنى: بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبيئكم به رسالته الا انه جيء به على نهج التخويف والتهويل لقلوبهم والنعي اليهم في أحوالهم، وذكر منشأ فزعهم وأهوائهم من سبق كفرهم بالله وتكذيبهم للرسول والاخبار لهم بوقوع ما انذروا به على لسان الانبياء .

ولا يبعد ان يكون المراد من طي الجواب ان الحال أشد عليهم من أن يسع لهم السؤال ويستأهلون للجواب عن سبب البعث والنشور ، كأنه قيل لهم: ليس بالبعث الذي عرفتموه - من بعث النائم في الدنيا من مرقه - حتى يسع لكم السؤال عنمن يبعثه، ان هذا هو البعث الاكبر والقيامة الكبرى ذات الشدائد والاهوال والاحزان والأفزع، وهو الذي وعده الله في مواضع كثيرة من كتبه المنزلة على السنة رسالته الصادقين ومعانيها الواردة على قلوب أوليائه الصالحين .

\* \* \*

واختلف أهل التفسير في أن القائل لهذا الكلام من هو؟ فعن مجاهد:

انه كلام الملائكة ، حيث يقع للكافار هجعة بعد النفخة الاولى ، يجدون فيها طعم النوم ، فإذا صيغ بأهل القبور الصيحة الثانية قالوا : « من بعثنا من مرقدنا؟ » فقلت لهم الملائكة : « هذا ما وعد الرحمن » .

وعن ابن عباس وعن الحسن : كلام المتقين .

وعن قتادة نحو ذلك حيث قال : أول الآية للكافرين وآخرها لل المسلمين . قال الكافرون : « يا ولينا من بعثنا من مرقدنا؟ » وقال المسلمون : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

وقيل : تماماً كلام الكافرين ، يتذكّرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضاً .

وقيل : انهم لما عاينوا أهواه القيامة عدوا أحواهم في قبورهم بالإضافة الى تلك الأهواه رقاداً .

وقال قتادة : هي النومة بين النفختين ، لا يفتر عذاب القبر الا فيما بينهما فيرقدون .

## حكمة فرقانية

قد تحقق عند النفوس المستنيرة بأنوار العلوم الاخروية والمعارف السلوكية أن الإنسان أبداً في التحول والانتقال عن مرقد الدنيا إلى فضاء الآخرة وهو دائمًا في القيام والانبعاث من هذه القبور والاجدات إلى ساهرة القيامة ، وهو لا يزال في طلب الخروج والارتحال بحسب الجبالة من مكانته أرحاماً وهذه النشأة الأولى إلى سعة عرصات النشأة الأخرى ، بل له كل ساعة ولحظة خلع وليس جديد إلى أن يلقى الله تعالى - اما فرحاً مسروراً ، واما معدباً مقهوراً لقوله تعالى : \* ( يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملقيه \* فاما من

اوئى) [٨٤/٧] - الآيات .

واكثر الناس في غفلة عريضة وذهول طويلا عنه لقوله تعالى : \* (لقد كنت في غفلة من هذا) \* و قوله : \* (بل هم في ابليس من خلق جديد) \* [٥٠/١٥] و قوله : \* (وتربى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) \* [٢٧/٨٨]. ومن هذا الجهل المحيط بهم نشأ تعلقهم بهذه الحياة الفانية واخلادهم الى هذه الاجسام البالية ، ور كونهم الى البدن ونسيائهم أمر العاقبة ، وجعلهم الدنيا نصب أعينهم والآخرة خلف آذانهم ، وانكبوا بهم الى الشهوات ، واعراضهم عن سماع الآيات ، فكل هذه الامور ناشية من ذهولهم وغفلتهم عن زوال الدنيا وثبات الآخرة ، وجهلهم بأن الدنيا ليست الا لحظات أوهام وخطرات أنفاس ، ولمحات أبصار وفلتات خواطر ، ولهذا تعجبوا عند ظهور الساعة وتحقق البعث وكشف الغطاء قائلين : « يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ » فقيل لهم : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » فهو لا - وهم أكثر الناس - منكرون بالحقيقة للقيمة والبعث ، شاكرون في قيام الساعة وتحقق المعاد يوم \* (يرونه بعيدا \* ونريه قريبا) \* [٧٠/٧] .

واما المقر بالآخرة ، المؤمن بالمعاد ، الموقن بيوم الحساب ، فهو الذي تنبأ نفسه من نوم الغفلة ورقة الضلال ، وانبعثت من موت الجهالة ، وحيثت بروح المعرف وانفتحت لها عين البصيرة ، فيشاهد يوم القيمة ويرى كأنها قد قامت ، فاذا سئل وقيل له : « كيف أصبحت؟ » قال : « أصبحت مؤمناً حقاً » فاذا قيل له : « وما حقيقة ايمانك؟ » قال : « أرى كأن القيمة قد قامت ، وكأنني بعرش ربى بارزاً ، وكأن المخلائق في الحساب ، وكأنني بأهل الجنة فيها منعمتين ، وأهل النار فيها معذبين » فقيل : « قد أصبحت فاللزم بعين الطريق»

- كما ورد في الحديث المتفق على صحته (١) -

وهذا بعينه حال من مات عن حياة هذه النشأة وحيثي بحيوة الآخرة فقد قامت عليه الساعة ، وان كان بعد في الدنيا بحسب الصورة الظاهرة ، لقوله صلى الله عليه وآله : « من مات فقد قامت قيامته » (٢) .

وأما القيامة الكلية فهي إنما تتحقق عند موت الجميع وفناه الكل ، والعارف لا يحتاج في مشاهدة أحوال الآخرة إلى فناء الكل وقيام الساعة على الجميع ، لأنه من أهل الاعراف المشاهدين لاحكام الآخرة وأحوال الدنيا ، العارفين بمن في الجنة والنار ، لقوله تعالى : \* ( وعلى الاعراف رجال يعرفون كلاب سيماتهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها هم يطمعون \* وإذا صرفت أبصارهم تلقأ أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ) \* [ ٤٦ / ٧ - ٤٧ ] .

وهم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، لأنهم قوم أنبعوا من موت الجهة وانتبهوا عن رقدة الغفلة ، وانفتحت بصيرتهم واستبصروا بعيون اليقين ونور الهدایة ، وشاهدوا جميع الخلائق وحشرهم وحسابهم ، لأنهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا يوم حساب الخلائق ، وهم قوم استوت عندهم الاماكن والازمان ، وتغاير الامور وتصارييف الاحوال ، فقد صارت الايام كلها يوماً واحداً لهم وعيداً واحداً وجمعة واحدة في حقهم ، لتحققهم بقوله صلى الله عليه وآله : « بعثت أنا والساعة كهاتين » (٣) .

في يوم واحد عندهم كألف سنة مما تعدون ، وخمسين ألف سنة لغيرهم ، وصارت الاماكن كلها مسجداً واحداً لتحققهم بقوله (ص) : « وجعلت لي الأرض

١ - مضى الحديث آنفأ .

٢ - قال العراقي ( ذيل احياء العلوم ٤٩٥ / ٤ ) : اخرجه ابن ابي الدنيا في الموت .

٣ - الترمذى : كتاب الفتن ، ٤٩٧ / ٤ .

مسجدأً» (١) والجهات كلها قبلة واحدة لتحقّقهم بقوله تعالى : \* (أينما تولوا فش ووجه الله)\* [١١٥/٢] وصارت حر كاتهم كلها عبادة وسكناتهم طاعة ، و استوى عندهم مدح المادحين وذم الدامين ، وتغيير الامور وتصارييف الاحوال في الازمة والدهور لتصديقهم قوله تعالى : \* (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسيراً \* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفروا بما آتاكم)\* [٢٣/٥٧] وكانت الدنيا وما فيها حقيقة عندهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « والله ما دنياكم إلا كعفطة عنز » (٢) « والله لدنياكم عندي أهون من عراق خنزير في يد مجزوم» (٣) .

قوله سبحانه :

### ان كانت الا صيحة واحدة

ثم أخبر سبحانه عن سرعة بعث الخلائق إلى المحشر وسعفهم إلى ربهم يوم العرض الكبير بأن تلك المدة لم تكن الا صيحة واحدة بالقياس إلى قدرة الله تعالى وعالم قدرته وجبروته وسكان ملكته من أهل قربته وولايته ، وإن كانت صيحات عظيمة كثيرة حسب كثرة الخلائق ، متمادية الازمة والدهور بالقياس إلى من يقع عليهم من أهل القبور وسكنة عالم الهلاك والدثار ، كما ان الصاخة الصغرى زجرة واحدة لموت شخص واحد وقيامته ، وهي زجرات متعددة متمادية بالقياس إلى كثرة أعضائه وقواه ، فإن جميع أحوال القيامة الصغرى وأهوالها عند موت الإنسان واحد ، وبعث روحه ونشر صحيفته وزلزلة

- ١ - الخصال : باب الاربعة ، رقم ١٤ . البخاري . كتاب التيمم : ٩١١ .
- ٢ - نهج البلاغة : الخطبة الثالثة : ولا تقيّم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز .
- ٣ - نهج البلاغة : الحكم رقم : ٢٣٦ .

أرض بدنك واندكاك جبال عظامه وانفجار عرق جبينه وتکور شمس قلبه وانكدار نجوم حواسه وتعطل عشار قواه كلها دلائل وشواهد على أحوال القيامة الكبرى التي لجميع الخلائق لقوله صلى الله عليه وآله : « من مات فقد قامت قيامته » (١) وذلك لكون الانسان عالماً صغيراً فيه انموذج من جميع ما في العالم الكبير .

ولست اطول في موازنة جميع الاحوال، ولكنني أقول كما قال بعض محققى الاسلاميين وحكمائهم وموحدتهم : ان بمجرد الموت يقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك ، بل ما يخص غيرك ، فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتشرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب ، والاعمى يستوى عنده الليل والنهار وانكشف الشمس وانجلاثها لانها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها ، فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ، وكذلك من انشق رأسه فقد انشق سماوه ، اذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس ، فمن لا رأس له لا سماء له ، فمن أين ينفعه بقاء السماء في حق غيره ؟ فهذه هي الصاخة الصغرى ، والخوخ بعد أحضر والهول بعد مدحّر ، وذلك اذا جئت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال .

فهذه هي الصغرى ، وان طول في وصفها فانا لم نذكر عشر عشير او صافها فهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى ، فان للانسان ولادتين :

احداهما الخروج من الصلب والتراصب الى مستودع الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم ، وله في سلوكه الى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة و

مضغة وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم ، فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ، ونسبة سعة العالم الذى تقدم عليه بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة سعة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل أوسع وأعظم بكثير .

فقص الاخرة بالاولى : \* [ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة] [٣١] [٢٨] وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى \* (ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لاتذكرون) \* [٦٢/٥٦] بل أعداد النشتات ليست محصورة في اثنين \* (و ننشئكم فيما لاتعلمون) \* [٦١/٥٦]

فالمحقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة ، موقن بالملك والملائكة ، والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين ، وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال .

قوله سبحانه :

**فإذا هم جميع لدینا محضرون [٥٣]**

يعنى اذا نفح في الصور نفحة واحدة ، اجتمعوا الخلائق كلهم حاضرين عند الله كما كانوا دائمًا وعند أنفسهم جمیعاً في ساهرة واحدة لارتفاع الحجب الواقعه بينهم بالموت ، فيشاهد بعضهم بعضاً ، وكلهم كلا ، فكل من وجد في وقت من الاوقات وفي حيز من الاحياء من أول الدنيا الى آخرها فهو محشور مجموع مع غيره في زمان واحد متصل هو مجموع الازمنة ، ومكان واحد متصل هو مجموع الاماكنة ، ومجموع الازمنة كساعة واحدة في القيامة ومجموع الاماكنة كمجلس واحد في الحشر .

وتحقيق ذلك أن الموجودات الدنياوية لها أ��وان ناقصة ، لأنها من حيث كونها الدنياوي امور مادية وموجودات تعلقية ، لأن جواهرها المفقرة الى مواضعها كالاعراض المفتقرة الى موضوعاتها فهي لنقص تكونها وضعف وجودها وتغيرها وانقلابها من صورة الى صورة ، وانتقالها من حال الى حال ، تحتاج كالاطفال والصبيان الى قابلة كالزمان ومهذب المكان ، وقدسبق منا ان المتحرك من حيث كونه متحركاً كالحركة في كونه غير قار الذات ، وكذا الزمان كالزمان ، والمكاني كالمكان ، وكل واحد من الزمان والمكان من الامور الضعيفة الوجود ، لأن وجود كل جزء من كل منها يتضمن عدم الجزء الآخر ، وحضور كل جزء يتضمن غيبة الجزء الآخر .

واما وجود الاخر فهو الكون التام ، وموجوداتها أ��وان دائمة ثابتة مستقلة ، فيزول التغيير عن المترافق ، والزوال عن الزائل ، والغيبة عن الغائب ، فيتصف المترافق هناك بالثابت ، والغائب بالحاضر ، لأن الاخر دار الحقائق ، ولكل شيء حقيقة ثابتة ، فلزمان الاخرة خاصية البقاء والثبات ، ولمكانها خاصية الحضور والجمعية \* (يوم يجمعكم ليوم الجمع) \* [٦٤/٩] لكن اذا اريد أن يخبر عنهما للمحبوبين في حبس الزمان ، والمسجونين في سجن المكان يعبر عنهم بأمثلة زمانية او مكانية . فعبر عن حقيقة الزمان بأقل زمان لأن الموجود من الزمان عند المجمهوه ليس الا ما يسمونه «آننا» فقيل : \* (وما أمر الساعة الا كلام البصر او هو أقرب) \* [٦٧/٧٧] . واذا اشير الى مكان الاخرة وحقيقة المكان غير عنهما بأوسع مكان ، لأن المكان شأنه الساعة والاطلاق ويتحدد باوسع الاجسام ، فقيل : \* (جنة عرضها السموات والارض) \* [٣/١٣٣] . وكذلك يعبر عن زمان القيامة بـ «الساعة» وعن مكانها بـ «الساهرة» فيكون الخلائق مجموعين حاضرين في محشر واحد في ساعة واحدة ، فكما أن يوم

القيامة يجمع فيها الناس كلهم من الازل الى الابد ، فكذلك جميع امكتنهم وأذمنتهم .

فوجه الارض بمساحتها المعميّنة التي عند الممهندسين هيئنا يصير يوم القيمة انبساطه وتماديته بحسب تمادي الازمة المارة عليه ، فان وجه الارض في كل لحظة وساعة غيره في لحظة وساعة اخرى ، ووجه الارض باعتبار محليته لوقوع خلائق عليها غيره باعتبار محليته لوقوع خلائق اخرى ، فإذا اجتمعت يوم القيمة الخلائق الواقعه في القرون والدهور الماضية والمستقبلة ، اجتمعت بحسبها وجوه الارض التي كانت الخلائق جميعاً فيها من ابتداء الدنيا الى انتهائها في كل قرن ودهر ، فيكون وجه الارض يومئذ بمقدار يسع فيه أهل المحسشر كلهم .

\* \* \*

ومن هيئنا يزول الاستبعاد ويندفع استنكار أهل الجحود والعناد ، وينحل شبهة المنكرين للمعاد في حضور الخلائق كلهم ، السابقين واللاحقين في صعيد واحد ، لعدم تصورهم أرض القيمة التي هي بوجه غير أرض الدنيا : \* (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) \* [٤٨/١٤] .

**فال يوم لاتظلم نفس شيئاً ولا تجزون الا ما كنتم تعلمون [٥٤]**

لأن يوم ايفاء الحقوق وجزاء الاعمال على وجه الحق والعدل في الثواب والعقاب اذ لا حكم لاحد غير الواحد القهار ، لارتفاع الاسباب العرضية والعلل الاتفاقية ، وانعدام اسباب الجور والظلم من جهة الحكم وعجزهم عن اعضاء الاحكام على التمام ، وت disillusionment المحاكمين وابداائهم الشبه والاوهام ، ولانتفاء القوايس والموانع وانسلاب التزاحم والتصادم والتضارب وغير ذلك من الامور التي هي من باب ضروريات الاكوان الدنيوية والقوابيل المادية المركبة من العناصر

المتضادات والاركان المتفاصلات الموجبة للتغالب والتفاسد في الموجودات المتغيرة الاحوال ، المتخالفة الاغراض والامال .

وأما الدار الاخرة فالمؤثر هناك أسباب عالية باذن ربهم ، وعمال مؤتمرة بأمر موجدهم ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والتأثير نفوس وأرواح انسانية بحسب ضمائرهم ونياتهم مجردة عن الاغشية واللبوات ووساوس النفس وسوء العادات .

\* \* \*

وبالجملة الظلم اذا وقع فانما يقع من الشخص على نفسه او من غيره عليه وكلاهما مستحيلان يوم الاخرة .

اما استحالة الثاني فيه: فان المؤثر في الشيء هناك ليس الامر هو علة ذاتية لذلك الشيء، لارتفاع الاسباب العرضية والمبادي القسرية ، وعدم تزاحم الامور وتصادم الاسباب الاتفاقية وتصابق الوجود فيه ، والعلة الذاتية للشيء مقتوم بوجوده ومحصل لذاته وملائم لطبعه\*(ولا يظلم ربك أحداً)\* [٤٩/١٨] .

واما استحالة الشق الاول فلان ما يصل الى أحد في الدار الاخرة ليس الا حاصل مافعله في الدنيا، لأنها دار الثواب والجزاء بلا عمل ، كما ان الدنيا دار العمل بلا جزاء فان وقع ظلم من أحد على نفسه فقد وقع في الدنيا لافي العقبي، ولهذا قال بعض الكبار: «ليس الخوف من سوء العاقبة انما الخوف من سوء السابقة» (الشقى شقى في بطن امه) (١) اي في الدنيا .

فقد ثبت قوله تعالى: \*(فال يوم لا تظلم نفس شيئاً)\* اي لا ينقص من له حق من حقه من الثواب ، ولا يفعل به الباقي يستحقه من العقاب ، اذ الامور جارية على مقتضى الحق والحساب ، معمولة على قانون العدالة والصواب ، وذلك قوله تعالى : \*(ولاتجزون الاماكنتم تعملون)\* .

## بصيرة قلبية

ان قوله تعالى : «فال يوم لا تظلم نفس شيئاً» مما يشعر بانحصر تحقق الظلم والشرفي هذه الدنيا الفانية ، وأما الوسائل الى الاشقياء من عذاب النار وشدائدتها فانما هي نتيجة أعمالهم في الدنيا وظلمتهم على نفوسهم فيها لقوله تعالى :\*(وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) \* [٣٣/١٦] اي بما سبق منهم في الدنيا وليس يتصور ظلم مستأنف في الآخرة على أنفسهم ولا على غيرهم .

والسبب الملمى لاختصاص وقوع الظلم والشرفي الدنيا دون الآخرة مع ان الاله والمؤثر فيهما جميعاً واحد حق يفعل ما يشاء ويختار ما يريد من غير مدافع او مشارك – هو ما وقعت الاشارة اليه من أنها « دار الحركات والاستعدادات » لأنها واقعة في آخر الدرجات من الوجود ، فــي أسفل الدركات من مراتب الخير والجود ، وبعد مرتبتها في النزول والخســة ليس إلا عدم المحســن والبطلان بل وجودها في مرتبة العدم .

الآنها بحسب سخــتها وجوهرها الهيولي ممــالها قوة وجود أشياء كثيرة ، ولها استعداد للصور الحســية والنفســية والروحــانية ، بحسب امتزاجات وقعت بين عناصرها المتضادة التي كل منها لا يتحرك عن مواضعها الطبيعية الا بأسباب سماوية منبعثة لغراض علوية ، ومقاصد عقلية مترتبة على أشوــاقها الكلية وحركاتها الدورية حسب قضاء الله ومشيــة المقتضية نشوــ الكائنات من الحــيــوان والنبــات بعناصرها المتضادة وموادها المتفاسدة .

ثم لما كان نوع الانسان أشرف أنواع الحــيــوان ، وكان له استعداد الارتفاع الى رتبة الشرف والكمال ، واحتمال البقاء والدوام في نشأة اخرى هي نشأة التمام ويوم قيام الخلائق بين يدي الحق العلام ، ولا يمكن استكماله الى هذه

الغاية الاباسباب اخرى خارجية اتفاقية من التأديب والتهذيب ، والهداية والارشاد والوعد والايعاد ، منبعثة من جانب المبدع الجواد ، بانزال الملائكة والكتب والرسل للامداد ، والهداية الى يوم المعاد ورب العباد .  
ولايتعيش وجوده الدنياوى ايضاً الابتعاون وقع من بنى نوعه وجنسه ، وتمدن واجتماع ومعاملات وحكومة وسياسات وحدود وجرائم وقعت من سلطان قاهر له او عليه .

وهذه جملة من الاسباب لانعقد الاولى مها نفائق وآفات ، وتصادم شرور وظلمات ، فقد قضى الله بوجود هذه الشرور في هذه الدنيا لكونها لازمة لخيرات جمة ، وهي اسباب سيافقة عباده الى رضوانه ، فعلم «أن الظلم في الدنيا مقتضى ، والعدل مرضى» وأما الاخرة التي هي دار المتقين ففيها عدل بلا جور ، وخير بلا شر .

ولهذا قال تعالى في حق حبيبه صلى الله عليه وآلـه وسلم : \* ( وللآخرة خير لك من الاولى ) \* [ ٤ / ٩٣ ] وقال حكاية عن دعاء خليله : \* ( وألمحتني بالصالحين ) \* [ ٢٦ / ٨٣ ] وقال عليهما السلام عند ضربة شهد فيها ربه : «فزت ورب الكعبة » وذلك لأن الدنيا مشحونة بالآفات والمحن والظلم والجور على أولياء الله وأحبائه .

\*     \*     \*

ويحكى ( ١ ) عن بعض من يعتقد هذا الرأى انه لقى أخاً من أهل زمانه ، فقال له : كيف أصبحت يا أخي في هذه الدنيا ؟ .

قال : بخير ، نرجو خيراً من هذه الدنيا – ان سلمنا من آفاتها وبلياتاتها انشاء الله – فكيف أنت وكيف حالك ؟ .

فقال : كيف حال من يصبح في دار غربة أسيراً وفقيراً لا يقدر على جر منفعة ولا يرجو دفع مضره ؟ قال أخوه : كيف ذلك ؟

قال : لانت قد أصبحنا في الدنيا معذبين في صورة المعنعين ، مجبورين في صورة المختارين ، مغوروين في صورة المغبوطين ، أحرازاً كراماً في صورة عبيد مهانين ، مسلط علينا خمسة حكام يسوموننا سوء العذاب ، ينفذون علينا أحكامهم شيئاً أو شيئاً .

قال له أخوه : أخبرني من هؤلاء الحكام ؟

قال نعم : اولهم هذا الفلك الدوار الذي نحن في جوفه محبوسين ، وكواكب هذه السيّارة التي لا تزال تدور علينا لاتهء ولاتسكن ، تارة تجيتنا بالليل وظلمته ، وتارة بالنهار وهاجرته وتارة بالصيف وحرارته ، وتارة بالشتاء وبرودته ، وتارة بالرياح العاصفة ، وتارة بالغيوم الغاشية والامطار والبروق الخاطفة ، وتارة بالصواعق الزاجرة والزلزال المهلكة والاخاويف الموحشة والخسوفات والكسوفات والعلامات المظلمة ، وتارة بالجدب والغلاء ، وتارة بالموت والوباء ، وتارة بالحروب والبلاء ، وتارة بالهموم والاحزان ليس منها خلاص ، ولا من سهامها مناص الا بالموت .

واما الاخر فهو هذه الطبيعة وامورها المركوزة في الجبلة - من حرارة الجو ، ولهب العطش ، ونار الشبق ، وحرق الشهوات ، والالام والامراض والاسقام ، وكثرة الحاجات ، ليس لها شغل الا طلب الحيلة لجر منفعة أو لدفع مضره عن هذه الاجسام المستحبيلة التي لا تقف على حالة واحدة طرفة عين ، فنفوسنافي جهد وبلاه وكد وعناه وبؤس وشقاء ليس لنا راحة منها الا بالمممات - فهذا اثنان .

واما الثالث فهو هذا الناموس الاكبر وأحكامه وحدوده ، وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده وزجره وتهديده وتبليغه ، وألم الجوع عند الصيام وتعب الابدان

عند القيام، ومجاهدة النفس عند اخراج الزكوات وتعب الاسفار عند قضاء الحج، ومشقة الابدان عند المهاجرة وجراحتها بالسيف والسنان عند المجاهدة ومحاربة أهل الكفر والعدوان، الى غير ذلك من آلام ترك اللذات والراحات وشدائد اجتناب الشهوات والمحرامات .

وأما الرابع فهذا السلطان الجابر (الجائز - ن) المالك للرقاب قهراً و جوراً، والمستعبد للعباد جبراً وكرهاً ، فان قمنا بخدمته وواجب طاعته فما نقاسي من الجهد والبلوى أكثر من أن يحصى ، من تعب الاجساد، وهموم النفوس، وعناء الارواح، وتضييع العمر في خدمته، وسخط الباري يوم القيمة وعداب الآخرة، والحجاب عن الله في طاغته، وان فررنا من سلطانه فلا عيش لنا الا نكداً، لافتقارنا في الدنيا الى التعاون والتمدن والسياسة والرياسة . فهذه أربعة .

وأما الخامس فهو شدة الحاجة الى مواد خارجية وأغذية بدنية لا قوام لهذا الهيكل الا بها، من المأكول والمشرب واللباس والمسكن، والمنكوح والمر كوب، وما لا بد منه في قوام هذه الحياة الدنيا، ومانقاسي من الجهد والبلوى في طلبها ليلاً ونهاراً في تعلّم الصنائع الشاقة، والتجارات المتعبة والمكاسب المكتسبة من الحرف والزرع والبيع والشراء والمناقشة في الحسابات والمكاييسة في المعاملات ، والحرص والشهه في جمع الاموال وحفظها من اللصوص وحراستها من الافات العارضة، ومكابرة القطاع ومنازعة أهل المجرور والظلم - فهذه حالتنا وأكثر أبناء جنسنا في هذه الدار .

واما من يريد المقام في الدنيا ويتمتّى الخلود فيها مع هذه الافات والشدائد فهو اما غير مؤمن بالآخرة ولا مصدق بالمعاد ولا متصور للوجود هكذا، او يتوهم ان بعد الموت عدماً صرفاً أو شرآً محضاً، وعلى الحالين يشن

من الآخرة كما يشئ الكفار من أصحاب القبور .

وأما من تصور كيفية الدار الآخرة وتحقق أمر المعاد وعرف فضلها وشرفها وسرور أهلها ولذات السعداء ونعمتهم وملكيتهم، فأى عذر له في التمني المخلود في الدنيا والأخلاق إلى الأرض وطلب الرفعة والرياسة فيها إلا خللا وسفها في عقله أو فساداً في اعتقاده وإيمانه، كأكثر من نراه من المنتسبين إلى الإيمان، \* (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) \* [١٠٦/١٢] .

## حكمة قرآنية

هذه الآية ونظائرها كقوله: \* (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) \* [٢٧/٩٠] وقوله : \* (ليس للإنسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى) \* [٤٠/٥٣] وقوله : \* (يوم تجدر كل نفس بما عملت من خير محضراً) \* [٣٠/٣] وغيرها نصوص جلية وبراهين واضحة على أن الثواب والعقاب في دار الآخرة إنما يكونان بنفس الاعمال والأخلاق الحسنة والسيئة لا بشيء آخر يترتب عليها ، فالملذ والمأثم ، والنعمة والنقم ، والجنة والنار في دار القرار هي نفس صور الاعمال والآثار ، كما دل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم» وقوله: «إن الجنة قيungan وإن غراسها سبحانه الله» (١) وكذا قوله تعالى \* (يستجعلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) \* [٢٩/٥٤] وقد مر تحقيق هذا المطلب في سلف القول .

فالعقوبات الالهية الواصلة إلى المجرمين كما أنها ليست من باب الانتقام الواقع عليهم من منتقم منفصل مبائن يوقع الآلام والشدائد عليهم ، ويوصل المكاره والمحن إليهم ، فكذلك ليست الآلام والمكاره أموراً خارجة عن ذاتهم

وصفاتهم مترتبة عليها ، بل الاعمال القبيحة الواقعة منهم في الدنيا بواسطه ما في ضمائركم ونيّاتكم صارت ملكة راسخة في نفوسهم ، وانحرفت بسببها فطرتهم الاصيلية ، توجب لهم تصورات باطلة وأفكار مؤلمة موحشة موجودة بوجود اخر يناسبها ، فتطلق على أفعالهم ما كان مستكتناً فيها .

ولو تيسر للشقي الفاجر أن يشاهد باطنه في الدنيا بنور البصيرة ليراه مشحوناً بأصناف السباع والشياطين وأنواع الوحوش والهوام ، مثل لغضبه وشهوته وحقده وحسده وعجبه ورياه ومكره وحيلته ، وهي التي لا تزال تفترسه وتنهشه ، الا أنه محجوب عن مشاهدتها فاذارفع هذا الحجاب وانكشف الغطاء ووضع في قبره عainها وقد تمثلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعاناتها .

وأول ما يقع بصر أحدهم على صورة عمله - المطابقة اياه - يرى بعينيه العقارب والحيات قد احدقت به ، وإنما هي صفاتي الحاضرة الان قد انكشفت له صورتها ، فيقول : « يا ليت بيسي وبينك بعد المشرقيين فيئس القرىن » وي يريد أن يهرب عنها ، وأنّي يتصور لأحد أن يهرب عن نفسه ولازم نفسه !

وعلى هذا القياس حكم الاعمال الحسنة الواقعة من أهل السعادة الآخرية المصورة في القيامة بصورة ملذة حسان ، من حور وغلمان وجنة ورضوان ، فإن حقيقة تلك الصور هي موجودة معه مختفية في باطنه ، وإنما تصير حاضرة مشهودة له يوم القيمة بواسطه رفع الحجاب ، لقوله تعالى : \* (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) \* [٣٢/١٧] .

قوله سبحانه :

ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون [٥٥]

قد مر في تفسيرنا لآية الكرسي أن أصحاب النار بالاصل هم هي النفس و

الشيطان ، لأنهما ظلمانيتان بجوهريهما ، حاصلتان من سخن الطبيعة التاربة الكدرة الدخانية من عالم الاجرام السفلية ، وأن أصحاب الجنة بالاصالة هي الروح والملائكة ، لأنهما نورانيتان بجوهرهما ، حاصلتان من سخن الحقيقة النورية اللطيفة من عالم الانوار العلوية .

وأما القلب الانساني فهو ذو وجهين : وجه الى النفس ووجه الى الروح ، انما ينقلب الى أحد من هذين القبيلين بمزاولة أحوال (أعمال - ن) تناسبه ، فيصير اما من أصحاب الجنة - وهم أصحاب اليمين - واما من أصحاب النار - وهم أصحاب الشمال - . والجنة موطن أهل السعادة ومصعدتهم في جهة العلو ، كما أن النار موطن أهل الشقاوة ومهبطهم في جهة السفل .

والتنكير في قوله : « في شغل » مشعر بأن شغلهم شغل لا يوصف بحد من جهة المشغول فيه والمشغول عنه جميعاً :

أما المشغول فيه فما ظنك بشغل من وصل الى دار الكرامة ومنزل المصطفين الابرار ومنبع الخيرات الحسان ، فاز بالنعيم الدائم ووصل الى الحق القائم ووقع في ملاذ وسعادات لا يكتنه وصفها ولا يحاط بنعمتها ، مع كرامة وتعظيم وشرف مقيم .

وأما المشغول عنه فما ظنك بشغل من تخلّص من هموم الدنيا وأحزانها وأمراضها وآلامها ، وهجوم آفاتها وأهوالها من مشاق التكليف ومضائق التقوى والخشية ، ومرارة الصبر طول العمر عن اللذات والمرغوبات ، وتخطى الاهوال والاخطر والموت عن مأنوساتها بالاختيار والاضطرار ، ومفارقة الاحبة والاخوان ومهاجرة الاولاد والأقران ، ومقاسات المحن من الحсад والاعداء ومشاهدة اوضاع الفجرة والفسق ، وسوء عقائدهم وقبح أعمالهم وغدرهم ومكرهم ، وترفع حال الجهال وتصدر الارذال - الى غير ذلك من مكاره هذه

النشأة الدنياوية وشدائدها، وآفاتها ونفائصها ، وآلامها ومحنها، وأمراضها وأوجاعها – وبالجملة شرورها التي لا ينفك عنها انسان ، فكيف المؤمن الغريب في هذه الدار المشحونة بالآفات والاخطر ، الطافحة بشرور الاشرار ، ثم مرارة الموت وكربه ، وزهوق الروح وتعبه ، ووحشة القبر وخطره ، وقيام الساعة وهو لها ، والمناقشة في الحساب ومعاينة ما لقى العصاة من العذاب .

وعن ابن عباس : « فـي افتراض الابكار ». لا يبعد أن يكون المراد منه كشف الحقائق العلمية وشهود المعارف العقلية – كشفاً وشهاداً لا يمكن البلوغ والوصول إلى نيله إلى تلك الغاية إلا في الدار الآخرة – .

وعنه أيضاً : « في ضرب الاوتار ». وليس ببعيد أيضاً أن يكون المراد منه سماع نغمات الابرار ، بل الاتصال بنغوس الضاربين الاوتار والأدوار ، المحركين لاشواق الدائيرات في عشق جمال الابد على الفلك الدوار ، والواهبيين سوانح اللذات الدائمات على الرقاديين في ملاحظة جمال السرمد على بساط الرحمة بمشاعل (بمشاغل - ن) الانوار .

وعن ابن كيسان : « في التزاور » وعن بعضهم : « في ضيافة الله » وعن الحسن : « شغلهم عما فيه أهل النار بما هم فيه » وعن الكلبي : « في شغل عن أهاليهم من أهل النار ، لا يفهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لثلا يدخل عليهم تنفيص في نعيمهم » .

واللفظ جاء بضمتين ، وفتحتين ، وضمة وسكون ، وفتحة وسكون . و « الفاكه » : المتنعم والمتلذذ ، وكذا « الفكه » ومنه : « الفاكهة » لأنها مما يتلذذ به ، وكذا « الفكاهة » وهي المزاح ، وقريء « فكهون » بغير ألف ، وهو بكسر الكاف وضمها ، كقولهم : « رجل حدث وحدث » (١) أي كثير

الحديث ، « ونطس ونطس » للبالغ في الشيء ، والباقيون بالالف في كل القرآن ، الا أن حفص وافق أبا جعفر في المطفيين : \* (انقلبوا فكهين) \* وقرىء : « فاكهين » و « فكهين » على أنه حال ، والظرف مستقر .

## بصيرة اخروية

«الشغل» كثيراً ما يطلق ويراد منه الصنعة والكسب ، وقد تحقق لنابارصاد روحانية وأنظار دقيقة كشفية ان النفس الانسانية اذا استكملت ذاتها بالعلم والتقوى ، وتجردت عن غشاوة العالم الادنى وتشبهت بأخلاق الله ، وطارت بأجنحة الكروبيّين ، ووصلت الى عالمها ، وبلغت الى فطرتها الاولى، أصبحت مختبرة للصور الغيبية المستوره عن الحواس ، فاعلة للاشكال الحسنة الجنانية الخارجه عن ادراك اهل الظن والقياس ، لكونها شديدة الشبه عند الاستكمال والتجرد عن هذا العالم بالمبده الفعال في الصفات والافعال ، كالحديده الحامية المجاورة للنار ، الفاعلة فعلها من الانارة والاشعال وسائر الاثار .

فماضنك بنفسك كريمة تنورت بنور الله وتلبست بلباس الهيبة والعظمة والنور وتسربلت بسر بال الكرامة والسرور ، في صيرورتها واهبة الحياة لماتصورتها صورة اخروية ، معطية الوجود والشروع لما انشأتها نشأة ثانوية ، لكونها واقعة في افق العظمة والاشراق ، مستوطنة في دار كرامة الله العزيز الخلاق ، وجنة رحمته التي فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ العيون ، ولكل أحد من أهل الله في الجنة ما تشتهيه ، كما قال : \* (لكم فيها ما تشتهي أنفسكم) \* [٤١/٣١] وسيأتي بعد هذه الآية بأدنى فاصلة قوله : \* (ولهم ما يدعون) \* اشاره الى هذا المعنى .

فانظر كيف جعل الله النفس الانسانية ذات اقتدار على انشاء الصور المطهرة

في الدار الآخرة ، المترفعة عن أدناس عالم الجن ، لقيامها خاضعة خاشعة  
بين يدي الحق رب العالمين ، خلاق صور الأشياء بالابداع والتكتوين ، مفيف  
القوة والقدرة على المخلصين الصابرين ، رب الطول والمحول على الوافدين ،  
القارعين بباب الرحمة والجود ، العاكفين في جانب الحق ينبوع الوجود .  
فإذا تحققت هذا فاعلم أن معنى قوله : « أصحاب الجنة اليوم في شغل  
فاكهون » إنهم مشغولون بعمارة الجنة حيث ما يشاءون ، وهم قائمون بانشاء  
الصور البهية النقيّة الحسان ، التي لم يطمسن انفس قبلهم ولا جان ، لصيرورتهم  
من جملة اخوان التقديس لا يشغلهم شأن عن شأن ، وسيأتي زيادة كشف لهذا  
المعنى .

وانما خصص هذه الحالة لليوم الآخر ، وان كان لبعض المتجردين عن  
جلباب البشرية أن تخترع نفوسهم صوراً يشاهدونها في صدق من عالم  
الملائكة ، لأن تمام الاقتدار إنما يتيسّر لهم عند قيام الساعة في دار القرار  
وأما التي يختارونها ويشاهدونها قبل ذلك فهي غير ثابتة لهم دائمًا ، بل في بعض  
الاحيانين على وجه شبّهي مثالي ، ليس في غاية الاشراق والانارة لشوائب  
آفات الدنيا ومنه صفاتها .

قوله سبحانه :

### هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكتئون [٥٦]

« هم » اما مبتدء خبره اما « في ظلال » او « على الارائك متكتئون » واما  
تأكيد للمضمير في « شغل » وفي « فاكهون » على أن أزواجاهم تشاركنهم في  
ذلك الشغل والتفكيره .

و « الارائك » جمع « أريكة » وهو : السرير في المحلة ، وقيل : « الارائك »

الوسائل ، وقال الأزهري : كل ما اتكلىء عليه .

وقرئ : في ظلال . وقرء ابن مسعود : متkickن .

أخبر سبحانه عن بعض أحوال السعداء وقال : هم وأزواجهم في ظلال – أي : هم وحلايلهم في الدنيا ممن وافقهم على إيمانهم في أستار عن وهج الشمس وسموها ، كما أنهم في حفظ عن برد الزمير وجموده ، فهم في حالة معتدلة لا حر فيها ولا برد ، قوله : \* (لا يرون فيها شمساً ولا زميراً) \*

[١٣/٢٦] .

وقيل : أزواجهم اللاتي زوجهم الله في الجنة من الحور العين في ظلال أشجار الجنة ، او في ظلال تسترهن من نظر العيون اليهم على الارائك – وهي السرر عليها الحجال .

## مكاشفة

الضمير راجع الى ارواح أهل اليمان ، الذين استكملوا بالعلم والتقوى ، فصاروا تحت ظلال الملائكة ، مرتفعين عن عالم الناسوت ، و«أزواجهم» نفوسهم التي يسكنون اليها ، فان نسبة النفس الى الروح نسبة الزوج الى الزوج ، لانفعالها وتأثيرها عن واردات الروح وانقيادها وتسليمها له – اذا كانت صالحة مطوعة غير ناشدة وأنفة عن طاعته ، ولا كيادة غدارة في صحبته .

أى : هم ونفوسهم الموافقة لهم في التوجّه الى الحق ، المشابعة المطاوعة ايهم في طريق العبودية لله في ظلال من أنوار الصفات – وهي الحجب التورية والوسائل العقلية المشار اليها في قوله صلى الله عليه وآلـه وسلم : «ان لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقـت سبـحـات وجـهـه كلـما انتـهىـ اليـهـ

نظره» (١) على الارائک - المقامات والدرجات - متکثون .

ويحتمل أن يكون «هم» مبتدء خبره «على الارائک متکثون» ويكون «أزواجهم في ظلال» جملة حالية من مبتدء وخبر، فان النفس واقعة في ظل الروح بل الظرفية تجوزية من باب عموم المجاز ، لأن النفس هي بعينها ظل نور الروح ودخانية ناره ، كما أن البدن بصفوة أخلاقه وروحه النفسي في ظل النفس وكدر صافها .

قوله سبحانه :

**[٥٧] لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون**

أى : لاصحاب الجنة في الجنة فواكه كثيرة ولهم فيها مايدعون وهم يفتعلون من الدعاء اي : يدعون به لأنفسهم كقولك : «اشتوى واجتمل» اذا شوى وجمل لنفسه ، وفي قول لبيد : «فاشتوى ليلة ريح واجتمل» (٢) ويجوز ان يكون بمعنى «يتدعونه» كقولك : «ارتموه» و«تراموه» .

وقيل معناه : لهم فيها مايتنون ويستهون . قال أبو عبيدة : تقول العرب : «ادع علي ماشئت» اي : تمنه علي ، و«فلان في خير ماادعي» اي في خير ماافمنى . وقيل : معناه ان كل ما يدعى شيئاً فهو بحكم الله ، لانه قد هذب طباعهم فلا يدعون الا مايحسن منهم .

وقال الزجاج : هو مأخذ من «الدعاء» يعني أن أهل الجنة كل مايدعون به يأتيهم .

١ - روی مسلم مايقرب من هذا في كتاب الإيمان : ١٣/٣ .

٢ - صدر البيت : او نهته فأقاه رزقه .

قوله سبحانه :

### سلام قولًا من رب رحيم [٥٨]

«سلام» مبتدء ممحض الخبر ، لدلالة «لهم ما يدعون» عليه ، كأنه قال : «لهم ما يدعون و لهم سلام» ويجوز أيضًا أن يكون بدلاً من «ما يدعون» و «قولًا» مفعول به - اي : يقول الله قولًا يسمعونه من رب رحيم ، فنودوا بدوام الامن والسلامة مع سبوع النعمة والكرامة ، او مفعول مطلق - اي : يقال لهم قولًا من جهة رب رحيم . بمعنى أنه سبحانه يسلم عليهم - بلا واسطة ، او بواسطة الملائكة - تعظيمًا وتكريماً لهم ، وعلى تقدير البدليل يكون اشعاراً بأن ذلك غاية ما يتمنونه وغاية مني أهل الجنة أن يسلم الله عليهم ، و لهم ذلك من غير منع .

وعن ابن عباس : الملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين .  
وقيل : ان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، يقولون : «سلام عليكم من ربكم الرحيم» .

وفي الكشاف قيل : «ما يدعون» مبتدء وخبره «سلام» بمعنى : و لهم ما يدعون سالم خالص لاشوب فيه و «قولًا» مصدر مؤكّد لقوله : «ولهم ما يدعون سلام - اي عدة - من رب رحيم» والوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه .

وقرىء : «سلام» . وفي قرائة ابن مسعود «سلامًا» نصباً على الحالية ، اي : لهم ما يدعون سالمًا .

## مكاشفة برهانية

قد سبقت الاشارة الى أنَّ الإنسان اذا مات عن الدنيا ولذاتها، وصفت نفسه عن درن الشهوات ، وتنورت بأنوار العبودية والطاعة ، وتخلقت بأخلاق الله، وبلغت مقام الفناء في التوحيد ، فحشر إلى ربه وتسمر مد بسرميته ، ونفذ حكمه في العالم على حسب التابعية ومقام الرضا ، واستشرق ذاته اللطيفة الصافية باشراق نور المحبة في أرجائها ، فتكرم بكرامة التكوين والإيجاد ، فتسخر له مافي الملك والملكون ، ويسمع دعاؤه ودعوه في عالم الجبروت ، لكونه وليد القدس وخليفة الله في أرضه ، ويكون من أمر الله سبحانه وباطن الملكون والروحانيين وعباده المسيحيين بأن يسجدوا له كلهم ، بقوله : \* (اسجدوا لآدم) \* [٣٤/٢] ويكون من يطيع له الملكون ويسجدون له كما سجد الملائكة كلهم لابيه آدم حين أمرهم الله بسجوده ، كما في قوله تعالى : \* (أني خالق بشراً من طين) \* فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ففعوا له ساجدين) \* [٣٨/٧٢] وهيهنا يظهر سر ماورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم «ان العالم يستغفر له من في السماء ومن في الارض حتى الجنون في البحر» (١) . وبالجملة الانسان اذا انخرط في سلك المقربين يصير نفس تصوره لكل ما يمناه نفس وجود ذلك الشيء في العين ، كما ان قبل ذلك يعم لكل أحد اذا تصور شيئاً وتمناه خضع له في عالم توهمه ، ويكون نفس تصوره لشيء وجوداً خيالياً ذهنياً له ، فلكل احد هيهنا ما يشتته نفسه في خياله وضميره ، الان ضميره وباطنه في غاية التصور ، وارادته وهمته في غاية الضعف ، فيكون للأشياء

بالقياس اليه وجود كالعدم وحضور كالغيبة، وأما في الآخرة فاذا قوى روح الانسان بالعلم والایمان ، وتخلى عن قيود الامكان ورق "الحدثان" ، وسلسل الذنوب وغل "العصيان" ، كان الذهن له خارجاً والعلم عيناً والغيبة حضوراً ، فيحضر ويوجده دفعة واحدة كل ما يهمه ويهواه ، هذا هو المراد بقوله تعالى : «ولهم فيها ما يدعون» .

ثم اعلم انه ورد في الحديث في خبر أهل الجنة : انه يأتي اليهم الملك بعد أن يستأذن عنهم في الدخول عليهم ، فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله بعد أن يسلم عليهم من الله ، فإذا في الكتاب لكل انسان يخاطب به : من الحي القيوم الى الحي القيوم ، أما بعد : فانت أقول للشيء «كن» فيكون ، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء «كن» فيكون . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : فلا يقول أحد من أهل الجنة لشيء «كن» الا ويكون .

## تأييد كشفي

قال بعض أهل المعرفة في شرح هذا الحديث : ان قوله صلى الله عليه وآله «فلا يقول أحد من أهل الجنة لشيء «كن» الا ويكون» جاء بشيء نكرة فعم ، وغاية الطبيعة تكوين الاجسام و ما تحمله مما لا تخلو عنه وتطلبها بالطبع و غاية النفس تكوين الارواح الجزئية في النشأتات الطبيعية ، مما اعطى العموم الا للانسان الكامل حامل السر الالهي ، فكل ماسوى الله شطر من الانسان الكامل – فاعقل ان كنت تعقل – .

ومن أراد أن يعرف كماله فلينظر في نفسه وأمره ونهيه وتكوينه بلا واسطة لسان ولا جارحة ولا مخلوق غيره ، فهو على بيته من ربه في كماله ، فان أمر ، او نهى ، او شرع في التكوين بواسطة جارحة من جوارحه ، فلم يقع شيء من

ذلك أوقع في شيء دون شيء ، ولم يعم - مع عموم ذلك بترك الواسطة - فقد كمل ، فلايقدح في كماله ما لم يقع في الوجود عن أمره بالواسطة ، فان الصورة الالهية بهذا ظهرت في الوجود ، فانه أمر عباده على ألسنة رسليه وفي كتبه ، فمنهم من أطاع ومنهم من عصى ، وبارتفاع الوسائل لاسبيل الاطاعة خاصة ، كما قال صلى الله عليه وآله : «يد الله مع الجماعة» وقدرته نافذة ، ولهذا اذا جتمع الانسان في نفسه حتى صار شيئاً واحداً فقدت همة فيما يريده وهذا ذوق أجمع عليه أهل الله قاطبة ، انتهى كلامه .

وقال في موضع آخر : «بالوهم يخلق كل انسان في قوة خياله ما لا وجود له الا فيها ، وهذا هو الامر العام الفاشي ، والعارف يخلق بالهمة ما يكون له وجود من خارج محل الهمة ، ولكن لأنزال الهمة تحفظه ولا يؤدّها حفظ ماختلقته ، فمتى طرأ على العارف غفلة عن حفظ ماختلق عدم ذلك المخلوق» انتهى (١) .

وقال الغزالى في الرسالة المضمنون به على غير أهله : «ان النوم مستحرر لاجل انقطاعه ، فلو كانت دائمة لسم يظهر الفرق بين المخيالى والحسى ، لأن التذاذ الانسان بالصور من حيث انطباعها في المخيال والحس ، لامن حيث وجودها في خارج ، ولو وجد في الخارج ولم يوجد في حسه بالانطباع فللاذة له ، ولو بقي المنطبع في الحس وعدم في الخارج لدامت اللذة ، وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا العالم ، الا ان صورها المخترعة متخيلة ، وليس بمحسوسة ولا منطبع في القوة الباقرة فلذلك لو اختراع صورة جميلة في غاية الجمال وتواهم حضورها ومشاهدتها لم تعظم لذتها ، لانه ليس بصيراً مبصرأ كاما في المنام .

فلو كانت له قوة على تصويرها في القوة الباقرة كماله قوة على تصويرها في القوة

(١) - فصوص الحكم : فص كلمة حقيقة في كلمة اسحاقية : ٨٨

المتخيلة ، لعظمت لذته ونزلت منزلة الصورة الموجودة في الخارج ، ولم تفارق الدنيا الآخرة في هذا المعنى الامن حيث كمال القدرة على تصوير الصورة في القوة البصرية ، فكلما تشتتت فيحضر عنده في الحال ، فتقون شهوته بسبب تخيله ، وتخيله بسبب ابصاره ، اي بسبب انطباعه في القوة البصرية ، ولا يخطر بباله شيء يملي اليه الاويوجد في الخيال (الحال - ن) اي يوجد له بحيث يراه .

والى الاشارة بقوله صلى الله عليه وآلـه وسلم: «ان في الجنة سوقاً تباع فيه الصور» (١) والسوق عبارة عن اللطف الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشيّة ، وانطباع القوة البصرية بعدها انطباعاً ثانياً الى دوام المشيّة لا انطباعاً هو بمعرض الزوال من غير اختيار كما في النوم في هذا العالم .

وهذه القدرة اوسع وأكمل من القدرة على الایجاد عن خارج الحسن ، لأن الموجود في خارج الحسن لا يوجد في مكانيين ، وإذا صار مشغولاً باستماع واحد ومشاهدته ومماسته صار مستغرقاً محظوظاً عن غيره ، وأما هذا فيتسع اتساعاً لا يضيق فيه ولا منع ، حتى لو اشتهرت مشاهدة النبي صلى الله عليه وآلـه - مثلاً - ألف شخص في ألف مكان في حالة واحدة لشاهدوه كلما خطر ببالهم في المكانات المختلفة ، وأما الابصار الحاصل من شخص النبي صلى الله عليه وآلـه الموجود في خارج الحسن: فلا يكون الا في مكان واحد ، وحمل امور الآخرة على ما هو اوسع وائم للشهوات واوفي لها اولى .

ولا ينتقص عن رتبتها في الوجود انتفاء وجودها من الخارج فان وجودها مراد لاجل حظه ، وحظه من وجوده في حسنه ، فإذا وجد فقد توفر حظه ، و

الباقي فضل لاحاجة اليه، وانما يراد لانه طريق المقصود، وقد تعيّن كونه طريراً في هذا العالم الضيق الفاقد أبداً في ذلك العالم فيتسع الطرق ولا يتضيق» انتهى كلامه.

### مباحثة عقلية

ان هذا النحرير الخبيث قد تتبع أثر كلام فاضل المشائين أبي علي ابن سينا في تحصيل مسئلة المعاد الجسماني، حيث قال في اواخر كتابه المعروف بالشفاء بعد أن صبح اعتقد بالمعاد بكون بعض الاجرام السماوية موضوعاً لتخيلات المتوسطين في السعادة والاشقياء وفي جميع ما يعتقدونه من الاحوال الاخروية ، أو سمعوه من الانذارات في الدنيا ، من أحوال القبر والبعث والثواب والعقاب بهذه العبارة :

«ان الصورة الخيالية ليست أضعف عن الحسيّة، بل تزداد عليها تأثيراً وصفاءاً كما يشاهد في المنام ، فربما كان المخلوم به أعظم شأناً في بابه من المحسوس ، على ان الاخر اشد استقراراً من الموجود في المنام بحسب قلة العواطف وتجرد النفس وصفاء القابل ، وليس الصورة التي ترى في المنام بل والتي تحس في البقظة كما علمت الا المرتسمة في النفس ، الا ان احداهما تبتدئ من باطن وتنحدر اليه، والثانية تبتدئ من خارج وترتفع اليه ، فاذا ارتسם في النفس تم هناك الادراك المشاهد ، وانما بذلك ويؤذى بالحقيقة هذا المرتسم في النفس لا الموجود في الخارج ، وكلما ارتسם في النفس فعل فعله وان لم يكن سبب من خارج فان السبب الذاتي هو هذا المرتسم والخارج

هو سبب بالعرض أو سبب السبب» (١) انتهت الفاظه .

\* \* \*

والعجب منهما جمياً كيف اقتنعا في هذه المسألة المهمة الشريفة الدينية التي لا يخرج الانسان من خطر سوء العاقبة الا بتحقيقها وتبينها بهذه المرتبة الدينية، وقصرًا في الاعتقاد يوم المعاد على هذه الدرجة النازلة.

بل الحق الحقيق بالاعتقاد والتصديق، هو ماتنورت به نفوس الراسخين في العلم والایمان، المثبتين في الحكم والعرفان، من علماء هذه الملة البيضاء وحكماء هذه الشريعة الغراء ، وهو أن الصور الموجودة الموعودة في الدار الآخرة موجودات عينية ثابتات خارجية منفصلة عن النفس – لا أنها حالة فيها حلول الصور الانطباعية – وإنما هي جواهرها جواهر عينية و ثابتات خارجية منفصلة عن النفس، وهي على أشكالها وهيئاتها وصفاتها المنعوتة في الكتاب والسنة، وأقدارها واعظامها واعدادها الموعودة في لسان الشريعة من غير تجوزات واستعارات في اللفظ، وتتكلفات وتمحّلات في الحكاية .

وهي أقوى تأثيراً وأدوم آثاراً من موجودات هذا العالم بل لا نسبة بينها وبين هذه المؤثرات (التأثيرات – ن) المستحبّلات في باب الموجودية وترتّب الآثار بها وليس انها بحيث يمكن أن ترى بهذه الابصار البالية الفانية كما ذهب اليها الظاهريون، ولا انها خيالية ممحضة لا وجود لها في العين، أو مثالية ممحضة لا يشاهد الا في مظاهر اخرى نفسانية او خيالية، او اجرام فلكية او كوكبية كما رأه آخرون، ولا انها مجرد مفهومات عقلية وامور ذهنية كلية كما زعمه المشائرون ولأنها مجرد مثالات عقلية لا جسام نوعية وأرباب أنواع جسمانية لاصنام شخصية كما ذهب اليه الرواقيون، ولا انها أشخاص وأجسام

سيوجد في هذا العالم ويتعلق بها النفوس الناقصة والمتوسطة بعد مرور أكوار وأدوار كثيرة ومضي "دهور وأحقاب عديدة كما تمحله وانتحله التناصخية . بل كماد كرناه صورة عينية جوهرية موجودة لافي هذا العالم ودار العمل ولا يشاهد بهذه الحواس وإنما هي ثابتة في عالم الآخرة ودار الثواب .

وعالم الآخرة جنس لعوالم كثيرة كل منها أعظم من هذا العالم بما لا نسبة بينهما ، ولكل نفس من نفوس الآخيار عالم عظيم الفسحة ومملكة أعظم من السموات والارض بعدها أضعاف .

ووجود امور الآخرة وإن كان يشبه وجود الصور التي يراها الانسان في المنام أو في المرأة من وجه ، إلا أن الموجودة في المنام والمرأة امور ضعيفة شأنها الحكاية الممحضة ، وأما الصور الموجودة في الدار الآخرة فهي امور قوية الوجود شديدة التأثير ، نسبةـها إلى هذه الصور الدنياوية كـنسبة هذه الصور المحسوسة إلى الموجودة في المنام ، من بقايا المرتسمات الوهمية والمخزونات الخيالية ، كما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وآله : «الناس نیام فإذا ماتوا انتبهوا» فيعلم منه أن الكون في الدنيا منام والعيش فيها أحلام .

\* \* \*

وقد مرت في تفسيرنا لبعض الآيات اشارات لطيفة وتنبيهات على كيفية وجود الصور الأخرى ، وأما بيانه التفصيلي على المنهج البرهاني اللمي بالنظم الحكمى المتعارف بين المباحثين ، المناسب للناظرین فقد اودعناه في بعض «الاسفار الالهية» الموسومة بالحكمة المتعالية .

واما اجماله فانما يستفاد من هذه الآية ونظائرها ، بمحلاحظة أن النفس الناطقة الانسانية من سُنْخِ الملائكة وعالم القدرة والنورىة ، والنور فياض

لذاته والملكتيون لهم اقتدار على اختراع الصور من غير حاجة الى مادة و موضوع تصرفوا فيها كأرباب الصنایع في صنایعهم ، ووجود المادة وعدمها مناط الفرق بين الصناع والابداع ، فان الحاصل بالانشاء والابداع يكون صورة من غير مادة وموضوع ، والحاصل بالصناعة والتكون صورة في مادة أو مع مادة .

لكن النفس مادامت متعلقة بهذا البدن الكثيف الظلماني ، المركب من الاضداد لا يمكنها انشاء الصور والاشكال التي ارادت وشائط الا ضعيفة الكون شبحية الوجود بمنزلة الطلل و الرسوم التي لا تترتب عليها الآثار المطلوبة ، ولا تكون ايضاً ثابتة باقية بل دائرة زائلة ، لأن مظهرها القوة الخيالية وهي دائمة التحلل والتجدد والزوال ، والانتقال من حال الى حال حسب اختلاف أمزجة محلها ، بسبب ما يرد على الروح البخاري من المشوشات والمغيرات الخارجة والداخلة .

أولاً ترى أن النفس كلما استراحت من الشواغل الضرورية وغير الضرورية والحركات الازمة لحفظ البدن ، المجتمعه من الأمور المتضاده المتداعية الى الانفصال ، وتعطلت حواسها الظاهرة واحتبس عن استعمالها والاشتغال بها – اما بالنوم او بتوجها الى الجنبة العالية بقوه في ذاتها نظرية او كسيبة – اغتنمت الفرصة ورجعت الى ذاتها النورية الفياضة ، فأصبحت مختبرة للصور مشاهدة ايها بحواسها التي لها في ذاتها بلا مشاركة البدن ، فان النفس في ذاتها بصرأ وسمعاً وذوقاً وشمماً ولمساً من دون حاجة لها الى البدن وقواته ، بل هي أتم وأقوى وأصفى من هذه التي في البدن ، بل هذه هي ظلال تلك وكما أن حواس البدن كلها ترجع الى حاسة واحدة هي «الحس المشترك» فجميع حواس النفس وقواتها ترجع الى قوة واحدة وهي ذاتها النورية الفياضة

. للصور .

وقد أشرنا الى أن نزول الشيء عن فطرته يكثّره ويضعفه، فهذه الحواس على كثرتها كأنها هي صفات النفس الموجودة في ذاتها بوجود واحد تشعبت وتكثرت في البدن، والضعف مما يجب التكثير والانقسام ، كالنبض يتعدد ويتواتر عند ضعفه ، فإذا رجعت النفس إلى فطرتها وذاتها من هذا العالم صار ادراً كها للاشياء عين قدرتها عليه ، فيكون علمها فعلاً وحسها قدرة ، وكلما كانت أتم قوة وأقوى تجوهراً وأقل مزاحمة من قواها وشواغلها كانت ملاقاتها للصور الغيبية ومشاهدتها إياها وترتباً آثار الوجود على صورها المشهودة الداذاً أو ايلاماً أكثر .

وربما كانت قوة بعض النفوس لغاية جلالتها وقربها من الحق سبحانه بحيث تقى بضبط الجانبين وتسع للتصرف في النشأتين ، فكانت مع تعلقها بهذا البدن مشاهداً لعالم الآخرة ، وذلك لنفضهم غبار هذه المحسوسات عن أذيال نفوسهم ، وعدم التفاتاتهم إلى صور هذه الدار إلا بعين الاحتقار ، فلا يشغلهم شأن عن شأن ولا يحجبهم منزل عن منزل ، ولا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وتذكر الأمور الأخروية ، فهي كالمبادئ الفعالة ذاتاً وصفة وفعلاً فتقدّر على إيجاد الصور وإنشاء الأعيان وذلك لظهور سلطان الآخرة على قلوبهم وقيامهم إلى الله عن هذه القبور البالية .

\* \* \*

فهذه انموذج لمعرفة أحوال الآخرة وما يراه الإنسان من الصور الملائكة أو المؤذية الموعودة أو المتوعدة عليها في الجنة والنار ، ويعلم منه كيفية احضار كل ما يشهيه ويدعوه أهل الجنة في الجنة المشار إليه في هذه الآية في قوله : «ولهم ما يدعون» .

بل يعلم ايضاً كل نفس - سواء كانت سعيدة او شفقة - فهي اذا انقطعت عن البدن ، وارتحلت عن هذه الدار ، وارتفعت عنها شواغل صحبة الاغيار ، ورجعت الى ذاتها وعالماها ، وصارت جوانبها الباطنية لادراك الامور الاخروية قوية حديدة ، لقوله تعالى \* (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غُطَائِكَ فِي بَصَرِكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) [٤٠/٢٢] فيشاهد الصور الغيبية المخزونة عندها من نتائج اعمالها وافعالها ، ومطامع انتظارها ومقاصد طبائعها وغاية هممها وقصورها ، فان كانت هي من الامور القدسية الدائمة الباقيه المقربة الى الحق ، المؤكدة للروح والريحان والانس بروائح القدس ، كانت الروح عند ملاقاتها مسؤولة بها قريرة العين بمشاهدتها كالجنة والرضوان ومجاورة الرحمن ، وان كانت من باب اللذات الداثرات والشهوات الدنيوية الفانية ، كانت الروح عند ملاقاتها في غصة وعداب اليم وتصلبة جحيم .

### مباحثة اخرى

ثم انى لانتعجب من بعض الشيوخ (١) الموصوفين بالعلم والحكمة وفقه الآيات بالاشراق والهمة ، مع شدة توغله في فهم الاسرار وعلم الانوار ، واعتقاده بوجود عالم الجنة والنار - اليه رجعى نفوس الاخبار والفحجار - كيف صوب واختار قول بعض العلماء ، كما صوبه واختاره الشيخان الجليلان - وهما أبو علي والعزى - تصريراً وتلميحاً من كون جرم سماوي موضوعاً لتخيلات طوائف من السعداء والاشقياء ، مستدلاً بأنهم لم يتصور لهم العالم العقلي ولم ينقطع علاقتهم عن الاجرام ، وهم بعد بالقوة التي احتجت بها النفس الى علاقة البدن ، وقال : «انه كلام حسن» موافقاً لما قال ابو علي (٢) بعده قوله ايامه : «انه مما يشبه

١- الشیخ الاشراقی شهاب الدین السهروردی ، راجع التلويحات ٨٩ .

٢- الالهیات من الشفا : ٥٥١ ، او اخر المقالة التاسعة .

أن يكون كلاماً حقاً » وكما اختاره الغزالى في مقالته المضمنة بها - وهو ما نقلناه آنفأـ .

الا أن هذا الشيخ الأشرافي خالفهمما في تعلق نفوس الاشقياء بتلك الاجرام الشريفة ذوات النفوس النورانية ، حيث قال : (١) « والقوة تحوجهم الى التخيل الجرمي ، فليس يمتنع أن يكون تحت ذلك القمر و فوق كرة النار جرم كري غير منخرق هو نوع بنفسه ، ويكون بربخاً بين العالم الاثيري والعنصري موضوعاً لتخيلاتهم ، فيتخيلون به من أعمالهم السيئة مثلاً من نيران وحيتان تلسع وعقارب تلذع و زققون تشرب وغير ذلك» .

وقال : « ولست أشك لما اشتغلت به من الرياضيات أن الجمال والفسحة لو تجردوا عن قوة جرمية مذكورة لاحوالهم مستبعة (٢) لملائتهم وجهاتهم ، مخصصة لتصوراتهم ، نجوا الى الروح الاكبر» انتهى .

\* \* \*

ولايختفي على المخبير البصير أن كون جسم من الاجسام فلكي او عنصري موضوعاً لتخيل النفس و مرآة لمشاهدتها صور الاشياء لاستقتنام الآباء يكون لها معه علاقة ذاتية او وضعية بتوسط ما هو لها معه تلك العلاقة بالذات ، وبالجملة لا بد من أن يكون ذلك الجسم في تصرف النفس بوجه من الوجه ، وأقله كما يكون في المرآيا التي لها علاقة وضعية بالنسبة الى المادة البدنية ، التي موضوعة لافاعيل النفس و محل لقوتها ، ومطرح لاشعتها و أصواتها ، المنبعثة عن ذاتها النيرة الواقعية عليك .

فإنك اذا ترى صورة في المرأة فهو لاجل علاقة وضعية لها ابتداء او بتوسط

١ - التلوينات : ٩٠

٢ - التلوينات : مستبقة

مرآة اخرى مع عينك التى هى ايضاً مرآة في تصرف النفس بعلاقة طبيعية ، وليس الجرم الفلكى او ما يجري مجراه مما يؤثر فيه شيء من النفوس الانفسه المفاضلة عليه من مبدئه وقد تقرر عندنا أن الاجرام العلوية ليست مطيعة لغير مباديها الذاتية وهي ملائكة السموات بأمر ربها ، ولاقابلة للتأثيرات الغريبة من القواسر ، وليس لتلك النفوس المفارقة عن هذه الابدان ابدان اخرى ، حتى تكون لأبدانها بالقياس الى تلك الاجرام العلوية علاقة وضعية لتصيرهى كمرآة لتلك النفوس يشاهدون ما فيها من الصور .

وعلى تقدير صحة كونها مراتي يكون الصور المرسمة في مراتيها هي تخيلات الافلak وما في حكمها ، لاتخيلات تلك النفوس ، فكيف يجوزون أن يكون تلك الصور مما يتلذذ به السعداء او يتعدب به الاشقياء ؟ كيف والصور المؤلمة لهم - على ما اعترفوا به - ليست الا هيئاتهم الرديئة وتخيلاتهم النفسانية المشوشه الباطلة ، وعقائدتهم الوهمانية الخبيثة الفاسدة ، دون الصور المطابقة لما هو الواقع ، لأن الكائن في القابل الذي هو في غاية الخلوص والنقاء - كالاجرام العالية - من الفاعل الذي في غاية الشرف والبهاء - كالمبادي العقلية - لا يكون الا صوراً علمية مطابقة لما هو عليه الامر في نفسه .

ثم من المعلوم أن علاقة الجوهر الروحاني بجسم انما هي لنسبة طبيعية بين مادةه البدنية وبين الجوهر الروحاني ، فأيّة نسبة حدثت بينهما بالموت حتى اوجبت اختصاصه به وانجذابه من عالمه اليه دون غيره من الاجرام ؟ بل الى حيث دون بقية الاحياز من نوع ذلك الجرم ؟

ثم ان الجسم الذي هو موضوع التخيلات يجب أن يتصرف فيه النفس ويحرك بحركات جرمية ، تابعة للحركات النفسانية واراداتاته الفكرية ، كما يعرض لجوهر الدماغ من الانفعال والتغيرات ، وظاهر أن الجوهر الفلكي يأبى عن تصرف

فيه من غير نفسه المحركة اياب حرارة متشابهة مستمرة على نهج واحد .  
وان كان جرماً من كبار خانياً تحت كرة النار كما زعمه قوم فهو أيضاً غير صحيح  
لعدم اعتدال فيه يصلح لقبول النفس المدببة له ، فإنه ان قرب من النار فتحيله  
بسرعة الى جوهرها ، وان بعد منها فيكون في حيز الهواء ، فاما أن يتخلخل  
فيصعد بحر ، او تتكاثف فينزل ببرد ، وليس فيه جرم محظوظ يغلب عليه من الصلابة  
واليس ما يحفظه من التبدل يحرسه عن مجازة غيره به ، كما للجوهر الدماغي  
فيما ، ليتعين فيه محل التخيل بتشكيلاته ، ولا بد من جوهر يابس لينحفظ فيه  
الصور ، ورطب ليقبل .

ثم لما كانت النقوس المفارقة عن الابدان الانسانية غير متناهية عندهم ،  
لزم مما ذكر واجتمعا المفارقات كلها على جسم من أجسام العالم ، فيلزم امانهاية  
تلك الجواهر او غدم نهاية ذلك الجسم ، وكلاهما محال فلا يستقيم ما قالوه  
ولا يستقيم ما تصوروه من كونها مما يتعذب به الاشقياء .

وكما لم يجز ذلك في الجرم الفلكي ، فكذلك لا يصح في جرم ابداعي  
غير منخرق منحصر نوعه في شخصه كما توهموه بل هذا الجرم ايضاً كما فرضوه  
له طبيعة خامسة فلكية وان كانت تحت كرة القمر للزوم كونه غير مستقيمة المحركة  
بل ذات حرارة مستديرة دائمة يخرج بها اوضاعه وكمالياته من القوة الى الفعل ،  
وسائر صفات الافلاك على رأيهم ، ولعل عدد نقوس الاشقياء غير متناه على رأيهم  
كما مر ، فكيف يكون جرم دخاني متناه موضوعاً لتصريفاتها وصورها الادراكية  
الغير متناهية ، اذ لا أقل من أن يكون فيه بازاء تعلق كل نفس وكل ارتسام  
صورة فيها قوة واستعداد لها ، فيلزم أن يكون جرم واحد ذات قوة غير متناهية  
مجتمعها ، وذلك معلوم الفساد .

بل الحق أن الصور الملذة للسعادة والمؤذية للاشقياء في النشأة الثانية -

كما وعدها الشريعة الحقة النبوية - على الصادع بها وآلها أفضل الصلوة والتحية - هي واقعة في صقع آخر ، مظاهرها نفوس هاتين الطائفتين بضرب من الفعل والتأثير ، كما أن الصور تقع في المرأة بضرب من القبول ، ولا منافاة بين صدور الفعل عن قوة بجهة وانفعالها عنه بجهة أخرى ، كما أن الصحة والمرض البدنيين ينشئان من النفس في هذه الدار - كما هو التحقيق - بواسطة ما سبق من أفعال تغير المزاج ، ثم تنفعل النفس منها ، وتكون من أحدهما في راحه ومن الآخر في مشقة .

وذلك لكونها ذات جهتى قوة و فعل ، وكمال ونقص ، ووجوب وامكان ، يفعل بأحدهما وينفع بالآخر ، وهكذا يكون حالها بحسب فعل الطاعات واقتراف السيئات المؤدية الى الصور الحسنة والقبيحة يوم الاخرة عند تجسّم الاعمال ، فيتعمّم او يتعدّب .

وهاتان الجهتان موجودتين في النفس مالم يصر عقلاً بسيطاً صرفاً يكون فعالاً ودراماً وقد ثبت عندنا أن « عنه » و « فيه » في المفارقات المحضة شيء واحد .

فقد وضح أن جميع ما يلحق النفس في الآخرة هو ما ينشأ منها ، فظهور بطلان قول هؤلاء المتشبّثين بأذيال الأفكار الفلسفية ، الواقفين عن الارتقاء إلى ذروة قدس الملة المصطفوية وأوج عرفان الحكمـةـ المحمديةـ علىـ الصادعـ بهاـ وآلـهـ أـنـ كـيـ الـصـلـوـاتـ الـاـبـدـيـةـ .

## تأييد قنبيهي

ومما يؤكـدـ ويـوضـحـ ماـ ذـكـرـناـهـ منـ بـطـلـانـ قولـ هـؤـلـاءـ بـتـعـلـقـ الـأـرـواـحـ بـعـدـ الموـتـ بـأـجـسـامـ فـلـكـيـةـ أوـ دـخـانـيـةـ ليـكـونـ الـحـاـصـلـ فـيـ قـوـاـهـاـ مـنـ الصـورـ المـثـالـيـةـ

هي بعينها جنة السعداء وجحيم الاشقياء ، وتصحيح أن تلك الصور والاشباح حادثة عن الارواح في صفع منها وفي عالمها المختص بها ، نتيجة لاعمالها وأخلاقها الحاصلة في الدنيا هو ما صرّح به بعض أهل الكشف بقوله : «عليك أن تعلم أن البرزخ الذي تكون الارواح فيه بعد المفارقة من النشأة الدنياوية هو غير البرزخ الذي بين الارواح المجردة والاجسام ، لأن تزلات الوجود ومعارجه دورية ، والمرتبة التي قبل النشأة الدنياوية هي من مراتب التزلات ولها الاولية ، والتي بعدها من مراتب المعارج ولها الاخرية . وايضاً الصور التي تلحق الارواح في البرزخ الاخير انما هي صور الاعمال ونتيجة الافعال السابقة في الدنيا ، بخلاف صور البرزخ الاول ، فلا يكون أحد هماعين الاخر ، لكنهما يشتتر كان في كونهما عالماً روحانياً وجوهراً مثالياً» . انتهى .

وقال في الباب الثالث والستين من فتوحاته المكية : «فجميع ما يدرّكه الانسان بعد موته في البرزخ من الامور لغير الصور التي هو بها في الدنيا» (١) وقال في آخر هذا الباب : «وكل انسان في البرزخ مرهون بكسبه ، محبوس في صور أعماله الى أن يبعث يوم القيمة في النشأة الاخرة» (٢) انتهى كلامه . وبه يعلم أن تلك الصور الملذة والمؤلمة مبدء وجودها النفوس ، لأنها نتائج الاعمال اللاحقة ، وهي ليست تخيلات الافلاك وتصوراتها التي هي بعينها صور عالم المثال السابقة عندهم ، ولا يمكن ايضاً أن ترتسم فيها صور أخرى حاصلة من تلك النفوس ، والا لانفعتل عنها وتأثرت من آثارها ، فانفسدت

١ - الفتوحات (٣٠٧/١) : . . . . بعين الصورة التي هو فيها في القرن .

٢ - الفتوحات (٣٠٧/١) : . . . الى ان يبعث يوم القيمة من تلك الصور في النشأة الاخرة .

بكثرة التأثيرات الغريبة .

ويعلم من قوله : «فجميع ما يدر كه الانسان بعد موته - الى آخره» وقوله : «كل انسان في البرزخ مرهون بكتابه - الى آخره -» أن الصور الاعتقادية هي بعينها استصير بعد القيمة موجودات عينية متحققة القوام مستمرة الثبات والدؤام مؤثرة في النفوس المذاذاً وإيلاماً ، وأن المكاسب العملية هي بعينها ستتصير اما منشأ انتلاق النفس عن وثاقها إلى سعة الرحمة الإلهية ، او منشأ لأنحباسها عن عالمها وتقيدها بسلسل التعلقات وضيق عطنها وطردتها عن الرحمة وبعدتها عن الجنة في غصة وعذاب أليم ، وانحدار إلى مهوى الجحيم .

قوله سبحانه :

### وامتازوا اليوم أيها المجرمون [٥٩]

اي: انفصلوا وتفردو واعتزلوا أيها المجرمون - من الكافرين والمنافقين - عن المؤمنين الكاملين في العلم واليقين ، وكونوا عليهم واحدة وذلك حين كشف الغطاء ورفع الحجب بالموت ، بل عند القيام إلى المحشر عن هذه القبور ، ونحوه قوله تعالى : \* ( يوم تقوم الساعة يؤمّنُّ يُتفرّقُونَ \* فَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رُوضَةٍ يُحْبَرُونَ \* وَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءُ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ) \* [ ٣٠ / ١٤ ] .

وعن الضحاك : لكل كافر بيته من النار يدخل فيه فيردم بابه ، لا يرى ولا يرى معناه أن بعضهم يمتاز عن بعض .

## مكاشفة

قد سبقت الاشارة الى كون أفراد الانسان في النشأة الثانية وبحسب الباطن واقعة تحت أنواع كثيرة حسب اختلاف الصفات والملكات ، لأن النفوس الانسانية وإن كانت بحسب الفطرة الأولى متشابهة الحقيقة متماثلة الماهية لكونها صورة فائضة على المركب العنصري من الممزوج الواقع في عرض المزاج النوعي الانساني - لأنها مادة عقلية قابلة لهيئات نفسانية ، وصور عقلية تصير بها خارجة من القوة الى الفعل في أطوار مختلفة .

فالنفوس السبعية تقبل عقولها الهيولانية هيئات سبعية من الغضب والغلبة والجور والوقاحة والتعالي والتفاخر وغيرها ، حتى تصير صورها التي تخرج من القوة الى الفعل صوراً سبعية ، ولكل نفس منها صورة سبعية مخصوصة لنوع من أنواع السباع الذي يناسبه ويخصه تلك الهيئات التي رسخت في تلك النفس .

وكذا النفوس البهيمية تقبل عقولها الهيولانية هيئات بهيمية - من الشهوة والحرسن ولذة البطن ولذة الفرج والزينة والرعونة وغيرها - حتى تصير مادة تتكون فيها صورة بهيمية لكل نفس مايناسبها من تلك الصور .

والنفوس الشيطانية تغلب عليها هيئات ابليسية من الجهل الراسخ والاستكبار والمكر والحيلة والجربزة والوعد بالشر والإبعاد بالخير ، وغير ذلك من صفات أهل اللعنة والكفر والطرد ، حتى تصير عقولها شياطين بعينها .

واما النفوس الملكية فالغالب عليها مزاولة العلوم العقلية، وطلب المعارف الالهية ، ومحبة الحق وملائكة الله المقربين ، ومتابعة الرسل والأئمة عليهم السلام

والصبر والورع عن محارم الله ، والاعراض عن الدنيا ، والتتجافى عن دار الغرور وتنكر الموت والآخرة ، حتى تصير من جنس الملائكة المقربين لكل نفس بحسب قوّة ايمانه وشدة اجتنابه عن اللذات .

\* \* \*

فإذا تقرر هذا ظهر أن كل نفس من النفوس الإنسانية واقعة يوم القيمة تحت نوع من أنواع تلك الأجناس الأربع : « السبعية ، والبهيمية ، والشيطانية ، والملكية » وتحشر معه ، فالنفوس البشرية منحصرة يوم الآخرة في أجناس أربعة لكل جنس أنواع كثيرة ، لكل نوع منها أفراد غير محصورة .  
وهذه الأجناس الاربعة من النفوس اثنان منها علميتان شريرتان حاصلتان من تكرر الأفكار العلمية أحدهما شريرة والآخر خيرة .

وانما لم تحصل من تكرر الأعمال الصالحة صورة ، لأنها اما ترتكب ممحضة او مؤدية الى ترتكب وأعدام ، بل يؤدي أكثرها الى كسر القوى ورفض الدواعي والغاية الأصلية فيها تصفية الباطن وخلوه عن الحجب الدنياوية وعن الغشاوات النفسانية ، فلا يوجب مزاولتها صورة كمالية في النفس بخلاف الأعمال القبيحة والمعاصي ، فإنها من باب اللذات الوجودية او الهيئات الكمالية بوجه ما ، فيؤدي الى صورة في النفس - اما بهيمية او سبعية - .

واما اكتساب العلوم فمزالة الأفكار لامحالة يؤدي تكررها الى صبر ورقة النفس امرا بالفعل ، فان كانت الأفكار والتأملات مستقيمة موزونة مطابقة للقوانين الدينية والحكمية ، موافقة لاصول الموجودات الدائمة الحقيقة - كالباري جل مجده وصفاته ، وملكته ، وجبروته ، وكلامه ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ، واستواء الرحمن على العرش ، وصراته ، وميزانه ، وحسابه ، وجمعه للخلاق في عرصه

واحدة ، وجنته ، وناره ، وتفرده يوم القيمة بالوجودية والوحدةانية والقهر ، إلى غير ذلك من المعارف الالهية والعلوم الربانية – فيصير بها الإنسان من جملة الملائكة المقربين .

وان كانت الأفكار والتأملات من باب الشبهات والمغالطات ، الموجبة للاغترار بالظنون الفاسدة والأوهام الكاذبة ، والاحتجاج بهاعن الحق والارتهان بالأمور الباطلة ، وترويج الباطل في صورة الحق ، والمماراة مع العلماء والمداراة مع السفهاء ، وجعل العلوم وسيلة للمجاهه والمنزلة عند الناس ، وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله بالوسواس والقياس ، والتلذذ بمنادمة السلطان والترفع بها على الأخوان – وإلى غير ذلك من الأمور الشيطانية التي اشتعل بها أكثر علماء الزمان ، التي منشأها قصور النظر وعدم التفرقة بين السفسطة والبرهان ، والاشتباه بين المغلوطة والإيقان والبهتان والعرفان ، والالتباس بين التوفيق والخدلان ، والوجودان والحرمان ، وإذا تكررت هذه الأفعال الشنيعة وترآكمت الصفات الناشية منها في النفس ورسخت فيها محبة الباطل والاعراض عن الحكمة ، والانحراف عن سمت الحق والحقيقة ، وصارت النفس عندذلك شيطاناً مريداً لعنه الله ، وصورتها يوم القيمة صورة تحسن عندها القردة والخنازير – كما ورد في الحديث – .

والله تعالى أشار إلى هذه الاجتناس الرديئة من النفوس الشهوية والغضبية والشيطانية بقوله : \* (قل هل انيشكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) \* ثم قال اشارة الى القسم الاخير – \* ( او لئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل) \* [٦٠ / ٥] .

و تلك الشقاوة كالسعادة على ضربين : علمي وعملى . فالسعادة والشقاوة العلميتان أبديتان مخلدان غير منقطعتين ، بخلاف الشقاوة العملية ، فانها مما

يتحمل الانقطاع ومما ينفع فيها شفاعة الشافعيين ، وأما الكفر والجحود وما يترب عليهما من الصفات فلا مطعم لانقطاع عذابها، لأن عذاب الجهل المشفوع بالاصرار ، المركب مع الاغترار والاعجاب والاستكبار مما لا يزول أبداً مخلداً نعوذ بالله منه .

فقوله : « وامتازوا اليوم أيّها المجرمون » اشارة الى هذه الامتيازات والانقسامات الواقعية اذا وقعت الواقعية ، وهذه الصور مبادي الفصول المقسمات المنكشفة يوم القيمة للخلافات ، واليه الاشارة بقوله : \* (ويوم نحضر من كل امة فوجاً من يكذب بآياتنا فهم يوزعون) \* [٨٣/٢٧] .

ومما يدل على ان الناس بحسب البواطن والقلوب أنواع مختلفة حسب اختلاف الصفات السراسخة فيهم قوله : \* (يسوّمثد يصدر الناس أشتاناً ليروا أعمالهم) \* [٦/٩٩] .

وفي القرآن آيات كثيرة دالة على أن النفوس الإنسانية كانت في مبادي الفطرة وأوائل النشأة الدنياوية نوعاً واحداً، ثم اختلفت بحسب الفطرة الآخرة والنشأة الثانية أنواعاً كثيرة بواسطة اختلاف الضمائر والننيات الحاصلة من الأعمال المناسبة لها ، مثل قوله تعالى : \* (وما كان الناس إلا امة واحدة فاخالفوا ولو لا كلمة سبقت من ربكم لقضى بينهم فيما هم فيه يختلفون) \* [١٩/١٠] وقوله : \* (كان الناس امة واحدة) \* [٢١٣/٢] وقوله : \* (ولسواء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون) \* [٩٣/١٦] وقوله : \* (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) \* [٢٨/٣٥] فدللت هذه الآية على أن الإنسان مختلف الأنواع كالنبات والحيوان ، وأن العلماء وأهل الخشية نوع مبائن لغيرهم من أفراد البشر ، وإنما ذلك بحسب الفطرة الثانية والنشأة الآخرة .

قال بعض الحكماء المتقديمين : « من أراد الحكمة فليستحدث لنفسه فطرة

آخرى» ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور .

\* \* \*

ثم لما كان الامتياز بين النفوس الادمية في الدار الاخرة وترتّب الجزاء على الاعمال والثواب للمطيع المسلم والعقاب للمسى المجرم منشأه لاحدهما طاعة الله وللآخر طاعة الشيطان، وهي مشتركة بين تلك الاقسام الثلاثة الشقية من النفوس البهيمية والسبعية والشيطانية – وان كانت أسوئها عاقبة هي النفوس الشيطانية الكافرة بنعمتة الایمان، التابعة في اوهامها وتفكراتها للشيطان، لمامر من أن عذابها أبدى وهي غير قابلة للرحمة ولا ينفع فيها الشفاعة – خصهم الله تعالى بالذكر عقيب هذه الآية توبيرحالهم ونعي عليهم فيما هم فيه من الحسرة والندامة من جهة ال�لاك المؤبد والشقاء المخلد بقوله سبحانه :

ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين

[٦٠] وأن عبدونى هذا صراط مستقيم [٦١]

و«العهد» في اللغة بمعنى «الوصية» و«عهد اليه»: اذا وصاه، وقرى «اعهد» – بكسر الهمزة وفتح الهاء – وقد جاء عند أهل اللغة والاشتقاق كسر حرف المضارعة غير الياء في باب « فعل » كله ، و «أعهد» بفتح الهمزة وكسر الهاء ونقل عن الزجاج تجويز كون هذا الفعل من باب «نعم ينعم» و«ضرب يضرب» و«احهد» باب دال العين حاء ، و «أحد» بباب دال الهاء ايضاً حاء ، ومنه قوله: دحّاماً . وعهد الله الى بنى آدم ما فطرهم الله على فطرة الاستعداد لابداع علم التوحيد في ذواتهم المشار اليه بقوله : \* (الست بربكم) \* [١٧٢/٧] ولا قناع المخارات واكتساب السعادات الاخروية .

وميثاق ذلك العهد ما ركز في نفوسيه من أوائل المعقولات وأدلة العقليات

و شواهد السمعيات للتوحيد والزام ذلك العلم اي ابراهيم وجعله من اللوازם الذاتية لهم ، بحيث اذا تجردوا عن الصفات النفسانية والغواشي الجسمانية تبيّن لهم ذلك و انكشف عليهم اظهر شيء وأبینه ، وهو اشهادهم على أنفسهم ، لكون ذلك العلم فطرياً لهم حينئذ ، واجابتهم لذلك بقولهم : « بلى » قبولهم الذاتي . ونقض ذلك العهد انهمما كفهم في اللذات البدنية والغواشي الطبيعية وتبعدهم للهوى والشيطان ، بحيث احتجبوه عن علم التوحيد ومعارف الايمان .

وعداوة الشيطان لبني آدم هي اصل اهالهم عن الصراط المستقيم ، المؤدي بسالكهم الى الوصول بالحق وجننة النعيم ، ودعوتهم اي ابراهيم الى ما فيه هلاكهم . وانما قال : « انه لكم عدو مبين » لانه مجبول على عداوتهم ، اذ شأنه الوسوسة في الصدور ، وجبلته الامر بالفحشاء والمنكر والبغى والوعد بالشر والتوعّد على الخير .

## تذكرة لوحية فيها بصورة عرشية

ان أردت - أيها الراغب الى فهم أسرار القرآن ودرك أغواره - أن تستمع كلاماً في كيفية عبادة أفراد النقوس الادمية للشيطان وطاعتهم لجنوده ، فاستمع لما ينتلي عليك انشاء الله من تحقيق الكلام وتبيين المرام باصول عقلية هي داعائم لكشف هذا المقام - والله ولي التوفيق والاهام - :

## الاصل الاول

ان الله تعالى صفتين متقابلتين من بين الصفات المقابلة ، اسمهما «الهادي» و «المضل» وبما ائتمان في المخلوقات معاني وصفات متضادة وأفراد وأنواع

متقاسدة متعاندة: كالوجوب والأمكان ، والخير والشر ، والنور والظلمة ، والعلم والجهل ، والسعادة والشقاوة ، والتوفيق والخذلان ، والملك والشيطان ، والرحمة والغضب ، والجنة والنيران ، الدنيا والآخرة - إلى غير ذلك من الأمور المقابلة المنسوبة في سلسلة المعلولية وال الحاجة إلى الله - .

أما أحد الطرفين - وهو الأشرف ، فأولا وبالذات وبالاصالة ، وأما الطرف الآخر فثانيا وبالعرض وعلى سبيل التبيّنة والاستجرار اللازم لقصور القوابل الامكانية عن قبول الفيض والرحمة من الحق الصرف والنور الممحض على التمام من غير نقص وآفة ، لقوله : « سبقت رحمتي غضبي » (١) فالخيرات كلها برضاه ، والشرور كلها بقضاءه ، وبهذا يدفع شبهة الثنوية القائلة بوجود مبدئين قادرين بالذات .

فالملائكة كلهم مخلوقون من نور رحمة الله ، والشياطين صادرة من نار غضبه . والانسان في أول الفطرة حاصل من الله تعالى بحسب أسمائه المقابلة ممترز من جهتي نور وظلمة ، مختر طبيته بيديه أربعين صباحاً ، مركب من روح وبدن ، وسر وعلن : أما روحه : فجوهر لطيف نوري علوي سماوى ، حاصله من نفخته تعالى . وأما بدنـه : فجوهر كدر ظلماني أرضي سفلي ، حاصل من تركيب الأجساد وامتزاج الأضداد .

وقلبه - أي نفسه الناطقة - واقع بين الطرفين ، متوسط بين النشأتين ، له وجه إلى البدن وقواه الجسمانية ، ووجه إلى الروح وقواه الروحانية ، وله قوتان علميتان أحدهما كالملك بحسب أصل الفطرة - وهي « القوة العاقلة » وآخرهما كالشيطان بحسب الفطرة - وهي « القوة الوهمية » .

وله أيضاً قوتان آخرتان علميتان أحدهما كالبهيمة وكالمرأة الفاسقة اسمها

«الشهوة» و فعلها طلب اللذة والنفع ، واخر اهتما كالسبع الضارىء وكالرجل الطالم اسمها «الغضب» و فعلها الانتقام والغلبة .

ولكل من هاتين القوتين فروع و خدم كثيرة لا يمكن حصرها ولا يعلم عددها الا الله ، لقوله تعالى : \* (وما يعلم جنود ربك الا هو) \* [٣١/٧٤] و جميعها مخلوقة في مملكة الادمي لعبادة الله وطاعة العقل الذي هو سر من أسرار الله و خليفة الله في أرضه ، مبعوث من جانبه على تسخير هذه الجنود ، و صرفها فيما خلقت لأجله ، ومنها عن طاعة الوهم و عبادة الشيطان ، كما يدل عليه قوله في هذه الآية : \* (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) \* .

## الاصل الثاني

ان مبادى الافعال الاختيارية من الانسان – سواء كانت حسنة أو قبيحة ، طاعة أو معصية – امور أربعة :

أولها: تصور الشيء الممكן ادخاله في الوجود بقدرتنا و فعلنا – جلباً أو دفعاً – والتصديق بفائدته أو ملائمته لنا بوجه .

وثانيها : الشوق ، وهو توجه نفسياني جبلي الى الشيء المرغوب فيه طليباً و هرباً ، مبدئه قوة حيوانية ذات شعبيتين ، احداهما شهوية للطلب ، والآخرى غضبية للهرب .

وثالثها: العزم ، وهو تصميم الشوق و تنفيذه ، وهو قوة نفسانية ذات شعبيتين بما الارادة والكرامة .

ورابعها : قوة جسمانية مباشرة للتحريك ، شأنها أن تعد العضلات للانتقال بأن تبسيط العضل بارخاء الاعصاب الى جهة مبدئها ليتبسط العضو – أي يزداد

طولاً وينقص عرضاً - أو تقبضه بتحديد (بتمديد - ن) الاعصاب الى جهة مبدئها لينقبض العضو - أى يزداد عرضاً وينقص طولاً .

فهذه مبادى مترتبة للافعال الانسانية وبعدها عن عالم الحركة والفعل العقل العملي في الانسان باستخدام الوهم والخيال - ان كان من أهل الجحود والسعادة - أو الوهم باستخدامه - ان كان من أهل الشقاوة - ويليهما القوة الشوقية - وهي الرئيسة في القوى المحركة الفاعلية كما ان العقل العملي أو الوهم هو الرئيس في القوة المدركة المباعدة - وبعد الشوقية وقبل الفاعلية هو القوة المسممة باللذادة ، والكراءة وآخرها هي المحركة المباشرة للتحريك .

### الاصل الثالث

ان القلب الحقيقي للانسان الذي هو الجوهر النطقي ، مثاله مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة ، فتنظر إلى فيها صورة بعد صورة لا تخلي عنها دائماً ، ومداخل هذه الاثار المتتجددة في مرآة القلب ، وسهام الحوادث المتوازدة على هدفه في كل حال اما من الظاهر كالحواس ، واما من الباطن كالخيال والشهوة والغضب والاخلاق الادمية ، فانه مهما ادرك بالحواس شيئاً حصل منها اثر في القلب ، وكذلك اذا هاجت الشهوة والغضب حصل من كل منهما اثر في القلب ، وان كف عن الاحساس ، فالخيالات المحاصلة في النفس تبقى وتنتقل المتخيّلة من شيء الى شيء ومن صورة الى صورة ، وبحسب انتقالها ينتقل باطن الانسان من حال الى حال ، فباطنه اذن في التغيير والانتقال دائماً من هذه الاسباب .

وأحضر (أخص - ن) الاسباب المحاضرة فيه هي «الخواطر» أي الافكار والاذكار التي من أنواع الادراكات والتصورات، اما على الورود التجدد او

على سبيل التذكرة والاستعراض من المحفوظات في الحافظة بالقوة المسترجعة وهي المسماة بالخواطر، وهي المحرّكات للارادات والاشواق، فان النية والعزم والارادة انما يكون بعد خطور ماهية المنوى بالبال وحصول صورته في الخيال فمبعد الافعال «الخواطر» ثم الخاطر يحرك «الرغبة» والرغبة تحرك «العزم» والعزم يحرك «النية» والنية تحرك الاعضاء بالقبض والبسط كما مر.

## الاصل الرابع

ان الله تعالى في العالم مخلوقين هما مؤثران آخران في قلوب بني آدم فوق ما ذكرنا من المبادى الاربعة، أحدهما بالخير والسعادة والآخر بالشر والشقاوة ، اسم أحدهما «الملك» وهو مخلوق من نور رحمة الله ، والآخر «الشيطان» وهو مخلوق من نار غضبه.

والى هاتين الصنفين وقعت الاشارة بقوله عليه وآله الصلة والسلام «قلب المؤمن بين اصحابي من أصحاب الرحمٰن يقلبه كيف يشاء» (١).

وروي ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « ان للشيطان لمة بابن آدم والملك لمة . فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتکذيب بالحق، واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمدوه، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم - ثم قرأ : \* (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) \* [٢٦٨/٢] (٢)

\*       \*       \*

١ - المستدرك للحاكم : ٥٢٥/١ و ٣٢١/٤ .

٢ - الترمذى كتاب التفسير ٢١٩/٥ . الدر المنشور ٣٤٨/١ .

وتحقيق اثبات هذين المؤثرين في القلب الانساني مما ذكرناه في مقامه مستقصى، وتلخيص القول فيهماً ما في المؤثر الرحماني: فهو ان الامور النادرة الواقعة في هذا العالم من خوارق العادات مثل المخسف والزلزلة والزجر والوباء العام والقتل العام على امة كفرت مما لا يمكن أن ينسب الى عنایة الحق الاول والعقود الصربيحة بالذات - كما حقّقه بعض الحكماء - بل بواسطه مدبر يفعل الاشياء بقصد جزئي ويتخيل الامور وينفع عن دعاء المظلومين ، فيجيب الدعوات اغاثة للملهوفين، وينتفع من الظلمة ويفعل المقويات ويعذب قوماً حلّ عليهم غضب الجبار، كل ذلك باذن من الحق ورحمته في ايجادهذا الم وجود الملكي على سبيل العنایة .

فقال بعضهم: «أنه نفس مثبتة (منبأة - ن) بعالم الكون والفساد» والاكثر من الحكماء انه نفس متولدة عن العقول و النفوس السماوية، وخصوصاً نفس فلك الشمس والملك المايل ، وانه يدبر لما تاحت فلك السماء بمعاضدة الملائكة المتعلقة بالکواكب والسموات ، ويسطوع أنوار الرحمة الالهية المنبأة في عالم العقول، وقد لزم من تصوّره بوجه الخير انفعال المادة العنصرية وتلبسها في الخارج بصورة ذلك المعقول .

قال ابن سينا في بعض كتبه: «يشبه أن يكون ذلك حقاً، فلا ينبغي أن ينكر أمثل هذه الواقع في بدن العالم ونفسه، فإن العالم مشتمل على قوى فعالة ومنفعلة تحدث منها امور عجيبة نادرة حادثة، مرغمة لأنوف أعداء الله الجاحدين للنبوات» .

واما في المؤثر الشيطاني فهو أنه ينبغي لك أن تتصور اولاً ما قد وضح لنا بالكشف الصحيح المطابق للعقل الصريح، أن في مقابلة ذلك المبدع للعالم على وجه الخير والصلاح المتكون في قوى الاجرام الفلكية موجوداً آخر نفسانياً

صرفاً متولداً من طبقة دخانية نارية يغلب عليها الشرارة والاغواء والاضلال، و تكون مدركته من باب الاوهام الكاذبة والاقيسة الداخضة ، وتكون له سلطنة بحسب الطبع على الاجسام الدخانية والبخارية وقواها ونفوسها الجزئية وطبيعتها فيعطيها تلك النفوس والقوى لمناسبة النقص والخسنة ، ويكون المسمى به «ابليس» الوارد في الكتب الالهية وألسنة الانبياء ، هو هذا الشرير المغوى المضل ، وكونه مجبولاً على الاغواء والافساد وادعاء الاستكبار والعلو ، كما يستفاد من قوله تعالى : \* (استكبرت ألم كنت من العالين) \* [٧٥/٣٨] انما هو بمقتضى طبعه الغالب عليه النارية الموجبة للاهمال ، والعلو المكانى الموهم لعلو المكانة والمنزلة .

وأما وجه تأثيره في نفوس الادميين بالشر أما من جانب المؤثر فللطافته وسرعة نفوذه في عروقهم ودمائهم التي هي مجال الشعور والاعتقادات ، واقتداره على اغوايهم بالوسوسة والتخيلات ، وكما أن الشهوات ممتزجة بلحם الادمى ودمه ، فسلطنة الشيطان ايضاً سارية في لحمه ودمه ، ويحيط بالقلب الذي هو منبع الدم المركب للروح البخاري ، المحامل للقوى الوهمية والشهوية والغضبية ، ولذلك ورد في الحديث النبوى : « ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم » (١) .

وكما لا يتصور أن ينفك آدمي من وسواس ، فلا يتصور أن ينفك من شيطان ولذلك قال صلى الله عليه وآله : « ما من أحد الأولياء شيطان » (٢) . وهذه الشياطين الجزئية من فروعات ذلك الموجود الشرير الذي ذكرنا كما أن العقول الجزئية الانسانية من آثار الملك الملهم بالخيرات .

١ - دارمى / ٣٢٠ . المسند : ١٥٦/٣ و ٢٨٥ و ٣٠٩ .

٢ - مسلم : صفة القيامة ، ١٥٧/١٧ ،

وأما من جانب القابل، فلقصور القوى الدراءة لاكثر الناس وضعفها عن المعاشرة والمدافعة والمجاهدة مع جنوده وأحزابه من القوى لاسيما «الوهمية» الا من عصمه الله من عباده المخلصين، الذين أيدتهم الله بالعقل القوي ودهامهم الى الصراط المستقيم: \* (اوئشك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) \* [٥٨/٢٢] وذلك لاجل تسخيرهم قواهم البدنية وخصوصاً الوهمية التي أحد أغداء الله ، المجبية لدعوة الشيطان، اذا لم يسمخه العقل المهتدى بنور رحمة الرحمن .

## الاصل الخامس

ان الله خلق للعقل الانساني جنوداً كثيرة لتكون مطاعات له معينة عليه ، خادمة اياته في طريق سفره الى الله وسعيه ، ولهذا خلقه وخلقها، اذ خلق الانسان في أول حدوثه ضعيفاً في خلقتها، ناقصاً في فطرته، وفي قوته ادراك عظمة الله وصفاته وآياته، وله استعداد الترقى من مرتبة الى مرتبة، حتى يصل الى المعبد الحق ، ولا بد لكل مسافر في طريق مخوف فيه أعداء وقطاع من مركب وزاد وخدم، فمر كبه مادة البدن، وزاده العلم والتقوى ، وجنوده الاعضاء و القوى، وعدوه الشيطان، وقطاع طريقه الدواعي النفسانية والوهمية .

وهذه الجنود على صنفين: صنف يرى بالابصار - وهي الاعضاء والجوارح - وصنف لا يرى بالابصار ولا يدرك بالحواس الظاهرة - وهي القوى والمشاعر - وجميعها خلقت خادمة للعقل مسخرة له بسب فطرتها ، وهو المتصرف فيها والمحول لها باصبعيه العاقلة والعاملة ، وهي محبولة على طاعته .  
اما الجنود الاول فلا يستطيعون له خلافاً ولا عليه تمرداً، فاذا أمر العين للانفتاح

انفتحت ، واذا أمر الرجل للحركة تحركت ، واذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم ، وكذا سائر الاعضاء .

واما الجنادل الآخر فهى ايضا كذلك ، الا ان الوهم له شيطنة الفطرة ، يقبل اغواء الشيطان ومخاليطه فيعارض العقل في المعقولات ، فيحتاج الى تأييد من جانب الحق ليقهره ويغلب عليه ، وتسخر الحواس للعقل يشبه من وجه تسخر الملائكة السماوية الله تعالى حيث أنهم جبلوا على الطاعة ، لا يستطيعون لخلافاً لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يقولون . وتمرد الوهم عن طاعة العقل يشبه تمرد الشيطان عن طاعة الله - وهذا مما يطول شرحه .

\* \* \*

ومن رؤساء جنود العقل «الشهوة» و«الغضب» وهما قد ينقادان له انقياداً تماماً ، فيعيينا على طريقه الذي يسلكه ، وقد يستعصبان عليه استعصاء بغي وتمرد لاجل طاعة الوهم المطبع للشيطان ، حتى يملكانه ويستعبداه ، وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد .

والعقل فوق ذينك الجنديين جندهما - هو «العلم» و«الحكمة» - وحقه أن يستعين بهذا الجنادل ، لانه حزب الله ، على الجنديين الآخرين ، الملتحقين بحزب الشيطان الذى هو القوة الوهمية ، فان من ترك الاستعانة به كما هو حال أكثر الناس من أعداء الحكمة واولياء الوهم فقد سلط على نفسه الشهوة والغضب ، وهلك يقيناً وخسر خسراناً مبيناً .

\* \* \*

وانى فى مدة عمري ما رأيت أحداً من المعرضين عن تعلم الحكمة الا وقد غلب عليه حب الدنيا وطلب الرياسة فيها ، والاخلاص الى الارض ، وقد صار عقله مسخراً لشهوته فى استنباط وجوه الحيل للوصول الى المستلزمات النفسانية ،

حتى استهواه الشيطان واستجاذ دعوته وكيده، فجعل آخر الامر في نظم جنوده واوليائه، وخرج عن الانظام في سلك حزب الله واوليائه - نعود بالله منه .

وفي أدعية الصحيفة الملكوتية لمولانا وسيدنا على بن الحسين عليهما السلام (١) ما وقع الاستعاذه به عن مثل ذلك من قوله: «اللهم اجعلنا في نظم أعدائنا واعزلنا عن عداد اولياته ، لانطبيع له اذا استهواانا ، ولا نستجيب له اذا دعانا ، اللهم واهزم جنده ، وابطل كيده ، واهدم كهفه ، وارغم أنفه» .

## الأصل السادس

في استئناف القول في الخواطر وتقسيمها الى خاطر الخير و خاطر الشر اعلم ان الخواطر المحركة للرغبة والرهبة في القلب الانساني ينقسم الى ما يدعوا الى الخير - اعني ما ينفع في الدار الآخرة - والى ما يدعوا الى الشر - وهو ما يضر في العاقبة - وهم خاطران مختلفان فافتقرنا الى اسمين مختلفين ، فالخاطر المحمود يسمى «الهاماً» والخاطر المذموم يسمى «وسواساً» وكل منها ينقسم عند أرباب الرياضيات والخلوات بدقيق تأملاتهم ولطيف أنهما وتصرفاتهما بقسمين :

أما الاول فالى الرحمن والملكي ، وأما الثاني فالى الشيطان والنفسياني ولستنا الان نشغله بتحقيق كل قسم من قسمي القسمين بخصوصه لعدم الحاجة اليه فيما كانت بصدره من بيان كيفية خصومة الشيطان لابن آدم اي القوة العاقلة - التي هي نتيجة الروح الاعظم والعقل الكلى الفعال ، وهي حقيقة الانسان وبيان العداوة الواقعية بينه وبين اعداء الله ، وكيفية المحاربة والمجاهدة بين

١- الدعاء السابع عشر . والفقرة الثانية قبل الاول في الصحيفة .

حزب الله وحزب الشيطان .

ثم انك قد علمت أن هذه الخواطر حادثة لما أشرنا اليه ، وكل حادث لابد له من سبب ، ومهما اختلف المعلولات دل اختلافها على اختلاف العلل ، وكما أن اتفاقها في أصل الامكان دل على افتقارها الى قيّوم واحد وجوده كوحدته عين ذاته ، فكذلك اختلافها يحتاج الى أسباب مختلفة متوضطة بينها وبين مسبب الاسباب ، وهذا مع قطع النظر عن الانظار البرهانية معروفة في سنة الله تعالى وعادته في ترتيب المسببات على الاسباب ، فمهما استنار مثلاً حيطان البيت وأظلم سفنه وأسود " بالدخان ، علمت أن سبب الاسوداد غير سبب الاستئنارة ، فحكمت بأن سبب الاستئنارة نور النور ، وسبب الاستظلام ظلمة الدخان .

كذلك لأنوار القلب وظلماته سببان مختلفان : فسبب الخواطر الداعي الى الخير في عرف الشريعة يسمى «ملكاً» وسبب الخواطر الداعي الى الشر يسمى «شيطاناً» وللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهمام الملك يسمى «توفيقاً» والذي به يتهيأ لقبول وسوسنة الشيطان يسمى «اغواةً» و«خذلاناً» فإن المعانى المختلفة تحتاج الى أسامى مختلفة .

وقد مر في الاصل الرابع بيان ماهية الملك والشيطان ، وأن أحدهما عبارة عن خلق شأنه افاضة الخير وافادة العلم ، وكشف الحق والوعد بالمعروف ، وقد خلقه الله وسخره لذلك . والآخر عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك ، وهو الوعيد بالشر و التخويف كما دلت عليه الآية المنقولة ، وقوله تعالى : \* (الشيطان لكم عدو) فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعيرو [٦/٣٥] \* وما جوهر ان مسخران لقدرته في تقليل القلوب ، كما أن لك أصابع مسخرة لقدرتك في تقليل الاجسام ، كما دل عليه الحديث المنقول ، فإنه يتبعه أن يكون له اصبع جسماني مركب من لحم و عظم و دم منقسم بالانامل ، ولكن

روح الاصبع ومعناه - كما ذكره بعض أعلام المحققين<sup>(١)</sup> - واسطة التحرير والتقليل، والقدرة على التغيير والتصريف، وكما أنك تفعل بأصابعك فانه سبحانه انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان، وبهذا جرت حكمته واستمرت سنته في نظم الأمور وترتيب الاشياء، لتكون أسباباً للمعرفة، وطريقاً إلى جنابه، والافتاته غني عن العالمين، والوسائل مقهورة تحت قدرته النافذة ونوره الظاهرة.

## الاصل السابع

ان القلب الانساني لصفاته ولطافته صالح في أصل الفطرة الهيولانية لقبول آثار الملكية والشيطانية صلاحاً متساوياً، وإنما يترجح أحد الجانبيين باتباع الهوى والانكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها، فان اتبع الانسان مقتضى شهوته ظهر تسليط الشيطان بواسطه الاوهام الكاذبة والخيالات الفاسدة المشيرة الى اتباع الهوى والشهوات ، فصار القلب عش<sup>"</sup> الشيطان ومعدنه ، والبدن مملكة جنوده ، لأن الهوى مرعى الشيطان ومرتعه ، لمناسبة ما بينهما ونحو من الاتحاد .

وان جاهد الشهوات ، ولم يسلطها على نفسه ، ولم يذعنها ، بل عارضها بمدد البرهان اليقيني على وجود نشأة ثانية باقية تضاد هذه النشأة الدائرة الفانية ودافع هذه الطعون والاوهمات الكاذبة المستدعاة للشهوات والركون الى الدنيا والوثوق بذلك ، والاخلاص الى الارض ، والاقتصار على هذه النشأة الناقصة الرائلة ، وتشبيهه بأخلاق الملائكة في اقتناء المعلومات الالهية ، وتذكر المعرفات اليقينية واستنـ<sup>"</sup> بقوة الایمان بسنـة الانبياء والولیاء في ترك الدنيا والزهد فيها

صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ، ينزل كل يوم بزيارته كما بيّنا في موضعه . ولما كان كل واحد من الناس مادام في هذا العالم لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل ، إلى غير ذلك من الصفات البشرية ، المتشعبّة عن الهوى المتّبع للقوة الوهمية التي شأنها ادراك الأمور على غير وجهها ، فلا جرم لا يخلو الباطن عن جولان الشيطان فيه بالوسوسة ، الا من عصمه الله . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « مامنكم الا و له شيطان » . قالوا : « وأنت يا رسول الله » ؟ قال – صلى الله عليه وآله وسلم – : « وأنا الا أن الله أعاذني عليه فأسلم على يدي » (١)

فمهما غلب على النفس ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى ومستلزمات الشهوات وجد الشيطان المتدرع بها مجالا فوسوس لها ، ومهما انصرفت النفس إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله ، فأقبل الملك وألهم ، والنفس هيولانية الوجود ، لها قابلية الارتباط بكل من الملك والشيطان بتوسط قوته العقلية والوهمية ، باستعانته انكسار القوى الشهوية والغريبية والوهمية ، وفتورها واستيلانها وسورتها ، وأكثر النفوس مما قد فتحها وسخر هاجنود الشيطان وملكتها ، فامتناعات بالوسواس الداعية إلى اطراح الآخرة وأيشار العاجلة .

## الاصل الثامن

في كيفية قبول الانسان كلام من الالهام والوسوسة من الملك والشيطان

اعلم ان حصول الالهام من الملك والوسوسة من الشيطان يقع في قلوب الانسان على وجوه أربعة :

أحدها : كالهواء والشهوة الصادرتين عن جانب شمال القلب في مقابلة العلم واليقين ، المحاصلتين في جانب يمينه .

وثانيها : كالصور العلمية المحاصلة من هيئة العالم الكبير الذي هو كصورة العالم الانسانى ، وهي بمنزلة عقبة بين الوسوسة والالهام ، من حيث انك لو نظرت الى آيات الافق والانفس على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها - كما وقع لعوام الناس والمقلدين - فشأنك منها الشبهة والوسوسات في الواهمة والمتخيّلة ، وهذا على جانب الشمال \* (وكائن من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) \* [١٠٥ / ١٢] وفي الحديث : «ويل لمن تلى هذه الآية ثم مسح بها سبّلته» والآية \* (ان في خلق السموات والارض) \* - الى آخرها - (١) .

وإذا نظرت الى تلك الآيات على سبيل النظام والاحكام مع التدبر اللائق وتأمل التام ، زالت عنك الشكوك والاوہام ، وحصلت المعرفة واليقين في القوة العاقلة التي هي على جانب اليمين ، وصرت من الملائكة المقربين وخرجت من جنود الشياطين ، فان الآيات المحكمات بمنزلة الملائكة والعقول والنفوس الكلية ، لأنها مبادى العلوم البرهانية ، والمتباينات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمية والخيالية ، لأنها مبادى المقدمات السفسططية .

ومن الحكايات في هذا الباب بعد ما ذكر ان سبب وقوع النفوس الانسانية في هذا العالم أولاً و منشاً ابتلاء بنى آدم بهذه البليّات الدنيوية التي أحاطت بهم من الذنوب والمعاصي ، كانت هو الخطيبة الواحدة التي اكتسبها أبوهم «آدم» وامهم «حواء» لما ذاقا الشجرة وبدت لهما سوآتهما - لنقص امكانى في جوهرهما ، وقصور جبلى في ماهيتهاهما - هو انه :

لما تمت حيلة ابليس على آدم و نال بغيته بايصال الاذية اليه ، وبلغ امنيته بايقاع الوسومة عليه، سئل ربه بوسيلة بعض صفات الله كالعز و الجلال الانظار الى يوم يبعثون - فاجيب الى يوم الوقت المعلوم - أخذ لنفسه جنة غرس فيها أشجاراً، وأجرى فيها أنهاراً، ووضع فيها أشكالاً وهبات وتماثيل و صوراً شبيهة بما في الجنة من الصور الحسان ، ليشاكل الجنة التي أسكنها الله آدم وقاد عليها ، وهندس على مثالها هندسة فانية لابقاء لها ، وجعل مسكن أهله وأولاده وذريته وجندوه ، وهي كمثل السراب الذي يحسبه الظمآن ماءاً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً.

وذلك انه كان من الجن ومن شأن الجن - كما قيل - التخييل والتمثيل لما لاحقيقة له، كذلك فعل ابليس وجندوه انما هو تمويه وتزويق ومخاريق وتنحيق لاحقيقة لها ولا حق عندها، كالقياس المغالطي السفسطى ليصد بها الناس عن سنن الحق والصراط المستقيم، وبذلك وعد ذرية آدم كما حكى الله عنهم بقوله : \* (لاتينتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) \* [١٧/٧] .

\*       \*       \*

وثالثها: متابعة أهل الجحود والانكار ، وأهل التعطيل والمشبهة والكفار، في مقابلة طاعة الرسول المختار ، والائمة الاطهار والعلماء الاخيار - صلوات الله عليهم من العزيز الغفار - فكل من سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين ومن تابعه فقد تابع الشيطان اللعين ، وكل من سلك سبيل الهدایة فهو من حزب الملائكة، ومن تابع أهل الله وذوي الالهامات الحقة فقد تابع أنبياء الله وملائكته المقدسين الملهمين للإيمان واليقين \* (من يطبع الرسول فقد أطاع الله) \*

ورابعها: من جهة الغايات وباعتبار الدرجات ، فإن التوجه الى الملائكة العقلانية والمهيبة والمدبرات الكلية الملكوتية يوجب الحشر اليهم والانحراف معهم واستفاضة المعارف منهم ، وكانت العلوم المستفاضة منهم من قبيل التعقلات والالهامات الكلية ، ويعادلها التوجه الى الابالسة المحجوبة عن الله ، المطرودة عن جناب القدس ، المحبوسة في الظلمات ، واكتساب الحيل والخدع والمكر ، وكانت المستفادة منها من قبيل الافكار الجزئية المتعلقة بالأمور السفلية .

فالانسان على الوجه الاول شابه الملائكة وجند الرحمن ، وعلى الثاني شابه الشياطين ومردة الجن ، المحبوسة في طبقات الجحيم ، المحرومة في الدنيا عن الارتقاء الى ملكوت السماء ، المحجوبة في الاخرة عن الجنة والنعيم .

وقد أنكشف من هذا أن طبقة من الجن وحزباً من مردة الشياطين حيث سقطت درجتهم عن درجة الملكوت مما لاقدردار لهم على فعل الضرر على اولياء الله ، لأنهم صم بكم عمى ، مقيدون في السلسل والاغلال في الجحيم ، معذبون بالعذاب والنكال الاليم .

فقد ثبت أن أصل الضلال والعمى والجهل من الشيطان وان أصل الهدى وال بصيرة واليقين من الملك ، والله الهادي والمضل فوق الكل ، وان اسم ابليس كاسم «شجرة خبيثة» والشياطين بمنزلة أغصان تلك الشجرة الملعونة وثمارها تخرج في أصل الجحيم طلعاها كأنه رؤوس الشياطين ، فأنهم لا يكلون منها فما ثلوثون منها البطون ، واسم الملك كاسم «شجرة طيبة» أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي اكلها كل حين بأذن ربها ، وثمارها المحاصلة منها هي العلوم الكلية الالهية والمعارف الحكيمية الروばنية .

اذا تمهدت هذه الاصول فنقول: معنى قوله : «أَلَمْ أُعَهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بْنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ» انه خلقتم على فطرة العقل القadas وال بصيرة الباطنية التي لها القوة على ادراك الحقائق، والنظر في مقدمات الامور وأسباب الاشياء وأواخرها وغاياتها، وجعلت لكم السمع والبصر والافشة ، والاقتدار على مدافعة تسوييات الوهم الموسوس بالشيطان، وقهره بنور البرهان وقوة الایمان والاطلاع على حيله ومكره وجندوه وأحزابه وأتباعه بسلامة الذوق والوجدان وقوله: «اَنَّه لَكُمْ عَدُوٌ مُّبِينٌ» معناه أن الصدمة والعذاب ثابتة بينكم وبينه كما بين الملك والجن، والنور والنار، والبرهان والمغلوطة، والاهام والوسوسة، والتوفيق والخدلان ، والهدایة والضلال ، والسعادة والنكال .

وقوله: «وَأَنْ اَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» انه اذا وقعت المعارضه بين البرهان والسفسطة، والحق والباطل، والعقل والوهم، والهام الملك بايشار الآخرة على الاولى، ووسوسة الشيطان بايشار العاجلة على الاجلة، فاطبعوا أمر الحق وامضوا حيث تؤمرون، واسمعوا قول العقل الصريح والشرع الصحيح، واتبعوا سبيل المسلمين، ولاتبعوا أمر المفسدين، وانحرفوا عن طريق المجرمين ، ولاطبعوا أمرهم، ان هذا صراط مستقيم يؤدي الى عالم الرحمة والقرب والرضوان وبباقي الصرط معوجة منتهيتها الى عالم النعمة والطرد والخسران ، والهلاك والنيران .

## تبصرة برهانية

اعلم ان هذه العبادة المشار اليها في الآية الموجبة للكون على الصراط المستقيم والخلص عن الشيطان الرجيم هو الاستقامة على طريق الحق بالعلم والعمل ، واما اصل العلم الذي افضل جزئي هذه العبادة فهو العلم الربوبي

المتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله وحقيقة الملائكة والشياطين ، وعلم القلب وأحواله وكيفية سلوك العبد من الدنيا إلى الآخرة ، ومن الخلق إلى الحق ، وطريق تخلصه عن أضلal الشيطان ، واستعداده لالهام الملك .

فهذه هي أصل العلوم اليمانية التي بها يمكن للإنسان المجاهدة مع أحزاب الشيطان ، وهي أصل الصراط المستقيم المدعو من الله في كل صلوة مرتين ، وهو دين التوحيد المسؤول لنبيتنا وسائر الأنبياء عليه وعليهم السلام أجمعين - بقوله : \* (قل هذه سبلي) \* [١٠٨/١٢] وقوله : \* (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي اوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا) \* [١٣/٤٢] وقوله : \* (كذلك يوحى إليك والتي الذين من بذلك الله العزيز الحكيم) \* [٣/٤٢] .

وفي الأدعية السجادية والصحيفة العبادية على مرتبها ومنتسبها أفضل الصلوة والتحية وقعت الاستعاذه من شر الشيطان بهذا الأصل كثيراً ، حيث قال : «اللهم أخسأه علينا بعبادتك ، واكتبه بدموبنا في محبتك ، واجعل بيننا وبينه ستراً لا يهتكه ورداً مصمماً لا يفتحه .

اللهم متّعنَا من الهدى بمثل ضلالته وزودنا من التقوى ضدّ غوايته ، واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى .

اللهم لا تجعل له في قلوبنا مدخل ولا توطنن له فيما لدينا منزلاً .  
اللهم وما سول لنا من باطل فعرفناه ، وإذا عرفناه فقناه ، وبصرنا ما نكأنه به ، والهمنا ما نعده له ، وأيقظنا عن سنة الغفلة بالركون إليه ، واحسن بتوفيقك عوننا عليه .

اللهم واشرب قلوبنا انكار عمله ، والطف بنا في نقض حيله .  
اللهم واعم بذلك من شهد لك بالربوبية ، وأخلص لك بالوحدانية ، و

عاده لك بحقيقة العبودية ، واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية» (١) .

\* \* \*

وأما أصل العمل فله فنون كثيرة مرجع الجميع إلى سلامه القلب عن كدورة الشهوة وغشاوة الغضب ، ولا شيء للإنسان بعد المعرفة أنفع من سلامه قلبه من الكدورات والغواشى \* (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتني الله بقلب سليم ) \* [٨٩/٢٦] .

وهذه المرتبة هي التي أمر الله بها خليله عليه السلام \* (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ) \* [١٣١/٢] \* ( فمن أسلم فأولئك تحرروا رشدًا ) \* [١٤/٧٢] فكل من سلم قلبه فقد فاز بدرجة الاسلام الحقيقي ، وهذه ايضاً مما لا يتيستر الا بتوفيق الله حسبيما قدر له في الأزل أن يكون من جملة الاخيار ، آمناً من سخط المجبار ، كما قال تعالى : \* ( ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يتميز الخبيث من الطيب ) \* [١٧٩/٣] فالمؤمن بالحقيقة من يتميز خبيثته الجسماني الشيطاني عن طبيعته الروحاني الملكي .

## تقسيم استكشافي

اعلم ان القلوب الانسانية في الثبات على الخير وعبادة الحق ، او الشر و عبادة الشيطان ، او التردد بين الطرفين على ثلاثة أقسام كما ذكره بعض علماء الاسلام (٢) :

أحدها : قلب عمر (طهر - ن) بالتفوى وزكي بالرياضة ونقى عن خبائث الأخلاق ، وتنقدح فيه خواطر المخبي من خزائن الملوك ، فيصرف عقله الى

١ - من الدعاء السابع عشر .

٢ - مقتبس من احياء علوم الدين ، كتاب شرح عجائب القلب : ٤٦/٣

التفكير في عواقب الأمور والنظر في مقدماتها ، ويطلع على أسرار الخيرات والطاعات ، وينكشف له بنور البصيرة جهة الخيرية فيها ، فيحكم عقله بأن لا بد من فعلها وترك أضدادها من المعاصي ، فيدعوه إلى العمل المخير و ينهى نفسه عن العمل الشر ، فينظر الملك الهدى والمعلم للحقائق إلى قلبه - أي نفسه الناطقة فيجده طيباً بجوهره ، ظاهراً بفتواه ، مستنيراً بضياء العقل ، فأفاض عليه أنوار المعرفة والهدى ، وأيّده بجنود لاترى ، وبهدى إلى خيرات أخرى ، و الهامات ترى ، حتى ينجر الخير إلى الخير ويحشر النور إلى النور .

وفي مثل هذه اللطيفة الربانية يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي ، الذي هو «أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء» ولا يؤثر فيه شيء من مكائد الشيطان ، بل يقف على باب قلبه ويوحى زخرف القول غروراً ، وهو لا يلتفت إلى مكره ويتجه إلى الله وذكره ، والى مثله الاشارة في قوله تعالى : «ان الذين اتقوا اذا مستهم طائف من الشيطان تذكروا فادا هم مبصرون» [٢٠١-٧] .

وثانيها : قلب مخدول مشحون بالهوى ، و مقهور الشهوات ، مفتوح عليه أبواب الشياطين ، مغلق عليه أبواب الملائكة ، ومبدئ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويحبس فيه صورة من الشهوة ، فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستنقى منه ، وهو قد ألف خدمة الهوى فأنس به ، واستمر على مساعدة الهوى واستنباط وجوه الحيل في جواب فتواه ، فيشير إلى قوله ، فينشرح الصدر بالهوى ، وينبسط فيه ظلماته لأنحباس نور العلم عنه ، وانهيار جند العقل عن مدافعة الوهم ، فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى ، فيقبل عليه بالتزين والغرور والأمانى ، ويوحى بذلك زخرفاً من القول غروراً فيصعب سلطنة البرهان على خوف القيامة ، ويحجب نور الإيمان بالوعد والوعيد ،

اذ يتضاعد الى القلب دخان مظلم من الهوى، يملأ جوانبه ويطفى سراج العقل  
ويصير البصيرة الباطنة كالعين التي ملأ الدخان أجفانها ، فلا يقدر أن يرى  
الأشياء كما هي .

وهكذا تفعل غلبة الشهوة وحب الجاه وطلب الرئاسة بالانسان، ولو بصره  
احد بعيوب نفسه بالوعظ والنصيحة ، ويوقظه من هذا النوم الغالب عليه، وينبهه  
من هذه الغفلة المحيطة به، ويستفيقه من هذا الشراب الذي أسكره، ويسمعه ما  
هو الحق الصريح ، عمى عن الفهم وصم عن السمع ، كما اشير اليه بقوله  
تعالى :\*(صم بكم عمى فهم لا يعقلون)\* [١٧١/٢] وهاج شهوته وطغى غضبه  
وصال عليه كالسبع الضارى والكلب العقور، وتحركت جوارحه على وفق  
الهوى، واشتد مرضه المزمن ، واشتعل نار غيظه الخامد، وانتشر دمه الفاسد في  
ظواهر جلده الجامد، متكلما بحديثه البارد في تخطئه هذا الناصح الفقير بصوته  
النكرى، طلبا للانتقام وتشفيا في حقده بالاقتحام، فظهرت المعصية عنه في عالم  
الشهادة من خزانة الغيب بقضاء الله وقدره .

والى مثل هذا القلب وأشار تعالي بقوله : « أرأيت من اتخذ الله هواه »  
- الى قوله - \*(بلهم أضل سبيلا)\* [٤٤/٤٣] وبقوله \*(لقدحقَّ القول على  
أكثرهم فهم لا يؤمنون)\* - الى قوله - :\*(ألم تذرهم لا يؤمنون)\* [٣٦/١٠]  
- ورب قلب هذا حاله بالإضافة الى بعض الشهوات دون بعض .

\* \* \*

اعلم ان كلام من هاتين الطائفتين مشعوف بما عنده ، مغورو بمالديه ،  
فرحان بما يجري على يديه « كل حزب بما لديهم فرHon » فكما أن المحق  
مشعوف بمالديه من الحقائق والالهامات والبراهين النيرة الواضحة والمعارف  
الحقة الدائمة، فكذا المبطل مسروor بمعامليه من الوساوس المتبدلة والوهبات

الكاذبة، مغورو بالاماني الشيطانية والمزخرفات العامية و المقدمات المشهورة الجمهورية ، التي تستعمل في جلب القلوب وتکثير الشعوب .

فانظر الى أنه كيف حکى الله تعالى كيفية مناظرة وقعت بين محق ومبطل فالمحق هو شیخ الموحدین ابراهیم الخلیل - علی نبیتہا وعلیه سلام الله الملک الجلیل - والمبطل هو نمرود المعین، الذي هو من جملة الشیاطین، فی قوله : \* (ألم تر الى الذي حاج ابراهیم في ربه أن اناه الله الملک اذ قال ابراهیم ربی الذي يحبی ویمیت قال أنا احیی وامیت) \* [٢٥٨/٢] .

فتتأمل في أنه اذا كان هذا المقدار من الاحیاء والامانة الذي قد كان للملوک من اقدارهم على قتل أحد وتخليص آخر من القتل موجباً للاشتباہ والاغترار والغالطة ، حيث ادعى الملعون أن ماسماده بالاحیاء والامانة احياء حقيقي وامانة حقيقية ، فكيف في غير ذلك بسبب اغترار الشیطان وجنوده في أكثر المباحث العنادیة من هذا القبيل ، ومرجعه الى القياس الفقهي الذي ورد أنه «أول من قاس به ابلیس» (١) في مقابلة النص ، اذ كل ما يوجد في عالم الملکوت يوجد مثاله في عالم الدنيا ، وكل ما يوجد في قلب من قلب من استولى عليه الرحمة من الالهات والكرامات وغيرها يوجد أمثاله وأظلاته الباطلة الفانیة في نفس من استولى عليه الجهة الظلمانية الشیطانية ، من الوساوس والاماني وغيرها .

وقد قيل : «العلم علمن ، علم بالقلب وعلم باللسان» نعوذ بالله من شرير علیم اللسان جهـول القلب ، فوامضیتاه من علماء الجھالة وصلحاء الأفساد ، الذين هم من علماء الدنيا وجھـال الآخرة ، المتذکرین لاداب صحبة الخلق ، الناسین لاداب صحبة الرب ، المقربین على دقائق علومهم الدينیة ، المعرضین عن حقائق علوم الآخرة ، وواشوقة الى لقاء الاشباء - ربنا افتح بیننا وبين قومنا

بالحق وأنت خير الفاتحين .

\* \* \*

وثلاثها : قلب متعدد بين طاعة الحق وطاعة الشيطان ، فالطاردة قائمة في هذا القلب بين جنود الرحمن وجيوش الشيطان ، بخلاف القسمين الأولين ، فإن في الأول يكون الجنود مطيعة عابدة لله ، والحزاب مؤتمرة بأمر رسوله ، منتهية بنهاية ، والمملكة الأدمية مفوضة ل الخليفة الله من القوة الملكية العقلية ، وفي الثاني يكون الجنود خادمة تابعة للشيطان ، جارية فيها حكمه ، والمملكة مسخرة للهوى التي هي أحد أولياء الشيطان ، وأما هذا الثالث فالطاردة قائمة في معركة روحه النفسي ، الأن يغلب أحد الجندين حسب ماجرى في قضاء الله وقدره ، ويفتح الله المملكة لأحدهما ، ولا يكون للأخر إلا الاجتياز - لا التوطن والاستقرار .

\* \* \*

وكيفية هذه الطاردة بين الحزبين انه يبتعد في القلب أولا خاطر الهوى وهو من جنود الشيطان ، فيدعوه إلى الشر ، فيلحقه خاطر الإيمان وهو من جنود الملك ، فيدعوه إلى الخير ، فتبعد النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر ، فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والنعم .

فتتبعت العقل إلى نصرة خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويصبح فعلها وينسبها إلى الجهل ، ويشبهها بالبيهيمة والسبع في تهجمها على الشروق لـ أكثر أنها بالعواقب ، فتميل النفس إلى نصح العقل .

فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوى داعي الهوى ، ويقول : «ماهذا التحرج البارد والتزهد اليابس ، لم تمتتع عن هواك وتؤذى نفسك؟ وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه؟ أفترك ملاذ الدنيا لهم فيتمتعون

فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروماً شقياً متوباً يضحك عليك أهل الزمان؟ أتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان ، وقد فعلوا مثل مااشتهيت ولم يتمتنعوا؟ أماترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ، ولو كان ذلك شرًّا لامتنع منه؟ » فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه .

فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول: « هل هلك إلا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة والمال؟ أفتتنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيها أبداً باد؟ أم تستقبل ألم الصبر عن شهوتك؟ ولا تستقبل ألم النار؟ اغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتبعهم هو لهم ومساعدتهم للشيطان ، مع أن عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك؟ أرأيت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس ، وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس ، او تطلب لنفسك الخلاص؟ فكيف تخالف الناس خوفاً من حر الشمس ولاتخالفهم خوفاً من حر النار؟ فعند ذلك تميل النفس إلى قول الملك .

\* \* \*

والى هيئنا تكون المطاردة بين الجندين لجمهور الناس، ويختص المنسوبون الى العلم والفقه بمراتب اخرى من المدافعة بينهما ، وهي انه بعد ذلك يحمل الشيطان حملة اخرى وهي : « ان الله سمي نفسه « غفوراً رحيمـاً » فغفر انه انما يتحقق بفعل المعاصي منـا ، فلم تتأبـا أيها العقل عن الراحة و تتبع نفسك وبدنك بهذه الرياضة الشاقة؟ ولنفسك عليك حق ، وأن العمر طويل - فاصبر» .

فيحمل الملك تارة اخرى فيقول: «أيتها النفس! ان العقوبات الالهية على الخطئـات ليست من قبيل الانتقام ، بل هي من لوازم المعاصي و تبعـات الذنوب ، والله سبحانه حكيم عادل و مغفرته لا يوجب قلب الحقائق ، و ترك الراحة القليلة لاجل السعادة الابدية مما تقتضـية بديهيـة كل عقل ، و حق الله أعظم من كل حق

وطول العمر مماليق الينا ، فلعله لم يكن الاساعه ، وقد ورد أن «أكثر صيحة أهل النار من تسويف التوبه» (١)

ثم ليت شعري أيتها النفس! هل عجزت في الحال الاقوة الشهوة ، وهي ليست تفارقك يوماً آخر او سنة اخرى ، بل هي قرينه في الدنيا حتى تهلكك ان قعدت عن قلعها عن طينة قلبك» .

فلا يزال يتردد هذا القلب بين الجندين ، متجادلاً بين الحزبين ، منقلباً بين الطرفين ، والتطارد قائم في معركة الصدر الانساني الى أن يغلب عليه ما هو أنساب اليه وأولى بحسب ما قدره الله ، ويفتح الله المملكة الانسانية وعماراتها وبيوتها ، ومنازلها وخلافتها وجندوها وأرباب صناعتها وحرفها ، وحيواناتها البهيمية والسبعينية ، ونباتاتها وجماداتها ، وفنون أطعمتها وأشربتها ، ومياها وأشجارها ، وعمرانها وخرابها ، وبرها وبحرها الواحدة منهما ، فصارت المملكة اقطاعاً لها خاصة ، ويخرج عنها الثانية ، وربما يخرج عنها بالكلية بحيث لا يبقى فيها عين ولا ثغر .

\* \* \*

فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية ، التي ذكرناها اما فطرة او اكتساباً - من جهة المعاشرة مع الاشرار ، والتدين بدین الكفار - غلب عليه الشيطان ، ومال القلب الى جنسه من أحزاب الشيطان ، معرضاً عن حزب الله واوليائه ، وجرى على جوارحه بسوابق التقدير ما هو سبب بعده عن الله ورحمته .

وان كان الغالب عليه الصفات الملكية مال الى حزب الله ولم يصح الى اغواء الشيطان وتسويلات النفس الامارة ، فظهرت منه الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه ، ويكون سبب قربه من الله ووصوله الى رضوانه .

١ - قال العراقي (ذيل احياء علوم الدين : ٤ / ١٢) لم أجده اصلاً .

و هذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزانة الغيب الى عالم الشهادة بواسطه خزانة القلب، لكونه من خزانة الملائكة، وهي ايضاً اذا ظهرت كانت علامات بهما تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فيها، في بعض النقوص ممن خلقت للجنة وغلبت عليها جهة الرحمة ، ويستر لها الطاعة وأسبابها .

وبعضها ممن خلقت النار يسر لها أسباب المعاصي وسلط عليها أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان، فانه بأنواع الوساوس يغتر "الحمقى فيهم" [١٢٠/٤] كل ذلك بقضاء الله وقدره \* (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) \* [٢٢/٣٩] فجزائه الجنة الموعودة ، وهو بازاء من قسي قلبه واسود" طبعه فجزائه جهنم المتوعد عليها \* (فويل للقايسية قلوبهم من ذكر الله) \* [٢٢/٣٩] .

\* (من كان يريد حرث الآخرة نزده في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا أن توته منها وماله في الآخرة من نصيب) \* [٢٠/٤٢] .

\* (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يصله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) \* [١٢٥/٦] .

\* (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) \* [١٦٠/٣] .

فهو الهدى والمضل ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ان الابرار لفي نعيم وان الفجّار لفي جحيم .

وفي الحديث الالهي المتفق عليه ، المروى في كتاب الكليني وغيره (١) « خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي ، وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي » والله الغني عن

١ - جاء ما يقرب منه في الكافي : كتاب الایمان والکفر : ٨٦ / ٢

طاعة المطهعين ، والمعتالي عن معصية العاصين ، فان آمنوا بربهم فروح وريحان وجنة نعيم ، وذلك هو الفوز العظيم والمن "الجسيم" ، وان كفروا فنزل من حميم وتصملية جحيم ، وهناك سلاسل وأغلال وعداب أليم ، وحق الفريقين الثواب والعذاب \* (فضرب بينهم بسور له باب باطنـه فيه الرحمة وظاهرـه من قبلـه العذاب) \* [١٣/٥٧] .

\*       \*       \*

وقد أخرـنا أكثرـ هذه المعـاني في عـجائب القـلب من كـتب أـهل اللهـ، لـما فيـها من لـطائفـ الـاسـرارـ وـبـداـيعـ الـانتـارـ ، وـعـظـيمـ النـفعـ فيـ كـشـفـ معـنىـ هـذـهـ الاـيـةـ المـشـيرـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ مـاهـيـةـ الشـيـطـانـ وـجـنـودـهـ ، وـكـيـفـيـةـ عـدـاـوـتـهـ وـطـرـيـقـ التـخلـصـ عنـ شـرـهـ وـفـسـادـهـ وـاغـوـائـهـ ، المـؤـدـىـ إـلـىـ نـارـ الجـحـيمـ وـسـلـوكـ سـبـيلـ المـجـرـمـينـ ، وـالـنـجـاحـ عـنـهـ بـنـورـ الـعـرـفـةـ وـالـإـيمـانـ وـقـوـةـ الصـبـرـ وـالتـقـوىـ وـسـلـوكـ الـصـراـطـ الـمـسـتـقـيمـ وـثـبـاتـ الـقـدـمـ وـالـعـزـمـ الـقـويـمـ فـيـ الـمـجـاهـدـةـ مـعـ أـحـزـابـهـ الـتـيـ هـيـ مـنـ أـعـدـاءـ اللهـ وـقـطـاعـ سـبـيلـ الـمـسـلـمـينـ ، وـلـاـ يـخـلـصـ عـنـ شـرـهـ وـضـرـهـ وـأـضـلـالـهـ وـافـسـادـهـ الـخـلـصـ اـولـيـاءـ اللهـ الـمـتـقـيـنـ ، وـلـذـكـ عـقـبـ الاـيـةـ بـقـوـلـهـ :

ولقد أضل منكم جيلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون [٦٢]

قرأ أبو عمرو وابن عامر « جيلاً » بضم الجيم وسكون الباء ، وقرأ أهل المدينة وعاصم « جيلاً » بكسر الجيم والباء وتشديد اللام ، وقرأ روح وزيد « جيلاً » بضم الجيم والباء وتشديد اللام وهو قرأة الحسن والاعرج والزهرى وقرأ الباقيون من القراء « جيلاً » بضمهمما وتحقيق اللام ، وهذه اللغات كلها واردة في معنى الخلق ، وقرىء « جيلاً » بكسر الجيم وفتح الباء جمع « جبله »

بكسر الاول وسكون الثاني كفطر وخلق ، جمع فطرة خلقه .

وروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام انه قرأ : « جيلا » واحد « الاجيال »  
وهم أصناف الترك والروم .

## مكاشفة

معناه: ولقد أضل الشيطان الرجيم كثيراً من خلائق الله بكيده ومكره وحبائله  
وخدعه وشركه وأحزابه وأتباعه ، ووعده بالشر ووعيده على الخير وتنميته ،  
كما قال تعالى : \* ( واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك  
ورجلك وشاركهم في الاموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الاغروراً ) \*  
[ ٦٤/١٧ ] وترويجه الباطل في صورة اليقين وقبولهم دعوته بسبب انحرافهم عن  
الصراط المستقيم ، وتركهم طريق المجاهدة معه بباطل كيده ودفع معارضته  
بقوة البراهين واعراضهم عن الحكمة الالهية ، ورفضهم بالكلية اقتناء المعارف  
الريوية واسعادهم أذواقهم الفطرية عن ذوق المشرب وفهم المطلب .

كماحكى الله عنهم بقوله : \* ( ولا ضللتهم لامنتهم ولا مرنتهم فليستكن آذان  
الانعام ولا مرنتهم فليغىرون خلق الله ومن يتخد الشيطان ولينا من دون الله فقد  
خسر خساراً مبينا ) \* [ ٤/١١٩ ] والالكان يجب أن يسهل عليهم دفع كيد اللعين  
ويهون عندهم الدنيا ، وينكشف لهم حقارتها ودثورها وفناؤها ، وعظمتها الآخرة  
وبقاوها ودواتها ، ويظهر لهم كيفية الارتفاع إليها والصعود إلى منازلها ومدارجها  
وكيفية التخلص عن سجن الدنيا وحبس النفوس ، والتبعاد عن دار الجحيم  
ومهاويها ودركاتها .

فإن قلت : فما الحكمة في ايجاد مثل الشيطان ، وسلطه على أفراد الإنسان حتى أغوى كثيراً منهم وأهلهم وأوقعهم في سخط الله وغضبه ؟  
 قلنا : الحكمة فيها كثيرة لا يحيط بها إلا الله ، من جملتها أنه كما ينتفع الإنسان من الهم الملك ، قد ينتفع من وسوسه الشيطان ، فإن اتباع الشيطان وأهل الضلال كلهم تبع الوهم والخيال ، ولو لم يكن أوهام المعطلين وخيانات المتكلسين والدهرلين ، وسائل أولياء الطاغوت ومراتب جربتهم وفنون اعوجاجاتهم وصلواتهم وإنحرافاتهم وخياناتهم ، لما انبعثوا أولياء الله في طلب البراهين ، لبيان علة حدوث العالم على نهج الكشف واليقين .

وهكذا في الأعمال لو لم يكن اغتياب المغتابين وتجسس المتتجسسين بعيوب الناس لسم يجتنب الإنسان كل الاجتناب من العيوب الخفية ، التي قد لا يراها الصدقاء ، وإنما يظهر لهم تتحققها من تدقيرات الأعداء ، وفحصهم والتماسهم ظهورها عليه وعلى غيره .

فكم من عدو انتفع العبد من عداوته أكثر مما ينتفع من محبة الصديق فإن المحبة مما تورث الغفلة عن عيوب المحبوب ، والعمى عن رؤية نفائه ، والصمم عن سماع مثالبه .

ومن هيئنا يظهر أن لوجود الأفاعيل الشيطانية - كاظهار العداوة والبغضاء والحسد والغدر من الأعداء - فوائد كثيرة عائنة إلى المؤمنين ، ومن فوائد العداوة الأعداء وكيد الخصوماء وضرر الأشقياء للعبد في هذه الدنيا ، سرعة رجوعه وعوده إلى الله فراراً من أعداء الله ، امتنالاً لقوله : \* (فُرِّروا إِلَى اللَّهِ) \* [٥١ / ٥٠].

خلق را باتو چنین بد خو کند \* تا ترا ناچار رو زانسو کند ( ۱ )  
 وقوله : « أفلم تكونوا تعقلون » كأنه خطاب مع العلماء ، الذين كان في

استعدادهم ادراك المعمولات فانفسخوا عنه ، وهم الذين اشتغلوا بالدنيا وقضاء شهواتها ، وتولية موقوفات النفس ، والتصدى لمراداتها ، والتصدر في تحصيل مرغوباتها ومستلزماتها .

أي : أولم تتعظوا وتستيقظوا من رقدة جهالاتكم وسنة غفلاتكم ولم يحيوا بحياة العقل والإيمان من مهالك قلوبكم ، وما يكفيكم في هذا الباب وما يحملكم على النفر والنفور ، ما سمعتم في القرآن من حكاية « بلעם بن باعور » حيث انسلاخ عن الفطرة الموجبة للارقاء إلى عالم السماء ومعدن النور إلى فطرة السبع الضارى والكلب العقور ، كقوله تعالى : \* ( واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين \* ولو شئنا لرفعناه بها ولكنها أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ) \* [ ١٧٥ - ١٧٦ ] .

أما ينهاكم أيها المكتبون على الشهوات ، المتشبهون بالبهائم والحشرات ما ورد في حكاية « قارون » وقول الجھال في حقه وتمنيهم حاله ، وجواب العلماء الربانيين عنهم من قوله تعالى : \* ( قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم \* وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقىها الا الصابرون ) \* [ ٢٨ / ٢٩ - ٣٠ ] .

اما يشوقكم الى الخروج الى سموات عقلية ذات بروج مزينة ما لها من فروج ؟

اما يهيجكم الى الخروج عن هذه الهاوية المظلمة الى عالم النور ومعدن السرور أقوال سلاطين الانبياء والولياء الربانيين وحكايات أساطير الحكماء والعلماء المتألهين في معارجهم ومصاعدتهم حال التحرير؟ وما صلاتهم وعشقياتهم عند التحرير؟

أما يطربكم للسير ويطيركم مثل الطير قول سيدنا ونبيانا محمد المصطفى  
صلى الله عليه وآله من وصفه الجنات العلى وسورة المنتهى عندها جنة المأوى  
وذكره الخلود والشهدود والمقام المحمود في اليوم الموعود؟

\* \* \*

ثم ان ملائكة الامر في تخلص الانسان من سوسة الشيطان ، والنجاة من  
شره وضره وشركه وأحزابه وأتباعه ومكائد ومضائقه ، ليس بصورة الاعمال  
المستحسنة الظاهرة ، ولا بقراءة الكتب المتداولة ، ونقل الاحاديث المتواترة  
بل باحكام النيات وصفاء الطويّات ، واستفاضة المعارف من ملهم الاسرار ،  
 واستئماع الآيات من مفيض الانوار ، والشهادة على وحدانية الله وتقديسه ، و  
تصحیح مرتبة متابعة نبی الله وأنبيائه ، ودرجة ولایة ولی الله وأوليائه ، من غير  
تعصیب في مذهب ، أو غرض نفسياني في مطلب شهادة شهودية ومعرفة وجودية  
يحتاج إليها إلى تصفية صفة الباطن عن نقوش الأغيار ، وتجليها من آلة السرعون  
كدورات الأقوال والأنظار ، وكنس القلب عن غبار شوائب النفس والأثار ،  
وتخليه بيت الله بحيث لا يكون في الدار غيره ديار ، شهادة خالصة من الشرك  
والخفي ، المحاصل من امتزاج الملائين وصحبة جنود الشياطين .

\* \* \*

واعلم ان الكفر كالإيمان على درجات متفاوتة : اذ بازاء كل مرتبة من  
الإيمان مرتبة من الكفر ، فمن مرتبته : كفر القلب ، وكفر النفس ، وكفر القلب ،  
وقد اوردنا تحقيق هذه المراتب في تفسير بعض الآيات .

فالكفر الاول هو ظاهر معلوم لكل أحد ، فمن أنكر شيئاً من ضروريات  
الدين او رد علامه من علامات شريعة المسلمين فقد كفر بفتوى الفقهاء و  
العلماء .

واما الكفر الثاني الذي يتعلّق بالنفس : فلان معبودها الهوى ، وهو الصنم  
الاكبر المشار اليه في قوله تعالى : \* ( أفرأيت من اتَّخَذَ اللهُ هواه ) \*  
[٤٥/٢٣] وفي الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآلـه : « أبغض الله  
عبد في الأرض الهوى » (١)

ولعل دعاء ابراهيم - على نبينا و آله وعليه السلام - فيما حكاه الله عنه بقوله :\*(واجنبني وبني "أن نعبد الاصنام)\* مشير الى هذه الاصنام الفسانية التي عبدتها الخلائق من الهوى الكائن في باطن كل أحد، وقل "من العباد من اجتنب عن عبادته، والا فمثيل الخليل و بنيه عليهم السلام كانوا أجل شأنًا وأعظم مكاناً و أقدس طهارة من أن يتصور في حفهم عبادة الاصنام المحجرية و المدرية .

ولو سئلت الحق فيما عبد عباد الاصنام الا ما حضر عند نقوسهم من صورة الهوى والوهام ، لأن عابد الصنم الحجري إنما يعبد بطن الإلهية له ، وتصور الربوبية فيه ، والا فالاجسام متشاركة ، فيجب أن لا يكون عنده فرق بين صنمها وغيره من الاجسام ، فيلزم عليه أن يعبد كل جسم كان ويكون في العالم - وحييند - فلم يبق فرق يعتدبه في الواقع وعند أهل الآخرة بين الكفار وعبادتهم المعروفة للصنم ، وبين أرباب العقائد الجزئية في حق الله وأصحاب المذاهب الجاهلية سوى الموحدين بالحقيقة ، فجميعهم من أهل الهوى والطاغوت ، وعبدة الوهم والجهالات وأتباع النفس في الشهوات .

وكذا لا يفرق بين نحت الأصنام باليد الجسمانية للعبودية وبين إنشاء الوهم الصور الوهمية بقوته المتصرفة، لينال بها الوصول إلى البغية الشهوية واللذة الدينوية.

وقد قلت في المشنوى أبياناً مناسبة لهذا المعنى .

از نقوش وهم میسازد خدا  
میپرسند آن صنم را دمبلدم  
خودتر اشد صورت و گوید خداش  
کی در آید صورت خارج بفهم  
خواه نامش را صنم کن یا صمد  
خواه نامش حق کنی یا دیگری  
یکزمان از حق تعالی شرم دار  
می پرستی دائمآ در هر دمی  
که بود اصنام ازو آویخته  
کی نماید حق درو انوار غیب؟  
کی شوی ایزد پرست ای متهم؟  
می نپردازی بنور اهتمدا  
نهی از برهان و کشف ای بینوا  
صورت این وهمهای چون وثن  
حق پرستیدن میسر ای عموم؟  
حق پرستیدن میسر جز فسون

هر که را نبود درون با صفا  
میتراشد تیشه و همچن صنم  
و همهای هستند جمله بت تراش  
بت نباشد غیر صورتهای وهم  
بت پرستی خود پرستیدن بسود  
چون توغیر از حق پرستی کافری  
خود پرستی میکنی ابلیس وار  
در درون سینه بت داری همی  
این درونهای تو هم آمیخته  
کی شود پاک از بتان شک و ریب  
تا ترا بر طاق دل هست این صنم  
تا زطاق کعبه این اصنام را  
تا بکتف روح پای عقل را  
پس نیمندازی زطاق دل بفن  
کی شود اندر مدینه نفس تو  
کی شود در کافرستان درون

\* \* \*

واما كفر القلب وهو ان السالك اذا انجلت مرآة سره بحيث حوذى بها  
شطر الحق، وتنقى عن عين قلبه الكدورات النفسانية، وارتفعت عنها الغشاوات  
الدنياوية، فوقع فيها نور الحق ويتجلى لها جمال الاحدية، فإذا غافصه تجلّيه  
فربما نسى هويته الامكانية وخرج عن رتبة العبودية ، ولم تثبت بالقول الثابت

فاعتقد لذاته «انها عين الحق» وبادر وقال: «انه فيها» «فأنا الحق» و «سبحانى ما اعظم شأنى ، فقد تدرع باللاهوت ناسوتى» الا أن يشتبه الله بالقول الثابت في الدنيا والآخرة ، فيعرف أن الصورة الالهية ليست في مرآة ذاته ، بل تجلت فيها وما حللت فيها ، بل ظهرت منها ، ولو حللت لما تصور أن تتجلى صورة واحدة لم رائى كثيرة في حالة واحدة ، بل كانت بحيث اذا حللت في مرآة واحدة ارتحلت عن الأخرى .

وهيئات ! فان الله لا يتجلى لجملة من المغارفين دفعه واحدة ، وان كان في بعض المجالى أظهر وأصح وأقوم وأوضح ، وفي بعضها أخفى وأكتم وأبهم وأميل الى الأعوجاج عن الاستقامة ، وذلك لتفاوت المراثى في الصقالة والصفاء وصحة الاستدارة والاستواء ، في رفع الحجب عن بسيط وجهها كلا او بعضاً .

فافهم جداً واغتنم وتنبه لما قيل «ان نوراً ليس من نار العزة » لقوله تعالى حكاية عنه : \* ( خلقتني من نار ) [ ١٢ / ٧ ] ولو أظهر نوره للخلق لعبدوه \* ( انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ) [ ١٠٠ / ١٦ ] . وكم من سالك يبلغ الى هذا المقام الذي هو آخر الاقدام في السفر الاول فوقع في الكفر الاكبر ، وضل وغوى ، وهلك وهو في الجحيم السفلى والمحطمة الكبرى \* ( نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ) [ ٧ / ١٠٤ ] .

والموحد اذا جاوز عن هذه المزلقة المهوية ، وارتفع عن هذه المرتبة يقول : \* ( وجئت وجهي للذى فطر السموات والارض ) [ ٦ / ٧٩ ] بعد ما وقع مروره على ملکوت السموات والارض ، وعبوره على الدرجات العلي من ملکوت ربہ الاعلى ، لقوله تعالى : \* ( و كذلك نرى ابراهيم ملکوت السموات والارض ولیكون من المؤمنين ) [ ٦ / ٧٥ ] .

وفي قوله : « ليكون » اشارۃ الى أن السالك لا بد له من أن ينظر أولاً في حقائق

الأشياء وملكتها بالنظر الدقيق، واثباتها بالبراهين على وجه التحقيق، ليتمكن له أن يرتفع منها إلى ملاحظة الذات الأحادية ، والشهادة على وحدانية الباري وصفاته الصمدية .

وذكر بعضهم النكتة -- في أنه عليه السلام لما ذا قال: «هذا ربِّي» لما جن عليه الليل رأى كوكبًا؟ -- بما روى عن كعب الاخبار انه كان قوله في التوراة « ان أرواح المؤمنين من نور جمال الله ، و ان أرواح الكافرين من نار قهر الله » .

وفي الادعية النبوية : « اللهم اني أعوذ بك من الشرك الخفي » وفي قوله تعالى: \*(لئن أشركت ليحيط عمالك) \*[٦٥/٣٩]

ونقل عن أبي يزيد البسطامي انه قال : الهي ان قلت يوماً : «سبحانى ما أعظم شأنى » فأنا اليوم كافر مجوسى ، أقطع زناري وأقول : «أشهد أن لا إله الا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ».

وقال الحجاج :

كفرت بدين الله والكفر واجب لدى و عند المسلمين قبيح وكتب ابو سعيد المهنئ الى ابي علي بن سينا: « دلني على الدليل» فقام في الرسالة على طريق الجواب: « الدخول في الكفر الحقيقي ، والخروج عن الاسلام المجازي وأن لا تلتفت الا بماوراء الشخصوص الثلاثة ، حتى تكون مسلماً وكافراً ، وان كنت وراء هذا فلمست مؤمناً ولا كافراً ، وان كنت تحت هذا فأنتم مسلم كافر ، وان كنت جاهلاً من جميع هذا فاذك تعلم أن لا قيمة لك ولا نقد لك من جملة الموجودين » فاوردته أبو سعيد في كتابه «المصابيح» وقال : «اوصلنى هذه الكلمات الى ما لا يوصل اليه عمر مئة سنة من العبادة » .

## تتمة استبصارية

لما تحققت إليها السالك كيفية المطاردة بين جند الله وجند الشيطان في هذا العالم الإنساني ، وعلمت أن مناط الغلبة لأحد الحزبين ومنشاء الفتح عن أحد الطرفين بالحقيقة ليس الا بأصل واحد حصل على وجه الرسوخ، وهو اما الإيمان او الكفر ، فان حصل «الإيمان الحقيقي» في القلب كان الجنود كلها مطيبة للملك ، وان حصل «الكفر» كان الجنود كلها مطيبة للشيطان ، و ان لم يحصل شيء منها على الحقيقة كان المحاربة باقية، وأكثر الناس اما كفار محضة او ضعفاء العقل والإيمان ، متذدون بين الحق والباطل فقد رجع الامر كله الى أصل اليقين وحقيقة المعرفة .

لان المجاهدة مع أعداء الله لا يمكن الا بترك الذنوب والمعاصي، وهو لا يتيسر الا بالصبر الذي هو عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتصادم مقتضياتهما ومطالبهما ، والصبر لا يمكن الا بمعونة المخوف من عقاب الله ، والخوف لا يحصل الا بالعلم بأن المجاهدة مع أعداء الله واجبة ، والعصيان عن أمر من نصبه للخلافة محرم ، والفرار عن الرزح كبيرة موبقة ، وبالتصديق بأن ضرر الذنوب عظيم .

وهذا هو تصديق الله وتصديق رسوله والاعتقاد باليوم الآخر ونشأة الثواب و العقاب والميزان والحساب .

و«الإيمان» عبارة عن هذه المعارف ، فكان من أصر على معصية أو ترك الصبر أو قعد عن الحرب، فلانه اما غير مؤمن ، واما ضعيف الإيمان ، وكما ان من فقد الإيمان بالكلية يوجب الاصرار على المعاصي ، فكذلك ضعفه.

فان سبب وقوع أكثر المنسوبين الى الإيمان في المعصية مع اعتقاد في الجملة بأن المعصية من أسباب البعد عن الله والعقاب في الآخرة امور ثلاثة:

أحدها: ان العقاب الموعود غيب غير محسوس ، والنفس جبّلت متأثرة بالحاضر المحسوس .

الثاني : ان الشهوات الباعثة على الذنب ناجحة آخذة بالمحنف ، وقد قويت واستولت بالاعتياد - والالاف والعادة طبيعة خامسة - وليس كل من شرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذباً بأصل الطب ، وبأن ذلك مضر في حقه ، ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر ناجزة ، فهو نعم عليه الالم الموعود .

الثالث: انه مامن مذنب لقلبه رائحة من الايمان الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتکفير السيئة بالحسنة ، وقد وعد بأن ذلك منشأ المغفرة ، الا أن طول الامل غالب على الطياع ، فلا يزال تسوف التوبة والتکفير ، فمن سبب رجاء توفيق التوبة ربما يقدم عليه مع الايمان .

الرابع: انه مامن مؤمن الا وهو معتقد أن الذنب لا يوجب العقوبة ايجاباً لا يمكن العفو عنها - خلافاً للمعتزلة - فهو مذنب يتظاهر العفو اتساكلا على فضل الله .

في هذه أسباب أربعة موجبة للاصدار مع بقاء أصل الايمان ، نعم هي هنالك خمس يقدم المذنب به وهو يقدح في أصل ايمانه ، وهو كونه شاكراً في صدق الرسل في اذارهم ، وهذا هو الكفر ، كالذى يحذر الطبيب تناول ما يضره ، وهو من لا يعتقد فيه انه عالم بالطب ، فيكذبه أو يشك فيما يقوله فما يبالي .

\* \* \*

ويمكن علاج جميع هذه الاسباب الخمسة بالفكر الصحيح :

اما الاول: فلما تقرر ان كل ما هو آت آت ، وان غالباً للناظرين قريب ، وقد من تحقيق قرب الساعة ، وان الموت أقرب من كل أحد من شراك نعلمه (و ما يدركك لعل الساعة قريب) \* [٤٢/١٧] .

واما الثاني : ان المتأخر اذا وقع صار ناجزاً ، ويندكر نفسه انه أبداً في دنياه بتعب في الحال لخوف أمر في الاستقبال ، وهذا ألمه ليس أقل من ألم الصبر عن المعاصي .

واما في الثالث : فبأن اكثراً صباح أهل النار وحسراتهم وزفراتهم من التسويف لأن المسوف بني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء ولعله لا يبقى ، وان بقى فلا يقدر على الترك غداً ، كما لا يقدر عليه اليوم ، ثم ليت شعري هل عجز في الحال الا لغيبة الشهوة ، والشهوات لاتفاق بالاصرار ، بل تتضاعف سورتها وتترسخ أصلها بالتكلر وتنأى خلقها بالاعتياد ، وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا ينقطع الا بمشقة شديدة ، قال «آخرها سنة ثم أعود عليها» فلا حماقة أعظم من حماقتها .

واما الرابع : فعلاجه بأن يتذكر في حال من يمكن العدو على ذهب جميع أمواله ، ويترك نفسه وعياله فقيراً مستنبطاً من فضل الله ، راجياً أن يرزقه العثور على كنز في أرض خربة ، فإن امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان ، والله قادر عليه ، الا ان هذا الرجل مما يحکم عليه كل عاقل بأنه في غاية الحماقة .

واما الخامس : فعلاجه التأمل في أسباب المعرفة بصدق الرسل ، وذلك ايضاً ركن عظيم من أركان حكمة الله ومعرفته ، وأكثر الناس غافلون عنه ، ذاهلون عن معرفة ماهية الرسالة وحقيقة الرسول بل اكثراً منهم مستهزئون بالانبياء باطننا ، وان أفروا بالرسالة لساناً وقولاً ، كما من قوله تعالى : \* (ما يأنفهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) \* [١٥/١١] وأكثرهم معرضون عن آيات الله فهمَا ودرایة ، وان تلوها قرائة ودراسة : \* (وَكَأَيْنَ مِنْ آيَةٍ فِي السُّمُوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مَعْرُضُونَ) \* [١٢/١٠٥]

فقد رجع الامر في مواجهة النفس والشيطان كله الى تحصيـلـ المـعارفـ الـاـلهـيـةـ وـالـعـلـومـ الـرـبـانـيـةـ، ثم المصاـبرـةـ عـلـيـهـاـ بـتـرـكـ المـذـارـاتـ وـالـنـقـوىـ عـنـ الـمـحـارـمـ وـالـسـيـئـاتـ، لـقـوـلـهـ تـعـالـىـ:\*(اـنـاـجـعـلـنـاـ الشـيـاطـيـنـ اوـلـيـاءـ لـلـذـيـنـ لـاـيـؤـمـنـونـ)\* [٢٧/٧] وـقـوـلـهـ:\*(الـذـيـنـ كـفـرـواـ اوـلـيـائـهـمـ الطـاغـوتـ)\* [٢٥٧/٢] فـاـذـاـ تـتـوـرـ الـبـاطـنـ بـنـوـرـ المـعـرـفـةـ وـالـاـيـقـانـ ، وـتـطـهـرـ الـقـلـبـ بـطـهـارـةـ الـورـعـ ، زـالـتـ عـنـهـ نـجـاسـةـ الـشـرـكـ وـالـكـفـرـ، فـيـسـرـىـ اـثـرـهـ فـيـ جـمـيعـ الـقـوـىـ وـالـجـنـودـ وـالـاحـزـابـ، فـيـصـيـرـ كـلـهـ مـسـلـمـةـ مـقـوـافـيـةـ مـتـعـاـضـدـةـ مـتـظـاـفـرـةـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ وـالـسـفـرـ اـلـيـهـ، وـكـلـ مـنـهـ يـنـقـلـبـ اـلـهـ مـسـرـوـرـاـ .

وـكـمـاـ أـنـ فـيـ الـظـاهـرـ اـذـاـ أـسـلـمـ مـشـرـكـ يـزـولـ عـنـهـ النـجـاسـةـ وـعـنـ جـمـيعـ بـدـنهـ وـأـعـضـائـهـ وـمـلـبـوـسـاتـهـ وـمـاـ يـلـتـصـقـ بـهـ ، فـكـذـلـكـ اـذـاـ حلـ مـعـنـيـ التـوـحـيدـ الـحـقـيقـيـ فـيـ الـقـلـبـ وـتـقـرـفـيـهـ الـمـعـارـفـ الـاـيمـانـيـةـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـاـخـرـ وـالـمـلـائـكـةـ وـالـنـبـيـينـ، وـصـدـقـ بـكـلـمـاتـهـ وـآـمـنـ بـكـتـبـ اللـهـ الـمـنـزـلـةـ عـلـىـ رـسـلـهـ وـاـلـيـائـهـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ تـنـورـتـ الـقـوـىـ كـلـهـاـ بـأـشـعـةـ نـورـ الـاـيمـانـ الـحـقـيقـيـ، وـتـطـهـرـتـ الـجـنـودـ كـلـهـاـ مـنـ رـجـسـ الـشـرـكـ الـخـفـيـ وـنـجـاسـةـ الـجـهـالـةـ الـشـيـطـانـيـةـ وـالـكـفـرـ الـوـهـيـ ، فـصـارـتـ الـنـفـسـ روـحـاـ ، وـالـوـهـمـ عـقـلاـ ، وـالـسـفـسـطـةـ بـرـهـانـاـ ، وـالـشـهـوـةـ شـوـقـاـ اـلـىـ الـعـبـودـيـةـ ، وـالـغـضـبـ عـزـمـاـ عـلـىـ الـطـاعـةـ ، وـالـلـذـةـ مـحـبـةـ ، وـالـحـسـدـ غـيـرـةـ ، وـالـقـنـوـطـ رـجـاءـاـ ، وـالـكـفـرـانـ شـكـراـ ، وـالـحـرـصـ توـكـلاـ ، وـالـقـسـوةـ رـأـفـةـ ، وـالـحـمـقـ فـهـماـ ، وـالـتـهـتكـ عـفـةـ ، وـالـكـبـرـ تـواـضـعاـ وـالـسـفـهـ عـلـمـاـ ، وـالـهـذـرـ صـمـتاـ ، وـالـاستـكـبـارـ اـسـتـسـلـاماـ ، وـبـالـجـمـلةـ جـمـيعـ أـجـنـادـ الـشـيـطـانـ يـصـيـرـ مـنـ توـابـعـ الـمـلـكـ وـجـنـودـ الرـحـمـانـ، وـهـكـذاـ جـمـيعـ أـفـرـاسـهـ وـرـواـحـلـهـ وـشـرـكـهـ وـحـبـائـلـهـ وـمـنـازـلـهـ وـمـوـاضـعـهـ تـصـيـرـ مـتـعـلـقـةـ بـحـزـبـ اللـهـ ، وـالـمـلـكـةـ مـسـخـرـةـ لـخـلـيـفـةـ اللـهـ فـيـ أـرـضـ الـبـاطـنـ، وـأـهـلـهـاـسـاجـدـةـ لـهـ خـاصـعـةـ اـيـاهـ، مـطـيـعـةـ لـأـوـامـرـهـ وـنـوـاهـيـهـ قـائـلـةـ كـلـهـمـ بـأـلـسـنـةـ أـحـوـالـهـ :

صحي القلب عن سلمى واقصر باطله      وعرى أفراس الصبي ورواحله

\* \* \*

ولقد أطربنا الكلام، وقد بقي بعد خبایا فی زوایا القلب لتبیین المرام وتحقیق  
الكلام ، توکنناها لضيق المقام وقصر العمر عن التطويل في كل مقصد على وجه  
التمام ، على ان الصاد الشديد عنه موجود ، والباعث القوي عليه مفقود ، وهمما  
قصور الافهام من الطلبة المحصلة وشنة اللئام من الجهلة المطعلة .

قوله سبحانه :

**هذه جهنم التي كنتم توعدون [٦٣]**

واعلم ان العلم بحقيقة الجحيم والجنة والايمان بوجودهما من المعارف  
التي لا بد للسلوك من معرفتها ، والناس معرضون عنها اعراضهم عن سائر الآيات  
لانكبابهم على دواعي النفس والشهوات ، وهي كسائر أسرار القيمة مما يختص  
معروفة بعلماء الآخرة ، وليس لعلماء الدنيا نصيب من هذه المعارف الااسمي  
والرسوم .

ولفظة «هذه» الموضوعة للمشار إليه القريب مع لفظة «الوعدة» الموضوعة  
للامر المتسوف حصوله مشعرتان بأن ماهية النار والجنة من أقرب الاشياء  
إلى ذات العبد ونفسه وروحه ، وان ظهور موعدهما موقوف على قيام الساعة  
لقوله :\*(وببرزت الجحيم للغاويين)\* [٩١/٢٦] وقوله :\*(وان جهنم لمحيطة  
بالكافرين)\* [٢٩/٥٤] وقوله :\*(انا أعتقدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها)\*  
[٢٩/١٨] .

والإشارة الى ماهيتها بوجه ان الانسان مالم يكن عارفاً بالحق لا يمكن  
سلوکه اليه ، والعارف مالم يكن محبباً للحق لا يمكن سلوکه اليه ، فالشوق والمحبة

ضرب من الوصول، وكماله هو الحشر مع المحبوب أو النزول في دار ضيافته فالمحبوب الحقيقي لهم هو الله، ودار رحمته وكرامته هي طبقات الجنان ودرجاتها، ومحبوب أهل الكفر هو الهوى والطاغوت، ودار نزله وضيافته هي طبقات الجحيم ودركاتها.

لكن المعرفة على درجات مختلفة : الظن ، و العلم ، والبصار - اي المشاهدة - .

«الظن» لأهل هذه النشأة الدنياوية من حيث يكون فيها ، و «العلم» لأهل الآخرة من حيث هم فيها، و «المشاهدة» لأولياء الله، الذين نشأتهم فوق هاتين النشأتين .

شأن أرباب الدنيا : \* (ألا انهم في مرية من لقاء ربهم) \*[٤١/٥٤] و شأن أهل الآخرة : \* (ثم يجمعكم الى يوم القيمة لاريب فيه) \*[٤٥/٢٦].  
وبوجه آخر : العلم في الدنيا والمشاهدة في الآخرة : \* (كلا لو تعلمون علم اليقين \* لترؤون الجحيم \* ثم لترونها عين اليقين) \*[١٠٢/٦] فالاثر الذي يصل أولا الى السالك من مطلوبه ، الایمان بوجوده ووجوبه ، والاثر الثاني هو الايقان والتحقيق والمشاهدة : \* (ان هذا لهو حق اليقين) \*[٥٦/٩٥].

وجميع هذه المراتب كما يتحقق في المطلوب الخير ، كذا يتحقق في مطلوب أهل الشر ، الا ان مآل المشاهدة في الاول الى البقاء والدوام والسعادة المخلدة والسرور الدائم والنعيم المقيم ، وفي الاخر الدثار والهلاك والزوال والعذاب الاليم والعقاب الجسيم ، فما اشد سخافة رأى أهل الظن والتخمين حيث يزعمون يوم القيمة بعيدا عن الانسان بحسب الزمان والمكان : \* (وما أظن الساعة قائمة) \*[٣٤/١٨] \* (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) \*[٣٤/٥٣].  
وقد علمت فيما من سابقاً أن أهل العلم واليقين يعلمونه قريباً بحسب

الزمان و المكان : \* (اقربت الساعة) \* [١/٥٤] \* (وأخذوا من مكان قريب) \* [٣٤/٥١] يوم \* (برونه بعيداً ونراه قريباً) \* [٧٠/٧٧] وكان نبيتنا صلی الله علیه و آله و سلم يشاهد خازن الجنة ويتناول من ثمارها وفواكهها، ويشاهد النار و يتغوز منها في صلوة الكسوف - كما روي - ولم يحكم بایمان حارثة الانصارى بالحقيقة مالم يكن مشاهداً للجنة وأهلها يتزاورون، وللنار وأهلها يتعاون.

قوله سبحانه :

### اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون [٦٤]

ان في هذه الاية نصاً على ان الكفر - اي الجهل بحقيقة الساعة واليوم الآخر - هو منشأ صلی " جهنم والاحتراق بثارها ، وذلك لما مر من ان الجهل بوجود الآخرة يوجب الاقدام على ترك الطاعات ، والاجتراء على المعاصي ، والتقادع عن الخروج من دار المعصية ومعدن الافة ، والاخلاط الى الارض و الاغترار بظواهر الاثار ، وتسوييف التوبة والاعتماد على الشفاعة ، كما حکى الله عنهم بقوله : \* (هؤلاء شفاؤنا عند الله) \* [١٠/١٨] والجهل بأن شرط تحقق الشفاعة حصول المناسبة ، فلا يتصور بدونها كما اشير اليه بقوله تعالى : \* (لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن) \* [٢٠/١٠٩] وقوله : \* (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) \* [٧٤/٤٨].

\* \* \*

وهيئنا دقيقه لاهل القرآن هم أهل الله وأهل العرفان، وهي انه لما تقرر عندهم ببصائرهم الشهودية وارصادهم وآلاتهم الروحانية ، ان الدنيا وأحكامها ، مرآت للاحقرة وأحكامها ، ولما كان الناس يوم القيمة أصنافاً ثلاثة

لقوله تعالى: \* (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةَ \* فَاصْحَابُ الْمِيمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمِيمَنَةِ \* -  
الى قوله : - \* اولئك المقربون) \* [١١ - ٧/٥٦] ولقوله : \* (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ  
لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) \* [٣٥/٣٢] فَكَذَلِكَ الْمُوجُودُونَ  
مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ، كُلُّ قَسْمٍ مِنْهَا مِنْ رَأْةٍ وَمِثَالٍ لِمَا يَرُوَ إِلَيْهِ عَاقِبَةٌ  
أُمْرٌ هُوَ ، وَأَحْوَالٌ وَأَحْكَامٌ حَاضِرَةٌ مِثَالٌ لِأَحْوَالِهِ وَأَحْكَامِهِ الْغَائِبَةِ .

فَالْمُتَوَطِّنُونَ فِيهَا ، الْمُكَبِّرُونَ عَلَى شَهْوَاتِهَا أَمْثَلُ أَصْحَابِ الشَّمَالِ الْوَاقِفُونَ  
عَلَى النَّارِ مِنَ الْأَشْرَارِ وَالْأَشْقِيَاءِ الْمَرْدُودِينَ الْجَهَّالُ الضَّلَالُ الْمُقْيَدُونَ بِالسَّلاَسِلِ  
وَالْأَغْلَالِ ، وَانْكِبَابُهُمْ عَلَى شَهْوَاتِهَا مِثَالٌ لِاحْتِرَاقِ أَهْلِ النَّارِ لِحَرَقَاتِهَا .  
وَالْمُتَبَدِّلُونَ الزَّاهِدُونَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالصَّلَاحِ هُمْ مِثَلُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ  
وَأَهْلِ النَّجَاهِ .

وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ السَّالِكُونَ إِلَى اللَّهِ ، وَالْأَحْرَارُ الْمُرْتَسِفُونَ عَنِ  
الْخَسَائِسِ الدُّنْيَةِ ، الْمُعْرِضُونَ عَنِ الْذَّاتِ الْحَيْوَانِيَّةِ ، فَهُمُ الْمُقْرَبُونَ إِلَى اللَّهِ  
تَعَالَى ، الْمَارُونَ عَلَى الصِّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَّ إِلَيْهِمْ أَثْرُ حَرْهَا  
وَضُرْهَا ، كَمَا قَالَ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الْصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -  
لِمَا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: \* (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا) \*  
[١٩/٧١]: «جُزِّنَاهَا وَهِيَ خَامِدَةٌ» وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَقِيبَ ذَلِكَ: \* (ثُمَّ نَجْعَلُ  
إِنْقُوا) \* إِشَارَةً إِلَى أَهْلِ النَّجَاهِ وَالسَّعَادَةِ ، وَقَوْلُهُ: \* (وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِيشًا) \*  
إِشَارَةً إِلَى أَهْلِ النَّكَالِ وَالشَّقاوةِ .

\*     \*     \*

وَمِنْ نَظَرِي حَالٌ كُلُّ فِرْقَةٍ بِعِينِ الْإِسْتِبْصَارِ وَالْأَعْتِبَارِ ، وَرَجَعَ إِلَى عَالَمِ  
الْأَنْصَافِ مِنَ الْجُورِ وَالْأَعْتِسَافِ ، انْكَشَفَ عَلَيْهِ أَنَّ التَّضَادَ مُتَحَقِّقٌ بَيْنَ أَهْلِ  
الْتَّوْحِيدِ وَأَصْحَابِ الشَّمَالِ ، حِيثُ أَحْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ عَلَى ضَدِّ أَحْوَالِ هُؤُلَاءِ وَ

أفعالهم، ويظهر له يقيناً أن الجماعة المتشبهين بالعلماء - المكتفين على الدنيا وأغراض النفس والهوى - بمعزل عن درجة أهلية أهل العلم والتوحيد ، وهم بمراحل عن أهل الله ورضوانه بعيد، فهم في واد وأهل دين الله في واد . فهؤلاء أهل التضاد والعناد، كما أن اولئك أهل التوحيد والحرمة والتفرير وذلك لتقيدهم بعالم الحركات والتغييرات ، من الاجسام المتضادة الصور ومواد ، المتقلبة في أحوالها، كالحدود والزوال والكون والفساد ، والحياة والموت ، والنوم واليقظة ، والصحة والمرض ، والقدرة والعجز ، واللذة والالم والراحة والتعب ، والشهوة والغضب ، وذلك لتقيدهم بذواتهم المستحبيلة ، وهيأتهم الكائنة الفاسدة ، وعلومهم الجزئية المتغيرة ، بحيث لم يرتسقوا عن خصوصيات هوياتهم ولم يخرجوا قدمًا عن عتبة باب أبدانهم العنصرية بمنفوسهم الوهمية .

وإلا نجاة لشخص من نفسه وشخصه فكيف لوازمه وحالاته فهم محترقون بنار الانقلابات وحرقة الشهوات \* (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرهاليذوقوا العذاب)\* [٤/٥٦] واي عذاب أشد من أن يكون متعدباً من نفسه معاقباً بمعصية هي ذاته وجوده؟ كما قيل : «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب» فلا جرم يكونون أبداً في الجحيم بين امور متضاده كالسموم والزمهرير يترددون في الهاوية بين طرفي التضاد، لما بينا فيما مر أن الهاوية من سنسخ هذه الدار يبرز يوم القيامة على الاشرار: \* (وبرزت الجحيم للغاوين)\* [٢٦/٩١] كما برزت اليوم على الاخيار، لقوله: \* (وبرزت الجحيم لمن يرى)\* [٧٩/٣٦] فمن كان يتعدب تارة بأحد الضدين وتارة بالآخر: \* (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل)\* [٣٩/١٦] :

بر هوا بر شـود بـسوـزـندـش      بر زـمـيـن بـكـذـرـد بـدوـزـندـش

دوخ نقد مفسدان این است نسیه خود صد هزار چندین است وأحوال أهل الجنة و البرار تعاكس أحوال أهل النار والاشرار بوجهه، حيث أن هؤلاء لما كانوا أول الامر خارجين عن قيد الشرع ، مسرحين عن عقال العقل، غير مرتاضين بل سائرين في أرض الشهوات خالي عذار الشرع وزمام العقل ، فلاجرم يقيدون في الآخرة بقيود السلسل والاغلال ، يعذبون بفنون العذاب والنكال محتجبون بأنواع الحجب ، متربدون في أسفل دركات الجحيم \* (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) \* [٢٢/٢٢] .  
واما البرار فلهم الارتقاء من كمال الى كمال - لهم من فوقهم غرف ومن تحتهم غرف - وهم المتخلصون من عذاب أهل التضاد - لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

قوله سبحانه :

اليوم نختتم على أفواههم وتتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون [٦٥]

وقرئ «يختتم» بصيغة الغائب المجهول ، و«تتكلّم أيديهم» وقرئ «وتكلّمنا أيديهم وتشهد» بلام كى و النصب على معنى : «ولذلك نختتم على أفواههم » وقرئ «فيها بلام الامر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة .

في الكشاف : «يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جبر انهم وأهاليهم وعشائرهم ، فيحلفون ما كانوا مشركين ، فحيثئذ يختتم على أفواههم وتتكلّم أيديهم وأرجلهم ، وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة : اني لا اجي梓 علي شاهد الامر نفسي فيختتم على فيه ، ويقال لarkanah : انتقي . فتنطق باعماله ، ثم

يخلی بينه وبين الكلام ، فيقول : بعدها لكن وسحقاً فعنكك كنت اناضل» .  
 واختلف المفسرون في كيفية شهادة الجوارح على وجوه :  
 أحدها : ان الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها أن تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها .  
 وثانيها : ان الله يجعل فيها كلاماً ، وانما نسبت الكلام اليها لانه لا يظهر  
 الامن جهتها .  
 وثالثها : ان معنى شهادتها وكلامها ان الله يجعل فيها من الآيات ماتدل على  
 أن أصحابها عصوا الله بها .

## مكاشفة اخر وية

ان أهل الضلال وأصحاب الشمال اذا بربوا الله وخرجوا من قبورهم الى  
 المحشر كانت لهم صور وأشكال على ما اقتضته صفاتهم وأخلاقهم البهيمية  
 والسبعينية .

وفي الحديث : «يحشر الناس على صور نيتانهم» .  
 فيحشرون في الآخرة على صور الحيوانات العجم ، المنتكس الرؤس ،  
 المنقلبة الوجوه الى أسفل ، مختومون على أنفواهم ، تشهد على ضمائرهم  
 ونياتهم هياكل أيديهم وأرجلهم ، وتشهد آذانهم على أنهم صم عن سماع آيات  
 الله ، وعيونهم على أنهم عمى عن مشاهدة أهل الآخرة ، وجلودهم وأبدانهم  
 على أنهم حمق عن دراك المعانى ، كما قال : \* (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم  
 وجلودهم بما كانوا يعملون) \* [٤١ / ٢٠] .

## دقيقة كشفية

ان الله تعالى خلق في الاكوان أصنافاً أربعة - هي الجسم العنصري ، والجماد

والنبات والحيوان۔ غالب على كل منها بحسب الفطرة والطبيعة احدى الحجب من مراتب الاحتباس عن الجنان ، وزلات الأقدام عن القيام إلى طاعة الرحمن ليعلم بال بصيرة الباطنية انطلاق الحقيقة الإنسانية بحسب فطرتها العقلية عن هذه الحجب والقيود .

بل خلق في الحيوان أصنافاً أربعة لم راتب أربعة متحققة في أفراد الإنسان ليعلم أهل الشهود كيفية احتجاج أهل الجحيم واحتباسهم في شجون اودية الظلمات وسجون مهاوي التعلقات لارباب الضلالات عن لقاء الله ، وينكشف عليه كيفية انكشاف وجوه أهل الرحمة وانطلاقهم عن حجب هذا العالم ، وعدم انجحاسهم في ظلمات ثلث لقوى ثلاث، من شهوة البهيمية وغضب السبعية وحيلة الشيطانية .

وذلك حيث لم يتحقق علامة الانفتاح وطلقة الوجه ونقاء الجسد الافي واحد من تلك الأربعة - وهي الإنسان - دون غيره من الأصناف الثلاثة - البهيمية والوحوش والطيور - اذ فيه علامة أهل الجنة ، الذين هم «جرو مردم كحلون» كما ورد في الحديث (١) ولغيره علامات المحبوبين والمسجونين وال مجرمين - فهي التقيد بالاغلال في الاعناق والايدي والارجل ، والانسداد عن الارتفاع إلى عالم النور ، والاحتجاب بالاغشية الظلمانية ، كما في قوله تعالى : \* (انتَ جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمدون) \* [٩-٨/٣٦] . سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يصرون \*

ثم الاشارة إلى أن النفس الإنسانية باعتبار كونها عالماً مشتملاً على أصناف المكونات والحيوانات كمثل شاة في أول الأمر ، لها قوائم أربع قيدت بثلاثة أرجل هي قواها الطبيعية والنامية والحيوانية ، واطلقت بوحدة هي قوتها الفكرية ،

خلق الله في كل واحد من الحيوانات الثلاثة سوى الإنسان ثلاثة علامات من علامات الجحيم والعذاب، وخلق في الإنسان أضداد هذه العلامات، ثلاثة هي علامات أهل الجنة.

وذلك لأن لكل واحدة من تلك الحيوانات يوجد ثلاثة عقد: أحدها: عقدة العمى في العين عن مشاهدة آيات الأفاق والأنفس، ورؤيه ما في كتاب الله لقراءة آياته، والآخر: عقدة الصم في الأذن عن استماع الكلام، والثالثة عقدة الانتكاس لنفوسها المتوجة إلى الأغراض السفلية.

ونشأ من هذه العقد الثلاث عقد ثلاثة آخرين شاهدة عليها، أحدهما: الإنسان الشاهدة على صمم الأذان، وثانيها: عقدة اليدين الشاهدة على عماء العين، والثالثة: الانقلاب في البدن، لشهادة الانتكاس في النفس، فان المسان ك الخليفة الأذن، لأن كل «أصم» فطرة فهو «أبكم»، واليد الكاتبة ك الخليفة العين، فإنقلابه دليل انتكاسها، كما أن انحناء الغلاف دليل انحناء السيف.

قوله سبحانه:

ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون  
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون  
[٦٧ - ٦٨].

الطمس: محو الشيء حتى يذهب أثره، و«الطمس على العين»: تعفيفية شق العين حتى تذهب وتعود ممسوحة، ومثله «الطمس على الكتاب» وهو اذهابه حتى لا يقع عليه ادراك.

وقوله : «فاستبقو الصراط» اماعلى طريقة الحذف والايصال ، اي فاستبقو الى الصراط ، او بتضمين معنى «ابتدروا» او يجعل الصراط مسبوقاً لامسبوقاً اليه ، او يتتصب على الظرف ، اي : فلو قصدوا (تصدوا - ن) أن يستبقو الى الصراط فأنتى يتيسر لهم ، لكونهم عمياً لا يصرون الطريق .

و«المسخ» : قلب الصورة الى خلقة مشوهة و«المكانة» و«المكان» واحد كالمقامة والمقام ، وربما يفرق بينهما فيكون الاول للمعنوي والثاني للوضعي .

وقرىء : مكانتهم ، وقرىء : مضياً - بالحركات الثلاث - .

\* \* \*

قد أخبر سبحانه عن قدرته على كشف سرائر هؤلاء الكفار وصورتهم الباطنية النافية عن حواس أهل الدنيا ، المناسبة لصفاتهم ونياتهم ، وهي الصور التي سيحشرون عليها يوم القيمة ، فقال : ولو نشاء لطمسنا على أعينهم .

وعن ابن عباس ، اي : لاعميائهم عن الهدى . وعن الحسن والجمائلي والقتادة : لتركتناهم عمياً يتترددون .

فاستبقو الصراط - اي : فطلبوا طريق الحق وقد عموا عنه - فانى يصرون .

وعن ابن عباس ، وقيل معناه : فطلبوا النجاة والسبق اليها ، لا بصر لهم فكيف يصرون وقد أعميائهم . وقيل : طلبوا الطريق الى منازلهم فلم يهتدوا اليها .

ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم - التي هم فيها قعود ، اي : لعذبناهم بنوع آخر من العذاب ، فأقعدهناهم في منازلهم ممسوخين قردة وخنازير وقيل معناه : ولو نشاء لمسخناهم حجارة في منازلهم ليس فيهم أرواحهم .

فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون - اي : فلم يقدروا على ذهب ولا مجيء وقيل معناه : فما استطاعوا مضياً من العذاب ولا رجوعاً الى الخلقة الاولى بعد المنسخ .

## مكاشفة

«الطمس على العين» اشارة الى ازالة الاستعداد عنهم لادراك المحققائق بال بصيرة الباطنية ، وهي القوة العاقلة النظرية ، كما أن «المسخ على مكانتهم» - وهو اجمادهم في مرتبتهم التي كانوا عليها من النقص - اشارة الى قلب فطرتهم الانسانية بحسب القوة العملية المستعدة لسلوك سبيل الحق بفعل الخيرات واقامة الصلوة والزكوة الى فطرة الدواب والانعام ، التي ليست لها قوة الارقاء الى ملکوت السماء .

والحاصل ان أهل الكفر والاحتياج وأصحاب الضلال والعداب وان كانوا في أصل الفطرة مستعدين لادراك طريق الحق القوي ، وقوة المشى على الصراط المستقيم ، الأئمهم لأنكارهم وجحودهم آيات الله ومعالم دينه وحكمته طمست عقولهم النظرية وعيونهم الفطرية ، فصاروا من جملة الشياطين المردودين الى أسفل السافلين ، ومسخوا بحسب قوتهم العملية فصاروا قردة وخنازير ، فلو راموا أن يستيقوا الى الطريقة العامة التي لكل أحد أن يسلكها الى مقصدہ الذي يناسبه بحسب أصل الفطرة - وهي الشريعة العامة التي بها نجاة كل أحد - لم يقدروا ، وتعابا عليهم أن يبصروا ويعلموا وجهة السلوك فيها من علوم المعاملات والمسائل الضروريات - فضلا عن غيره من علوم المكاشفات - .

ومع قطع النظر عن كون السلوك متوقفاً على البصيرة فصاروا الكثرة اعتيادهم كالدواب والانعام بالتوطن في عالم الاجرام ، وانحباسهم كالحشرات في قعر أرض البدن ممسوخين على مكانتهم التي كانوا عليها ، مجمودين في عالم الصورة غير مستطعين مضيّاً الى عالم الرحمة والنجاة لفقد الة وضعف البنية ومسخ

الماهية، ولاراجعين الى فطرتهم الاصلية لاستحالة ذلك بالباهرين القاطعة العقلية والشواهد الناصحة (القاطعة - ن) النقلية ، كما استحالت في سنة الله صيرورة الشيخ الكبير طفلاً صغيراً .

وأما قوله : \*(قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً)\* [١٣/٥٧] فهو على سبيل التهكم بهم .

\* \* \*

وانني قد رأيت من المستعدين من كان لهم بحسب الفطرة الاصلية لكل تسا قوتهم النظرية والعملية استعداد ادراك بعض المعارف الحقة ، والاقتدار على فعل الطاعات والخيرات ، والمصابرة على ترك الفسوق والشهوات ، فصاروا بعد حين بسبب ملاقات أهل الاغترار وملازمة الاقران السوء ، وصحبة أهل الغفلة والجهالة ، والانكباب الى الدنيا ، والاعراض عن الحكمة في غاية الجمود والبلادة ، والعمى عن ادراك المعقولات ، لاعتباهم بحفظ الوساوس الوهمية ، والكلمات الواهية ، والأقوال المتناقضة الباطلة ، وفي غاية الكسل عن الخيرات والطاعات ، لأنهما كلام في طلب الشهوات النفسانية ، وافساد قواهم في السعي على اقتناء المرغوبات الحسية وتحصيل الرياسات الحيوانية .

واكثر هؤلاء اذا تجاوزوا عن الأربعين وصاروا معمرین ، وأخذت قواهم في الانكماش والذبول - كما اشير اليه في الآية التالية ، توغلوا في الاعراض عن الحق والخوض في الباطل ، الى أن صاروا أشد الناس عداوة للذين آمنوا بحسب الضمير والاعتقاد ، وأغلظ المعاندين والجاحدين لأهل الحق لغاية البعد عن عالم المعاد ، وأحرص الناس على حياة هذه الدنيا كاليهود الغالب على نشأتهم أحکام الظاهر ، ومحبة التجسم وعداوة أهل التجرد والتوحيد والروحانيين .

كما قال تعالى : \* (قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقأ لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) \* [٩٧/٢] ولقوله : \* (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للمكافرين) \* [٩٨/٢] وهذا بالحقيقة معنى «الطمس» و«المسخ» الواقع في يهود الامم السابقة مكشوفاً ، وفي مجسمة هذه الامة مستوراً ، لا التناصح بالمعنى المشهور بين الفلاسفة ، لنهاوض البراهين على استحالة انتقال النفس من بدن عنصرى الى بدن آخر .

\* \* \*

واما انقلاب باطن الانسان بحسب كثرة الاعمال الشهوية والغضبية والجربزية الى حقيقة البهائم والسباع والشياطين ، فهذا مما اتفق عليه اكابر المحققين من أهل الكشف والشهود ، وأشار اليه اعظم الحكماء الاقدمين من أصحاب الاشراق والسلوك الى الله المعبود ، ونطقت به ألسنة الشرائع الحقة الالهية ، ودللت عليه الآيات القرآنية ، وصرحت به الاحاديث النبوية .

وكفاك في هذا المعنى قوله تعالى في حق من أنزل لهم أحسن المنازل وأبعدهم عن ساحة الشرف الإنسانية بمراحل ، وأسكنهم في حضيض الجهّال ومهوى الأرذال محجوبين عن شهود الحقيقة ، مخدولين عن صراط سوى الطريقة ، بعد ما كانوا مكرمين من حيث استعدادهم بكرامة الادمية ، مشرفين بشرافة مسجودية الملائكة من جهة القطرية : \* (قل هل ابئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت او ثلث شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل) \* [٦٠/٥] .

فانه صريح في أنهم جعلوا في جحودهم الحق وانهما كهم في الشهوات وطلب الرئاسات أنزل رتبة وأسفل درجة من القردة والخنازير وعبد الطاغوت

- بحسب القوة العملية وأعمى قلباً عن رؤية الحق، وأضل انحرافاً عن الصراط المستقيم من الشيطان الرجيم - بحسب القوة النظرية - فان الحيوانات - وان كانت أشراراً خسيسة دنيئة - والشياطين وان كانت خبيثة ضالة عن طريق الحق - لكن ليست لها استعداد الارقاء الى مقارنة الحق الاعلى ، ومجاورة مقربيه وطبقات جنانه وملوكه ، وأما هؤلاء فانهم كانوا بحسب أصل الفطرة وميثاق عهد الربوبية مستعدين لسلوك سبيل الله والحضر الى جناب رحمته والفوز بجنانه والوصل الى رضوانه ، وقد بطل استعدادهم النظري لرؤية الاشياء كما هي بالطمس على عيونهم ، وفسد اقتدارهم العملي العروجي بالمسخ ، فصاروا مغلول ايدي ومقيدى الارجل ، كالقردة المغلولة ، والخنازير المقيدة ، حيث زيد فيها غل "على غل" ، وقيد على قيد .

ولذا قال تعالى نظراً الى زوال القوة الدراكه بالطمس \*(ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)\* [٢٢/٨] ونظراً الى كلال القوة الحراكه بالمسخ : \*(اوئلَك كالانعام بل هم أضل)\* [١٧٩/٧]

\* \* \*

فإن قلت: دعوى عدم الاستعداد للارتفاع إلى عالم السماء في الحيوانات الصامتة وإن كان مسلماً معلوماً، لكن عدم استعداد ادراك المعرف في الشيطان غير معلوم، لأنك كان واعظاً للملائكة معلماً لهم .

قلت: هذا عند أهل الله أمر محقق ثابت، ولهم في ذلك شواهد كشفية و

دلائل قرآنية :

منها: اعتراضه على الحق وتمرد عن سجدة آدم، فهذا دل على أن ادراكه من باب التخيلات والأوهام ، غير بالغة إلى حد العقّل ، وليس من شأنه العروج إلى سماء اليقينيات ، وإنما غاية سيره (مسيره - ن) إلى سوائل

الظنون والاوہام، واستراق السمع من أهل التجرد والقدس والطهارة، وليس له الا ان ينقل صورة المسئلة لغرض النفس والھوى منضماً اليها وجوه من الخبائث الباطنية والدواعي النفسيانة .

\* \* \*

ومنها : قصور فهمه عن ادراك حقيقة الانسان وفضيلة ذاته الاصلية - ان لم يصبها آفة - على سائر الاقران باعتبار جامعيته للمشترين ، واستحقاقه لخلاقة الله في العالمين .

ومنها : وقوعه في الغلط الفاحش والقياس المغالطي المبني على الاشتباہ بين مادة الشيء وصورته ، حيث لم يتقطن بأن رتبة الانسان ليست من جهة البنية العنصرية الارضية ، بل بحسب جوهر الروح ، فكانه لم يكن عارفاً بوجود المجردات العقلية .

\* \* \*

ومنها : فعلية جوهره وغلبة النارية على ذاته ، وعدم العجز والانكسار والافة البدنية فيه ، فان منشأ استحقاقية الانسان للارتفاع الى عالم القدس والرضا ورحمة الله في حقه من جهة غاية عجزه وافتقاره وانكساره ، وتقلب ذاته من طور الى طور ، وانزعاج طبعه عن وحشة هذا العالم ، وكثرة آفاته وأمراضه ، وضعف طبيعته في اول النشأة ، كما قال تعالى : \*(خلق الانسان ضعيفا) [٤/٢٨] .

فكل من لم يكن أول الفطرة حاله هذا الحال ، وكان له ضرب من الكمال الوهمي ، مبتھجاً بزينة ذاته الاستعلائية وصورته النارية الاشتعلالية ، فخوراً يقهره وعلو جسميته الدخانية ، فلا محالة لم يتوقع الكمال ، ولم يكن له حال منتظر يمكن له الوصول اليه بالجواز عن مقامه الذي فيه ، والسلوك متى لم

يُمْتَ عن نشأته التي فيها لم يمكّنه التجاوز إلى نشأة أخرى فوقها .  
ومن نظر إلى حال الإنسان من أول تكوّنه إلى غاية نشوءه - حيث كان  
أولاً نطفة، ثم علقة، ثم مضيغة، ثم جنيناً، ثم طفلاً - تيقّن أن بناء استكماله و  
بناء انتقاله إلى حالة أخرى زواله عن الحالة الأولى ، فيما لم يخلع عن ذاته  
كسوة صورة سابقة لم يتلبّس بكسوة صورة لاحقة، ومتى لم يُمْتَ عن نشأة  
لم يحي بحیة ثانية .

\* \* \*

ومنها: انه لو كان في ذاته إمكان الترقى إلى مشاهدة الحقائق الإلهية و  
التقطن بالعلوم الربانية لكان بالغاً إلى شيء منها في المدد المتطاولة والآلاف  
(الإيون - ن) الجمة الغفيرة من الأحقاف والأعمار والأدوار والأکواز التي  
مضت عليه مع كثرة الشواهد والآيات الدالة على حقيقة وجود الباري الكريم  
الجود، وكيفية صفاتـه وآثارـه وحقيقة أسرار المبدء والمعاد ، وانتفاء التالي  
يدل على انتفاء المقدم .

أما الملازمة فواضحة وأما انتفاء التالي : فلان " أقل المراتب في معرفة  
المبدء من علم الأفاق والإيمان بقدرة الباري ووجوب عبوديته وامتثال أمره و  
نهيه، وأدنى المراتب في معرفة المعاد من علم الانفس الاذعان بوجود النشأة  
الباقيـة للإنسان وفضيلـته على سائر المـكونـات ، ومـعلوم ان هـذا الـقدر منـ المـعرفـة  
لم يكن حـاصـلاـ له ولو عـلـى وجـهـ التـقـليـدـ والـظنـ الـحاـصـلـينـ لاـكـثـرـ العـوـامـ منـ أـهـلـ  
الـاسـلامـ .

\* \* \*

ومنها: قوله تعالى: \*(استكبرت أم كنت من العالين)\* [٣٨/٧٥] فـانـه  
كافـشـ عنـ خـسـتـةـ ذاتـهـ وـقـصـورـ جـوـهـرـهـ عنـ انـيـكـونـ منـ العـالـينـ ، وـهمـ سـكـانـ

عالِم التَّقْدِيس وجواهِرِ الْمُلْكُوت العُقْلِيَّة، الْمُرْتَفِعَة بِحَسْبِ كَمَالِهِمُ الْعُلُومِ عَنْ سُوَافِلِ عَالِمِ الْغُواشِي المادِيَّة الْمُوجِبة لِلْجَهَالَة، فَانْ بَنَاءُ الْعِلْمِ وَالْأَنْكَشَافُ عَلَى التَّجَرُّدِ وَالْخَلَاصِ عَنِ الْلَّوَاحِقِ الْغَرَبِيَّةِ، وَتَمْيِيزُ الْخَبِيثِ عَنِ الطَّيِّبِ ، وَبَنَاءُ الْجَهَالَةِ عَلَى التَّلْبِسِ بِالْأَغْشِيَّةِ الظَّلْمَانِيَّةِ السُّفَلِيَّةِ .

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ بِحَسْبِ جَوْهِرِهِ وَذَاتِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ - اِيَّ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ الْمَلَوِيَّينَ - فَلَا يَصِلُّ إِلَى مَقَامِهِمْ - لَا بِالْفَعْلِ وَلَا بِالْقُوَّةِ - فَانِ التَّعْلِيمِ وَالتَّهْذِيبِ لَا يَظْهَرُ إِنَّا لَا مَا هُوَ كَامِنٌ فِي جَبَلَةِ الشَّخْصِ وَذَاتِهِ .

فَهَذِهِ وَجْوهَ دَالَةٍ عَلَى كَوْنِ الشَّيْطَانِ مَمْنُوعَ الذَّاتِ وَالْجَبَلَةِ عَنِ الْاَهْتِمَاءِ بِطَرِيقِ الْحَقِّ وَالْاَرْتِقاءِ عَلَى عَالِمِ الْمُلْكُوتِ، مَطْرُودَ الْمَاهِيَّةِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى اَقْلِيمِ النُّورِ وَالنَّعِيمِ ، مَحْتَرِقَ الطَّبِيعَةِ بِنَارِ الْمُحْرَمانِ وَالْمُبَعَّدِ فِي أَسْفَلِ درَكَةِ الْجَحِيمِ .

\* \* \*

وَمِنْهَا: اَنَّهُ خَالِفُ اَجْمَاعِ الْمَلَائِكَةِ فِي سُجُودِ آدَمَ، وَهَذَا دَالٌّ عَلَى غَايَةِ خَبَائِثِ باطْنَهِ وَسُوءِ فَطْرَتِهِ حِيثُ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ وَاسْتَنْكَفَ عَنِ الْمُوْافَقَةِ مَعَ اَهْلِ اللَّهِ وَاخْوَانِ التَّجْرِيدِ وَاوْلَيَاءِ اللَّهِ .

وَمِنْهَا: اَنَّهُ خَاطَبَ اللَّهَ خَطَابَ الْاِمْتِحَانِ بِجَوْهِرِ ذَاتِهِ، لِيَظْهُرْ بِهِ حَجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاسْتَحْقَاقِيَّةُ اللَّعْنِ وَالْبَعْدِ وَقَالَ: \* (مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ اَذْ اُمْرَتَكَ) [١٢/٧] \* فَلَوْ كَانَ ذَا بَصِيرَةً لِقَالَ: «مَنْعَنِي تَقْدِيرُكَ وَقَضَاؤُكَ وَمُشَيْكَ الْاَزْلِيَّةِ» فَلِمَا كَانَ اُعْمِي بِالْعَيْنِ الَّتِي تَرَى اُحْكَامَ اللَّهِ وَتَقْدِيرَهُ وَهُوَيْتَهُ، بَصِيرًا بِالْعَيْنِ الَّتِي تَرَى اِنْانِيَّتَهُ، فَقَالَ: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ» اِي: مَنْعَنِي خَيْرِيَّتِي مِنْهُ اَنْ أُسْجُدَ لِمَنْ هُوَ أَدْنَى .

\* \* \*

وَمِنْهَا: اسْتِدَلَالُهُ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ عَلَى خَيْرِيَّةِ ذَاتِهِ بِقَوْلِهِ: \* (خَلَقْتَنِي مِنْ

نار وخلقته من طين) \* [١٢/٧] يعني: النار علوية نورانية لطيفة، والطين سفلي ظلماني "كثيف، فهي خير منه، فأخطأ اللعنين في الجواب، وفي الاستدلال، والقياس من وجوه :

وقد قررنا خطأه في الجواب وأما في القياس: فأحد الوجوه أنا لو سلمنا ان النار أفضل وأشرف وأعلى من الطين من حيث الظاهر والصورة، لكن من حيث الحقيقة والغاية الطين أفضل وأشرف ، لأن من خواص الطين الانبات والنشو والتسمُّو، ولهذا السر كان يعلق الروح به ليصير قابلاً للترقي، والنار من خاصيتها الاحتراق والاففاء .

كه آدم را زظلمت صد مدد شد \* زنور ابليس ملعون ابد شد

وثانيةها: ان في الطين لزوبة وامساكاً، فإذا استفاد الروح منه بالتربيبة هذه الخاصة يصير ممسكاً للفيض الاهي ، اذ لم يكن ممسكاً في عالم الارواح، ولهذا السر كان آدم مسجوداً للملائكة ، وفي النار خاصة الاتلاف وهو ضدَّ الامساك .

وثالثها: انه مر كب من الماء والتراب، والماء مطيبة الحياة لقوله تعالى: و من الماء كل شيء حي، والتراب مطيبة النفس النباتية وإذا امتنع جا يتولد النفس الحيوانية، وهي الروح الحيواني وهو مطيبة الروح الانسانية للمناسبة الروحية بينهما، وفي النار ضد هذامن الاعمال والافساد .

هذا مع أن شرف مسجدية آدم وفضيلته على ساجديه لم يكن بمجرد خواصه الطينية التي هي جهة القبول والصلاحية، - وان تشرفت طينته بشرف التخمير من غير واسطة لقوله تعالى: \*(مامنعت أن تسجد لما خلقت بيدي) \* [٣٨/٧٥] وكقوله صلى الله عليه وآله: «خمر طينة آدم بيده أربعين صباها» - وانما كانت فضيلته عليهم لاختصاصه بنفح الروح المشرف بالإضافة إلى الحضرة

فيه من غير واسطة، كما قال تعالى: \* (ونفخت فيه من روحه) \*[١٥/٢٩] و لاختصاصه بالتجلي فيه عند نفخ الروح كما في قوله صلى الله عليه وآله: «ان الله خلق آدم فتجلى فيه» وقد مر ان الملعون خلط بين جهة المادة وجهة الصورة، وشرافة آدم بصفة الإنسانية وصورته الذاتية .

ولهذا السر ما أمر الله الملائكة بالسجود بعد تسوية قالب آدم من الطين بل أمرهم به بعد نفخ الروح فيه، كما قال تعالى: \* (اني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فجعلوا له ساجدين) \*[٣٨/٧٢] وذلك لأن آدم بعد أن نفخ فيه الروح صار مستعداً للتجلي لما حصل فيه من لطافة الروح و نورانية التي يستحق بها للتجلي، ومن امساك الطين الذي يقبل الفيض الالهي مسكة عند التجلي، فاستحق سجود الملائكة لأنه صار قلبه كعبه حقيقة .

تفهم إنشاء الله وتغتنم وتنتفع به ، ولا تكون كالشيطان أعمى القلب عن مطالعة هذه الحقائق ، والمتكبر عن الإيمان بها فتخرج عن جنة هذه المعارف وروضة هذه العواطف ، وتخاطب بقوله تعالى : \* (فاهبظ منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخترج إنك من الصاغرين) \*[٧/١٣] .

\*       \*       \*

ومنها: كفره، لقوله تعالى: \* (وكان من الكافرين) \*[٢/٣٤] والكفر عين الجهل .

واختلف المفسرون والفقهاء في أن كفره فهو قبل الاباء عن المسجدة أم به؟ وفيه قولان :

الأول: انه كان ابليس عند اشتغاله بالعبادة منافقاً كافراً، وفي هذا وجهان: أحدهما: حكى محمد بن عبد الكرييم الشهريستاني في أول كتاب «الممل والنحل» عن شارح الاناجيل الاربعة - وهي المذكورة في التوراة متفرقة على

شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود - : قال ابليس : «أني أسلم أن لي لهاً هو خالي وموjadi، وهو خالق الخلق، لكن لي على حكمة الله اسؤلة سبعة :

أحدها : ما الحكمـة في خلق الكافر لاسيما وقد كان عالماً بـأن الكافر لا يستوجب عند خلقـه إلا الآلام؟ .

الثاني : ما الفائدة في التكليف ، مع انه لا يعود اليـه نفع ولا ضـر ، وكل ما يعود على المـكلفين فهو قادر على تحصـيلـه لهم من غير واسـطة التـكـلـيف ؟

الثالث : هـب انه كـلفـني بمعرفـته وطـاعـته ، فـلم ذـا كـلفـني السـجـود لـادـم ؟

الرابع : ثـم لـمـا عـصـيـتـه فـي تـرـكـ السـجـود لـادـم لـعـنـي وـأـوـجـبـ عـقـابـيـ ، مع انه لـفـائـدـة لـه وـلـغـيرـه فـيـهـ ، وـلـيـ أـعـظـمـ الضـرـرـ ؟

الخامس : لـمـكـنـتـي فـي الدـخـولـ فـي الجـنـةـ وـوـسـوـسـةـ آـدـمـ ؟

السـادـسـ : لـمــاتـفـعـلـ ذـلـكـ فـلمـ مـكـنـتـيـ مـنـ اـغـوـاثـهـمـ وـاـضـلـالـهـمـ ؟

السـابـعـ : لـمــاسـتـهـلـتـهـ الـمـدـةـ الـطـوـيـلـةـ فـيـ ذـلـكـ فـلمـ أـمـهـلـنـيـ ؟ـ وـمـعـلـومـ انـالـعـالـمـ لوـكانـ خـالـيـاـ عـنـ الشـرـ لـكـانـ ذـلـكـ خـيـراـ ؟ـ » .

قال شارح الانـاجـيلـ : فـاوـحـىـ اللـهـ تـعـالـىـ اليـهـ مـنـ سـرـادـقـاتـ الـجـلـالـ وـالـكـبـرـيـاءـ «ـيـاـ اـبـلـيـسـ اـنـكـ مـاعـرـفـتـنـىـ ، وـلـوـعـرـفـتـنـىـ لـعـلـمـتـ اـنـهـ لـاـعـتـرـاضـ عـلـيـ فـيـ شـىـءـ مـنـ اـفـعـالـيـ ، فـانـيـ اـنـاـ اللـهـ لـاـ اللـهـ الاـ اـنـاـ ، لـاـ اـسـئـلـ عـمـاـ اـفـعـلـ» (١) .

وـاعـلـمـ اـنـهـ لـوـاجـتـمـعـ الـاـولـونـ وـالـاخـرـونـ مـنـ الـخـلـائـقـ لـمـ يـجـدـواـ عـنـ هـذـهـ الشـبـهـ مـخـلـصـاـ مـنـ اـسـكـاتـ الـجـاحـدـ الـمـجـادـلـ الـبـحـاثـ اـلـاـ بـهـذـاـ الـجـوابـ الـالـهـيـ عـلـىـ اـنـ لـكـلـ مـنـ هـذـهـ الشـبـهـاتـ جـوـابـاـ بـرـهـانـيـاـ حـقاـ مـبـتـنـيـاـ عـلـىـ الـاـصـوـلـ الـصـحـيـحةـ الـعـرـفـانـيـةـ وـالـمـقـدـمـاتـ الـحـقـقـةـ الـيـقـيـنـيـةـ .

١- مـلـخـصـ مـمـاـ جـاءـ فـيـ المـقـدـمـةـ الثـالـثـةـ مـنـ كـتـابـ الـمـلـلـ وـالـنـحلـ .

الوجه الثاني: قول أصحاب المواتات وهو ان الایمان يوجب استحقاق الثواب الدائم والكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، والجمع بينهما محال والقول بالاحباط باطل، فلم يبق الا أن يقال ان هذا الفرض محال؛ وشرط حصول الایمان في وقت أن لا يصدر الكفر عنه بعده، فإذا كانت الخاتمة على الكفر علمنا ان الذي يصدر عنه أولاً ما كان ايماناً، وعلى هذا شواهد أخرى طويناذ كرها ، لانه يؤدي الى التطويل، وفيما ذكرنا كفاية للمتأمل المهتمي سواء السبيل .

قوله سبحانه :

وَمِنْ نَعْمَرَهُ نَنْكَسُهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقُلُونَ . [٦٨]

قرىء «ننكسه» من «التنكيس» و«ننكسه» من «الانكس» وقرىء «افلاتعقلون» بالباء والياء .

وفي الآية اشارة الى أن الانسان كلما أمعن في السن "نكس قواه البهيمية والسبعينية، وأخذت البنية في الذبول والخلقة في المقصان ، وشرعت الصفات الهيئات الباطنية في التأكيد والرسوخ، وابتداأت أحوال الضمائر والبواطن في الانكشاف والظهور وقد جاء أشراط المساعدة للقيامة الصغرى ، وبرز علامات السعادة والشقاوة لذوي البصائر العقلية، أفلاتعقلون أيها العاقلون .

أوماستحييون من استبطائكم هجوم الموت اقتداءً برباع الغاففين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون، فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون، فتأتيهم الامراض نذيرأ من الموت فلا ينجزرون ، ويأتيهم الشيب رسول منه فلا يعتبرون، فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون! .

أفيظنون انهم في الدنيا خالدون؟ أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون  
انهم اليهم لا يرجعون؟ أم يحسبون ان الموتى الذين سافروا من عندهم فهم  
معدومون؟ كلا، ان كل لما جمبع لدينا محضورون، ولكن ما يأتينهم من آية من  
آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين، وذلك لأننا جعلنا من بين أيديهم سداً ومن  
خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون، فسواء عليهم أنذرتهم أم لم تذرنهم  
لابؤون.

## اشارة أخرى

لما ذكر في الآية السابقة نفي استطاعة الرجوع للأشقياء إلى الفطرة الأصلية  
التي كانت لهم بالطمس والمسخ، وإن كان أكثر الدين (الناس - ن) ضل عليهم  
في الحياة الدنيا، وهم كانوا لغاية الحمق والجهالة والغرور يحسبون أنهم  
يحسنون صنعاً ويتمون آخر الأمر ومتى العمر حين انكسار فواهم وقصور  
دواعيمهم الجسمانية، وظهور أسباب المذلة والهوان، وأشراط ساعة الموت و  
الحرمان ، الرجوع إلى أول العمر وحين أوان القابلية والاستعداد قبل افباء  
اللات ، وصرفها في غير مخلق الله لاجله وكلف به العباد، وتحسّر وتأسف  
على تضييعها لغير طائل وصرفها من غير حاصل، قائلة: (١)

نهاية اقدام العقة-ول عقال	*	وأكثر سعي العالمين ضلال
سوى أن جمعنا فيه قيل وقال	*	ولم تستفد من بحثنا طول عمرنا
وأرواحنا في وحشة من جسم ومنا	*	وحاصل دنيانا أذى ووبال
وكثيراً ما بعض الكفار يتمون الرجوع إلى حالة الصبوة - بل الترايبة-		
عند ظهور أهوال القيمة وشدائد الساعة عليهم ، كما في قوله تعالى: *		(ويقول

١- الآيات منسوبة إلى فخر الدين عمر الرازي.

الكافر ياليتني كنت تراباً) \* [٤٠/٧٨] فأشار الى دفع هذا التمني ، ونفي هذا الوسواس ، وكشف فساد هذا التشهي الفاسد، واستقباح هذا التصوف البارد بعد الأربعين .

يعنى : متى لم يتيسّر لهم قبل انطماس عيونهم القلبية وانمساخ صورتهم الباطنية ادرك علم التوحيد وملاحظة عالم المعاد ، والسعى في طريق العبودية لادراك شواهد الربوبية، وبعد زوال الاستعداد وفساد أكثر القوى والالات ، وانتكاس الخلقة من أعلى درجة الاعتدال والاستواء الى أدنى رتبة الاعوجاج والانحناء، وانقلاب نور الحواس من غاية الاشتعال والذكاء الى غاية الخمود والانطفاء، أنتي يتتصور لهم الشروع في طلب الاهتداء وسلوك سبيل الله بهذه القوى ، فمن مضت عليه أدوار السنين وعمره الله الى أربعين او خمسين من غاية أشدّه المعنوي أخذت خلقته في الذبول والانحلال، وقوتها في الانتكاس والاضمحلال .

وذلك لأن لكل أجل كتاباً ولكل مدة وفصل من فصول العمر خاصية في ظهور الآثار ، فسن الطفولية لحصول أصل الخلقة وحدوث القوى ، وسن الشباب لاستعمال القوى والاعضاء وصرفها في سبيل الله وطلب الكمال، وسن الكهولة لظهور آثار التحصيل والتثبت بالقول الثابت والتحقق بحقائق الإيمان وسن الشيخوخة لافتلاخة نور المعارف على المستعددين والقيام على مسند الأفادة والارشاد، فالاول « قوة »، والثاني « استعداد »، والثالث « كمال » و « تمام » والرابع « فوق التمام » .

وهذه المراتب كما يتتصور في السعادة وهو صيرورة الانسان من جملة الملائكة ، كذا يتتصور في الشقاوة وهو صيرورة الانسان اما من جملة الشياطين – ان كان الغالب على نفسه الجريزه والمكر وطلب العلو والاستكبار – او من جملة

أنواع البهائم والسباع - ان كان الغالب على نفسه طلب الشهوة والغضب و الصفات المشعّبة عن هاتين الصفتين - فيحشر على صورة حيوان غلبت على جوهر ذاته صفات ذلك الحيوان كما مر آراءً .

وعلى أي تقدير اذا استحكم الباطن وقويت النفس وخرجت من حد القوة الى حد الفعلية في أي صفة وجودية وصورة باطنية توجهت النفس توجهاً فطرياً الى عالم الاخرة، وأعرضت عن استعمال القوى، فأخذت الخلقة في الانكماش، والاعضاء في الاندراس شيئاً فشيئاً الى أن يحل "الجل".

## اشارة أخرى

لما كانت النفس في أول الخلقة ممنوعة بتدبير البدن وتحصيل مقدار المادة لأن المادة الحاصلة بالتواليد من فضل خلقة الوالد لم يكن أولاً على مقدار لائق بحال الشخص المولود، فلامحالة وجب على النفس مما اودعه الله فيها وغرز في جبلتها أن يستغل أولاً بأكمال المادة قبل الاشتغال بكمالها، لتوقف كمالها على استعمالها ايها ، فاستكمل أولاً صورتها الحسية، واشتعل أنوار حواسها الظاهرة، وبلغ أشدّها الصوري، وهو وقت نكاحها الجسماني .

ألا ترى أن الطبيعة من وقت الطفولة إلى هذا الحد لا يفرغ عن تحصيل المادة وايراد ما يزداد في الأقطار زائداً على البدن المتحلل من البدن، لضعف الاعضاء ونقصان القوى وشدة الحاجة إلى النمو والتصلب، فانغمست عند ذلك في البدن، مستعملة للطبيعة في ذلك، فلم ينفتح بصيرتها ولم يشغل نور فطرتها ولم يتبيّن رشدّها إلا وقت بلوغ أشدّها المعنوّي - وهو سن الأربعين - كما اشير إليه بقوله تعالى : \* ( حتى اذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال رب اوزعني أن أشكُر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ) \* [ ٤٦ / ١٥ ] .

وذلك أوان نكاحها العفلى مع أبكار أفكار المعارف الاخروية ، التي لم يطمئن انس قبلهم ولاجان ، وزمان استحقاقها لدفع أموالها العلمية الموروثة من الآباء العقلية والامهات النفسية ، المشار إليها بقوله تعالى : \* (حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدًا فادفعوا اليهم أموالهم ) \* [٦/٤] .

فلما قربت الالات من حد كمالها ووصلت الى ما يصلح لاستعمالها في تصرفاتها ، وانتقض الاحتياج الى ما يزيد في اقطارها ، فتفرغت الى تحصيل كمالها ، فانفتحت بصيرة عقلها فظهرت أنوار فطرتها واستعدادها ، وتنبهت عن نومها في مهد بدنها ، وتيقّنت عن سنة غفلتها ، وتفطنت بقدس جوهرها ، فطلبت مرکزها وغايتها لامرین ، صلاحية الالات الاستعمال في الاستكمال ، وفراغها عن تكميل البدن بالاقبال لقلة الاشتغال .

لكنها مادام سن النمو باقية وزيادة الالات في الكمية والقوة والشدة ممكنة ما توجهت بالكلية الى الجهة العلوية ، وما تجردت لتحصيل الكمالات العقلية والمطالب الاخروية للاشتغال المذكور - وان قل - وذلك الى منتهى الثلاثين من العمر وهو أول سن وقوف القوى - كما تبين في علم الطب .

فلما جاوزتها وأخذت في سن الوقوف ، أقبلت - ان كانت من السعداء الى عالمها وأشرقت أنوار فطرتها ، فاشتدت في طلب كمالها لوقوع الفراغ لها اليه ، ورسخت فيها الهيئات العلمية والكمالات التجردية الشهودية .

وان كانت من الاشقياء اشتدت فيها ان الشهوات ، ورسخت فيها الهيئات الجهلية والسبعية والبهيمية ، وتوجهت ذاتها بحسب ما كسبت يديها الى مهوى السفليات ، وكلما ضعفت آلاتها تضاعف شهوتها وحرصها في طلب اللذات ، وكلما نقصت جسميتها وانكسرت قواها قويت نفسانيتها واشتعلت نار قلبها واحتقرت فتيلة طبعها ، وكلما قصر عمرها طال ألمها ، وكلما شاب بدنها شبّت

هوى نفسه كما ورد في الحديث: «يشب بن آدم، ويشب» فيه خصلتان الحر صن وطول الامل» (١) .

فقوله: «ومن نعمره ننكسه في المخلق» اشعار على أن من لم يتوجه إلى طلب الآخرة ولم يسلك صراط الله العزيز الحميد بصرف الآلات حين أشدها الصوري في طلب المغافق والكمالات، بل سلك سبيل الطاغوت في الانهماك إلى اللذات وصرفها في طلب الهوى والشهوات، فإذا تجاوز عمره حد الأربعين وأخذ خلقنا بدنه وأعضائه في الانتكاس والذبول، وشرعت قواه في التقصان، حان وقت ظهور النتائج عن مكامن غيب القلب، وأن زمان استضيائة مشكوة القلب بنور معرفة الله من مصباح الروح ، إذ توقد فتيلة النفس من شرارة نار الهوى الكامنة في الطبيعة المنطقية قبل ذلك بالرطوبات الغريزية ، واحتطب المواد الشهوية، وإنما خرجت من القوة إلى الفعل بكثرة النفاخات الشهوية والغضبية فإن لم يترسخ في القلب حب المعرفة وطلب الآخرة ورفض البدن وترك اللذة والزهد في الدنيا، فلا يتصور بعد هذا استئناف طريق الآخرة، وابتداء نشوء المعرفة عند بطلان الحواس فقد الآلات، وقد قيل: «من فقد حسًّا فقد علماً» و العود إلى الفطرة الأصلية بعد عدمها، وقد قيل : «المعدوم لا يعاد» .

وقوله: «أفلا تعقلون» يحتمل أن يكون معناه : أفلا تتدبرون في أن من قدر على كسر القوى الجسمانية للإنسان وأضعف بنيته وأعضائه بالذبول والتحليل معبقاء نفسه ذاته وتأكد صفاتها وأخلاقها وزيادة هيئاتها النفسانية ودواعيها الباطنية، فهو قادر على إعادةها في النشأة الثانية وبعثها ، فإن تلك الأمور من علامات وقوع الساعة ومقدماتها وأشراطها، كما يعرفه أهل الكشف واليقينـ ان في هذا لبلاغاً لقوم عالمين .

قوله سبحانه :

وَمَا عَلِمْنَا هُنَّا شِعْرًا وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ [٦٩]

وهي ان جماعة من المشركيين الجاهليين بأساليب كل طبقة من الكلام، وبأحوال كل طائفة من الشام والكرام، العاطلين عن التمييز بين ملفقات الهوى والشيطان، وبين ما أفاضه الله على أرواح أحبائه وأيديهم بنور منه وكتب على أرواح قلوبهم تعلم الحق من العلم والإيمان وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون، لقوله: \*

(علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) \* [٥/٩٦] كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله : «إنه شاعر» - وقيل : إن القائل «عقبة بن أبي معيط» - فقال سبحانه ردًا عليهم وتسفيهاً لعقولهم : «وما علمنا هُنَّا شِعْرًا» أي : ليس مما فاض على قلبه باذن الله من قبيل القياسات الشعرية، ولا ما أجرى على لسانه أشعارًا موزونة، وأين المعانى التي يتخيّلها الشعراء ويتقولها الأدباء عن حقائق الإيمان؟ وأين عبارات أهل النظم وأساليبهم عن بدائع ألفاظ القرآن؟ - وما ينبع لهـ أي : لا يليق به الشعر ، لأن مأخذ معارفه ونبع مكافئاته مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو ، ومخزن معلوماته خزانة معرفة الله التي لا تنزل إلا بقدر معلوم بواسطة بعث ملائكة الله المقدسين عن تصرفات الوهم ، و الهوى ، و مأخذ المعانى الشعرية هو مخزونات الوهم والخيال مما تستبطها النفس منها بوسيلة تلقيقات المتخيلة ودعابات الوهم ، فأين احدهما من الآخر؟

وفي قوله : «وما ينبع له» اشعار بأن شأنه أجل ومرتبته أعلى من أن يتصور منه ذلك ، لأنه لا يتسهل له ذلك .

وقيل معناه : ما يتسهل له الشعر و ما كان يتزين له بيت شعر حتى انه اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسر ، كما روی عن الحسن أن رسول الله

صلى الله عليه وآلـهـ كان يتمثل بهذا البيت : «كفى الاسلام والشـيـبـ للمرءـ عـنـاهـياـ» فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ : «يا رـسـولـ اللهـ انـمـاـ قالـ الشـاعـرـ : «كـفـىـ الشـيـبـ وـالـاسـلـامـ للـمـرـءـ نـاهـيـاـ» .

أشهد أنك رسول الله، وما علمك الشعر وما ينبغي لك» .

وعن عائشة أنها قالت : كان رسول الله صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ يـتـمـثـلـ بـبيـتـ

أخـيـ بـنـيـ قـيسـ :

ستـبـدـيـ لـكـ الـاـيـامـ مـاـ كـنـتـ جـاهـلاـ وـيـأـتـيـكـ بـالـاـخـبـارـ مـنـ لـمـ تـزـودـ فـجـعـلـ يـقـولـ : «وـيـأـتـيـكـ مـنـ لـمـ تـزـودـ بـالـاـخـبـارـ» فـيـقـولـ أـبـوـ بـكـرـ : «لـيـسـ هـكـذـاـ يـاـ رـسـولـ اللهـ» فـيـقـولـ : «أـنـيـ لـسـتـ بـشـاعـرـ وـمـاـ يـنـبـغـيـ لـيـ» .

وقـالـ صـاحـبـ الـكـشـافـ : «مـاـ يـنـبـغـيـ لـهـ وـمـاـ يـصـحـ لـهـ وـلـاـ يـتـطـلـبـ لـوـطـلـبـهـ، اـيـ جـعـلـنـاـ بـحـيـثـ لـوـ أـرـادـ قـرـضـ الشـعـرـ لـمـ يـتـأـتـ لـهـ وـلـمـ يـتـسـهـلـ، كـمـاـ جـعـلـنـاـ اـمـيـسـاـ لـاـيـهـتـدـيـ للـخـطـ وـلـاـ يـحـسـنـ، لـيـكـونـ الـحـيـجـةـ أـثـبـتـ وـالـشـبـهـ أـدـحـضـ» .

وعـنـ الـخـلـيلـ : كانـ الشـعـرـ أـحـبـ إـلـيـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ مـنـ كـثـيرـ مـنـ الـكـلامـ، وـلـكـنـ لـاـ يـتـأـنـىـ لـهـ، وـأـمـاـ قـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ :  
إـنـاـ بـنـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ إـنـاـ النـبـيـ لـاـ كـذـبـ

وـقـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ :

هلـ أـنـتـ إـلـاـ اـصـبـعـ دـمـيـتـ وـفـيـ سـبـيلـ اللهـ مـاـ لـقـيـتـ فقدـ قـالـ قـوـمـ : انـ هـذـاـ لـيـسـ بـشـعـرـ، وـقـالـ آخـرـونـ انـمـاـ هوـ اـتـفـاقـ مـنـهـ وـلـيـسـ بـقـصـدـ إـلـىـ قـوـلـ الشـعـرـ، وـمـاـ هوـ إـلـاـ كـلـامـ مـنـ جـنـسـ كـلـامـهـ الـذـيـ كـانـ يـرـمـيـ بـهـ عـلـىـ السـلـيـقـةـ مـنـ غـيـرـ صـنـعـةـ فـيـهـ وـلـاـ تـكـلـفـ، إـلـاـنـهـ اـتـفـقـ - مـنـ غـيـرـ قـصـدـ إـلـىـ ذـلـكـ وـلـاـ تـفـاتـ مـنـهـ إـلـيـهـ - أـنـ جـاءـ مـوـزـوـنـاـ ، كـمـاـ يـنـفـقـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـنـشـائـاتـ وـالـخـطـبـ وـالـرـسـائـلـ لـلـمـفـصـحـاءـ، بـلـ كـثـيرـاـ مـاـ يـنـفـقـ فـيـ مـحـاـوـرـاتـ النـاسـ عـبـارـاتـ مـوـزـوـنـةـ وـ

ألفاظ منظومة من غير قصد ولا خطور بالبال — لامن المتكلّم ولا من السامع —  
انها شعر .

وذكر صاحب الكشاف ان الخليل ما كان بعد المشطور من الرجز شعرأ.

## كشف حال و تزييف مقال

هذه كلامات تكلفات مستنقى عنها، و تمحلات لا تمويل عليها، مبناه على الغفلة عن هذا المرام، وعدم تحصيل الغرض المسوغ اليه الكلام ، وعدم التفطن بالجهة التي بها يشنن صنعة الشعر و يدم الشاعر، وذلك لأن المذموم من الشعر ليس الوزن والتقوية، ولا معانية الحقة التي فيها تأثيراً في النفس بالانذار والموعظة بل لعمري لحرى أن يعد سلبيّة الوزن من عداد الفضيلة لا الرذيلة ، و ظلا من ضلال الوحدة الجمعية كالعدالة ، و لا نق بالمعانى الحقة أن يعد من الحكمة لا الوسوسه .

بل المذموم من الشعر التخييلات الكاذبة الباعنة على الرغبة والرهبة والمبالغات المهيجة للنفس على الاقدام والاحجام من غير محافظة على الصدق والحقيقة واما الكلمات المشتملة على المقاصد الصحيحة الثابتة في ألفاظ منظومة من غير مبالغة تزيد على ما هي عليها ، ولا تمزيج لها بالتخيلات الباطلة فليس بضائرة و كان الشعر عند الحكماء الاوائل مجرد كلام تخيلي مفيد للتخييل المحس من غير اشتراط وزن ولا قافية، وبهذا المعنى كان « او ميرس » معدوداً من الشعراء و كما في اصطلاح المنطقين احدى الصناعات الخمسة بلا شرط الوزن و التقوية .

نعم شأن النبي أجل من أن يلتفت ويتجه الى تحصيل الوزن والقافية ،

كما انه أجل من أن يلتفت الى ازالة البيت عن نظمه الذي كان له ، وشيء من الروايتين المتنقلتين مادل على أن النبي صلى الله عليه وآله كان متعمداً في تغيير النظم ، بل على أنه جرى على لسانه غير النحو الذي قاله الشاعر ، فاذا اعترض عليه بذلك قال «اني لست بشاعر وما ينبغي لي» اي : ليس لي قصدالي صورة هذا المنظوم وسائر المنظومات ، بل الى معناه اذا كان حفاظاً ، وما ينبغي لي ان اكون شاعراً ، اي منشياً للمعاني المتخيصة الشعرية ، ولا متعمداً الى ملاحظة الاوزان والببور والقوافي لجلالة شأني ورفعة مكاني عنه ، لانه حرم الله عليه الشعر وجعله عاجزاً عن الاتيان به ، بحيث لو أراد لم يتأت له – كما ذكره الخليل وغيره – حاشاه عن ذلك .

كيف والذوق السليم يحكم بأن القصور عن الاقتدار على انشاء الشعر وانشاده نقص في الفطرة ، فيستحيل على من كان في حاف الاعتدال الانساني وبمحبوحة العدالة النفسانية من غير انحراف واعوجاج أصلاً .

واما علم الخط والسوداد فيحتاج الى تعلم واكتساب وتتكلف خارج عما فطره الله النفس عليه ، وكذا سائر الصناعات العملية الغير الكمالية ، المفتقرة الى معاونة الالات الخارجية ، وهذه بخلاف العلوم الحقيقة والاخلاق الكريمة والنبوة والحكمة ، فانها مع كونها كمالات نفسانية ليست مما يفتقر تحقيقها الى التعاملات والاكتسابات كل الافتقار ، بل قد يتحقق بمحض الموهبة الربانية ، لانها ليست اموراً جسمانية متعلقة بالحركات والتعاملات على سبيل الوجوب والاضطرار .

\* \* \*

وبالجملة – الشعر يطلق على معنيين :  
أحد هما : الكلام المنظوم المعترفيه أحد الاوزان العروضية و ترجيع

القوافي ، وهو قد يشتمل على الحكم والمواعظ ، وقد يشتمل على المجازفات الخيالية .

و ثانيةها : الكلام التخييلي المؤثر في النفس ببساطة وبقىضاً ، الموقع لها ترغيباً و تنفيراً و اقداماً و احجاماً ، كما في قوله : «المخمر ياقوتة سبأ الله» حيث يفيد النفس ترغيباً كاملاً في الاقدام على شرها مع ظهور كذبه ، و قوله : «العسل مرة مقيدة» ينفر الطبع عن تناوله ، مع العلم بأنه كذب ، تنفراً موجباً للاحجام عنه ، فالمدحوم هو الثاني لا الاول مطلقاً بل القسم الثاني منه .

وعلى هذا يحمل ما ورد في الاخبار من - النهي عن انشاد الشعر في المساجد وفي الصيام - لاما كان في مدح أهل بيته عليه وعليهم السلام - وهو من شأنه جن الشعرا في قوله تعالى : \* (والشعراء يتبعهم الغاوون \* ألم ترأنهم في كل واد يهيمون \* وأنهم يقولون ما لا يفعلون) \* [٢٤/٢٦ - ٢٢٦] لأن الغالب على أكثرهم انشاء الجرافيات المضللة والمخلات الوهمية الكاذبة ، ولهذا استثنى عن ذلك بقوله : \* (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً أو انتصروا من بعد ما ظلموا) \* [٢٦/٢٧]

والشعراء المؤمنين الذين يكررون ذكر الله وأحوال الآخرة والملائكة ، وغالب أشعارهم في توحيد الله والثناء عليه بما هو أهله ومستحقه والحكمة والموعظة الحسنة ، والمدح لرسول الله صلى الله عليه وآله وأولياء أهل بيته وأمته الصالحين ، وما لا يأس به من المعانبي التي لا ينطليون فيها بذنب ولا يمزجون بشانة وعيوب ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار من يهجوهم ، كما قال الله تعالى : \* (لَا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) \* [٤/١٤٨].

و حق القول (الكلام - ن ) فيه ان الشعر باب من الكلام المحسن ، فحسنه كحسن الكلام و قبحه كقبح الكلام و اقدر كثرة الله من الشعراء الذين كانوا من الفضلاء

الممدوحين والحكماء المقبولين بل الاولياء المرضيبيين .

والاول : كحسنان بن ثابت ، وكمعب بن زهير ، وكعب مالك ، من الذين كانوا ينافجون عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويكافحون هجاة قريش .  
والثاني : كابن فارض ، والشيخين : أبي علي وأبي نصر - ثم الشيفيين -  
شهاب الدين السهروردي ، ومحي الدين الاعرابي - ومن شعراء العجم : السنائي  
والعطار والمولوي والسعدي ونظرائهم .

وأما الثالث : فامام الكل في الكل أمير المؤمنين علي وأولاده الاطيبين سلام  
الله عليهم أجمعين .

وعن كعب بن مالك : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « اهجهم  
فوالذي نفسي بيده لهم أشد عليهم من النبل » و كان يقول - صلى الله عليه وآله -  
لحسان بن ثابت : « قل وروح القدس معك » .

\* \* \*

ولما نفي الله تعالى أن يكون القرآن من جنس الشعر بالمعنى الذي مر ذكره قال : « ان هو الاذكر وقرآن مبين » يعني : ما هو الاذكر من الله يوعظ به الجن والانس ، كما قال : \* (ان هو الاذكر للعالمين) \* [١٢/١٠٤] وما هو الاكتاب سماوي يقرء في المعابد ، ويتلى في المساجد ، ويتبرك بتلاوته ، وينال الفوز بدراسته ، فيه شفاء للصدور ، ونجاة للنفوس ، ودواء للاسقام ، وهداية للانام ، ومزيل للاوهم ، ومصفاة للافهام ، ومصيدة للطيور السماوية ، ومطردة للاغوال المضلة ، ومرقاة الى السموات العلي ومنازل الروحانيين ، و هو حبل من الله متين الى أعلى شواهد عاليين ، كتاب مرقوم يشهد له المقربون ، فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين و اوهام الموسوسين ، وسلسلة من سلال المقيدين في مجالس أهل سجستان ، وهو كتاب فيه دواعين الفجراء الصالين المكذبين .

## اشارة اخرى

في قوله تعالى: «ان هو الا ذكر وقرآن مبين» اشارة الى قسمين من الاقسام الخمسة المشهورة من الكلام ، وهما أشرف الصناعات المنطقية وخير الطرق العلمية، يعني : الحكمة والموعظة الحسنة. فان الذكر يعني به الخطابة المفيدة للظن ، والقرآن يعني به البرهان المفيد لللبيفين .

وذلك لأن أحد قسمي البرهان – وهو الذي يعطي اللّم – ما كان المفيد للتصديق ، وهو الوسط في القياس علة لثبوت الحكم في الخارج، أي اتصف الموضوع بصفة كاتصاف الانسان بالوجود ، كما انه علة للعلم به وثبوته في النفس ، فالميرهن هيئنا من لاحظ ماهية العلة المعطية لوجود الشيء وجعلها مقدمة للوصول الى المطلوب .

هذا شأن الحكماء في اكتسابهم العلوم الانفعالية الارتسامية الذهنية ، وأما العلوم الشهدوية الاشرافية كما هو شأن الانبياء، فهي انما يحصل لهم بمشاهدة المبدء الفعال وملاحظة العين الجمعي والعقل البسيط الذي هو فعال الصور الفعلية الموجودة ، وخلق العلوم التفصيلية الاشرافية ، وهو مفتاح خزائن الاشياء، المشار اليها بقوله : \* (وان من شيء الا عندنا خزاناته) [١٥/٢١] وحقيقة القرآن عند أهل الله بحسب المعنى هو هذا العقل البسيط ، وهو مفتاح المفاتيح الغيبية المشار اليها في قوله : \* (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) [٦/٥٩] .

فقد ثبت ان القرآن من جهة المعنى المعموق للنبي صلى الله عليه وآلـه وسلم أشرف ضروب البرهان واكسير سعادة الانسان وأما الاقسام الثلاثة الاخيرة

- وهي الجدل والشعر والمغالطة – فلا يفيد شيء منها اليقين ولا الظن الا في قسم من الجدل ، وهو الذي يقول اما الى البرهان أو الخطابة ، ولهذا أضافه الله اليهما في قوله : \* (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بما هي احسن) \*[١٢٥/١٦] وهي المجادلة التي ترجع الى أحدهما مع عموم اعتراف الخلاق في المعترض في مطلقة .

واما هيئنا لم يعدها من اقسام كتاب الله الذي فيه جوامع الكلم واصول الحكم، لاما عرفت من ان الفائدة فيها من حيث هي مجادلة ليست تكميل النقوس بانفرادها مع قطع النظر عن الهيئة المدنية الجمعية، وانما المقصود الاصلي من الانظار العلمية هو تكميل جواهر النقوس بحسب ذواتها وفيما بينها وبين الله مع قطع النظر عن النسب والاواعض المنقطعة آخر الامر، لقوله تعالى: \*

(فإذا نفح في الصور فلأناساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون) \*[١٠١/٢٣] وفي الحديث: «كل نسب منقطع الانسيبي» .

واما الشعر: فلم اعرفت من أن مداره على الاكاذيب ومن ثمة قيل: «أحسن الشعر أكذبه» .

واما المغالطة: فالفائدة فيها تغليس الغير أو الاحتراز عن تغليسه، ومرتبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينافي الاول ويتعاظم عن الثاني ، فيستحيل أن يكون النازل عليه شرعاً أو مغالطة، فبقي أن يكون النازل من الاقسام الثلاثة الباقية، كما دل عليه قوله: \* (ادع الى سبيل ربك) \* - الآية - [١٢٥/١٦] .

واما الانحسار المستفاد من هذه الآية في الآيتين، فلما عرفت من رجوع الجدل بحسب الذات الى أحدهما، فلامنافات بين الاثنين، والدليل على ان الجدل من حيث هو جدل ليس مما له دخل في حصول الهدایة العلمية و تكميل النقوس الادمية - بل ليس الغرض فيها شيء الا غلبة الخصم و الظفر

على العدو، وهو يشبه الحرب «والحرب خدعة» وليس صناعة برأسه ولا علم ولا أدب، وينبهك عليه مشاهدة ما يعرض لاهله والمشتغلين به ، لا على وجهه الضرورة ، من الحيرة والدهشة والشكوك والظنون والعداوة والبغضاء بينهم مثل ما يعرض لاهل صناعة الجدل، فشكّك الماضي منهم الآتي، وطعن الملاحق منهم السابق، كقوله تعالى : \* (كلما دخلت امة لعنت اختها) \*[٣٨/٧].

والعلة الموجبة لذلك امور شتى ، اعظمها انهم ربما يكونون مقلدين في اصول يجادلون فيه من المذاهب فينظرون في الفروع ، ومن يكون مقلداً في الاصل كيف يمكنه ان يكون محققاً في الفروع ؟ ومن يكون ذاهباً الى الاصل بالتقليد لقائد يقوده كمن يقود أعمى في ليل مظلم ، متى يكون ناظراً الى الفرع بعين البصيرة المستضيئه بنور الله ؟ .

وتحصله اخرى ان أكثرهم ربما يجادل فينصر المذاهب لاعلى سبيل الورع والتدين ، ولكن على سبيل التعصّب والغرض النفسي وحب العشيرة والقوم فيعمى عن الحق ويضل عن الصواب.

\*     \*     \*

واعلم انه ليس من طائفة يتعاطى العلم والادب والكلام شر " على العلماء ولا أضر " على الانبياء ولا أشد عداوة لاهل الدين ولا أفسد للعقل السليمة للمسلمين من كلام هؤلاء المجادلة وخصوماتهم في الاراء والمذاهب .

وذلك ان كانوا في زمان الانبياء فهم الذين يطالبونهم بالمعجزات ويعارضونهم بالخصوصيات ، مثل ما قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : \* (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً) \* - الآية - [٩٠/١٧] وقالوا لنوح \* (وما نراك اتبّعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى) \* [٢٧/١١] وهم الذين كانوا اذا مروا بالمؤمنين يتغامزون ، وهم الذين أخبر عنهم في هذه السورة

بقوله: \* (ما يأتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ) \* وبقوله: \* (إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ فَالْأَنْوَمْ كَمَا آمَنَ السَّفَهَاءُ) \* [١٣/٢] وفي ذلك آيات كثيرة من هذا الباب، وقال الله تعالى في ذمتهِمْ وتوبيخهم: \* (مَا ضرَبَوْهُ إِلَّا جَدَلَ بِلَهُمْ قَوْمٌ خَصَمُونَ) \* [٤٣/٥٨] فهذه حال من كان منهم في زمان الانبياء، وأما إذا كانوا في غير زمانهم، فهم الذين يجادلون أهل الدين والورع بالشبهات، وينبذون كتب الانبياء وراء ظهورهم، يفرغون إلى المذاهب والأراء بعقولهم الناقصة وفطانتهم البتراء، ويضعون لمذاهبهم قياسات مقتاخصة واحتتجاجات ممتوهة، ويعارضون عقولاً سليمة من الأحداث والعمامة فيغيرون فطراهم الأصلية، ويضلّونهم عن سنن الحق وسواء السبيل، ويحرّفون الكلم عن مواضعها، ويميلون طبائع أهل الديانات النبوية عن موضوعات الشرائع الناموسية .

وإنك تجد فيهم من له جودة عبارة، وفصاحة بيان، وسحر كلام ما يقدر أن يصتُور بالوصف البليغ الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وهو مع ذلك جاهل القلب ميّت الروح عن فهم حقائق الأشياء، بعيد الذهن عن درك المعارف، كما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه كان يقول: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى امْتِي مِنْ أَنْقَافِ الْقَلْبِ حَلِيمُ الْمَسَانِ غَيْرُ حَكِيمٍ الْقَلْبُ يَغْيِرُهُمْ بِفَصَاحَةِ بَيَانِهِ وَيَضْلِلُهُمْ بِجَهَلِهِ وَقَلْةِ مَعْرِفَتِهِ» .

وتجد فيهم من يجادل ويحتاج وينظر ، وكلامه ينقض ببعضه بعضاً ولا يتقطن ولا يحسن بذلك، فإذا تنبّهَ عليه لم يشعر به، وربما يصلح فاسده بما هو أفسد وأسخن وأسقط من الأول .

وتتجد فيهم الرجل العاقل (الغافل - ن) المحصل، الركين في اشیاء كثيرة من امور الدنيا وزينة أهلها، وفي علوم جزئية مثل الطب والبیطرة والتجموّم و

النحو واللغة وغيرها، فإذا فتّشت اعتقاده فيما هو أهم وأولى من امور دينه وأحوال مذهبة، وجدت رأيه واعتقاده في تلك الامور أسفخ وأقبح من رأى كثير من الجهات والصبيان والعلة في ذلك أسباب شتى: منها: شدة تعصّبه فيما يعتقده تقليداً وافتخاراً من غير بصيرة ، وآخرى اعجابه بنفسه في اعتقاده ، وآخرى اعتقاده باصول خفي عليه خطاؤه فيها ، وهي ظاهرة الشناعة في فروعها ، فهو يتلزم تلك الشناعات في الفروع مخافة أن ينقض عليه الاصول ، ويطلب لها وجوه المراوغة من الزام الحجة تارة بالشغب وتارة بالتمويه وتارة بالمراوغة فيروغ كالتعلب عن الجواب والأقرار بالحق ويأنف أن يقول: «لأدرني» و«الله ورسوله أعلم» اقتداء بأدب الله كما قال:\*(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)\* [٤٢/١٠] فقال :\*(ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستبطونه منهم)\* [٤/٨٣] وقال:\*(التي مر جعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)\* [٣/٥٥] وآيات كثيرة في مثل هذا المعنى ولكن من هؤلاء من يحتاج ويقول : معنى «الرجوع إلى الله» أي: إلى ثوابه.

قوله سبحانه :

**لِيَنذِرَ مَنْ كَانَ حَيَاً وَيَحْقِّقُ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ [٧٠]**

قرئ بالباء والماء كلاما على صيغة الأفعال ، فعلى الاول يكون المنذر هو الرسول ، وعلى الثاني يكون المنذر امّا الله بالقرآن ، او القرآن نفسه ، وقرئ ولتنذر ولينذر من «نذر به» اذا علمه .

لما حقق الله ماهية ما أنزل الله على رسوله بأن حصره في قسمين هما أشرف أقسام الكلام ، لأن التقسيم باب من التعريف - وهو ضيق قيود مخالفته الى المقسم

ليحصل بانضمام كل قيد اليه ماهية قسم منه وحده - أراد أن يبيّن غاية المنزل اذا الحقائق قد تعرف بغاياتها ايضاً كما تعرف بقيودها وأجزائها ، فيبيّن الفائدة فيه فذكر أن الفائدة فيه أمران: إنذار المؤمنين وایحاب كلمة العذاب على المنافقين .

## مكاشفة

تحقيق الآية يستدعي اشارات :

### الاولى في معنى «الحي» هيئها :

ان «الحياة» حياتان : حياة الجسد وحياة النفس ، أما حياة الجسد: فهي «النفس» بعينها ، لأن بالنفس يتحرك ويحس وينمو ويتغذى ، وأما حياة النفس فهي قوة نورية بها يهتدى النفس إلى ادراك المعرف الحقة الالهية ، التي توجب بقاوتها أبداً سريراً مخلداً .

وتحقيق ذلك ان ماهية الانسان لما كان مجموعه من بنية جسمانية ونفس روحانية ، وهو جوهران متضادان في الاحوال الذاتية ، متباثنان في الصفات الاصلية مشتركان في الافعال العارضة والآثار الزائدة ، فصار حياة كل منهما شيئاً آخر ، واحدى الحيوتين - وهي الدنيوية - لا يتحمل البقاء والدوام ، لأن الحس والحركة مثاران (منشآن -- ن) للتغير والدثور ، لأن قواهما بالتجدد والانفعال والتأثير والحركة ، واما الحياة الاحرورية فهي باقية دائمة ، لأن العقل والابداع الذين فيها بازاء الحس والحركة في الحياة الحيوانية لا يحتملان العدم والانقطاع - كما تقرر في مقامه - .

ولكل من الحيوتين قوة واستعدادو كمال ، فالقوة في الحياة الحسية كمال المبني ،

والاستعداد فيها كما للجنين مادام كونه في مضيق الرحم ، والكمال كما للمولود وأما القوة في الحياة الملوكية فكما الكل نفس انسانية في أوائل درجتها ومبعدة فطرتها التي فطر الله الناس عليها قبل أن يتغير او يحرف ، وأما الاستعداد فكما لارواح أهل اليمان والتقوى ماداموا في مضيق رحم الدنيا ومشيمة الابدان قبل خروجهم من حفرة القبور الى سعة عالم الآخرة والنشرور ، والجنة التي عرضها السموات والارض ، وأما الكمال فكما - لأهل المعرفة عند قيام الساعة عليهم - سواء قامت على غيرهم أم لا - .

قال الجنيد -- قدس سره -- في هذه الآية : «الحي من يكون حيوته بحياة حاله ، لامن يكون حيوته ببقاء هيكله ، ومن يكون بقائه ببقاء نفسه فإنه ميت وقت حيوته ، ومن كان حيوته بربه كان حيوته عنده فاته ، لأنه يصل بذلك الى رتبة الحياة الأصلية» - انتهى قوله .

### الإشارة الثانية

في أن لكل من هاتين الحيوتين افتقاراً -- في الخروج من القوة الى الفعل ومن النقص الى الكمال -- الى أغذية وأدوية معينة

أما أغذية الحيوانات الدنيوية وأدويتها فمعلومة لكل أحد ، وقد تقع الحاجة في معرفة بعض الأدوية وتمييزها ، والفرق بين ضرارها ونافعها ، وتربيتها النافع وسمها النافع الى الاطباء والبيطارات .

وأما أغذية الأرواح الأخرى وأدويتها فأغذيتها المعارف القرآنية والعلوم الربانية ، وأدويتها النافعة المواعظ الخطابية والآداب الدينية والأعمال الشرعية . والمهلكات هي الجهل بالمعارف اليمانية واكتساب ذمائم الأخلاق ، والاطباء العارفون بمنافع الأغذية والأدوية السروحانية ومضار السموم القاتلة المهلكة

الشيطانية هم الانبياء ثم الاولياء والعلماء الراسخون في العلم .

### الإشارة الثالثة

لما ثبت أن الإنسان جملة مجموعة فلا جرم صار أفعال الخلق ما داموا في الدنيا متباعدة متصادمة ، فصار كل أحد من حيث بدنـه الجسماني الأرضي مريداً للبقاء في الدنيا متمنياً للمخلود فيها مخلداً في الأرض ، ومن أجل نفسه الروحانية طالباً للذات الآخرة متمنياً لحصول المعرفـ، وهكذا أكثر امورهم متباعدة متصادمة ، كالعلم والجهل ، والجود والبخل ، والنفع والضر ، والخير والشر ، وما شاكلها من الأخلاق والأفعال والأقوال المتتصادمات والاراء المتناقضـات . والاختلافـات الواقعـة في المذاهب والاراء ، كلها منشـعة من هاتين الجهـتين في الإنسان ، وقل " من الناس من يتجرد فيه احداهما عن الأخرى ، بحيث لا يشوبها أصلـ .

فإنـ الصفـاتـ المـختـصـةـ بـالـجـسـدـ الـمـجـرـدـ ، هوـانـهـ جـوـهـرـ ظـلـمـانـيـ جـسـمـانـيـ" مـرـكـبـ ، وـطـبـاـيـعـ مـمـتـزـجـةـ مـفـسـدـ مـسـتـحـيلـ . رـاجـعـ إـلـىـ العـنـاصـرـ بـعـدـ انـحلـالـهـ وـ تركـ استـعمـالـ النـفـسـ ايـاهـ ، حتىـ أـنـ حـيـاتـهـ الحـسـيـةـ نـورـ منـ أـنـوارـ النـفـسـ وـقـعـتـ عـلـيـهـ فـيـحـيـيـ بـهـ الـبـدـنـ ، أـلـاـنـ هـذـهـ الـحـيـوـيـةـ مـرـكـبـ الـرـوـحـ الـأـلـهـيـ الشـرـيفـ الـذـيـ هـوـنـورـ مـنـ أـنـوارـ اللـهـ الـمـعـنـوـيـةـ ، وـشـعلـةـ مـلـكـوتـيـةـ حـاـصـلـةـ فـيـ قـتـيلـةـ النـورـ الحـسـيـ وـالـحـيـوـيـةـ الـحـيـوـانـيـةـ ، بـسـبـبـ النـفـخـ الـأـلـهـيـ بـوـسـاطـةـ نـافـخـ هـوـمـلـكـ مـقـدـسـ اسمـهـ «ـاسـرـاـئـيلـ» وـشـأنـهـ تـصـوـيرـ الصـورـ الـعـقـلـيـةـ باـذـنـ اللـهـ وـإـشـاءـ الـحـيـوـيـةـ الثـانـيـةـ الـمـخـلـدةـ باـذـنـ ربـ الصـورـ الـمـجـرـدـةـ .

وـاماـ الصـفـاتـ الـمـخـتـصـةـ بـالـنـفـسـ فـهيـ انـهاـ جـوـهـرـ روـحـانـيـةـ سـماـويـةـ نـورـانـيـةـ حـيـةـ بـالـذـاتـ بـالـحـيـوـيـةـ الـأـلـوـيـةـ فـعـلاـ وـبـالـحـيـوـيـةـ الـأـخـرـوـيـةـ قـوـةـ ، عـلـامـةـ بـالـقـوـةـ ،

قابلة للتقديس، فعالسة في الأجسام بالآلة ومستعملة للآلات، ومتسممة لل أجسام الحيوانية والنباتية إلى وقت معلوم، ثم إنها تاركة لها ومقارقة أيها وراجعة إلى عنصرها ومعدها ومبدئها ومعادها كما كانت بديتاً، أمّا بربع وغبطة وسرور أو بندامة وخسران وحسرة، أما مشرقة ناضرة إلى ربها ناظرة، أو مظلمة مكدرة منكوبة معلقة معدبة لقوله تعالى: \* (كما بدأكم تعودون \* فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلال) [٣٠/٧] وقوله : \* (كما بدأنا أولاً خلق نعيده وعداً علينا أناكنا فاعلين) [١٠٤/٢١] وقال سبحانه : \* (فحسبتم إنما خلقناكم عيشاً وإنكم إلينا لا ترجعون) [١١٥/٢٣] .

وكمى بهذا أيها الأخ المسكين زجراً ووعيداً وتوبيخاً وتهديداً ، فتذكرة الموت ومقارقة الروح أنكنت من أهل الذكر والإنذار متنبهة من نوم الغفلة ومنبعها من قبر الجهالة حيث بروح المعرفة، واعيذك أن تكون من الذين ذمهم الله بقوله : \* (لهم قلوب لا يفهون بها ولهم أعين لا يبصرن بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل) [١٧٩/٧] .

ولما تبين ان أكثر امور الانسان متنوعة متصادرة من جهة انه جملة مجموعة من جواهرين متباينين حصلا من اقليمين ، صار لكل منها حيوة يتوقف بقائهما على أغذية وأشربة مخصوصة ، ولكل منها قنية ، وصارت القنية نوعين اثنين - جسمانية كالمال ومتاع الدنيا ، وروحانية كالعلم والدين - وانما معدن العلم والدين هو الذكر المحكيم والقرآن المبين ، ولهذا قال : \* (ان هو الا ذكر وقرآن مبين \* ليسذر من كان حياً) [٦٩/٣٦] اي بالحياة الروحانية الآخرية وكما ان بالمال يتمكن الانسان من تناول اللذات - من الأكل والشرب في الحياة الدنيا - فهو كذلك بقاء العلم واليقين يصل الى الأغذية والشربة الروحانية وبالعلم يضيء النفوس ويشرئ ويكمel ويصح ، كما ان بالأكل والشرب ينمى

الجسد ويزيد ويسمى .

وماورد في هذا الباب من الأحاديث والأخبار كثيرة :

منها: مارواه أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني عن سليم بن قيس ، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من هو من لا يشبعان، طالب دنيا وطالب علم(١) وفي رواية أخرى: «منهوم العلم ومنهوم المال»(٢) ومنها: مارواه عن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: روحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنها تكلّ كما تكلّ البدان(٣) .

وقال بعض الحكماء: أليس الرجل اذا منع عنه الطعام والشراب يموت؟ قالوا: بلى قال: كذلك القلوب اذا منع عن الحكمة والعلم ثلاثة أيام تموت.

\* \* \*

ولما كان هذا هكذا صارت المجالس اثنين ، مجلس الاكل والشرب واللهو واللعب، ولذات جسمانية من لحوم الحيوان ونبات الارض، لصلاح الجسد وحيوته الفانية وزيادة لذاتها وشهوتها ، ومجلس للعلم والحكمة وسماع روحاني، فيها قوة للنفوس وقرة للاعين ولذة للارواح التي لا تبدي جواهرها ولا تنقطع حيوتها وسرورها ولذتها وشهوتها في الدار الآخرة ، كما في قوله تعالى: \*(فيها ما تشتهي الانفس وتلذ العيون وانت فيها خالدون)[٤٣/٧١]\* .

### الإشارة到أبعة

**الكفر هو الاحتياج والكافرون هم الممحوبون عن الله تعالى ، لقوله**

١- الكافي : فضل العلم ، باب المستأكل بعلمه : ٤٦/١ .

٢- الخصال: باب الاثنين: ٥٣/١

٣- الكافي: باب النوادر من كتاب فضل العلم: ٤٨/١ .

تعالى : \* (كلا انهم عن ربهم يومئذ لم يحجوا بون) \* [١٥/٨٣] و سبب كفرهم و حجابهم أمران : اما غلبة حب الدنيا واستيلاء القوى البدنية الحسية ، و اما غلبة الهوى واستيلاء القوى النفسانية الشيطانية و انحرافها و خلالها عن الهدى . فالكافارهم أهل الاغترار ، فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور .

اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم أهل الحرص والشهوة ، فلغایة ميلهم الى اللذات العاجلة و حرصهم الى اقتناء المال و اكتساب الشهوات صاروا محجوبين عن فهم القرآن و معانيه ، دون ألفاظه و مبانيه ، وعن ادراك امور الآخرة وأحوال المبدء والمعاد ، والعلم بالمفارقات والربويات ، فانكبوا عن الطريق و حرموا عن الجدوى ، جعلوا أصحابهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، نسو الله فأنساهم أنفسهم .

وأما الذين غرهم بالله الغرور - اي الهوى و الشيطان و القياس الفاسد - فهم الذين حادوا عن الطريق و انحرفو عن الحق بواسطه مرض قلوبهم و انحراف طبائعهم عن الصراط المستقيم ، واعوجاج نفوسهم عن درك المعرف بالبراهين النيرة والآيات الربانية ، وانما سبب انحرافهم عن الحق وحيدهم عن الصراط أحد الامرين : اما تعصب الاباء وتقليد الاسلاف ، واما الاستبداد بالرأي الفاسد والفكر الكاسد ، وكل ذلك يوجب العمى في القلب .

وهذا القسم من الكفارهم «المنافقون» وهم من أهل القهر الالهي لainجع فيهم الاندار ولا خلاص لاحدهم من النار .

والقرآن مع كونه شفاء للصدر ونجاة عن الاسقام والترياق الاكبير لدفع السموم لاينفع في ازالة هذا الداء المملاك ، و لاينجع في قطع هذا المرض المزمن الفاتل ، ولافي دفع هذا السم الناقع \* (كذلك حقت كلمة ربك على

الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) \* [١٠/٣٣] \* (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار) \* [٤٠/٦] بل الانذار بالقرآن والاشعار بآيات الله و التعليم بالكتاب والحكمة يزيدهم شرّاً ووبلاً، ويضاعف فيهم جهلاً وضللاً، ويحق عليهم عذاباً ونكالاً، ولهذا قال: «لينذر من كان حيثاً ويحق القول على الكافرين» .

فما هو سبب الهدایة والانذار لقوم فهو بعينه سبب نزول كلمة العذاب على قوم آخر من الكفار \* (يصل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يصل به الا الفاسقين \* الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ) [٢/٢٧] - الآية -

\*       \*       \*

واما القسم الاخير من الكافرين فيمكن ازالته مرضهم ودفع غرورهم بهذا القرآن ، لأن منشأ كفرهم واحتياجاتهم ليس قوة نفسانية غير قابلة للتأثير والانفعال - لكونها قاسية كالحجارة او أشد قسوة - بل منشأها شهوة الطبع ومحبة الدنيا والشهوات امور انفعالية قابلة للمزوال والدثار، وأكثر اغترارهم بالدنيا ولذاتها لاجل الشكوك، وشكوكهم يرجع الى أن قالوا : «هذه نقد ، والنقد خير من النسبة ، فيكون الدنيا خيراً من الآخرة» او قالوا : «اليقين خير من الشك ، ولذات الدنيا يقينية ، ولذات الآخرة مشكوك فيها ، وكذا اللذة الحسية يقينية ، و اللذة العقلية بملقاء الله أمر مشكوك فيه ، والعاقل لا يترك اليقين بالشك» .

وهذه اوهام فاسدة وأقيسة باطلة ، وعلاج المغرور بها اما البرهان واما التصديق بمجرد اليمان بما أخبر الله تعالى من قوله : \* (وما عند الله خير و أبقى ) \* [٢٨/٦٠] \* (وللآخرة خير لك من الاولى) \* [٩٣/٤] \* (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) \* [٣/١٨٥] \* (ولا تغرنكم الحياة الدنيا) \* [٣١/٣٣] و قد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآلـه بذلك طوائف من الكفار ، فقلدوه و

آمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان، ومنهم من قال: «نشدتك بالله أبعثك الله رسولًا؟» فكان يقول: «نعم» فيصدق .

وهذا إيمان العامة ، وهذا بمنزلة تصديق الصبي والدبه في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدرى وجه كونه خيراً، وأما المعرفة بالبرهان فهو أن يعرف وجه فساد القياس الأول بفساد أحدي مقدمتيه ، وان كانت الأخرى صحيحة ، فان قوله : «النقد خير من النسية» محل التلبس ، فانه لو كانت بين النقد والنسية مماثلة في القدر والمقصود فالنقد خير من النسية والأفلا . وأما القياس الثاني - وهو أكثر فساداً من الأول لأن كلاً أصليه باطل، أما قوله : «البيدين خير من الشك» انما يصح في صورة التساوي والا فلا، أو لاترى أن التاجر في تعه على يقين وفي ربحه على شك ، ومع ذلك يترك الراحة اليقينية طلباً للربح المشكوك فيه، وكذا المتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه تبة العلم على شك ، ولهذا أمثلة كثيرة .

وأما أصله الآخر وهو: «ان الآخرة شك» فهو أيضاً خطاء ، بل ذلك يقين عند المؤمنين ، وليقينه مدركان :

احدهما الإيمان والتصديق تقليداً للأنبياء والولياء وذلك أيضاً يزيل الجهل والغور وهو مدرك عوام أهل الإسلام، وأكثر الخلق اطمأنوا به كماتطمئن نفوس المرضى إلى تصديق قول الأطباء الحذاق، وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق متى لم تتغير فطرتهم الأصلية ، كما لاحد صنفي الكفار من المنافقين الاشرار .

والقرآن كما يشتمل على البراهين العقلية التي يكمل بها العلماء الاحياء بالفعل - وهم أهل البرهان والكشف - كذا يشتمل على ما ينتفع به من كان معتقداً قول الانبياء والوليا عسلام الله عليهم بعد السمع منهم ، وهم أهل الحياة

الآخرة بالقوة – سواء حصل لهم استعداد قريب كجملة المؤمنين المعتقدين بالله واليوم الآخر ، الجازمين بصدق دعوى الرسول ، المتابعين للائمة بعدهـ او لم يحصل ، ولكن من شأنهم أن يحصل لهم الاعتقاد اليقيني ، فهذا القدر من الإيمان والاعتقاد الجازم بالاليوم الآخر ، الذي لجملة أهل الإيمان يكفي للبحث على العمل لأجل الآخرة والعبادة لله ، وصرف نعمه فيما خلقها لأجله ، ليستعدوا بذلك للبيتين ، وهو المعنى بالحياة الآخرية بالفعل ، لقوله :\*(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) \* [٩٩/١٥]

وأما المدرك الثاني للمعرفة الموجب لبرد اليقين فهو اما الوحي للأنبياء او الالهام لل أولياء ، ولا تظن ان معرفة النبي صلى الله عليه وآله لامر المبدء والمعاد او لامور الدين تقليد لجبرئيل بالسماع منه ، كما ان معرفتك تقليد له ، حتى يكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط – هيئات – فان التقليد ليس بمعرفة ، بل هو اعتقاد صحيح او فاسد ، والأنبياء عارفون بالله وآياته ، ومعنى معرفتهم انهم كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها ، فشاهدوها بال بصيرة الباطنية اوضح مما يشاهده الناس بالحواس ، وذلك بأن ينكشف لهم عن حقيقة الروح وهو سلم المعارف وانه من أمر الله ، ليس المراد به معنى يقابل النهي ولا المراد به الشأن والشيء – حتى يعم الموجودات كلها – بل العالم عالمان : «عالم الامر» و «عالم الخلق» والله الامر والخلق ، فالاجسام ذات المقادير و الكميّات من عالم الخلق ، لانه عبارة عن التقدير ، وكل موجود منزه عن الكمية فهو من عالم الامر ، وشرح معرفة الروح مما لارخصة في ذكره ، لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كاستضرار المزعكوب بشم رائحة الورد ، بل كاستضرار الجعل بشم رائحة المسك ، لا كاستضرار عين الخفافش بروؤية الشمس .

فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه ، واذا عرف نفسه عرف ما فوقه من

المفارقات، حتى تنتهي معرفتها الى معرفة الحق الاول ، فيعرف أن الجميع مقهورون تحت أشعة نوره الابهرو كبرياته الانور، واذا علم نفسه وربه علم انه أمر رباني بطبيعة وفطره وذاته ، وانه فى العالم الجسماني غريب ، وان هبوطه الي لم يكن بمقتضى طبعه، بل بكره، لاجل أمر عارض غريب من ذاته ورد على أبيه آدم أولاً وعبر عنه بالمعصية ، وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته ، فانها في جوار ربه ، وانه أمر رباني ، وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبقي ذاتي ، فيشتاق الى طلب الاخرة الى أن يصرفه عن مقتضى طبعه عارض العالم الغريب من ذاته، فينسى عند ذلك نفسه وذاته .

ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه واستحق الطرد والبعد ، اذ قيل له : \* (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم او لئن هم الفاسدون) \* [١٩/٥٩] أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم .

وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملائكة يسمى « معرفة » و « ولادة » ويسمى صاحبه « ولينا » و « عارفاً » وهي مبادي مقامات الانبياء . وآخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء سلام الله عليهم .

\*     \*     \*

وهذه اشارات الى أسرار يهتز لاستنشاق روانجها العشاق الالهيون ، ويشمىز من سماع ألفاظها المفترون والقاصرون ، فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل ، وكما تبهر الشمس أبصار الخفافيش .

فاذ تمهدت وتحققت لك أسرارها وأغوارها يظهر عليك ان لفظي « اليمان » و « الحياة القلبية » كالمترادفين في لغة القرآن وفي اصطلاح حامليه كما عند أهل الله وأبناء الحقيقة، وكذا « الموت القلبي » و « الكفر » يجريان مجرى المترادفين، واطلاق « الحي » على المؤمن و « الميت » على الكافر على

ووجه يشعر بأن جهتي الحياة والموت هما الإيمان والكفر والمعرفة والجهل، شائع كثير في الآيات والأحاديث، وقد من أن الحياة لها مراتب بحسب القوة والاستعداد، وكذا الموت الذي يقابلها، وما من نفس إلا وقد كان في أصل الفطرة حيث بالقوة قبل أن تبطل استعداده، فكل من في وجه الأرض إماماً أو أماماً غير أحياء - وهم الكفار المجاددون، حيث بطل استعدادهم للحياة الفلبية بالجحود والإنكار والتمرد والاستكبار - وأما مرضى - وهم أكثر الخلق - على تفاوت جهاتهم ومرضهم، وأما أصحابه - وهم العلماء بالله والمؤمنون حقاً - لكنهم ماداموا في الدنيا قبل قيام القيمة عليهم بمنزلة الأجنحة في بطون أمهاتهم، وفي مشيمة البدن بمنزلة الجنين في مشيمة الرحم.

\* \* \*

والقرآن ليس شفاء للأمراض لعدم السمع والبصر الباطنيين، الذين هما ببابان لفهم المعرفة لهم، وبطلان القلب الحقيقي الذي هو المشعر الإلهي عنهم، كما قال تعالى: \* (إِنَّكَ لَا تسمعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تسمِعُ الصَّمَ الدَّاعِ) [٢٧] / [٨٠] وقوله: \* (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكُمْ أَفَأَنْتُ تَسْمِعُ الصُّمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ \* وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَفَأَنْتُ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ) \*

[٤٣ - ٤٢]

فقد نسبه الله تعالى لنبيه النذير المنذر صلى الله عليه وآله على أن أصحاب (أهل - ن) الحجاب الكلي سلب عنهم السمع الباطني الذي هو غاية السمع الحسي - وهو فهم المقاصد وتفهم المطالب - وكذا نسبه على أنهم لا يتصرون من الرجال الإلهيين إلا بقدر ما يراه بصر الدواب والانعام من الصور والأشكال وهيئات الأجسام .

وقال أيضاً في غير موضع من القرآن في حق المنسخين عن الفطرة

الانسانية «صم، بكم، عمى» سلب ادراك المعارف من طريق السمع عنهم ، وسائل معرفة الرجال وأولياء الله من باب البصر عنهم، وكذا سلب عنهم الفطرة الانسانية واستعداد الحياة البقائية الاخروية ، كما أفصح الله عن انحطاط درجتهم عما كانوا وننزل رتبتهـم عما فطروا عليه بقوله : \* (اوئك كالانعام بل هـم أضل) \*[١٧٩/٧] ، وقال أيضاً : \* (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) \* ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) \*[٢٢/٨] وقال في النعي عليهم والتصريح بموتهم ميتة الجاهلة : \* (أموات غير أحياء وما يشعرون أبيان بيعثون) \*[٢١/٦] .

وإذا ثبت ان الكفار والمنافقين فقدت عنهم آلة السمع والبصر وجدوا هما و ماتت قلوبهم فلا يجديهم سماع القرآن ظاهراً ولدراسة الكتاب والحديث روایة بلا دراية ، فقد ثبت ان القرآن لا يشفي عليهم ولا يروي غليلهم ، لأنهم أهل الحجاب ، الذين حقت عليهم كلمة العذاب ، وغلقت عليهم الأبواب ، وهو معنى قوله : «ويحق القول على الكافرين» كما قال : \* (ان الذين حفـت عليهم كلمة ربـك لا يؤمنون ولو جـائهم كل آية) \*[٩٦/١٠] وقال ايضاً \* (ولـو عـلم الله فيـهم خـيراً لـا سـمعـهـم وـلـا أـسمـعـهـم لـتوـلـوا وـهـم مـعـرـضـون) \*[٢٣/٨] .

\*       \*       \*

واعلم ان حال أكثر المتظاهرين بالإيمان عند التحقيق هذا الحال – وان كانوا من جملة المعدودين عند الناس من أهل الفضل والكمال – كما مضى من قوله تعالى في صدر هذه السورة «لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون» فان مجرد الاطلاع على ظاهر العربية من اللغة والنحو والصرف والعلوم الجزئية وكذا حفظ الاقوال في الحرام والحلال وصنعة المباحثة والقيل والقال ، وصنعة الكلام بالمجادلة من غير بصيرة بحقيقة الحال لا يرتقى به الانسان عن درجة

المجهال والارذال ، ولا يرتفع الى رتبة السعداء والمقربين من الحق المتعال ، ولا يهتدى بحقائق القرآن والأيات ، بل يزيده شرّاً أو وبالوجحود واستكباراً عن سماع ما هو الحق ، اللهم الا بالقلب السليم عن الآفات المهلكة والامراض النفسانية كما أمرت الاشارة اليه غير مرة ، ودل عليه قوله تعالى : \* (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً) [٨٢/١٧] .

فقد بقى كون القرآن منذراً لمن كان حياً، اي قابلاً للحياة الاخروية ، مستعداً لهم المعارف الالهية ، مؤمناً بالله واليوم الآخر - ولو بالسماع والتسليم من غير انحراف عن سنن الحق وحيده عن الصراط المستقيم ، سواء كان صحيح القلب بريئاً عن المعاصي مطلقاً ، او مريضاً لكن غير مزمن المرض ولا مكذب للطبيب وهم الاولى والحكماء .

فالدنيا بمنزلة دار الشفاء والعلماء الربانيون هم الاطباء ، والقرآن هو الدواء والحكمة التي بها تقع الشفاء - والاعراض عنه هو السُّم المهنك - الموجب للشفاء \* (ومن أظلم من ذكر بيات ربِّه فأعرض عنها ونسى ما قدّمت يداه إنما جعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقرأً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا أبداً) [٥٧/١٨] .

والنفوس الساذجة الغير الكاملة في العلم والعمل ، هم المرضى ، القابلون للتداوى ، المستعدون للصحة والحياة الكاملة ، والنفوس الجاهلة الشقية الغير السليمة - ان كانت لهم فطانة بتراء وجهل مشفوع بالاعتقاد ، واعتقاد تقليدي مركب بالاتفاق والعناد - هم المرضى الغير القابلين للعلاج ، بل يزيد فيهم المرض يوماً في يوماً ، كما قال الله تعالى : \* (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم) [١٠/٢] .

وهؤلاء هم الذين كانوا مستعدين في الاصل للحياة ، قابلين للنور ، ولكن

احتجبوا بالرین المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب الخطیئات ومزاولة المکائد الشیطانیة وطلب الترفقات الباطلۃ ، حتى رسخت المھیمات الغاسقة في صفحة باطنهم ، وتراءکمت الملکات المظلومة على مرآة قلوبهم ، كما قال تعالى : \* (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) \* [١٤/٨٣] .

فلا تقبل التصفیة والتطرییر بعد ذلك لتراکم ظلمتهم وعینیة نجاستهم ، كما قال : \* (وما كان لنفس أَن تُؤْمِنُ بِأَبْدَنَ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) \* [١٠/١٠٠] وذلك لكونها کثیرة التعلق بالدنيا، متعلقة الوجود بأجسادها وأبدانها الغالب عليها القوة الشهویة والغضبیة مثل الكلب والخنزیر ، والدنيادار النجاسة وطالبها الانجاس وطلبة الارجاس ، لقوله صلی الله عليه وآلہ وسلم : «الدنيا جیفة وطالبها کلاب» وورد ايضاً في الحديث : «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها» (١) وان لم يكونوا ذا فطانة وعقل ولا عتقاد صادق او كاذب فهم اما المطرودون والمبعدون طبعاً من أهل الحجاب ، او المستضعفون من النساء والولدان .

فالاول هم الاموات المعزولون عن الخطاب ، المختوم على قلوبهم أزوا ، كما قال : \* (ولقد زرنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) \* [١٧٩/٧] فالقرآن لايندرهم كما لايندر القسم الاول ، الا ان المانع في أحدهما وهم المنافقون وجودی - وهو المرض المزمن - وفي الثاني وهم المطرودون عدمی ، وهو الموت - وقد أخبر الله تعالى عن نفي قبول الانذار عن أحدهما بقوله : \* (كذلك حققت کلمة ربک على الذين فسقوا انهم لا يؤمرون) \* [٣٣/١٠] وعن نفيه عن الثاني بقوله : \* (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمرون) \* [١٠١/١٠] وقوله : \* (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذکری وكانوا لا يستطيعون سمعا) \* [١٠١/١٨] . وأما المستضعفون فهم غير معلم العاقبة لا يعلم حالهم الا الله .

فهذا ما حضرني الان في بيان هذه الآية ، والله أعلم بحقائق آياته وأسرار  
كلماته .

قوله سبحانه :

**أولم يروا اننا خلقنا لهم مما عاملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون**  
[٧١]

ثم أعاد الكلام الى ذكر شواهد التوحيد وآيات الربوبية ، فقال : أو لم يروا  
أنا خلقنا لهم - اي : لاجل وجودهم ، او لاجل انتفاعهم - مما عاملت أيدينا -  
اي : مما تولينا خلقه بابداعنا وانشائنا من غير مشاركة أحد ولا اعانة معين فيه ،  
لبدايح الفطرة وشواهد الحكمة فيها التي لا يصح أن يقدر عليها الا هو .  
و«اليد» في اللغة يطلق على معانٍ منها الجارحة المخصوصة ، ومنها النعمة  
ـ يقال : لفلان يدبيضباء ـ ومنها القوة ـ يقال : فلان تلقى قوله بالبددين ، اي  
بالقوة والتقبل ـ ومنها تحقيق الاضافة ، كما في قول الشاعر (١) :

دعوت لما نابني مسورة \* فلبى فلبى يسدي مسور  
وانما نشأ لتحقيق المبالغة في الاضافة الى مسور ، ويقولون : «هذا ما جئت  
يداك» وهو المعنى في الآية ، واذا قال رجل : «عملت هذا بيدي» دل ذلك على  
انفرداته بعمله من غير أن يكله الى غيره ، وهو المعنى في الآية .

وفي الكشاف : «عمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي» .  
قلت : فعلى هذا كان قوله : «ما عاملت أيدينا» موضع «ما عملنا بالايدي» .  
و«الانعام» هي الابل والبقر والغنم - فهم لها مالكون - ولو لم نخلقها لما  
ملكونها ولما انتفعوا بها وبآليانها وركوب ظهورها ولحومها ، اي : خلقناها

لأجلهم فملّكتناها ايام ، فهم متصرفون فيها تصرف الملائكة في أملاكهم ، وقيل:  
فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشيشة نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها،  
بل مسخرة مذلة ، من قول الشاعر :

\* أملأ رأس البعير ان نفرا أصبحت لا أحمل السلاح ولا اي لا: أضيّطه.

## تبیان کلامی و برہان حکمی

قد تقرر عند كبراء الحكماء أو لباء المعرفة والايقان ، وأهل النسك والايمان  
أن وجود الانسان هو غاية ايجاد المكونات العنصرية من الجماد والنبات والحيوان  
لان الغاية في كل موجود حادث هو الوصول الى كمال ثان له والبلوغ الى ما  
هو أشرف ، فالكمال الثاني للجسم العنصري هو الصورة الترکيبية التي للجماد  
الحافظة له عن التبدل والانحلال والفساد ، وكمال مرتبة المعادن هي النفس  
النباتية المفيدة زيادة في الاقطار وتوليد الامثال ، وكمال النبات هي النفس  
الحيوانية المفيدة للحسن والحركة بالاختيار ، وكمال الحيوان هو البلوغ  
إلى درجة الانسان ، فالانسان كمال العالم العنصري وثرته وغايته ، ولا يلزم مما  
ذكرناه أن يكون كل جماد ونبات وحيوان ممكناً الوصول إلى ما هو فوقه امكاناً  
وقوياً استعدادياً ، بخصوص تعينه المخاصي الشخصي او النوعي ، بل اللازم  
منه ذلك بحسب مطلق طبيعته الواقعة في وسط من اوساط حدود التوجّهات  
إلى غاية الوجود ومطلق وجوده ، الواقع في مرتبة من مراتب القرب والبعد  
من خلاق الخير والوجود اذا لم يكن له حجاب من تعينه وجوده ، بل لا بد في  
توجهه إلى مرتبة تكون فوقه وانتقاله إلى درجة أخرى وتطور بتطور آخر ، من  
ازعاج في وجوده وقبول تأثيره وانكسار سورة وقلة تمنع وشدة افتقار .

أولاً ترى ان العناصر مالم ينكسر قوتها وسورة كيفيتها حتى كادت أن يفني وينفسد ويتعري عن كسوة الصورة، لم يترحم الباري عليها بافاضة وجود مستأنف واعطاء كسوة جديدة ، وكذا الحبوب والبذور المدفونة في الأرض، مالم يتعدب بصحبة المخالف الفتن حتى كادت تنفسد لم تحصل فيه قوة النماء ولم تتحخط من طور الجمادية الى نشأة النبات .

وكذا ليس كل جسد نباتي قابلاً لصورة الحيوان التام، بل ما مكث في جهنم المعدة مدة الانهضام، ثم سلك المسالك الضيقة في العروق والمسام، وسعى في خدمة الله وعمارة كعبة القلب الصورى الصنوبرى وبيت الله الحرام، حتى يصير سعيه مشكوراً وذنبه مغفوراً ، وأعطاه الله صورة الحس والحركة وأحياء بالحياة الحسية .

وكذا ليس كل حيوان يقبل النفس الناطقة التي من شأنها ادراك المعرفة واليقين، والوصول إلى عالم الآخرة يوم الدين ، بل الذي مضت عليه أيام وشهور محبوساً في جهنم المعدة، مسجوناً بسجن الرحم ومضيق المشيحة، معدياً بيد مالك الطبيعة ، مقيداً بقيود سدنة القوى الاربعة الهاضمة وزبانية القوى التسعة عشر الحيوانية، شارباً شراب الحميم، متغذياً بدم الحيض الحار الاسود، متلطخاً بالأفراط والأوراث مصلياً بنار الحرارة الغريزية - وهكذا - إلى أن يأذن الله له في الدخول إلى عالم النعيم الانساني، وجنة المشتهيات النفسيّة، وكرمه بكرامة الصورة الادمية، المحمولة في بر الجسمانيّات وبحر الروحانيّات، المرزوة من طيبات الكلمات الحكيمية والعقلية، المفضلة على كثير من المخلوقات، كقوله: \* (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) \*

وهكذا الانسان لا يستعد لتفخ الروح الالهي القابل للخلافة الالهية ومسجودية الملائكة العلوية والسفلية مالم يرتكب بالرياضات النفسانية، ولم يتهذب بالتهذيبات العقلية، ولم يمتحن بالمحن الشديدة، والتکاليف الشرعية والأداب النبوية - من الصيام والقيام وغيرها، وتکثير الاوراد والدعوات ، ومواصلة الاذكار والتسبيحات طول الليل والنهار - وهكذا حتى مضت عليه مدة مدبلدة من الشهور والسنين ، وبلغ أوان بلوغه الحقيقي الباطني الى قرب أربعين، وهكذا يتطور من طور الى طور حتى بلغ الى مالم يمكن وصفه مما لاعين رأت ولاذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

والمقصود ان خلقة المکونات من البساط والمركبات - كما دلت عليه هذه الآية وكثير من الآيات - لاجل ماهية الانسان ووجوده الفائق على سائر المخلوقات على الوجه الذي مر بيانيه ، وقد اشرنا الى أن المتحرك الى غاية ، مادام كونه متحركاً اليها، يجب ان يكون امراً بالقوّة، شبيهاً بالعدم، تحقيقاً لمعنى الحركة ، وتحت هذا أسرار لطيفة يختص فهمه لمن وفق له .

## اشارة قرآنية

اعلم ان قوله: «مما عملت أيدينا» معناه كما ذكره صاحب الكشاف عملنا باليدي، وذلك لما حقق أن المؤثر الحقيقي في خلق الموجودات هو البارى سبحانه، والوسائل مسخرة لقدرته، سواء كانت ملائكة علوية أو سفلية، أو كانت أجراً مساوياً أو أرضية ، اذ ليس لشيء منها رتبة الانشاء والايجاد اللهم الا ان يراد بالعمل معنى التحرير والاعداد باذن الله المعطى الجواب .

روح اليد و معناه الاصلي ليس منحصراً في الجارحة المخصوصة التي اعتاد أهل اللغة بفهمها عند اطلاق لفظ «اليد» بل الواسطة الطبيعية بين القدرة

على القبض والبسط ومتلقيها – سواء كانت اموراً جسمانياً من عظم ولحم ورباط وعصب اولم يكن ، فكما ان ذات الله وصفاته لا يشبه ذوات الخلق وصفاتهم ، فكذلك كل مانسب اليه من اليد ، واليمين ، والقلم ، واللوح ، والكتابة والرق المنثور ، والبيت المعمور ، والعرش ، والكرسي – أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت .

فكمـا ان ذاته لا يشبه الذوات ، فـ«يد الله» لا يشبه الايدي ، ولا قلمـه يشبه الاقلام ، ولا خطـه سائر الخطوط ، فليس الله في ذاته يمكن أن يكون بجسم سائر الايدي – وكـذا لا يكون قلمـه من قصب ولا لوحـه من خشب ومن توقف في تنزيـه بعض الامـور الالـهـيـة دون بعض ، ويؤمن ببعض ويـكـفـرـ بما وراءـه ، فهو كالمحـنـثـ بين فـحـولـةـ التـنـزـيـهـ وـأـنـوـثـةـ التـشـبـيـهـ ، مـذـبـذـباـ بين اثـيـاتـ هـذـاـ وـنـفـيـ

ذلك لاـلـىـ هـؤـلـاءـ وـلـاـلـىـ هـؤـلـاءـ ، فـكـيفـ يـنـزـهـ ذاتـهـ وـصـفـاتـهـ عنـ مـشارـكـةـ الـجـسـامـ

وـصـفـاتـهـ ، وـلـمـ يـنـزـهـ يـدـهـ وـقـلـمـهـ عـنـهـاـ؟ـ اوـ كـيفـ يـؤـمـنـ بـذـاتـهـ وـصـفـاتـهـ ويـكـفـرـ بـيـدـهـ

وـقـلـمـهـ رـأـساـ؟ـ

فـانـكـنـتـ فـهـمـتـ مـنـ معـنـىـ الصـفـاتـ ماـ يـوـجـبـ الانـفـعـالـ الـلـاثـقـ بـالـجـسـادـ ،

وـمـنـ معـنـىـ الـاسـتـوـاءـ عـلـىـ العـرـشـ ماـ يـوـجـبـ الـاـفـقـارـ وـالـاعـتـمـادـ ، فـكـنـ حـنـبـلـيـاـ

مـحـضـاـ وـمـشـبـهـيـاـ مـطـلـقاـ ، كـماـ يـقـالـ :ـ «ـ كـنـ يـهـودـيـاـ صـرـفاـ وـاـلـاـ فـلـاتـلـعبـ بـالـتـوـرـاـ»ـ .ـ

وـانـكـنـتـ فـهـمـتـ مـنـ معـنـىـ الصـفـاتـ ماـ يـنـحـفـظـ مـعـهـ التـقـدـيسـ وـالـوـحـدةـ

الـمـحـضـةـ ، وـمـنـ الـاسـتـوـاءـ عـلـىـ العـرـشـ معـنـىـ الـاسـتـيـلاءـ الـمـعـنـوـيـ عـلـيـهـ وـالـتـمـكـنـ فـيـ

الـاـلـهـيـةـ وـظـهـورـ الرـحـمـانـيـةـ بـهـ فـكـنـ مـنـزـهـاـ صـرـفاـ وـمـقـدـساـ فـحـلاـ فـيـ كـلـ الـامـورـ

الـاـلـهـيـةـ .ـ

فـاـذـاـ كـنـتـ مـؤـمـناـ بـجـمـيعـ ماـ وـرـدـ فـيـ الـاـيـاتـ ، مـقـدـساـ لـلـبـارـيـ عـنـ وـصـمةـ

الجسمانيات ، فتبيّن أنّ الأيدي العمالة لله هي الوسائل العقلية والنفسية ، من الملائكة السماوية والارضية ، الموكلة بخلق مواد الحيوانات ، من الجماد والنبات ، فبتبعدي لها صور الحيوانات في مواد النطاف منقوشة ، و بتقويمها بوسائل الاشكال على بسيط الهيولي مفروشة .

تفریع شہودی

«كلما يدي الرحمن يمين» \* (يد الله فوق أيديهم) \* [٤٨ / ١٠] \* (والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) \* [٣٩ / ٦٧] ومن انكشف له معرفة ذات الله وتقديره عن وصمة الاشتراك والامكان، وتنزيه صفاتاه الحقيقية عن شوب التكثير والنقصان، وتمجيد صفاته الفعلية العملية عن القصور والحدثان فينكشف له ان معنى القدرة الالهية ليس كالقدرة التي في الحيوان - وهي القسمة المتساوية طرفاها، المفتقرة الى الداعي والرجحان - وينكشف له أن يمينه ليس كالإيمان .

فإذا علم معرفة الذات والصفة والقدرة واليد، يظهر له ان الشمس والقمر والكواكب والافلاك والمطر والغيم والهواء والماء والارض، وكل ما يحصل منه وجود الحيوان من مواد النطف والاركان، كلها مسخرات يبصميه وفي قبضة قدرته تسخّر القلم في يد الكاتب، فإذا علم ذلك انصرف عنه الشيطان وخفى لأن توحيده عن مزاج الشرك مقدس، ووجه قلبه متوجه إلى فاطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما كان من المشركيين .

## اشارة اخرى

في كيفية خلقة الحيوان مماعملته أيدى الرحمن

قدمت الاشارة مناسباً الى أن طينة الانسان وحصته الحيوانية انما قبضتها و عملتها ملائكة الله ، وبهذا الاعتبار توقفه رسول الله ، فلتبيّن كيفية خلقة الحيوان مماعملته أيدى الرحمن ، سواء كان مما هو داخل مملكة الانسان وأجزاء هذا القوام، او مماثلة الله من الدواب والانعام، وذله وسخره للحمل والركوب له وللزينة وغيرها من أغراض عالم الاجسام ، ليحصل لك الاطلاع على أفعال بعض ملائكة الله السفلية الموكلة بعالم الحيوان بل الانسان المقبوضة المسخرة لملائكة اخرى علوية مطوية تحت أيدي قدرة الله الرحمن ، ليتمكنك الشكر و الحمد على نعمه المتعلقة بقوام حيوة الدنيا ، المتوقفة عليها أسباب معيشتك الأخرى ، ومقدمات سفرك الى الله وقدومك بين يديه من مر كبك وزادك ، وانما مر كبك البدن والقوى ، و زاد سفرك الذي لا جله خلقت العلم ، والتقوى ، وأسباب مخلقه الله وهي ألك من أجناس هذا العالم كالشجر الدواب والانعام . فمن نعم الله عليك الملائكة الموكلة ببدنك و بما هو تحت تصرفك من الانعام والعبيد فيما يرجع الى الاكل و الغذاء ، و يتوقف عليه الحيوان في الحدوث والبقاء ، فان كل جزء من أجزاء بدنك - بل من أجزاء كل حيوان ونبات - لا يتغذى الا بأن يوكل به سبعة من الملائكة - هو أقل - الى عشر ، الى مائة الى ماوراء ذلك .

وبيانه ان معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مكان جزء قد تلف من بدنك لاستيلاء الحرارات المحتللات عليه ، وهي الغريزية والاسطفسيّة الداخلتان ،

والشمسية والتحريكيّة الخارجتان ، وحرارة الهواء المطيفة بك ، وذلك الغذاء جسم نباتي او حيواني يصير دمأ في آخر الامر ، ثم يصير لحمأ وعظماً وعصباً ، وهو لا يتحرك من مكانه بنفسه ، ولا يتغير في حاله بنفسه ، ومجرد الطبع لا يكفي في ترددك في جهاته وأطواره ، كما ان البر ”بنفسه لا يصير طحيناً ثم عجيناً ثم خبزاً مستديراً مطبوخاًابصناع كثيرة ، فكذلك الدم لا يصير لحمأ وعظماً وعروقاً وعصباًابصناع في الباطن هم الملائكة ، كما ان الصناع في الظاهرهم أهل البلد .

وقد أسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة وتجحدها ، فنقول : لابد أولاً من ملك يجذب الغذاء ويقبض طينة الخلقة الى جوار اللحم والعظم ، لما علمت أن الغذاء لا يتحرك بنفسه ، بل بمحرك غائب عن البصر ، ثم لابد من ملك اخر يمسك الغذاء في جواره حتى يتغير لان الاستهالة حرفة ، وكل حرفة ائما وقعت في زمان ، ثم لابد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ، ومن رابع يكسوه صورة اللحم والعظم او العصب ، ومن خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذاء ، ومن سادس يلتصق ما اكتسى بصورة العظم بالعظم حتى لا يكون منفصلا ، ولابد من سابع يرعى المقاييس في الالصاق .

## شك وتحقيق

فإن قلت : فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ، ولم افتقرت الى سبعة املاك ، والحنطة ايضاً تحتاج الى من يطحن أولاً ، ثم الى من يميز عن النخالة ويدفع عنه الفضالة ثانياً ، ثم الى من يصب عليه الماء ثالثاً ، ثم الى من يعجن رابعاً ، ثم الى من يقطعه كرات مدورات خامساً ، ثم الى من يرققها دوائر عريضة ورغفانا مستديرة سادساً ، ثم الى من يلصقها بالتنور سابعاً ، فهلا

كانت أفعال الملائكة باطنًا كأفعال الانس ظاهراً؟  
 فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس، ما من واحد الا وهو وحداني  
 الصفة، ليس فيه خلط وتركيب، فلا يكون لكل واحد الا فعل واحد، واليه اشارة  
 بقوله : \* (وما من الا له مقام معلوم) \* [١٦٤/٣٧] نعم ربما يصدر منه اذا كان  
 علوياً أفعال متعددة باستخدام وسائل مسخرة مفهورة له بجهات متعددة ترقى  
 الى جهة واحدة .

وتحقيق ذلك موكل الى علم آخر، به يعلم النظم والترتيب بين ملائكة  
 الله العلوية والسفلية، ولذلك ليس بينهم تنافس وتقابل ولا تفاخر، بل مثالهم في  
 تعين ماهية كل واحد وفعله مثل الحواس الخمس، فان البصر لايزاحم السمع  
 ولا يشاركه في ادراك الاصوات، ولا الشم يزاحمه، ولا هما ينزعان الشم، وليس  
 كاليد اللحمي والرجل ، فانك قد تبطش بأصابع الرجل ببطشًا ضعيفاً فتزاحم  
 به اليد، وقد تضرب غيرك برأسك مكان يدك هي آلة الضرب ، ولا كالانسان  
 الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز ، فان هذا نوع من الاعوجاج  
 والعدول عن العدل، سببه اختلاف صفة الانسان واختلاف دواعيه وتكتّر أغراضه  
 فلما لم يكن وحداني الصفة لم يكن وحداني الفعل، ولذلك ترى الانسان يطبع  
 الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته الروحانية والجسمانية ولو تفرد  
 الانسان بذاته و طبعه و لم يتغير عما فطره الله عليه لم يكن أفعاله الا على نظم  
 حكمي وترتيب طبيعي .

وذلك الاختلاف غير ممكن في طبائع الملائكة، بل هم مجبولون على  
 الطاعة، مقطورون على العبودية والخدمة، لامجال للمعصية في حقهم ، فلا جرم  
 لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون،  
 والرا��ع منهم راكع أبداً، والمساجد منهم ساجد أبداً، لاختلاف في أفعالهم

ولاقتور في أعمالهم، ولكل واحد منهم مقام معلوم لا يتعداه .  
وطاعتكم لله تعالى من حيث لامجال للمخالفة فيهم ، يشبه طاعة أطرافك  
لك ، فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تمرد و  
تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى ، بل كانه منتظراً لامرك ونهيك  
فينفتح وينطبق متصلاً باشارتك ، فهذا يشبهه من وجهه ولكن يخالفه من وجهه ، اذ  
الجفن لاعلم له بما يصدر من الحركة فتحاً واطباً ، والملائكة أحيا عالمون  
بما يفعلون .

فاذن هذه نعمة الله عليك من جملة الملائكة الأرضية العمالقة لخلة الحيوان  
وهي بعض نعم الله عليك من الملائكة العلمية والعملية الموكلة بباطنك وظاهرك  
وقلبك وقلبك ، يجب عليك شكر هذه النعم الخفية والجلية .

ومن كفر يشيء منها كفر بالجميع من حيث لا يشعر ، فان من كفر بالقدرة  
على فتح العين التي من جملة نعم الله في الاجفان ، التي من جملتها خلق أطرافها  
حادية منطبق على الحدقة وما يتوقف عليه من الغذاء وأسباب التغذية فقد كفر  
بالعين وما يتوقف عليه من الموجودات ، اذ الاجفان لا يقوم الا بالعين ، ولا العين الا  
بالرأس ، ولا الرأس الا بجميع البدن ، ولا البدن الا بالغذاء ، ولا الغذاء الا بالماء و  
الارض والهواء والمطر والغيم ، ولا يقوم هي الا بالشمس والقمر والنجوم ، ولا يقوم  
شيء منها الا بالسموات ، ولا السموات الا بالملائكة المحركة ، ولا هي الا بعالم  
الامر لقوله تعالى : \* (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) \* [٥٤/٧]  
وقوله : \* (واوحى في كل سماء أمرها) \* [١٢/٤١] .

فان الكل كالشيء الواحد الطبيعي ، المرتبط بعضه ببعض ، كارتياط اعضاء  
بدن الانسان الواحد بعضها ببعض ، وارتباط بدنه بنفسه ، ونفسه بروحه وعقله  
والكل مرتبط به تعالى في الوجود ، \* (ألا له الخلق والامر) \* [٥٤/٧] فاذن

من كفر بفتح العين فقد كفر كل نعمة من نعم الله من متهى الشريّات إلى متهى الشري من وجوه كثيرة :

منها ما ذكرنا من وجود السوابق التي تتوقف هي عليه، كالنظر والمشاهدة ثم التخيل، ثم التذكر، ثم التعقل، ثم الانتقال من تعقل إلى تعقل آخر، وهكذا إلى تعقل المبادئ الفعلية، ثم تعقل وجود المبدء تعالى، ثم صفاته الجمالية، ثم الجلالية، ثم الأضافية الإلهية ثم الأفعالية، ثم الاثارية، ثم الاستغراق في شهود كبرياته وجماله، والانحراف في سلك عبيده المهيمن في ملاحظة عظمته وجلاله – فان الجميع مما يتوقف على فتح العين ، فان من فقد حسماً فقد علماً ، فمن جحده فقد جحد الكل ، فلم يبق ذلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد ولا برك ولا بحر الا ويلعنه .

ولذلك ورد في الاخبار: «ان البقعة التي تجتمع فيها جماعة اما أن تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفرون لهم» وكذلك ورد في الحديث : «ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر » و «ان الملائكة يلعنون العصاة» في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها .

وكل ذلك اشارة الى أن العاصي بتفریطة واحدة جنى على جميع مافي الملك والملکوت ، وقد أهلك نفسه الا أن يتبع السیئة بالحسنة ، فيتبدل اللعن بالاستغفار ، فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه – فافهم ، ثم افهم .

\* \* \*

ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول:

من جملة ما يتوقف عليه وجود الانعام وسائر الحيوان فضلا عن الانسان مما عملته أيدي الرحمن وملائكة الله العزيز المنان ، تحصيل وجود الاطعمة حتى تصير صالحة للاغتناء وتستعد لان تصرف فيها الملائكة السبعة المذكورة أولا .

فاعلم ان الاطعمة كثيرة ، والله في خلقتها عجائب كثيرة لاتحصى عددها وأسباب متواالية لاتنتاهي وصفها ، وذكر ذلك في كل طعام مما يطول ، اذا الطعمة اما أغذية واما أدوية واما فوائد .

فلنأخذ الاغذية فانها الاصل – ولنأخذ من جملتها المحبوب ، بل حبة من الشعير او الحنطة التي يتغذى بها الحيوان او الانسان ، فنقول : اذا وجدت حبة او حبّات فلو أكلتها او أطعمت بها دابتك لفنت وبقيت او بقي دابتك جائعاً ، فما أحوجك أن ينمو الحبة في نفسها او يتضاعف حتى يفيء لجميع حاجاتك ، فخلق الله في الحبة من القوى ماتغذى – كما خلق فيك – فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة لافي الاغتناء ولسانطنب في ذكر آلات النبات في اجتناب الطعام الى نفسه وامساكها ، وهضمها ودفع فضولها ، ولكن كلامنا في نفس الغذاء – كيف يحصل – لافي الاغتناء به .

فنقول : كما ان الخشب والتراب لا يصلح لغذائك ، بل تحتاج الى طعام مخصوص مناسب لك ، فكذا الحبة لاتغذى بكل شيء ، بل تحتاج الى شيء مخصوص مناسب لها ، بدليل انه لو تركتها في البيت لم تزد بمجرد مصادفة الهواء ، ولو تركتها في الماء لم تزد ، ولو تركتها في أرض لاما فيها لم تزد ، بل لابد من أرض فيها ماء يمتص مائها بالارض ، فيصير طيناً ، واليه الاشارة بقوله تعالى : \* (فلينظر الانسان الى طعامه) \* انا صبينا الماء صباً \* – الآية [٢٥/٨٠] .

ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركتها في أرض ندية صلبة متراكمة ، لم تنبت لفقد الهواء ، فيحتاج الى ارض خربة متخلخلة ، يتخلخل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه ، فيحتاج الى ريح يحرك الهواء ويضرره بقهقهه وعنف على وجه الارض حتى ينفذ فيها ، واليه الاشارة بقوله تعالى : \* (وأرسلنا الرياح ل الواقع) \* [٢٢/١٥] وانما لفاحها في ايقاع الا زدواج بين الهواء والماء

والارض ، ثم كل ذلك لا يكفى لو كان في برد مفرط وشقاء شاق ، فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف ، فقد ثبت احتياجها الى هذه الاربع .

فانظر الى ما يحتاج اليه الماء ، فيسائل في أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسوافي ، فانظر كيف خلق الله البحار ، وفجر العيون ، وأجرى منها الانهار بيد ملائكة موكلة بها ، تسمى بملك البحار وملك الانهار .

ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا يرتفع اليها ، فانظر كيف خلق الله الغيوم ، فسلط الرياح عليها ليسوقةها تملك الرياح باذنه الى اقطار العالم – وهي سحب فقال حوامل بالماء – ثم كيف يرسله مدراراً بيد ملك الامطار على وجه الارض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة .

وانظر كيف خلق الجبال وخلق لها قوة حافظة للمياه ، وملائكة موكلة بها آخرأمو كلام بتغيير العيون منها تدريجاً ، فلو خرجت دفعة لخربت البلاد وهمك الزرع والانعام والمواشى ، ونعم الله في السحاب والجبال والبحار و الامطار لا يمكن احصاؤها واحصاء ملائكة عمالة لها باذن الله .

واما الحرارة فانها لاتحصل من الماء والارض – وكلها بارداً – فانظر كيف سخر الشمس وكيف جعلها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت آخر فيحصل البرد عند الحاجة اليه والحر عند الحاجة اليه ، فهذه احدى حكم الشمس – والحكم فيها أكثر من أن تحصى .

ثم النبات اذا ارتفع عن الارض فان في كثير منها انعقاد وصلابة تفتقر الى رطوبة غريزية تنضح الفواكه وتصبغها ، فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته نضج الفواكه وصبغها بقدر الفاطر الحكيم .

بل نقول : كل كوكب في السماء فقد سخر له نوع فائدة وحكمة ، كما سخر الشمس للتسخين ، والقمر للترطيب ، بل لا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة

لاتفى قوة البشر باحصائهما ، ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبئاً وباطلاً ، ولم يصح قوله تعالى : \* (ربنا مخلقت هذا بباطلا) [١٩١/٣] \* وقوله : \* (وما مخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) [١٦/٢١] \* وكما انه ليس في اعضائك عضو الالفائدة فالعالم كلها كشخص واحد ، وآحاد اجسامه كالاعضاء له ، وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ، وأكثر الناس غافلون عن حكم الله في السماء والارض ، جاحدون في خلقها ، معرضون عن آياتها ، لقوله تعالى : \* (وهم عن آياتها معرضون) [٣٢/٢١] \*

\*       \*       \*

وتوهم بعضهم أن التفكير في حكمة ما في السموات والتدبّر في آياتها يستلزم الایمان بالنجوم المنهي عنه في الشرع ، لجهلهم بامتياز هذا العلم عن علم الاحكاميين ، الذين يحكمون على الكواكب بأثار أرضية في ساعات معينة رجماً بالغيب ، بحسب تخمينات ومجازفات وتجارب ناقصة ، فاحكامهم من هذه الجهة كاذبة وان اتفقت أحياناً .

وليس كذلك علم الهيئة والهندسة والحساب من الرياضي ولا علم السماء والعالم من الطبيعي ، ولا البحث عن مباديهما وغاياتها ونظر في الآثار والحكم المترتبة عليها كلية من العلم الالهي ، فان جميع ذلك من العلوم الشريفة ومن المحكمة الممدودة في الكتاب والسنة ، الا ان بعضها أشرف من بعض ، و هو ما يكون او ثق برها ، وأعلى لميّة ، وأقضى غاية ، وأرفع غرضاً وفائدة ، ولذلك نظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى السماء وتدبّر في نجومها وقرء قوله تعالى : \* (ربنا مخلقت هذا بباطلا سبحانك فرقنا عذاب النار) [١٩١/٣] \* ثم قال : «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته» (١) ومعنىه أن يقرء ويترك التأمل ،

ويقتصر من فهم ملوكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب و ذلك مما يعرفه البهائم أيضاً ، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسع سبلته .

وأقول: قوله صلى الله عليه وآله عقيب قرائة الآية اشارة الى تفسير الآية ولم تية عذاب النار، المفهوم من فحواها بواسطة «الفاء» التفريعية، الدالة على أن التدبر في النجوم والعلم بحقيقة ما في السماء يوجب الوقاية عن عذاب النار والجهل بها والاعراض عن آياتها يوجب العذاب الدائم والحرمان عن لقائه والطرد عن رحمته، والبعد عن حضرته، فللله في ملوكوت السماء والارض والافق والانفس والحيوانات والنبات عجائب حكمة تطلب معرفتها أهل المحبة الالهية ، فان من أحب عالماً أحب مطالعة تصنيفه ، فلا يزال مشعوفاً بتضليله ليزيد بمزيد الوقوف على عجائب حكمته وعلمه وحاله ، فكذلك الامر في عجائب صنعت الله، فان العالم كله من تصنيفه ، بل تصنيف المصنفين كلهم من تصنيفه الذي صنفه بواسطة عباده أو كتبه في قلوب أوليائه \* ( او لئك كتب في قلوبهم اليمان) \* [٥٨/٢٢] فلاتتعجب من تصنيف المصنفين ، بل من الذي سخرهم للتأليف بما أنعم عليهم من هدايته وتسديده وتعريفه .

\*     \*     \*

والمقصود ان غذاء النبات لا يحصل الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ، ولا يتم تلك الا بالافلاك التي هي مر كوزة فيها ، ولا يتم الافلاك الا بحركاتها الابملائكة سماوية يحر كونها - و كذلك تتمادي الى أسباب قاصية - وهي حرية بأن تكون بأيدي الرحمن .

## طريقة أخرى

اعلم ان الذي ينبت في الارض من النبات لا يمكن أن يقضم أو يؤكل - وهي كذلك - بل لابد في كل واحد من اصلاح وطبخ، وتركيب وتنظيم بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخرى كآلات الحصاد والتصفية (والتنقية) (ن) والنقل والتحويل مما يطول .

فأول ما يحتاج اليه الحرات (الحرث - ن) - ليزرع ويصلح الارض - الثور الذي يشير الارض والفدان وجميع أسبابه ، ثم بعد ذلك التعهد ل斯基 الماء مدة ، ثم تنقية الارض من الحشيش ، ثم الحصاد ، ثم الفرك والتنقية ، ثم الطحن ، ثم العجن ، ثم الخبز ان كان للانسان ، فكذلك ان كان للمحيوان الذي له حرمة ، لأن قضيته يتوقف على الانسان وهو يحتاج الى الاكل .

فتتأمل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره ، وعدد الاشخاص القائمين بها ، وعدد الالات التي يحتاج اليها - من الحديد والخشب والمحجر وغيره - ويحتاج اليها النجار والمداد وغيرهم ، الذين يعملون هذه الالات القريبة بآلات اخرى بعيدة حديدية أو خشبية ، تفتقر هي ايضاً في وجودها الى آلات غيرها وهكذا .

فانظر الى حاجة المداد الى الحديد والرصاص والنحاس ، وانظر كيف خلق الجبال والاحجار ، وكيف جعل الارض قطعاً متجاورات مختلفة ، فان فتّشت علمت ان رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث يصلح لاكلك - يا مسكين - مالم يعمل عليها أكثر من ألف صانع ، فابتدى من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال التي من جهة الملائكة ، حتى ينتهي الى عمل

الانسان، فإذا استدار فقد عمل فيه قريب من سبعة آلاف صانع ، كل صانع أصل من اصول الصنائع التي تتم بها مصلحة المخلق .

ثم تأمل كثرة أعمال الانسان في تلك الالات ، حتى أن الابرة -- التي هي آلة صغيرة يفتقر اليها في بعض امور الحراثة وفي خيط اللباس للزارع الذي يمنع عنه البرد -- لا يصلح صورتها من حديد يصلح للابرة الا بعد أن تمر على يد الابرى "خمسة وعشرين مرة يتعاطي في كل مرة عملا.

\* \* \*

فلو لم يجمع الله البلاد ، ولو لم يسخر العباد ، وافتقرت الى عمل المنجل الذي يحصل به البر والشغف مثلا بعد نباته ويبسه لنفسه لمنفعت عمرك وعجزت عنه . ثم ان هؤلاء الصناع المصلحين للالات والاطعمة وغيرها لو تفرقوا آراؤهم وتنافرت طبائعهم -- تنافر طبائع الوحش -- لتبددوا وتفرقوا وتبعدوا ، ولم يتتفتح بعضهم ببعض ، بل كانوا كالوحش لا تحوبيهم مكان واحد ، ولا يجمعهم غرض واحد ، فانظر كيف ألتـف الله بين قلوبـهم ، ولو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألتـفت بين قلوبـهم ، فلا جـلـ الـأـلـفـ وـتـعـارـفـ الـأـرـوـاحـ اـجـتـمـعـواـ وـأـتـلـفـواـ وـبـنـواـ الـمـدـنـ والـبـلـادـ ، وـرـتـبـواـ الـمـسـاـكـنـ وـالـدـوـرـ مـتـقـارـبـةـ مـتـجـاـوـرـةـ ، وـرـتـبـواـ الـاسـوـاقـ وـالـخـانـاتـ وـسـائـرـ أـصـنـافـ الـبـقـاعـ .

ثم هذه المحبة مما قد تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ، وفي جبـلـ الـأـنـسـانـ الـغـيـظـ وـالـحـسـدـ وـالـمـنـافـسـةـ ، وـذـلـكـ يـؤـدـىـ إـلـىـ التـقـاـبـلـ وـالتـنـافـرـ فـإـنـظـرـ كيف سـلـطـتـ اللهـ السـلـاطـينـ وـأـيـتـهـمـ بـالـقـوـةـ وـالـقـدـرـةـ ، وـأـلـقـىـ رـعـبـهـمـ فـيـ قـلـوبـ الرـعـاـيـاـ حتى أـذـعـنـواـ لـهـمـ طـوـعاـ اوـ كـرـهـاـ .

وـكـيفـ هـدـىـ اللهـ السـلـاطـينـ إـلـىـ طـرـيقـ اـصـلـاحـ الـبـلـادـ حتـىـ رـتـبـواـ أـجـزـاءـ الـمـدـنـ كـانـهـاـ أـجـزـاءـ شـخـصـ وـاحـدـ يـتـعـاوـنـ عـلـىـ غـرـضـ وـاحـدـ يـتـفـتحـ الـبـعـضـ مـنـهـاـ بـالـبـعـضـ

ورتبوا الرؤساء والقضاة والمسجن وزعماء الاسواق، واضطروا الى الخلق الى قانون العدل، وأذن لهم التساعدو التعاون، حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد ، وكلهم ينتفعون بالحداد ، وصار الحجام ينتفع بالحارث ، والحارث بالحجام ، وينتفع كل واحد بكل واحد ، كما يتعاون جميع أجزاء البدن وينتفع بعضها ببعض .

فانظر كيف بعث الانبياء حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا ، وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الرعايا ، وقوانين السياسة في ضبطهم ، وكشفوا عن أحكام الامامة والقضاء والسلطنة ، وأحكام الفقه في المعاملات والمناكح والسياسات والحدود والجرائم ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا ، فضلا عما أردوهم اليه من اصلاح الدين .

فانظر كيف أصلح الله الانبياء بالملائكة\_الذينهم أيدى الرحمن - وكيف أصلح الله هذه الملائكة بعضهم ببعض ، الى أن ينتهي الى المقربين الذينهم أعين الله التي لاتنام ، كما قال : \* (فانك بأعيننا) \* [٤٨/٥٢] وهكذا الى أن ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله .

فالخباز يصلح الخبز ، والطحان يصلح الحب " بالطحن ، والحراث يصلحه بالحصاد ، والحداد يصلح آلات الحراث ، والنجار يصلح آلات الحداد ، وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة ، والسلطان يصلح الصناعين ، والعلماء يصلحون السلاطين ، والأنبياء يصلحون العلماء ، الذين هم ورثة الانبياء ، والملائكة يصلحون الانبياء الى أن ينتهي الى حضرة الريوبية ، ويد الله التي فوق أيديهم ، وقدرتة النافذة في جميع المخلوقات ، وسمعه وبصره وعيته التي لاتنام ، وشمس وجهه الذي هو ينبوع كل حسن ونظام ، ومطلع كل كمال وتمام ، وغاية كل حرفة وسعى واهتمام ، وغاية كل معرفة وهدایة

وعلم وكلام ، والكل من رشحات وجوده وتوابع خيره وجوده ، وهو منعم جميع النعم ، ورب الارباب وسبب الاسباب .

\* \* \*

فإذا تقرر عندك - أيها القارى لكتاب الله - هذه المقدمات ، وتأملت في هذه الاسباب المترتبة لخطة الحيوان المعروفة لأجل الانسان تاماً كاملاً، وتدبرت فيها تدبراً شافياً ، علمت بما في هذه الآية من الاشارة الى آثار حكمة الله العظيمة وبذابع لطفه واحسانه ، والاشعار بنعمة الجسيمة وامتنانه .

فقوله: «أولم يروا» استفهام معناه الامر بالنظر والاعتبار والمحث على التدبر والاستبصار في الامور التي ذكرنا شطرًا منها مما يتوقف عليها خلقة الحيوان ، لينكشف على المتأمل ان اسباب خلقته لا تتم الا بما عاملته أيدي الرحمان ، ليتمكن على قليل من شكر نعمه العظيمة ، ويهدى الى لمعة من معرفة وجوده وحكمته الجليلة .

ولولا فضله ورحمته وهدايته اذ قال: \* (والذين جاهدوا فينا الله يهم سبلنا) \* [٦٩/٢٩] لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعمته وحكمته \* (بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الاظالمون) \* [٤٩/٢٩]

ولو لاعزله اي اناعن أن نطيح بعين الطمع الى الاحاطة بكله نعمه ، وتحذيره وتحذير رسوله ايانا عن التفكير في ذاته لتشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء بكله نعمه ، وتعلمنا الى التفكير في ذاته ، وطلب الاكتئاب بحقيقةه ، لكن عز لنا بحكم القدرة ، فقال : \* (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) \* [١٤/٣٤] وحذرنا بحكم الصمدية وشدة النورية التي احتجب بها ، فقال : \* (ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد) \* [٣٠/٣] وقال نبيه المنذر صلى الله عليه وآله : «تفكروا

في الاَءِ اللَّهُ وَلَا تَنْفَكِرُوا فِي اللَّهِ » (١)

فَان تَكَلَّمَنَا فِي لَطْفَهِ وَادْنَهِ اَنْبَسْطَنَا ، وَان سَكَتَنَا فِي بُغْلَبَةِ نُورِهِ وَقَهْرِهِ انْقَبَضَنَا ،  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَيْزَنَا عَنِ الْجَاهِدِينَ لِأَنَّوْارَ الرِّبُوبِيَّةِ وَالْكُفَّارِ ، وَأَسْمَعَنَا فِي كُلِّ  
لحظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ الْعُمُرِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْاعْمَارِ نَدَاءَ الْمَلَكِ الْجَبارِ : « لَمَنِ الْمَلَكُ  
الْيَوْمُ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ » .

قوله سبحانه :

وَذَلِّلَنَا هَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكْوَبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ [٧٢]

من شواذ القراءات قراءة الحسن والاعمش : « رَكْوَبُهُمْ » بالضم ، وقراءة  
عاشرة وابي بن كعب « رَكْوَبَهُمْ » أما الركوب فمصدر على حذف مضارف ، كذلك  
وأمثاله ، ويجوز أن يكون التقدير : « فَمِنْ مَنَافِعِهَا رَكْوَبُهُمْ » كما يقول الانسان  
لتغييره : « من بر كاتك وصول الخير الي » .

وأما « الركوب » و« الركوبة » فهما مایر كب كالقتوب والقطوب ، والحلوب  
والحلوبية - لما يقتب ويحلب - وقيل : « الركوبة » جمع .

و ذَلِّلَنَا هَا لَهُمْ - اى : سخْرَنَا هَا لَهُمْ حَتَّى صَارَتْ مَنْقَادَةً ، وَلَوْلَا تَذَلِّلَهُ  
وَتَسْخِيرَهُ لَهَا وَالاَفْمَنْ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَيْهَا كَمَا قِيلَ :

يَصْرُفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ \* وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرِ (٢)  
وَتَضْرِيهِ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِيِّ (٣) \* فَلَا غَيْرُ لَدِيهِ وَلَا كِبِيرٌ  
وَلَهُذَا أَلْزَمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الرَّاكِبَ أَنْ يَشْكُرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَيُسَبِّحَ بِقَوْلِهِ : \* (سَبْحَانَ

١ - الجامع الصغير : ١٣٢/١ . وجاء ما يقرب منه عن الآئمة الموصومين (ع)

ايضا راجع التوحيد : باب النهي عن الكلام والجدال والمراء في الله : ٤٥٤ .

٢ - الخسف : الذل . والجرير : حبل في عنق الناقة .

٣ - الهراوي : العصا الضخمة .

الذى سخر لناهدا وما كان الله مقرنين) \* [٤٣ / ١٣] .  
 فمنا ركوبهم ومنها يأكلون - قسم الانعام بأن جعل منها ما يركب ، ومنها  
 ما يدبح فينتفع به لحمه ويؤكل .

## تبصرة عقلية

لما أشار سبحانه الى مبدء وجود الحيوان وغايته من ملائكة الله المكرمين واولياته الصالحين ، أراد أن يشير الى بعض منافعها العرضية وفوائدها التبعية وقد تقرر عند الحكماء في العلوم النظرية ، الفرق بين ما هو علم غائية ماهية وغاية ذاتية وجوداً ، وبين ما يتبعها - سواء كانت من الضروريات الالزامية أو من التفضلات الزائدة - وبيّنوا ذلك بأدلة موضحة وأمثلة كافية ، وحكموا بأن أفعال الله تعالى وإن لم يكن لها علمة غائية ، ولكن ذات لا يحصل منه الاشياء إلا على أتم ما ينبغي وأبلغ ما يتصور من النظام - سواء كان ضروريأً كوجود العقل للانسان والمعرفة للعقل والنبي للامة ، أو غير ضروري لكنه من التفضلات المستحسنة ، كأنباتات الشعر على الحاجبين ، وتقدير الاختصان للقدمين .-

فكم ان الماء والنار والشمس والقمر انما تفعل أفعالها - من التبريد والتسخين والتنوير - لحفظ كمالاتها ، لا لانتفاع غيرها ، ولكن يلزمها انتفاع الغير - وكذلك مقصود الأفلاك في حركاتها هي الطاعة لله والخدمة لما وراثتها ، والتشبّه بالخير الأقصى بوساطة المعاشوقات الكاملة العقلية ، فلكل منها مطاع معشوق يخصه - والا لما اختلفت الجهات والحركات - وللمجتمع انه واحد ومحبوب واحد ، يضمحل تحت نور كبارياته كل خير ومحبوب دونه ، هو الذي أدار رحاحها وبسم الله مجراتها ومرساتها ، ومطلوبها في الحركات والصلوات والركوع والسجود ، وطاعة الله وطلب التقرب منه والتشبّه بما عنده ، لا نظام

السفليات من الانسان والحيوان والنبات ، الا انها يترشح منها نظام ما دونها على ابلغ وجه وآئته ، كما قيل : « ولارض من كأس الكرام نصيب » فان الارض والارضيات مما لاقدر لها محسوساً حتى يتحرك لاجلها الفلكيات .

واما الانسان الكامل فانه وان كان من جهة جسميته حقيرأ سفلياً غاية الحقاره والسفليه ، الا انه من حيث روحه وعرفانه مما يليق أن يطوف عليه العناصر والافلاك ، ويدور حول كعبه قلبه الاجرام المعلوّة بما فيها من النقوس والاملاك لقوله تعالى : « لو لاك لما خلقت الافلاك » .

فإذا تقرر عندك ما سردننا لك ، ووضح لديك ما مهدنا لاجلك ، فاعلم أن لوجود الحيوان علة غائية هي جهة ماهية الانسان بحسب وجودها في القضاء الالهي والعالم العقلي ، وله غاية ذاتية هي ثمرة وجوده وتمامه وكماله - وهي وجود الانسان - اذ لاجله بنى العالم العنصري وخلق الاكوان ، فهو الاصل فيقصد من وجود الحيوان ، والغرض من حدوث مواد العناصر والاركان ، فهو الاول في التصور والتفكير ، والآخر في التحصيل والعمل ، وهو الباب الاصفي من خلائق عالم الاركان ، ومن فضائله وجوده خلق سائر الاكوان .

وهاهنا دقة لاينبغي الذهول عنها ، وهي ان المواد الحيوانية كلها متوجهة الى أن يحصل منها وجود الانسان - لأن وجوده كمالها وغايتها كما علمت - ولاينافي هذا المعنى عدم بلوغ أكثرها الى هذه الدرجة لما فيها من الموانع والصوارف الداخلية والخارجية الوجودية والعدمية مما يطول شرحها .

فالحيوان الكامل الواصل الى غايتها وثمرتها ، هو الذي وقع داخل ماهية الانسان من حصة حيواناته الموجودة له وفيه ، وأما غيرها فهي منقطعة السير منبته السفر - لاجل قصور قوتها - دون المرام ، وانبيات مساقتها قبل التمام . الا أنها وان تعوقت وتعطلت عن سفرها الى ذات الانسان ، لكنها بحسب

الاكثر غير موعقة ولا معطلة عن خدمة الانسان ، بل مجبولة على طاعته ، ساعية نحو الوصول الى لوازم وجوده وعوارض كونه - من الاكل ، والركوب ، والمشارب والمنافع - فغاية بعضها صيرورته غذاء الانسان ، وغاية بعض آخر كونه حاملا لغذائه ، وغاية بعض صيرورته ملائصاً لبدنه مر كوباً له ، وغاية بعض آخر كونه حاملا لما يلائق بدنـه حملا لمحمول طبيعي كالجلود والاصوات او لمحمول غير طبيعي كالاثواب وغيرها - الى غير ذلك من المنافع التي تعود الى الانسان بوجه من الوجوه مما يتعدى ذكرها جمـيعاً على التفصيل .

والغرض ان وجود الانسان هو الغاية الذاتية لوجود الحيوان وما يحتاج اليه او ينتفع به من الاكل والركوب وسائر المنافع والمشارب وغيرها - هي من الغايات العرضية لوجودـه ، او من التوابع الازمة الضرورية او غير الضرورية له ، والجميع راجعة بوجه من الوجوه الى الانسان ، لأن وجودـه غاية الاكوان وكمـال هذا العالم وأجزاءـه من الاصول والاركان .

قوله سبحانه :

**ولهم فيها منافع ومشارب أفلـا يشكرون [٧٣]**

قد أجمل الله تعالى هـيـهـنا ذـكـرـمـنـافـعـالـحـيـوـانـأـلـظـهـورـهـاـعـلـىـالـبـصـيرـالـمـتأـمـلـ وـانـغـفـلـعـنـهـاـاـكـشـرـونـ،ـوـلـهـذـاـفـصـلـلـهـاـفـيـمـوـضـعـآـخـرـبـقـوـلـهـ:ـ\*(ـوـجـعـلـلـكـمـ منـجـلـودـالـأـنـعـامـبـيـوـتـاـ)\*ـالـآـيـةـ[ـ٨ـ٠ـ/ـ١ـ٦ـ].ـ

وقوله : أـفـلـاـيـشـكـرـونـ - اي : أـفـلـاـيـعـرـفـونـ نـعـمـةـالـلـهـلـيـدـبـرـوـآـيـاتـهـ وـلـيـتـذـكـرـ اـولـواـالـأـلـبـابـ ؟ـ أـفـلـاـيـنـظـرـونـ فـيـ بـدـايـعـ حـكـمـةـالـلـهـ وـآـثـارـ قـدـرـتـهـ وـجـوـدـهـ فـيـ هـذـهـ المـخـلـوقـاتـ وـمـنـافـعـهـاـ ،ـلـيـدـبـرـوـاـ فـيـ عـظـمـةـ خـالـقـهـاـ وـصـانـعـهـاـ ،ـلـيـعـرـفـواـ ذـاتـهـ وـصـفـاتـهـ وـالـهـيـةـ وـحـكـمـتـهـ وـقـدـرـتـهـ وـلـطـفـهـ وـجـوـدـهـ ،ـ وـتـخـلـصـوـاـ مـنـ عـذـابـ جـهـنـمـ وـنـارـالـقـطـيـعـةـ

والطرد.

فمن منافعها وفوائدها التي لو نظر إليها الإنسان بعين التدبر - لا بعين الغفلة والعادة - لاكثر التعجب من حكمة خالقها ومصورها ، هي جلودها وأصواتها وأوبارها وأشعارها ، التي خلقها الله لباساً لخلقه، وأكناناً لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لشربتهم وآوعية لاغذيتهم وصواناً لأقدامهم ، كما جعل ألبانها ولحومها أغذية لهم.

ومن فوائدها جعل بعضها زينة للركوب ، وبعضها حاملة للاثقال وقطاعة للبواudi ، إلى غير ذلك من آثار نعم الله الجليلة والحقيقة فيها ومنافعها الكثيرة التي خلقت لاجلها ولاجل غيرها .

ومعظم منافعها أنها مواضع حكمة الله لمن تدبر فيها ، ومحال الشكر على نعم الله لمن قدر على الشكر له ، وإنها أسباب اهتمام الإنسان إلى معرفة خالقه ورازقه اذا نظر وتأمل في دقائق النعمة وبدائع الصناعة المودعة فيها ، فعلم من آثار اللطف والرحمة على ما قضي العجب من الحكمة ، حاماً الله الباريء المحكيم وشاكرأ على نعماء الجواب الرحيم ، حسبما أمر به وحث عليه بقوله : «أفلا يشكرون» .

\* \* \*

ومن نظر في خلقة واحد صغير من الحيوانات لعلم من صنائع جود الله وآثار حكمته فيه ما يعجز عن وصفه ويكل عن الاحاطة به ، اذ مامن حيوان - صغير ولا كبير - الا وفيه من العجائب ما لا يحصى ، بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقعة أو النملة او النحل او العنکبوت - وهي من صغار الحيوانات - في بناء بيتها ، وفي جمع غذائها ، وفي الفها لزوجها ، وفي ادخارها لنفسها ، وفي حذقها في هندسة بيتها ، وفي هدایتها الى حاجتها لم نقدر .

فانظر الى النحل ومسدساتها ، والى اهتدائهما وتقطّنها بحى الله اليها في اتخاذ بيوتها من الجبال ومن الشجر و مما يعرشون ، ثم اهتدائهما الى بناء بيوتها على وضع الاشكال المناسبة لابدانها ، وحيث لم يمكن في أفضل الاشكال ترافقى (ترافقى - ن) بعضها لبعض من غير فرجة وفصل تحررت من الاشكال الى ماهي الاشيء بالاستدارة . وهي المسدسات - لكون مساحتها كمساحة الدائرة ، حاصلة من تربيع نصف قطرها في نصف محيطها ، وليس غير المسدس من المضللات هكذا ، فسبحان من هداها من المعرفة والقياس ما لم يصل اليها فهم كثير من الناس .

ثم انظر الى العنكبوت ومثلثاته على طرف نهر او باب ، كيف يطلب أولا فرجة بين موضعين متقاربين بمقدار ذراع ، حتى يمكنه أن يصل بالخيط المعا بي بين طرفيه ، ثم يبتدئ فيلقى لعابه الخيطي الى جانب فيلتصق به ، فيعود الى الجانب الآخر ، فيحكم الطرف الآخر من الخيط ، ثم يحكم كذلك ثانية وثالثا ويجعل بعد ما بينها تناصباً هندسياً حتى اذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط كاللحمة اشتغل بالتسديد ، فيضيف السدى الى اللحمة ويحكم العقد على موضع التقاء السدى باللحمة ، ويرعى في جميع ذلك تنااسب الهندسية ، ويجعل كذلك شبكة لاصطياد البعير والذباب ، ويقعد في زاوية متراصة لوقوع الصيد في الشبكة ، فإذا وقع بادر الى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك ، طلب لنفسه زاوية من حائط ، ووصل بين طرفيه في الزاوية بخيط ، ثم علق نفسه منها بخيط آخر وبقي متسلكاً في الهواء ينتظر ذبابة تطير ، فإذا طار ذباب رمى نفسه اليه ، فأخذه ولف " خيطه على رجله وأحكمه ثم أكله .

أفترى انه يعلم هذه الصنعة من نفسه ؟ او كونه آدمى او علمه ؟ او لا هادى له ولا معلم ؟ أفيشك ذو بصيرة في أنها مسكنة عاجزة ضعيفة ؟

بل الفيل العظيم بشخصه ، الظاهر قوته ، عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان  
الضعيف ، أفلايشهد هو وشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته  
بفاطره الحكيم ومدبره العليم ؟

فال بصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة المخلوق المرشد الخبير ،  
وجلاله وكمال قدرته ما يتحير فيه الآباب والقول ، فضلاً عن سائر الحيوانات  
من الانعام وغيرها ، وإنما سقط تعجب القلوب منها لانسها ببشرة المشاهدة .

\*     \*     \*

والإنسان أعجب الحيوانات ، وأعجب كل عجيب ، وليس يتعجب من نفسه  
وأكثر الناس ناسون أنفسهم ، غافلون عن عجائب القلب ، شاكرون في أمر  
المجاد وبقاء النفس وسعادة هاوشقاوتها ، لأنهم عن الذكر لمبعدون ، وعن السمع  
لمعزوون ، وعن آيات ربهم معرضون ، لأنهم غرتهم الحياة الدنيا ، ليسوا  
من أهل المحبة الالهية .

ولو أنك تعظم عالماً بسبب معرفتك بعلمه ، فلاتزال تطلع على غرائب  
شماله وآثاره ، وصنائعه البدعة ونكاته الدقيقة ، وتصانيفه الرشيقه وأشعاره الحسنة  
وكتبه النفيسة ، فكلما تصفحت غريبة من تصانيفه وشعره ، فتزداد به معرفة  
وتزداد بها محبة ، وله توقيراً وتعظيماً واحتراماً ، حتى أن كل كلمة من كلاماته  
وكل بيت من أبيات شعره يزيده محلاً في قلبك و يستدعى التعظيم له من  
نفسك .

فهكذا المحبون لله ، العاشقون لصنعته وقدرته ، يتأملون في بدايع خلق  
الله وتصنيفه ، ويتدبرون في دقائق حكمه الله وعجائبه في وجود السموات والارض  
وما بينهما ، ثم اعلم ان نظر العشاق الالهيين في كل شيء نظر آخر ، لأن عيونهم  
مكحلة بسواد الزبر الموروثة من الانبياء ، وبصائرهم منورة بأنوار متابعة سيد

الرسل -- عليه وآلـه الصلوة والـدعاة -- و كلما نظروا فيه بعين التوحيد نظر غيرهم بعين التفرقة، وكلما ينظر فيه الطبيعي او الطبيـب ويكون سبب ضلالـهم وشقاوـتهم ، يـنظر فيه المـوحـد المـوقـق ويـكون سبـب هـدايـته و سـعادـته . وما من ذرة في السـماء والـأرض والـبـر والـبـحـر الا والله يـضـلـ بها من يـشـاء ، وـيـهـدىـ من يـشـاء فـمـنـ نـظـرـ فـىـ هـذـهـ الـأـمـرـ مـنـ حـيـثـ اـنـهـاـفـعـلـ اللهـ وـصـنـعـهـ وـأـثـارـ مـنـ آـثـارـ وـجـوـدـهـ وـكـرـمـهـ وـالـهـيـةـ اـسـتـفـادـ مـنـهـاـ الـمـعـرـفـةـ وـاهـتـدـىـ ، وـمـنـ تـأـمـلـ فـيـهاـ قـاصـرـاـ لـلنـظـرـ ، مـنـ حـيـثـ لـهـاـ طـبـيـعـتـهاـ الـجـزـئـيـةـ وـغـايـتـهاـ الـقـرـيبـةـ ، وـمـنـ حـيـثـ يـؤـثـرـ بـعـضـهاـ فـيـ بـعـضـ لـامـنـ حـيـثـ اـرـتـبـاطـهاـ بـمـسـبـبـ الـأـسـبـابـ حـتـىـ يـكـونـ طـرـيـقـاـ مـنـ طـرـقـ الـارـتـقاءـ إـلـىـ فـاطـرـ الـمـاهـيـاتـ فـقـدـ شـقـىـ وـتـرـدـىـ -- فـنـعـوذـ بـالـلـهـ مـنـ الصـلـالـ وـنـسـتـلـهـ أـنـ يـجـنـبـنـاـ مـزـلـةـ أـقـدـامـ الـجـهـالـ بـمـنـهـ وـفـضـلـهـ .

قوله سبحانه :

واتخذوا من دون الله آلهـةـ لـعـلـهـمـ يـنـصـرـونـ [٧٤]  
لا يـسـطـعـونـ نـصـرـهـمـ وـهـمـ لـهـمـ جـنـدـ مـحـضـرـونـ [٧٥]

لـما ذـكـرـ لـمـعـةـ مـنـ شـوـاهـدـ الـهـيـةـ وـدـلـائـلـ تـوـحـيـدـهـ وـعـظـمـتـهـ وـقـدـرـتـهـ ، الـمـوجـبةـ لـلـاهـتـدـاءـ إـلـىـ طـرـيـقـ مـعـرـفـتـهـ وـعـبـودـيـتـهـ وـشـكـرـ نـعـمـتـهـ ، أـشـارـ إـلـىـ سـقـوـطـ درـجـةـ النـازـلـيـنـ إـلـىـ مـهـوـيـ الـهـوـيـ وـالـهـوـانـ ، الـهـابـطـيـنـ فـيـ مـهـبـطـ الـخـرـزـيـ وـالـخـسـرانـ ، وـهـمـ الـذـيـنـ اـتـخـذـواـ مـنـ دـوـنـهـ الـلـهـ يـعـبـدـونـهـ لـكـيـ يـنـصـرـونـهـمـ وـيـدـفـعـوـاـ عـنـهـمـ عـذـابـ الـلـهـ ، وـبـيـتـنـ فـسـادـ جـهـلـهـمـ الـذـيـ هوـ أـصـلـ كـفـرـهـمـ وـشـرـكـهـمـ بـأـنـ هـذـهـ الـآـلـهـةـ الـتـيـ اـعـتـقـدـوـهـاـ وـاتـخـذـوـهـاـ آـلـهـةـ وـعـبـدـوـهـاـ لـيـتـقـوـاـ (ـلـيـتـقـرـبـوـاـ -ـ نـ)ـ بـهـاـ وـيـعـتـصـدـوـاـ بـمـكـانـهـاـ لـاـ يـقـنـدـرـ شـيـءـ مـنـهـاـ عـلـىـ نـصـرـهـمـ وـلـاـ يـسـطـعـ الـذـبـ عـنـهـمـ ، بـلـ الـأـمـرـ عـلـىـ عـكـسـ

ما قدروا وتصوروا ، حيث هؤلاء من خدام آلهتهم محضرون معدون لخدمتها يخدمونها ويذبون عنها ويغضبون لها كالجنود والاعوان .

وبهذا جرى حكم الله وقضائه باستيلاء الدواعي الباطلة على نفوس هؤلاء البطالين الجهلة ، لمصلحة قدرية وحكمة قضائية تعلقت بطاعتهم وخدمتهم لهذه الاصنام ، وعيوديتهم لهذه التماثيل المنصوبة من الاجسام أو الاصنام أو غيرها ، لمشاركة المجهولة وموت القلب ، واتفاق الجنسية والظلمة والخسة والدناءة (١) .

وعن بعضهم : معناه : اتخاذهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم ، والامر خلاف ما توهموا ، حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم ، محضرون لعذابهم ، لأنهم يجعلون وقوداً للنار .

وعن الجبائي : ان معنى قوله تعالى : «وهم لهم جند محضرون» ان هذه الالهة معهم في النار محضرون ، لأن كل حزب مع ماعبده من الاوثان في النار فلا الجندي يدفعون عنها الاحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب . وهذا كما قال تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم .

## مكاشفة قرآنية

اعلم هداك الله طريق معرفته وعيوديته ، ان كل من أحب شيئاً محبة فنسانية أو اعتقاد معبوداً حصر الالهية فيه من المعتقدات المخالفة لما هو الحق في ذاته

١- وما قلت في وصفهم :

با اهل صور معانى خام به بين منصب منكر جمعيت عام بين (منه - ره

اجساد بشر نفوس انعام به بين گرچه خشب مستند گفت ایزد

فهو بالحقيقة مشرك عابد للصنم - سواء كان صنمه صورة موهومة أو شبحاً محسوساً - وقد مر انه لا يعتقد معتقد من الممحجوين الذين جعلوا الله منحصراً في صورة معتقدهم فقط الا بما جعل في نفسه وتصوره بوهمه ، فان الله من حيث ذاته متّزه عن التعين والتقييد، وبحسب أسمائه وصفاته له ظهورات في صور مختلفة ، فكل من أحب غير الله كحب الله ، فلم يكن أهلاً لمحبة الله مخلصاً ، بل طرده العزة والغيرة الالهية الى محبة الانداد واتخاذ ما هوا دون الله ، سواء كانت الاهل والأولاد والاحجار والاجساد .

وتحقيق ذلك ان كل محبة لشيء فهو عبودية له ، والمحبة نوعان: محبة هي من صفات النفس الإنسانية ، وهي من هوى النفس الامارة بالسوء - ومحبة هي من صفات الحق - وهي محبة المعرفة والحكمة - كما في قوله تعالى: «كنت كنزاً مخفياً فأحبيت أن اعرف فخلقت الخلق لاعرف» فكما أن محبوب الحق كونه معروفاً، فمحبوب أهل الله كونهم عارفين له، كما أشار إليه قوله: \* (يحبهم ويحبونه) \* [٥٤/٥] فمن وكل الى محبته النفسانية تعلقت ثم بنته بما يلائم هوى النفس وشهواتها - من الاصنام وغيرها - .

فكم ان الكفار بعضهم يحبون الالات ويعبدونها ، وبعضهم يحبون العزي ويعبدونها ، كذلك أهل الدنيا بعضهم يحبون الاموال ويعبدونها ، وبعضهم يحبون الارواح ويعبدونها ، كما قال تعالى : \* ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) \* [٢/١٦٥] ولقد حذر الله تعالى الخلق عن فتنة هذه الاشياء وأعلمهم عداوتها بقوله: \* (انما اموالكم واراداتكم فتنه) \* [٦٤/١٥] وبقوله: \* ( ان من ازواجكم واراداتكم عدوا لكم فاحذروهم) \* [٦٤/١٤] يعني : فاحذروا عن محبتهم ، لأنها عدو لكم يمنعكم عن محبة الله ، -- وهو الحبيب الحقيقي والمقصود الاصلي - وانهم العدو .

فمن أحب الله ينظر الى ماسواه من حيث هو ماسواه بنظر العداوة، كما كان حال الخليل عليه السلام فقال : \* (فانهم عدو لى الا رب العالمين) \* . [٧٧/٢٦]

ومن كان في الازل أهلاً لمحبة الله وعبوديته فما وكل الى المحبة النفسانية الشيطانية، بل جذبته العناية الازلية ونظمته في سلك الكناية من قول «يحبهم» فيتجلّى لهم بصفة المحبة، فانعكسست تلك المحبة لمرائى قلوبهم، فبتلك المحبة يحبونه، فلا تتعلق تلك المحبة بغير الله، لأنها فائضة من عالم الوحدة فلاتقبل الشركة، كما قال تعالى : \* (والذين آمنوا أشد حباً لله) \* [١٦٥/٢] ولو أحب غيره لاحبه من حيث كونه ولیاً له، نبياً مبعوثاً من حضرته، أو كتاباً نازلاً من عنده، او امة فانتأً لله .

ولأن الاعداء - كأهل الدنيا - أحبوا الانداد بمحبة فانية نفسانية، والاحباء أحبوا الله بمحبة باقية أزلية ، فلامحالة لما تقطعت بالموت عنهم هذه الاسباب ورأوا مبادي العذاب، يتبرءون أهل هذه المحبة الفانية بعضهم عن بعض ، كما قال تعالى : \* (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب) \* [١٦٦/٢] ويكون حاصل أمرهم الفرقه و العداوه والتبرئي، كقوله : \* (ياليت بيبني ويبنيك بعد المشرقيين فبئس القرىن) \* [٤٣/٣٨] وقوله : \* (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) \* [٤٣/٦٧].

اذا تحققت ما ذكرناه وفهمت ما مهدناه فاعلم ان المراد من قوله : «واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون» هو اتخاذ ماسوى الله للمحبة النفسانية التي ترجع الى عبادة الصور الوهمية ، اذ من أحب غير الله فهو لا يزال يعبده ويخدمه ويتوصل اليه، ويتحرى الطريق الى وصلته ، والتقرب منه والاتحاد به، ويتصور أن الوصول اليه يستلزم النصرة له، ويدخل السرور في قلبه، ويوجب

له اللذة الوفرة والسكنون والراحة والطمأنينة .

وهذا حال أكثر الناس في المستلزمات الحسية، مثل الأهل ، والمال، والولد، والجاه، والرفة، والاشتهر، والصيت، ونقرب الملوك والسلطين، وهذا حال من يتولى الشياطين ويحب أهل الملل الباطلة وأصحاب الأديان الفاسدة، وكذا كل من يعتقد شيخاً واماً تعصباً وافتخاراً لامن جهة المحبة اليمانية والمحبة الالهية وطلب الاهتداء بالله وتحصيل المعرفة واليقين ، فان الجميع متخدون من دون الله آلهة عابدون ايها، لاغترارهم بظنونهم الفاسدة ان هذه الالهة الباطلة ينصرونهم من دون الله .

و ذلك لجهلهم بالمعارف الحقة ، واعراضهم عن ذكر الله والتذرير في آياته وأفعاله، كما في قوله تعالى :\*(بل هم عن ذكر ربهم معرضون\* أَمْ لَهُمْ آلهةٌ تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصيغون\* بل متّعنا هؤلاء بأبائهم حتى طال عليهم العمر)\* [٤٤/٢١] ومن عرف الله وعرف صفاتاته وأفعاله، ونظر إلى الأشياء بانتظار التوحيد الأفعالي، يقول لهؤلاء المتخددين غير الله مخدومين معبودين : «اف لكم ولما تعبدون» ويعلم أن لا هادي ولا معطي إلا الله، وأن لا يستطيع أحد نصره إلا الله، ولا يشفع له شفاعة إلا باذن الله، كما قال تعالى :\*(لا يستطيعون نصرهم)\* وقوله :\*(من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه)\* [٢٥٥/٢].

\* \* \*

واما قوله :\*(وَهُمْ لَهُمْ جَنْدٌ مَحْضُورٌ)\* فيحتمل أن يراد به أن عبادة الهوى وأحبياء الشهوة والدنيا يتخدون الأهل والأولاد والأحفاد والعبيد والخدم أحباء من دون الله بمحبة فانية نفسانية، ويعتقدون أن هذه خدام لهم وجنود وعونان ينصرونهم - وهذا حال كل من طلب الدنيا وذهل عن الآخرة ونسى

ذكر الله - .

ولايعلم المسكين الممسخـر للشيطان المسحور بسحر الدنيا، أن الشيطان  
البعين سخر عقله واستخدمه، وجعله رهين الشهوات وعرضة الbillات والافات  
وصيره دائمـاً مشعوفـاً بتحصيل الاسباب وطلب المناصب والمهماـت وجمع  
الذخـائر والأموـال، ومشغولاً بالسعـي والمـكـد والتـعب والـقـيل والـقال، ومعارضـة  
الاعـداء والحسـاد، والمـجـادـلة معـ الخـصـمـاء والـأـنـدـاد ، وارتكـابـ المـخـاطـرـ وـ  
الـأـهـوـالـ، وقطعـ المـفـاـوزـ والـبـوـادـيـ البعـيـدةـ ، وركـوبـ الـبـحـارـ المـهـلـكـةـ، حتىـ  
يـهـلـكـهـ فـيـ أـىـ وـادـ أـرـادـ، ويـجـعـلـهـ جـسـراـ يـعـبرـ بـهـ أـهـلـ الشـهـوـاتـ فـيـ طـلـبـ المرـادـ  
وطـرـيقـاـ إـلـىـ جـهـنـمـ وـبـشـسـ المـهـادـ .

ومن نظر بعينـ الحـقـيـقـةـ يـعـلمـ أنـ لاـ حـاـصـلـ لـهـ فـيـ هـذـاـ المـحـنـ الشـدـيـدـ وـلاـ  
طـائـلـ تـحـتـ هـذـهـ المـسـاعـيـ الـكـثـيرـ، وـلـافـيمـاـ يـتـعـلـقـ بـهـ الاـ اـنـهـ صـارـ بـحـسـبـ التـقـدـيرـ  
وـسـيـلـةـ لـانـ يـنـتـظـمـ أـحـواـلـ شـهـوـاتـ جـمـاعـةـ اـرـتـبـطـتـ شـهـوـاتـهـ بـسـعـيـ هـذـاـ الـاحـمـقـ  
الـسـفـيـهـ، وـاـنـتـظـمـتـ أـرـزـاقـهـ يـكـدـهـ وـارـتـبـاطـهـ، فـعلـىـ التـحـقـيقـ هوـ منـ جـمـلـةـ خـدـامـ  
الـقـوـىـ الشـهـوـيـةـ وـالـغـضـيـبـيـةـ لـهـذـهـ المـسـمـيـاتـ بـالـأـهـلـ وـالـعـبـيدـ ، وـالـخـدـمـ وـالـجـنـودـ،  
لـأـنـهـ عـبـيدـ وـخـدـمـ وـجـنـودـ، الاـ أـنـ هـذـاـ الـاحـمـقـ وـكـثـيرـ مـنـ الـحـمـقـيـ - الـذـينـ  
عـقـولـهـمـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـتـبـةـ - يـزـعـمـونـ أـنـ أـمـثـالـهـمـ وـمـنـ هـوـ فـيـ مـرـتبـهـمـ مـخـادـيمـ وـ  
الـمـتـعـلـقـوـنـ بـهـمـ أـتـيـاعـهـمـ وـجـنـودـهـ .

ولـماـ كانـ هـذـاـ منـ الـاغـلـاطـ الـفـاحـشـةـ الشـایـعـةـ بـيـنـ الـاـنـاـمـ أـرـادـ اللـهـ انـ يـكـشـفـ  
عـنـهـ وـأـزـاحـهـ عنـ الـاوـهـامـ فـقـالـ : «وـهـمـ لـهـمـ جـنـدـ مـحـضـرـوـنـ» وـسـبـبـ ذـلـكـ أـنـ هـذـاـ  
الـعـالـمـ عـالـمـ الـاـنـتـكـاسـ وـالـاـنـعـكـاسـ ، يـرـىـ فـيـهـ الخـادـمـ مـخـدـومـاـ وـالـفـقـيرـ غـنـيـاـ، وـالـنـارـ  
نـورـاـ وـالـظـلـ حـرـوـرـاـ، وـالـقـبـحـ حـسـنـاـ، وـالـحـسـنـ قـبـحـاـ، وـالـمـوـتـ حـيـوـةـ وـالـحـيـوـةـ  
مـمـاـ، وـالـدـلـلـ لـذـةـ، وـالـنـاظـرـوـنـ بـعـيـنـ الشـهـوـاتـ وـالـمـعـرـفـةـ يـرـوـنـ بـوـاطـنـ الـاـمـوـرـ وـ

يشاهدون اشتغال الخلق بطلب ما هو سبب النكال والوبال ويتعجبون من شعفهم بصحبة الموزيات ، وسعدهم في خدمة العقارب والحيات ، وتسمية لهم لها من الحظوظ واللذات، وطاعتهم المكلا布 والذئاب وعدّهم لها من جملة الأصحاب والاحباب، ويشاهدون عجائب عديدة وغرائب كثيرة :

منها : أن رجلاً يعيش في قعر بئر مظلم في مزبلة، عليها سmad طرية، (١) وجيف منقنة، يأكل الدم والصديد والقادورات، ويشرب الحميم والزقوم، وأكثر طعامه من غسلين وشرابه من أبوالحيوانات، ويعاشر مع امرأة قبيحة منقنة ركيكة مريضة، عليها اوجاع وجراحات لاتحصى ، ويتغنى الرجل في جلود غير مدبوغة بالحان غير موزونة، يصف بها حسن امرأته، وهو بنفسه يضرب الدف ويرقص فرحاً ويستل الله أن يثبته على هذه الحالة أبداً .

ومنها : ان رجلاً ضعيفاً عاجزاً به أمراض وجراحات ومحن لاتحصى في خربة من المغاردة [المغاردة -ن] المنقوشة ، يدعى أن تلك الخربة عمارات ، وتلك الجراحات راحات، وتلك النقوش والصور خدمه وحشمه ، وهو ملك عظيم قد يفعل ما يشاء ، وبيده ملوكوت الاشياء وعنه حقائق الانباء . فأنتبه يانائم ، واستقم ياهائم ، واعتصم بحبل الله المتيين ليصعدك من مهوى عالم الشياطين - العارفين بعلم السيماء ، القادرین على ارائة الاشياء لا على ما هي عليها - لعلك تنجو من عذاب أليم وتصل الى الرضوان والنعيم .

قوله سبحانه :

فلا يحزنك قولهم أنا نعلم مايسرون ومايعلنون [٧٦]

قرىء «فلا يحزنك» - بفتح الياء - من «حزنه» وبضمها من «أحزنه» .

١- السmad: ماتصلح به الارض من العذرة والزبل ليجود نباته .

وَقَرِئَ «أَنْتَ» -- بفتح الهمزة -- وَلَا ضِيرٌ فِيهِ كَمَا تُوْهِمُ، لَأَنَّهُ إِمَامًا عَلَى  
حَدْفِ لَامِ التَّعْلِيلِ وَهُوَ شَاعِرٌ فِي الْقُرْآنِ وَالْمَحْدِيثِ، وَقِيَاسٌ مُطْرَدٌ فِي الْكَلَامِ  
دَائِرٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْفَصِحَّاءِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَاهُ وَمَعْنَى «أَنَا» -- بِالْكَسْرِ --  
وَاحِدًا، وَكَذَلِكَ فِي التَّلْبِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْحَمْدَ  
وَالنِّعْمَةَ لِكَ» رُوِيَ بِعِضُّهُمُ الْكَسْرُ فِي «أَنْ» وَبِعِضُّهُمُ الْفَتْحُ فِيهَا، وَالْمَعْنَى  
لَا يَتَغَيِّرُ، لَأَنَّ كُلَّا هُمَا تَعْلِيلٌ وَإِمَامًا عَلَى أَنْ يَكُونَ بِدَلَالًا مِنْ «قَوْلِهِمْ» كَأَنَّهُ قِيلَ: «فَلَا  
يَحْزُنكَ أَنَا نَعْلَمُ مَا يَسِّرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ» وَهَذَا الْمَعْنَى مُحْتَمَلٌ مَعَ الْكَسْرِ إِيْضًا أَذْ  
جَعَلَتِ الْجَمْلَةَ مَفْعُولَةً لِلْقَوْلِ.

وعلى أي الوجهين - من الكسر والفتح - فالمعنى المختار هو انه لا يحزنك  
قولهم، ولا يهمك تكذيبهم واداهم وجفاؤهم، فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم  
وما يعلمنون من انكارهم ، فنحن مجازون ايهاهم عليهما ، فحق مثلك أن يتسلى  
بهذا الوعيد لاعدائه ويستحضر في نفسه صورة حاله في الدنيا وحالهم في الآخرة  
حتى يرتفع عندهاهم ، او يتصور صورة حاله في الآخرة وحالهم في الدنيا  
كيلا يرهقه الاحزان .

فتعلى الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا يدوران على كسر «ان» وفتحها  
كما توهם ، وإنما يدوران على التقدير ، فان<sup>٢</sup> فتحت «أن» فتقدّر معنى التعليل  
ولاتقدر البدل ، وإذا كسرتها فتقدّر التعليل ولاتقدر المفعولية ، حتى تنجو من  
المعنى المعطى لل欺ر باعتقادك ، على أن نهى رسول الله صلى الله عليه وآله  
عن الحزن على كونه تعالى عالماً بسرهم وعلاينتهم ليس مما يوجب شيئاً نكراً  
ولكن من قبيل قوله : \* (فلاتكونن ظهيراً للمكافرين) \* [٢٨/٢٦] \* (ولاتكونن  
من المشركين) \* [١٠٥/١٠] \* (ولاتندع مع الله الها آخر) \* [٢٨/٨٨]

## أولم يرالانسان اننا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين [٧٧]

لما أشار سبحانه الى مخاصمة اعداء الدين لسيد المرسلين وتكذيبهم ايام ما أتى به من الآيات البينات ، وما اندر به من امور الآخرة والقيمة والبعث والحضر ، وذكر ما يتسلى به الرسول صلى الله عليه وآله ، فأراد أن يشير الى تقبیح انكارهم للحق ، ومخاصمتهم للرسول ، وتكذيبهم للبعث بأبلغ وجهه وأشنع صورة ، وأول دليل على غيتهم وضلالهم وتمادي كفرهم واصرارهم ، وأعدل شاهد على جحودهم للنعم والابادي ، وعقوفهم برعنون عليهم واحسانه وتغلغلهم في الخسنة والدنائة ، وتوغلهم في المذلة والرداة ، حيث قرر ذلك بأن عنصرهم الذي خلقهم منه أحسن شيء وأمهنه ، وهو النطفة القدرة المذرة المنتنة ، المخارجة من الاحليل – الذي هو فقناة التجasse – .

ولقد ذكر الله ذكر النطفة التي منها بدء خلقة الانسان في مواضع كثيرة من القرآن، ليتفكر أنه من أي شيء خلقه الله، ولتلainنسى ذاته ويفعل عن شكر منعمه وخالقه المعبد ، الذي خلقه من اوهن مادة وأنجس طينة ، وشرفه بكسوة هذا الوجود ، وصوره في أحسن صورة وتقويم ، فقال : \* (قتل الانسان ما أكفره) \* من أي شيء خلقه \* من نطفة خلقه فقدرها \* ثم المسبيل يسرره \* ثم أماته فاقبره \* ثم اذا شاء أنشره) \* [٨٠/٢٢] وقال في موضع آخر : \* (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) \* [٣٠/٢٠] وقال ايضاً : \* (ألم يك نطفة من مني يمني) \* [٧٥/٣٧] الى غير ذلك من الآيات .

\*     \*     \*

فذكر ير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس بمجرد سماع لفظها ترك التفكير

في معناها ، بل لينظر الانسان الى النطفة التي منها بدء خلقه ، فيعلم انها مادة قدرة لو تركت ساعة ليضر بها الهواء فسدت وتفتت ، وتفكير في أنها كيف أخرجها ربها رب الارباب من بين الصلب والتراثب ، ولو لاعنايته وجوده في حق هذا المولود فمن الذي أخرجها ونقلها في أطوارها ، ثم في أنه كيف جمع بين الذكر والانثى وألقي المحبة بينهما ، بل كيف جمع بين الاجداد والجدات وألقي المحبة بينهم والالفة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى هذا الاجتماع .

ثم كيف استخرج النطفة عن الرجل بحركة الواقع ، وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعها في الرحم ، ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بدم الحيض وغذاه حتى نما وتربي وكبر ، وكيف جعل النطفة وهي بيضاء علقة حمراء ، ثم كيف جعلها مضيئة ، ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة ومتتساوية الى العظام والاعصاب والعروق والأوتار واللحم ، ثم كيف ركب من اللحم والعظم والاعصاب والعروق وغيرها من اعضاء الظاهرة المتتشكلة بأشكال مختلفة ، فدور الرأس وشق السمع والبصر وسائر المنافذ ، ثم مد اليدي الرجل وقسم رؤوسها بالاصابع ، وقسم الاصابع بالانامل ، ثم كيف ركب اعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء ، كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مشخص لعمل معين ثم كيف قسم كل عضو من هذه اعضاء بأقسام : فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئه مخصوصة لفائدة معينة بحيث لوفقدت طبقة منها او زالت عن موضعها ووصفتها لعطلت العين .

فلو ذهبنا نصف في آحاد هذه الاعضاء وأقسامها وأقسامها وفواتتها وغياباتها لانقضت الاعمار دون وصف عشر عشر من الاعشار .

فقد عجب الله تعالى من حال من كان أوله وأصله على هذه المهانة والخسدة

ثم يتصدى لمخاخصة من ربّاه وانماه وأعطاه كسوة بعد كسوة، وصورة غبّ صورة وحرسه عن الآفات وصانه عن المفسدات والمهملkat ، وأخرجه من ظلمات ثلاث الى فضاء العالم ورزقه من الطيبات ، ورقاه من طور الى طور ومن حال الى حال ، الى أن كمل عقله وصار مكملاً فيتصدى لمخاخصة العجبار ويبرز المجادلة للعزيز القهار راكباً متن الباطل ، متلبساً لباس اللجاج والعناد ، ذاهباً طريق الجاهلية الاولى ناكصاً على عقيبه ، راجعاً الى المنزل الادنى .

فهذا غاية شدة السفاهة والقباحة ، ونهاية الخسنة والوقاحة ، حيث خاصم مثل هذا الخسيس الادنى لمثل ذلك العلي الاعلى بعد سبق هذه العطایا المتوافرة والنعم المتکاثرة في أمر الهداية الى طريق السعادة ، وانذار رسول مبلغ مرسل من قبله من أعلى عليين الى هذا الذليل المهين ، الواقع في أسفل الساقفين ، ليهديه ويرشده هذا الناصح ويهذبه ويخلصه من مهوی الشياطين ، وينجيه من عذاب أليم ويعرج به الى الدرجات العلي في جوار رب العالمين، فيكذب رسوله ويؤذيه ويستهزئ به ويمده في طغيانه وجهله وعناده واستكباره وانكاره ليوم الدين .

فما أتعجب هذا الطغيان ! وما أشنع هذا الكفران ! وما أنزل صاحبه في مهوی الخسنة والهوان ! وما بعده من رحمة الغفور الرحمن !

### نكتة فرقانية في كرامة نبوية

ومما يخطر بالبال في سياق هذه الآية واتصالها بما سبق انه قد سلى سبحانه في الآية السابقة لرسوله صلى الله عليه وآلـهـ من مخاخصة أعدائه وتكذيبـهمـ ايـاهـ واعلانـهمـ مخاخصـتهـ واصـمارـهمـ معـادـاتهـ بـاـنـاـ نـعـلـمـ ذـلـكـ ، وـمـنـ عـلـمـ بـمـاـ يـصـلـ إـلـىـ حـبـيـبـهـ منـ خـصـمـائـهـ وـأـعـدـائـهـ منـ الـأـذـاءـ وـالـجـفـاءـ - ظـاهـرـةـ وـبـاطـنـةـ ، اـعـلـانـاـنـاـ وـأـسـرـارـاـ - وـهـوـ قـادـرـ عـلـىـ مـجـازـهـمـ وـتـعـذـيـبـهـمـ وـإـلـامـهـمـ ، فـمـعـلـومـ ثـابـتـ انهـ يـجـازـيـهـمـ بـأـبـلـغـ

الجزاء ويعاقبهم بأشد العقاب.

ثم ما اكتفى بهذه التسلية العظيمة التي جررت بها عادة المحبين في تسلية محبوبיהם من خصومة الاعادي، حتى جعل خصوم الحبيب خصومه، وأخذ موبخاً لهم في هذه الخصومة، مقبحاً لهم بأبلغ وجه وآكده، فان قوله : «فإذا هو خصيم مبين» انما وقع موقع الامر العجيب في الركاكة والقبح اذا كان خصومته مقيسة الى من خلقه من أصله الخسيس، ورباته وقواه الى أن صار رجلاً مميزاً منطيفاً ، فإذا هو بعد ما كان ماءً مهنياً صار خصيماً مبيناً – يفعل الخصومة مع خالقه وربه .

فإذا كانت خصومته في أمر المعاد مع خالقه الذي خلقه من أحسن المواد وشرفه على جملة المكونات من الحيوان والنبات والجماد، وكان مبتدا الكلام في مخاصمتهم وتکذیبهم للرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم ، فقد دل السياق على أن الخصومة مع الرسول صلى الله عليه وآلـه هي بعينه الخصومة مع الله وكان على وزان قوله تعالى: \* (ان الذين يبایعونك انما يبایعون الله)\* [٤٨/١٠] ونظائر ذلك.

قوله سبحانه :

وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِي خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ [٧٨]

روى ان جماعة من كفار قريش منهم أبي "بن خلف الجهمي وابوهاب" (١) والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك، فقال واحد منهم: «ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات؟ - ثم قال: - واللات والعزى لا صيرن اليه ولا خصمته» وأنخذ عظيماً بالآية فجعل يفتئه بيده و يقول: «يامحمد أترى

١ - في الكشاف : ابو جهل .

الله يحيى هذا بعد مارم؟ » قال صلى الله عليه وآلـه وسلم: «نعمـ ويعثـكـ ويدخلـكـ جـهـنـمـ» .

واختلفـوا فـى القـائلـ، فـقـيلـ: هو ابـي بنـ خـلـفـ – عنـ قـاتـادـةـ وـمـجـاهـدـ، وـهـوـ المـرـوـىـ عنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ الصـادـقـ عـلـيـهـ السـلـامـ – (١)ـ وـقـيلـ: القـائلـ هوـ العـاصـ بنـ وـائـلـ السـهـمـيـ – عنـ سـعـيدـ بنـ جـبـيرـ – وـقـيلـ: امـيـةـ بنـ خـلـفـ – عنـ الـحـسـنـ .

\* \* \*

وتسمـيةـ اللـهـ قـولـهـ: «منـ يـحـيـيـ الـعـظـامـ وـهـيـ رـمـيمـ»ـ مـثـلاـ يـحـتـمـلـ وـجـوهـاـ:ـ أحـدـهـاـ:ـ اـنـهـ ضـرـبـ الـمـثـلـ فـيـ انـكـارـهـ الـبـعـثـ بـالـعـظـمـ الـبـالـيـ وـفـتـهـ بـيـدـهـ وـيـتـعـجـبـ مـمـنـ يـقـولـ «انـ اللـهـ يـحـيـيـهـ»ـ وـنـسـىـ خـلـقـهـ ،ـ اـىـ تـرـكـ الـنـاظـرـ وـالـتـدـبـرـ فـيـ خـلـقـ نـفـسـهـ اـذـ خـلـقـ مـنـ نـطـفـةـ ،ـ فـانـ النـطـفـةـ الـذـائـبـةـ لـيـسـتـ فـيـ وـهـنـاـ وـبـعـدـهاـ عـنـ الـحـيـوـةـ أـقـلـ منـ الـعـظـمـ الـبـالـيـ فـيـ بـعـدـ عـنـهـ .

وـثـانـيـهـاـ:ـ اـنـ كـوـنـهـ مـثـلاـ لـأـجـلـ مـادـلـ عـلـيـهـ مـنـ قـصـةـ عـجـيـبـةـ شـبـيـهـ بـالـمـثـلـ وـهـيـ انـكـارـهـمـ قـدـرـةـ اللـهـ عـلـىـ اـحـيـاءـ الـمـوـتـىـ بـعـدـ تـسـلـيـمـهـمـ اـنـشـاؤـهـ اـبـتـداـءـاـ .ـ وـثـالـثـيـهـاـ:ـ لـمـ فـيـهـ مـنـ التـشـبـيـهـ ،ـ لـاـنـ مـاـ اـنـكـرـ مـنـ قـبـيلـ مـاـ سـلـمـ مـنـ شـمـولـ قـدـرـتـهـ تـعـالـىـ بـدـلـيـلـ النـشـأـةـ الـاـوـلـىـ .

وـرـابـعـهـاـ:ـ لـاـشـتـمـالـهـ عـلـىـ مـاـ يـوـجـبـ تـشـبـيـهـهـ تـعـالـىـ بـخـلـقـهـ فـيـ الـعـجزـ مـنـ اـحـيـاءـ شـيـءـ وـاـيـجادـ مـاهـيـةـ ،ـ فـانـ قـدـرـتـهـ سـارـيـةـ فـيـ جـمـيـعـ الـاشـيـاءـ ،ـ فـاـذـ قـيلـ:ـ «مـنـ الـذـيـ يـحـيـيـ الـعـظـامـ الرـمـيمـ»ـ كـانـ ذـلـكـ تـعـجـيـزـاـ لـلـهـ وـتـشـبـيـهـاـلـهـ بـخـلـقـهـ فـيـ اـنـصـافـهـمـ بـالـعـجزـ عـنـ ذـلـكـ .

وـ«ـ الرـمـيمـ»ـ اـسـمـ لـمـ بـلـىـ مـنـ الـعـظـامـ غـيـرـ صـفـةـ كـالـرـمـةـ وـالـرـفـاتـ ،ـ وـلـذـاـ لـمـ يـؤـنـثـ مـعـ كـوـنـهـ وـقـعـ خـبـرـ الـمـؤـنـثـ .

## بيان

في هذه الآية اشارة الى أن معرفة النفس الانسانية أساس الایمان بالله واليوم الآخر ، لأن قوله : «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ» يدل على أن جحود الجاحد للحق إنما نشأ من نسيان ذاته وخلقه فهو بمنزلة عكس قوله : \* (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) \*[١٩/٥٩] - تأمل .

## وهم وتنوير

ومن الفقهاء من استدل بهذه الآية على أن الحياة سارية في العظام ، ولو لا أن الحياة تحلّها لما صحي : « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » ففرع عليه أن عظام الميتة نجسة ، لأن الموت يؤثر فيها من قبل أنها مما تحلّه الحياة .

وهذا الاستدلال فاسد ، لأن معنى احياء العظام الرميم ليس تصيير العظام - بما هي عظام - أحياء ، بل احيائهما انبات أعضاء قابلة للحياة عليها والغرض اثبات الاعادة للانسان وصيروته حيّاً بعد موته ورم " عظامه وليس الانسان عظاماً كما ليس لحماً وعصباً ، بل مجموعاً من العظم واللحم وغيرهما .

ومعنى حلول الحياة في اللحم دون العظم - كما قيل - ليس أن اللحم بنفسه حيوان دون العظم ، بل معناه أن بعض قوى الحيوان كالقوة اللمسية وغيرها سارية في اللحم بتوسط الروح البخارية والعصب الحامل ايهاه وليست هي سارية في العظم ، ولهذا اذا انقطعت الحياة عن الحيوان وفارقت نفسه تلاشت الاعضاء النافذة فيها قوة الحياة قريباً ، وتغيرت فوراً دون العظم والشعر وغيرهما .

قوله سبحانه :

قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق علیم . [٧٩]

قل - يا محمد لهذا المتعجب من الاعادة: ان المحيي لهذه العظام، المعيد لها يوم القيمة هو الذي انشأها أول مرة من المادة الترابية ثم المنوية ، و التراب أبعد مناسبة الى الصورة الانسانية، وكذا النطفة الذاتية الواهنة الاساس أبعد استعداداً في قبول التقويم من العظم الرميم، فمن قدر على اختراع شيء او لا فهو على اعادته أقدر ، وانشأته عليه ثانياً أسهل وأيسر وهو بكل خلق علیم، سواء كان ابتدائياً أو اعادياً، فيعلم به قبل أن يخلقه انه اذا خلقه كيف يكون، ويعلم به قبل أن يعيده انه اذا أعاده كيف يكون، فيكون قادرأ عليه.

## إشارة

لا يبعد ان يكون المراد من قوله وهو بكل خلق علیم ان مجرد علمه تعالى بوجه الخير في كل شيء هو السبب الداعي لوجود ذلك الشيء، ومن جملة الاشياء المعلومة له تعالى اعادة الانسان، فيكون لا محالة واقعة، لكون علمه تعالى فعلياً .

## إشارة اخرى

يحتمل أن يراد ان احياء العظام وردها الى ما كانت غضرة رطبة ذات حيوة وحس بعد موتها وبيسها وتفتتها وان كان بعيداً عن استعدادها واستحقاقها

في نظر العقول البشرية ، الا أن لكل مادة من المواد يتصور بينها وبين أية صورة شريفة أو خسيسة تردد - امور متوسطة متلازمة متفاوتة في القرب والبعد إلى تلك الصورة ، ويكون لحقوق تلك الامور واحداً بعد آخر مقرراً لها من الفاعل الواهب للصور ، وطريقاً منها مؤدياً إلى قبول القدرة من خالق القوى والقدر ، تسلكه وتنتقل إليه من درجة إلى درجة ، حتى تصل إلى مرتبة يشتد بها الاستعداد لقبول تلك الصورة ، وتقترب بها من المعطى الججاد ، فلكل شيء طريق خاص إلى الله تعالى إذا سلكه يصل إلى رحمته وفيض وجوده إذ وجوده منبع كل الكمالات والخيرات - ولكل وجهة هو مولتها .

فقوله: «وهو بكل شيء علیم» اي انه سبحانه عالم بكيفية خلق كل شيء وبالطريق التي ينتهي بها وجوده، فيسبب أسبابه من تلك الطرق ، فيوجد له بعد تحصيل أسبابه ، ففيه اشاره الى احاطة علمه بطرق تأدية الاشياء الى ماقدر لها في القضاء السابق ، فيعلم طريق كل أحد الى سعادته وخيره ، وطريق كل أحد الى شقاوته وضره ، الا أن الاول منوط بتوفيقه وتسديده ، والثانى مترتب على ما كسبته أيدي الناس عند انحرافهم عن الصراط بمتابعة الناس والوسواس .

## اشارة أخرى

هي ان الانسان لا يحيط علمه بجميع وجوه المناسبات بين الاشياء ، فلو اجتمع العقلاء وجمعوا عقولهم فى أن يدرکوا جهة المناسبة بين المغناطيس وجذبه للمحديد لما قدروا على ادراكها ، فعلم ان فى الطبيعة عجائب غريبة ، وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات واتفاقات على اشياء نادرة ، فلكل معلول أسباب خفية لا يعلمنها الا الله .

والانسان لجهله بوجود الاسباب وجوه المناسبات بين كل " حادث و

سببه أخذ يتعجب من حدوث الآثار الغريبة عن بعض الأشياء ، لكونها غير معهودة الحصول عنده عن هذه الأشياء – كما في هذه المسألة – فان المعهود عنده حصول الإنسان من مادة منوية حاصلة من فضول رطوبات الآبوبين ، لم يعهد عنده حصول الإنسان مرة ثانية من عظامه الرميمية ، فليستبعد غاية الاستبعاد ويتعجب غاية التعجب ، على ان أكثر الأشياء لقطع النظر عن تكرر مشاهدة الإنسان حدوثها يكون حالها هذا الحال :

منها : حدوث الإنسان بعينه عن هذه الأسباب ، فان أحداً لولم يكن رأى تولد الإنسان وحكي له كيفية تولده عن الآبوبين بعد اجتماعهما وانفصال شيء قليل المقدار من أحدهما في جوف الآخر ثم خروجه بعد تسعه أشهر من مسلك ضيق شخصاً متكرراً للأعضاء ، مختلف الأشكال ، ذا حواس مختلفة وحرارات متغيرة ، مبانن الحقيقة لتلك الرطوبة في جميع صفاته سوى الجسمية ، ثم بعد خروجه اهتدائه بمصر الفسرّع وبكتائه ان منع منه ساعة ، ففيه شهوة وغضب ، ومحبة وخصومة ، وكذا سائر صفاته وآثاره المعلومة وغير المعلومة فلا يكاد أن يذعن به .

فهكذا حال المنكر للبعث وتعجبه عن إعادة الإنسان مرة أخرى في دار القيامة ، فالله تعالى نبه على أن تعجبه إنما يكون لجهله بوجه المناسبة بين كل مادة وما يخلق منها ، فقوله تعالى : «أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه» اشارة الى أن التعجب في تولده ابتداءً أكثر من التعجب في إعادةه ثانيةً ، ففي كون الإنسان موضع التعجب بحسب خلقته من النطفة أولاً أليق وأولى من كونه كذلك بحسب نشوء الأخرى من أعضائه البالية ثانيةً .

وقوله : «وهو بكل خلق علیم» اشارة الى أن جهة الارتباط بين كل مادة

وما يطرب عليها من الصور لا يعلمها الا هو، فيجب على المكلف أن يؤمن بما أخبر به الصادق المصدق عن ربه.

ومما يؤيد هذا الوجه و يؤكده تعقيب هذه الآية بما يتلوها وهو قوله

سبحانه :

**الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون [٨٠]**

فإن المنكر للمعاد لما مثل لاثبات مدعاه من استحالة أن يبعث الإنسان بمثال يتعجب به، وذلك هو تكون الإنسان من العظم البالى ، فضرب الله مثلا آخر في مقابلة مثاله بكون تكوان <sup>تـ</sup>ما ين تكون منه أعجب وأبعد في نظر العقل مما يتتعجب هو منه، ومع ذلك فهو أمر معلوم مشاهد لا يمكن لأحد انكاره، فذكر من بدايه خلقه وعجائب فطرته مثال اندلاح النار من الشجر الأخضر ، وهو أمر عجيب الشأن كثيراً ، فإن النار مضادة للماء بكلتا كيفيتيه ، لحرارتها وبرودتها وبيوستها ورطوبتها ، فينطفئ عند وصوله إليها فكيف تولد هي منه .

فلو قيل لأحد : إن الشجر الرطب المطفي للنار يتولد منه نار محرقة له ، وإن النار تنقذ من الشجر الأخضر ، وإنها من الزناد التي تورى بها الأعراب وأهل البوادي كما أذعن به ابتداء ، فالمرخ والمعفار من الأشجار لها هذه الخاصية يقطع منها غصنستان مثل السواكين ، وهمما خضروا وان يقطرون منها الماء ، فيتحدد الرجل وقوده منها ويُسحق «المرخ» وهو الرجل على «الغار» وهي اثنى فتنقذ له النار باذن الله .

وقيل : في كل شجر نار اذا احتاج الانسان حك بعضه ببعض فيخرج منه النار ، وفي أمثال العرب : «في كل شجر نار واستمجد المرخ والمعفار» .

وعن ابن عباس : ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب . قالوا : ولذلك يتخذ منه كذينقات (١) القصارين .

و «الاخضر» بالتدكير لانه محمول على اللفظ - و قرئ «المخضراء» حملأ على المعنى ، و نحوه قوله تعالى : \* (من شجر من زقوم \* فما ثون منها البطون \* فشاربون عليه من الحميم) \* [٥٦ / ٥٤] فالذى خلق بقدرته النار المحروقة من الشجرة الرطبة فبأن يكون قادرًا على خلق الانسان مما بقى منه أخرى ، ولا ذعان العقول به اولى .

### توضيح تنبئي و تمثيل تفصيلي

ان أكثر أعداء الانبياء و خصماء الاولياء هم جهلة الطبيعين و اوساخ الدهريين - ومن يحدو حذوه - كالاطباء والمتشبهين بالحكماء ، المتشبهين بدليل الفلاسفة - عادتهم أن يأخذوا في طلب العلة واللمية لكل شيء ، وجعلوا مدار امتيازهم عن العوام و آحاد أهل الاسلام أن يعترضوا منكرين لكل شيء ، لم يعلموا ان خصوصيات المواد الجزئية ليس في وسع العقول البشرية - مادامت في كورة الطبيعة - أن يقيم الحجة على كل منها ، بل لها بعد الاطلاع على كلية المعارف الاعتقادية قبول الخصوصيات التي لم يقم بين يديها دليل على استحالتها عند سماعها عن لا يشغل سره غير الحق ، ولا يتمجمج لسانه بالباطل او التوقف فيها اذا لم يترجح فيها جانب على جانب لديه .

فالجاهل من الطبيعي ومن يحدو حذوه يأخذون في طلب علة كل شيء مخاصة بالطبيعة التي لسمونيا لسهال الصفراء ، وطبيعة افتيمون لسهال السوداء بما ليس في عناصره و مواده ذلك ، وكذا الطبيعة المعناظيسية لجذب الحديد ، و كما

أنهم يطلبون العلة في آحاد البساط ويريدون أن يكون العلة مستفادة من عنصر الشيء ، ولا يحيلونها إلى الأمور الإلهية التي تبعث منها أسباب كل شيء ومبادلة بل يطلبون أن يخيلي لهم كل قوة وكل طبيعة حتى تصير مرتسمة في أذهانهم من غير ارتكاض لهم في العقليات ، ولا مكاففات ذوقية لهم في السمعيات ، و لم يعلموا أن غاية ما يمكن أن يعطى من السبب في وجود الطبيع وترتباً آثارها العجيبة من جذب المقاطيس وتورى المرخ والعفار ، وسميتها البيش (١) وتربياقية الجدوار (٢) أمور ثلاثة :

أحدما : الفاعل - وهو تدبير الصانع وجوده وعدله واعطائه كل شيء بموجب الحكمة والوجود ماليق اعطائه ايام ، والصانع أعطى الهيولي التي أبدعها من الصور ما كان يجب في حكمته وجوده على التقسيم والتقصيط ، الذي كان يقتضيه تقديره وعدله .

والثاني : القابل - وهو أن يقال إن القابل كان مستعداً لهذا الضرب من التخليق والتصوير ، وكان استعداد ما يحصل له في حال البساطة قبل التركيب استعداداً آخر ، وما يحصل له بعد التركيب وتلاحق الأمور به بحسب أنحاء التركيب وأنواع التمزيج استعداداً آخر .

والثالث : الغاية - وهو الغرض الحكمي في صنع الصانع ما صنع لاجله ، وله الخلق والامر ، تعالى عما يصفه الجاهلون - وعن خلوفعله عن داع وغاية كما زعمه الأثرون - على أكبراً .

فهذه الأمور غاية ما يصل إليه أفهم العقول ، وأما ماوراء ذلك فمما يقصر الأدراك البشري عن ادراكه ، ولا يمكن الوصول إليه بطور العقل النظري الابناتية الأنبياء والقتداء بآثارهم ، والاقتباس من مشكوة أنوارهم ، والعجب من هؤلاء إذ

١ - نباتات عشبية فيها سم قاتل يستعمل في الطب كدواء ضد التشنج .

٢ - نبات طيبة يستعمل كتربياق لسم البيش .

هم لا يتعجبون من النار كيف تفرق المجتمع ، وكيف تحيل أجساماً كثيرة الى مثل طبيعتها في ساعة ، ولا يشتغلون بالبحث عن علته وغايتها ، ما يجيرون عنه اذا سئلوا ذلك أن يقولوا : لأن النار حارة .

ثم السؤال عائد في أن النار لم يفعل هذا ؟ فيكون منتهى الجواب للطبيعي **أن يقول** : ان الحرارة قوة من شأنها أن يفعل ذلك الفعل .

ثم ان سئلوا بعدهذا انه لم كان هذا الجسم حاراً دون البارد ؟ لم يكن جوابهم **الاجواب الالهي** ، ان ارادة الصانع هكذا ثم يتعجبون من حكايات الانبياء ومعجزاتهم واخبارهم عن خواص بعض الاشياء ، وانذارهم بالأمور الاخروية وما يترتب على كل فعل انساني ، من الثواب للمحسن ، والعقاب للمسيء ويشتغلون في كل حكم بالبحث عن علته وطلب اللمنية له ، ولا يقتنعون بجواب المجيب الالهي ، من أن خاصية هذا الشيء ترتب الاثر الفلاني عليه ، وأن سبب وجوده على هذا الوجه ارادة الصانع بجهات فاعلية عند حصول الاسباب المستندة اليه تعالى . كما أن سبب كون السماء سماء والارض أرضًا ارادته وعلمه الازلي بكيفية نظام العالم ، ويسخرون من يجيب بهذا الجواب .

وليس هذا الجواب قاصراً عن الجواب الاول الذي سبق ذكره ، وليس ما يتعجب المنكر للمعاد من احياء العظام الميتة البالية بأعجب من اذابة النار الحديد والحجر في ساعة قصيرة ، لكن الناس تعجبوا عمما استندوا ، وحملهم التعجب على طلب العلة فيما تعجبوا عنه، ولم يعرض لهم طلب اللهم فيما كثرت مشاهدتهم له ، وان كان المشاهد أعجب .

وفي المركبات العنصرية ما حكمه أعجب من الامور النادرة ، فان حرارة البدن الثقيل الى فوق والى جوانب مختلفة بمجردا ارادة النفس أعجز من كل عجيب يندر وجوده ، ومع ذلك فكم من انسان لا يتعجب عنها أصلاً لعدم تنبئه

قلبه ، وأخذ يتعجب من مثل المقناطيس في جذبها الحديد ، بل من حركات المشعبدين .

وهو لاء المتكلسفة لما لم يعرفوا الاصول وأخذوا يتعجبون من النادر ينكرهون امور الوحي وما ينتهي اليه ، حيث لم يضطرهم المشاهدة الى الاقرار الافي دار القرار ، وهناك لا تنفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايامها خيراً .

فهو لاء عند المعاندين للحق ، وأعدى الاعداء لله ولرسوله ، حيث أنكروا الوحي ومعجزات الانبياء وكرامات الاولياء ، بل الرؤيا والكهانة والوهم والقراسة وكثيراً ما يقرب منها ، وذلك لأنهم ليسوا من أهل الحرف والصناعات المدنية ليكون درجتهم درجة العوام ، او يكون في وجودهم منفعة يعود الى أهل المدينة الفاضلة ، ولا أنهم من أهل السلامه والتسليمه والتقليد ليكونوا محشورين في زمرة من تشبيهوا بهم من أهل السعادة الاخروية ، ولا لهم قوة الارقاء الى الامور العالية وتحقيق الحقائق الالهية ليتحققوا بالمعارف الدينية والاحكام الاخروية .

\* \* \*

وأما المحققون من الحكماء ففرقة موجبة لوجود ما ورد في الوحي أو التزيل وما أخبر به الرسول (ص) من غير تأويل لما أعنوا في البحث والتحقيق امعاناً قوياً وبحثاً مستقصى ، وفرقة مجوزون لجميع ذلك لما كادت درجتهم أن يبلغ درجة أولئك الفاضلين ولم يبلغها بعد ، والمشهورون من أهل الدرج الاولى قليل عددهم - ويوشك أن يكون من أعرفه منهم في هذه الالف سنة بعد انقراض زمن النبي صلى الله عليه وآله والائمة الطاهرين - سلام الله عليهم ولهم الادعية الالهية - لا يزيد عددهم عن أوائل مراتب العدد دون الثنائي .

ولهذا نحن نكره أن يستغل الناس بهذه العلوم الربانية الأعلى نهج التقليد والتسليم أيامنا بالغيب ، فان المستعدين لها قليل ، والمستغرين مجهودهم في سبيلها أقل ، والصابرون الواصلون بعد الفراغ أثدر كثيراً مثل الكبريت الأحمر ولهذا السبب وقع المنع في شريعتنا المطهرة عن البحث عن سر القدر ، وعن ماهية الروح التي من عالم الامر وما يجري مجرد هذين .

والله نسأله أن يعصمنا من الضلال ، وأن يحرسنا عن التردد إلى مهوى النكال ، وأن يسلك بنا سوء السبيل ، ويحفظنا عن التشبيه والتعطيل ، والله ولـي الفضل والنعمة ومعطى الفيض والرحمة .

\* \* \*

فالغرض ان الله سبحانه مثل على المنكرين للمعاد وارتجاع النفوس الادمية الى الابدان وعودها الى كلاية الاجساد بأمثلة ثلاثة، كل واحد منها أعجب وأشكّل عند العقول الباحثية من أمر المعاد :

أحدها: مثال تعلق النفس بالبدن، فإنه أمر مشكل عجيب، فإنها كيف تعلقت به ، وهي ليست حالة فيه حلول الاعراض في محالتها، ولا حلول الصور في المواد، فإنها جوهر قائم بنفسه يتوارد عليه الكيفيات النفسانية من العلوم والاخلاق، وهو يعرف ذاته، ويعرف خالقه ويعرف كثيراً من المعقولات الكلية من غير حاجة له فيها الى البدن ولا الى شيء من الحواس، لأن شيئاً من هذه المعارف ليس محسوساً ومن استغنى عن شيء في وجود فعله او انفعاله فيكون مستغنياً عن ذلك الشيء في وجود ذاته على طريق الاولى ، فلا يكون وجود النفس في البدن وجود عرض في موضوعه ولا صورة في مادتها .

والانسان في حال حيّة البدن يمكن أن يتصور نفسه غافلاً عن المحسوسات كلها، وعن الابدان والابعاد والاجرام كلها، وهو في تلك الحالة عارف بنفسه

و ذاته، ومن كان ذا قدم راسخ في معرفة الباري و عبوديته فربما يغفل عما سوى الله ويجد ذاته كرشحة من بحر غير متناهي الفسحة أو لمعة من نور غير متناهي الشدة، والتجرد لذكر الله على الدوام في بداية السلوك يفضي بالسالك إلى هذه الحالة، حتى أن لا يحضر في شعوره من المحسوسات والمعقولات سوى الحق الأول تعالى مجده، ولا يشعر بنفسه، ولا بعدم شعوره بنفسه، ولا يشعر بشعوره بالحق، بل يكون شاعراً بالحق فقط فان الشعور بالشعور بالحق حجاب وغفلة عن الحق، وملاحظة الوصال فراق فالمعنى المتجرد لمعرفة الحق كيف يكون محتاجاً إلى البدن.

فعلم ان تعلقها بالبدن ليس تعلق الحال بالمحل، وليس ايضاً تعلقها به تعلق المحل بالحال وهو ظاهر، ولا ايضاً تعلقها به تعلق العلة بالمعلول، ولا المعلول بالعلة - والا لما وجد أحدهما بدون الآخر - ولا تعلق أحد المضادين الحقيقيّن بالآخر، لأن لكل منهما ذاتاً عليحدة والمتضادان ليسا كذلك - لما حقق في مقامه - ولا ايضاً تحريكها للبدن كتحريك الدافع للشيء بالدفع، ولا تحريك الجاذب للشيء بالجذب ، ولا تحريك الحامل كالسفينة للساكن فيها، ولا المركوب للراكب، ولا المحامل للشيء على عاته، لأن النفس مجردة، والمجرد يستحيل عليه هذه الحالات الوضعية .

فهذا التعلق الذي للنفس بالبدن أمر مشكل لا يعلم أحد إلا بهداية الله وتوفيقه، فأشار سبحانه إليه بقوله: «وضرب لنا مثلاً ونبي خلقه - إلى قوله - وهو بكل خلق علیم» .

\* \* \*

والمثال الثاني مثل تونقد النار من الشجر الأخضر، وهو ايضاً أمر عجيب أ难怪 من تعلق النفس بالبدن مرة ثانية عند جمهور الانام بل الخواص،

للتضليل الواقع بين الماء والنار، فكيف يكون أحدهما سبباً للآخر - وطبيعة السبب لابد وأن يكون قريبة من طبيعة المسبب - واليه الاشارة بقوله: «الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون» .

فان قيل : ان توقد النار من هذا الشجر ليس الا بعد السحق والحركة الشديدة، والحركة تحيل جوهر الماء الذى فيه الى الهواء ، ثم الى النار ، و ليس ان الشجر الرطب - بما هو رطب -- يتولد منه النار .

قلنا: لانسلم ذلك ، فان تولد النار منه أمر محسوس ، وانقلابه الى الهواء ثم الى النار غير معلوم ، لابد له من برهان ولا سبيل لنا اليه ثم هب انه كذلك فليس التعجب من توليد الحرقة - وهي أمر ضعيفة الوجود بالقوة ، شبيهة بالعدم - الصورة الهوائية والتاربة من الشجر الاخضر الذى ينقطّر منه الماء بأقل من توليد نفس الشجر لها .

\* \* \*

والمثال الثالث خلق مجموع السموات والارض فان وجود الشيء المكاني عن غير المكاني وتحقق الزمانى عن غير الزمانى أعجب العجائب والله سبحانه وتعالى مما قد برهن على وجوده وعلى كونه خالق السموات والارض ، ومكون الكائنات من غير مكان ، وموجد الزمانيات فى غير زمان ، فأبدع الكل بقدرته ابداعاً واحتراضاً على مشيته اختراعاً ، فهو الاول بلا أولية ، والمبدع بلا ابتداء كما انه الآخر بلا آخرية والمنتهى بلا نهاية ، وهو ايضاً مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمقاييس ، فامثال هذه المتناقضات لفظاً متفقفات في حقه تعالى معنى ، فجلال الله فوق الاوهام والعقول فضلاً عن الازمة والامكنة .

فایجاده للسماء والارض وما فيها من عجائب المكونات من البساطة والمركيبات بمجرد ارادته وأمره بوجود كل منها من غير مادة سابقة أو حرقة

لاحقة أتعجب من كل عجيب فالله سبحانه حيث هو قادر على هذا الخلق العظيم الشأن، القويم البنيان مع ما فيه من الانوار الشديدة الضياء ، والهياكل العظيمة الباهاء، والأشخاص الرفيعة المكان، السريعة الدوران، الحثيثة الطوفان، عشقاً وشوقاً الى مبدعها ومشوقها ومحركها العزيز المنان، ووجودها من كتم العدم الى منصة الوجود والوجود، والشهدود والعرفان ، بمجرد قوله الذى اذا قال لشيء « كن » فيكون ، فهو بأن يكون قادراً على انشاء النشأة الثانية للانسان أخلاق وأخرى عند الاذهان السليمة عن آفة الجهل والطغيان، ومرض الجحود والكفران واليه الاشارة فى قوله سبحانه :

أوليس الذى خلق السموات والارض بقادره على أن يخلق مثلهم  
بلى وهو الخالق العليم [٨١]

وقرىء « يقدر » بصيغة المضارع بدل اسم الفاعل وقرىء « الخالق » بصيغة اسم الفاعل بدل المضارع يعني من قدر على خلق مثل السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق مثل الاناسي أقدر ، وفي معناه قوله تعالى : \* (الخالق السموات والارض أكبر من خلق الناس) \* [٤٠/٥٧] .

أما السموات فلا يخفى شرفها وفضائلها ، وعظم أكتافها ، ووثافة أجرائمها ولطافة جواهرها ، وضياء زواهرها ودرارتها ، وصفاء صورها ووفر انوارها ، وعظمة أقدارها وقوة قواها وآثارها ، وسرعة دورانها وحر كاتها ، وقدرة نفوسها المكتفية بذاتها على اقامة تحريرياتها ، وادامة تدبراتها ، وشرافة عقولها الكاملة المكملة لنفوسها المشروقة ايها بایراد الاشرفات العقلية والتشويقات النورية عليها ، من غير فتور ودثار ، وكونها مزيّنة بمصابيح الكواكب و

مشايعيل النيرات لقوله تعالى : \* (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح) \*[٥/٦٧] وكون أنسوارها مطردة للشياطين والظلمات لقوله : \* (وجعلناها رجوماً للشياطين) \*[٥/٦٧]

وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر بقوله : \* (وبالنجم هم يهتدون) \*[١٦/١٦]

وكونها مستضيئة بنور القمر ، وجعل القمر فيهن نوراً مستنيرة بسراج الشمس ، وجعل الشمس سراجاً ، وكونه سقفاً محفوظاً ، وسبعاً طاقاً ، وسبعاً شداداً ، وكون صورتها مشتملة على حكم بلية وغایيات صحيحة : \* (ربنا ما خلقت هذا باطلًا) \*[١٩١/٣] \* (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا) \*[٢٢/٣٨]

وكونها مصدح الاعمال ومهبط الانوار وقبة الدعاء ومحل الضياء والصفاء وكون الوانها احسن الالوان وهو المستنير ، وأشكالها افضل الاشكال وهو المستدير .

ولما فيها من منافع البلاد ومصالح العباد من طلوع شمسها فسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف ، وغروبها ليصلح معه الهدوء والقرار في الاكتاف ، وليحصل الراحة وابعاد القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء إلى أعماق الأعضاء . وأيضاً لا طلوع الشمس لأنجمدت المياه وغلبت البرودة والكتافة وأفضت إلى خمود الحرارة الغريزية وجمود الرطوبة الطبيعية ، ولو لا غروبها لحسمت الأرض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ، فهو بمنزلة سراج يوضع لأهل بيت بمقدار حاجتهم ، ثم يرفع عنهم ليستقرروا ويستريحوا ، فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين بقدرة الله على صلاح قطان الأرض .

وهيئنا نكتة : كأن الله يقول : لو وقعت الشمس في جانب من السماء من غير حرارة ، فالغنى قد يرفع بناؤه على كوة الفقر فلا يصل اليه ، لكنني ادير الفلك واسيرها حتى يوجد الفقر نصبيه كما وجد الغنى نصبيه .

وأما ارتفاع الشمس الى سمت الرأس تارة وانحطاطها عنده اخرى فقد جعله الله سبباً لاقامة الفصول الاربعة .

واما القمر فهو تلو الشمس وخلفيتها ، وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواعيد الشرعية ، ومنه يحصل النماء والرواء ، وقد ذكرنا في هذه السورة كثيراً من فضائلهما وخيراتهما .

\* \* \*

وأما الأرض فلما عجائبها وغرائبها ، ومن جبالها ومعادنها ، وبحارها ودرزها وجواهرها ، ومن كونها فراشأً مهادأً وكونها دلولاً ليمشوا في منهاكها ، وجعلها ساكنة في الوسط وقولاً لا يزعج ولا يتكلم من توارد الانقال ، ومن ارساء الجبال فيها او تادأ تمنعها من أن تميل ، ثم توسيع أكتافها حتى عجز الاميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت أعمارهم وكثير تطوافهم ، فيكون لهم فراساً لقوله تعالى : \* (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون \* والارض فرشناها فنعم الماهدون) \* [٤٨/٥١] وقوله : \* (جعل لكم الارض فراساً) \* [٢/٢٢] أي وسع أكتافها لتكون بساطاً فراساً ، والا فلا يمكن الافتراض عليها لكترويتها .

ولو لم يكن حيزها الطبيعي في وسط الأفلاك ولم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي لم يكن الاستقرار عليها (١) وذلك لأن الانقال تميل بالطبع الى تحت

١- القاري لفظن يلتفت ان غرض المصهف (ره) بيان النعم والحكم الموجودة في

كما ان الخفاف تميّل بالطبع الى فوق ، والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء، كما ان التحث ما يلي المركز ، فاذن لاحاجة في سكون الارض الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها، بل يكفي ارادة مدعها وافادته لها ميلا طبيعياً مستند الى أمر الهي رکزه فيها ، فأمالها الى الوسط الحقيقي بارادته واختياره وحكمته وعلمه الذي يمسك السماء أن تقع على الارض ، وبقدرته التي تمسك السموات و الارض أن تزولا ولئن زالت ان أمسكهما من أحد من بعده .

ومن عجائب خلقة الارض كونها لافي غاية الصلابة كالحجر ليتمكن الزراعة عليها ، وحفر الآبار والقنوات فيها ، واتخاذ الابنية منها ، و لافي غاية الليبن والانسجام (الانفخاء - الانغماء - ن) كالماء ليسهل النوم والمشي عليها ، وبناء الدور والبيوت عليها .

ومنها كونها لافي نهاية اللطافة ليستقر عليها الانوار ، ولا في غاية الصلابة لثلا ينعكس عنها ساطع الشعاع بالكلية، بل نحو من الاقتصاد لتنفذ فيها شيء من الاشعة السماوية ، المولدة لمواد الصور والنقوس الأرضية .

ومنها جعلها (جعل بعضها - ن) بارزة من الماء ، مع أن طبعها الغوص فيه، ليصلح تعيش الحيوانات البرية عليها .

ومنها كونها قابلة للأشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلى مما لا يعلم تفاصيلها الا موجدها.

ومنها أن يتخمر التراب الرطب به فيحصل التماسك في أبدان المركبات

كيفية خلق الارض وانه يتكلم على المعروف في زمانه عند علماء الطبيعة والنجوم ، فلا يقدح فيه ما ثبت الان من خلافه ، اذ الحكم والنعم باق بحالها ، بل المعلوم منها الان أكثر وأظهر .

ومنها: اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والرمانة (١) والوعورة بحسب اختلاف الأغراض وال حاجات \* (وفي الأرض قطع متباينات) \* . [٤/١٣]

ومنها اختلاف ألوانها \* (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرائب سود) \* . [٢٧/٣٥]

ومنها انصداعها بالنبات \* (والارض ذات الصدع) \* . [١٢/٨٦]  
ومنها جذبها للماء المنزلي من السماء \* ( وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فاسكتناه في الأرض) \* . [١٨/٢٣]

ومنها العيون والأنهار المظام التي فيها \* (والارض مدنها) \* . [١٩/١٥]  
ومنها أن لها طبع الكرم والسماحة ، تأخذ واحداً وتعطى سبع مائة \* (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سبعة مائة حبة) \* . [٢٦١/٢]

ومنها حيوتها وموتها \* (وآية لهم الأرض الميتة أحivedها) \* . [٣٣/٣٦]  
ومنها كون ظهرها مقرأ للاحيا وبطنها موطن الاموات \* (ألم نجعل الأرض كفاناً أحياء وأمواتاً) \* . [٢٦/٧٧]

ومنها تكون الدواب المختلفة فيها \* (وبث فيها من كل دابة) \* . [١٠/٣١]  
ومنها النباتات المتنوعة \* (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) \* . [٧/٥٠]  
فاختلاف ألوانها آية ، واختلاف طعمها آية ، واختلاف روائحها آية .  
ومنها قوت البشر وقوت البهائم \* (كلوا وارعوا أنعامكم) \* . [٥٤/٢٠]

ومنها الطعام والادام ، ومنها الدواء ، فانظر كيف اودع في عقاقيرها المنافع الغريبة ، فهذا النبات ينفع وهذا يقوى ، وهذا يحيي وهذا يقتل ، وهذا يمرض وهذا يصح ، وهذا يبرد وهذا يسخن ، وهذا يقمع الصفراء من اعماق العروق

وهذا يولد الصفراء ، وهذا يسهلها وهذا يستحيل اليها ، وهذا يدفع البلغم و هذا يقمع السوداء ، وهذا يحيل اليها وهذا يزيد في الدم ، وهذا يطفئه و هذا يفرح ، وهذا يقوم وهذا يضعف .

ومنها الفواكه ، ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان ، وحيوانية كالشعر والصوف والبريسن والجلود .

ومنها الاحجار المختلفة بعضها لزينة وبعضها لابنية ، فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته ، وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته ، و انظر الى كثرة النفع بذلك الحقير ، وقلة النفع بذلك الخطير .

ومنها ما اودع الله فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ، ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصناعات العجيبة ، واستخرجو السمك من قعر البحر ، واستنزلوا الطير من اوج الهواء ، لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة ، والسبب فيه ان معظم فائدتها ترجع الى الثمنية ، وهي لاتحصل الا عند العزة ، والقدرة على اتخاذها تبطل الحكمة ، ولهذا ضرب الله دونهما بباباً مسدوداً ، ولهذا اشتهر في الاسنة «من طلب المال من الكيمياه أفلس» الى غير ذلك من الخيرات العظيمة والآثار العجيبة المترتبة على وجود الارض ، ولهذا أكثر الله في كتابه ذكر الارض ، ليتفكر الانسان في عجائبها ، واعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان من يسمع ويعي ويبصر ويعتبر .

## تذكرة عرفانية فيها تبصره فرقانية

اختلعوا في أن السماء أفضل أم الأرض ؟ قال بعضهم : السماء أفضل لأنها معبد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها ، ولما أتى آدم عليه السلام بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال : لا يسكن في جواري من عصاني ، وقال :\*(و

جعلنا السماء سقفاً محفوظاً) \* [٣٢/٢١] وقال: \* (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) \* [٦١/٢٥] وورد في الاكثر ذكر السماء مقدماً على ذكر الارض ، و السموات مؤثرة والارضيات متاثرة - والمؤثر أشرف من المتأثر.

وقال آخرؤن : الارض افضل ، لانه تعالى وصف بقاعها من الارض بالبر كة  
 \* (ان أول بيت وضع للناس للذى بيكة مباركا) \* [٩٦/٣] \* (في البقعة المباركة) \*  
 [٢٨/٣٠] \* (الى المسجد القصى الذي بار كناحوله) \* [١٧/١] \* (مشارق الارض  
 ومغاربها التي بار كنا فيها) \* [٧/١٣٧] يعني وصف الشام .

ووصف جملة الارض بالبر كة : \* (وبارك فيها وقدر فيها أقواتها) \* [٤١ / ١٠] .  
اذ ما فيها الا وهي مساكن خلق لا يعلمهم الا الله حتى المفاوز المهلكة ، فلهذه  
البركات قال : \* (وفي الارض آيات للموقنين) \* [٥١ / ٢٠] تشريفاً لهم لانهم  
هم المنتفعون ، كما قال : \* (هدى للمنتقين) \* [٢ / ٢] .

وخلق الانبياء من الارض : \* (منها خلقناكم وفيها نعيده لكم) \* [٢٠/٥٥] وأكرم نبیه المصطفی صلی الله علیہ وآلہ فجعل الارض کلها مسجداً له و ترابها طهوراً ، ولما خلق الارض وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها آدم و اولاده ، ثم علم الله أصناف حاجاتهم ، قال: يا آدم لا أحوجك الى شيء غير هذه الارض التي هي لك كلام الرحيم ، فقال: \* (انا صبينا الماء صبّاً ثم شققنا الارض شقاً وأنبتنا فيها حباً) \* [٨٠/٢٥] الاية \* (وأنزل من السماء ماءً فانخرج به من الشمرات رزقاً لكم) \* [٢/٢٢]

يا عبدي ان أعز الاشياء عندك الذهب والفضة ، ولو اني خلقت الارض  
منهما هل كان يحصل منها هذه المนาفع ، ثم اني جعلت هذه الاشياء في الدنيا  
مع أنها سجن لك ، فكيف الحال في الجنة.

نوعاً واحداً من اللبين ، والارض تطعمك الواانا من الاطعمة و الاشربة قال :  
 \* ) منها خلقناكم وفيها نعيدهم \* [٢٠/٥٥] معناه نردمكم الى هذه الام - وليس  
 هذا بوعيد، لأن المرء لا يتوعد بامه، وذلك لأن مقامك في الام التي ولدتك أضيق  
 من مقامك من الارض، ثم انك كنت في بطن الام تسعه أشهر وما مسک جوع  
 ولا عطش ، فكيف اذا دخلت بطن امك الكبرى ؟ ولكن بشرط أن تدخل بطن  
 الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى، اذا ما كانت لك زلة - فضلا من  
 أن يكون لك كبيرة - بل كنت مطیعاً لله، فحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا  
 خرجت اليها بالرأس طاعة منك لربك، واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة  
 فلا تجبيه برجلك .

وهيئنا أسرار شريفة لا يمكن التصریح بها لدقتها وشرفها ، وقصور الافهام  
 عن در کها، فكتمناها عن الآغيار، وضنناها على أهل الاغترار، بظواهر الآثار  
 وقد قيل : «صدور الاحرار قبور الاسران» .

## ظل فرشى لتمهيد نور عرشى

وفي قوله : «ان يخلق مثلهم» ذكرروا معنيين :  
 أحدهما: انه قادر أن يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالإضافة الى السموات  
 والارض .

وثانيها : انه يقدر على أن يعيدهم تارة اخرى ، لأن المعاد من الانسان مثل  
 المبدء وان لم يكن هو بعينه، وكلا الوجهين لا يخلو عن ضعف .

اما الاول: فلان بناء كمال القادرين ونقاءهم في الخلق وقوتهم وضعفهم من  
 الایجاد ليس على عظم مقدادر الجثث في المقدورات وصغرها، حتى يكون كل  
 ما هو اعظم مقداراً أكمل خلقة وأجل صنعاً وأدل شهادة على قدرة القادر وعظمة

الخالق ، والالزم أن يكون تكوين الجمادات العظيمة المقadir أفضل وأصعب من تكوين الإنسان، واللازم بديهي البطلان لوجود بدایع الفطرة وشواهد الحكمة في خلقته أكثر من أن تحصى .

بل كمال قدرة القادر وعظمة الصانع إنما يكون بفضيلة الوجود في المقدور وفضيلة الوجود إنما يظهر بكثرة ترتيب الآثار الحسنة، ووفر الخيرات الالزمة وبدایع المنافع الدائمة ، وفضيلة السماويات على العنصرية ليست بعظمة الجهة وزيادة المقدار، بل بفضيلة الوجود وكثرة الآثار والأنوار ، وبقوام الصنعة ودوم الخلقة ، ووثاقة الجوهر وثبات الوجود، وخلوص الصورة عن الأفوه الكدوره عن طريان الصد والمفسد للذات والصفة .

واما قوله تعالى : \* (لخلق السمومات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) [٤٠/٥٧] فليس فيه دلالة على عظمة الخالق وفضيلة الإيجاد ، لماذا نرا من دوام (قوم -ن) صورتها وشرافة طباعها ، لا الكبر جرمها وعظم مقدارها فقط ، كما يدل عليه قوله : ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

واما الثاني فلان مبناه على أن الشخص من الإنسان في النشأة الثانية غير هذا الشخص الذي كان في الدنيا ، وهذا مما يوجب مفاسد شتى ، مثل أن يكون المثاب او المعاقب في الآخرة غير الذي فعل الطاعات او المعاصي في الدنيا وهذا هو الظلم بعينه وغير ذلك من المفاسد ، وهو في الحقيقة نفي للمعاد لاثبات له .

اللهم لأن يعتذر عن الاول بان الكلام مع العوام الذين درجتهم درجة البهائم والانعام ، لا يعرفون كمال القدرة الا في خلق الاجسام العظيمة المقدار ، لعدم اهتمامهم بوجوه المصالح والمنافع التي تكون في خلق الانسان ومن عادة القرآن ايراد المقدمات المقبولة للطبايع الجمهورية مع اشتغالها على

البرهانيات القطعية العظيمة النفع لطالب الحق حقيقة .

وعن الثاني بان العبرة في جزاء الحسنات والسيّرات انما هي بالروح ولو بواسطة الالات في الجملة ، وهو باق بعينه وكذا الاجزاء الاصيلية في البدن ، وهذا كما يقال للشخص من الصبا الى الشيخوخة : « انه هو الذي كان صبياً » فهو بعينه وان تبدل جثته وتغيرت اشكاله وهياكله ، بل كثير من اعضائه وآلاته ، ولهذا لا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب : « ان العقوبة بغير الجاني »

\* \* \*

وستسمع منا كلاماً في تحقيق المعاد ، ألهمني الله تعالى بنوره المشرق في قلب من أراد من العباد ، وهو الملمهم للحق والجواب المطلق ، وقد أثبتنا مسائل معادية في مواضع متفرقة في تفاسير الآيات بحسب ما يليق بكل آية من المعارف الاخرويات ، ينبغي لطالبي الحقيقة وسالكي الطريقة أن يتناولوا منها ما يتعلق بهذا الباب مستعينين بالله في نيل الثواب .

## اشراق نور برهانى لارائة سر قرآنى

ان الذي يستحسن العقول الرذكية ، المستشرفة بأنوار المعارف القرآنية ، ويستقبله القلوب المهتدية بأسرار الحقائق الایمانية ، ان النكتة في قوله تعالى: \*(أوليس الذي خلق السموات والارض بقدر على أن يخلق مثلهم)\* هي انه لم اتفرق عنده أهل الحكم والبرهان ، وأصحاب المكافحة والعرفان ، بالمقدمات التي بعضها حدسية وبعضها برهانية ، ان الانسان بجميع اجزائه وأعضائه متعددة الحقيقة بالعالم بجميع ابعاضه وأفراده ، أعني مجموع السموات والارض بما فيهما ، وان الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ، فالمضاهاة بينهما ثابتة والماثلة فيها متحققة .

وقد ثبت ايضاً في العلوم النظرية ان كل حكم ثبت لبعض افراد حقيقة واحدة فقد أمكن ثبوته لسائر الأفراد البة .

فلهذه المضاهاة والمحاكاة الثابتة بين مجموع السموات والارض وبين الانسان ، جعل ايجاد أحدهما دليلاً على امكان ايجاد الآخر ، واذا كان الفرد الذي ثبت كونه مخلوقاً تعالى انساناً كبيراً أكبر من سائر الافراد ، فيثبت بالطريق الاولى كون الافراد الصغيرة مما يمكن أن تكون مخلوقة له ، وكونه قادراً عليها .

فالضمير في «مثلهم» راجع الى الانسان ، ولننظر «المثل» اشاره الى كل ما هو مماثل له في الحقيقة النوعية - اعم من أن يكون المراد منه هذه الافراد التي تحقق وجودها أولاً في الدنيا او غيرها مطلقاً حتى يثبت صحة الاعادة في هذه الافراد على طريق الانسحاب الكلي والشمول العمومي ، كيف وقد صدق على كل فرد من الناس انه مثل للانسان المطلق ، كما انه ثبت انه عين له ، لكونه نوعاً منتشرأً غير محصور في واحد ، على ان كل شيء يصدق عليه انه مثل نفسه وكذا مثل مثله بحسب جواز التغاير الاعتباري بين الشيء ونفسه .

ثم من المحتمل الجائز أن يكون ضمير الجمع راجعاً الى مجموع السموات والارض بحسب التغليب لذوي العقول - أعني السموات - على غيرهم - أعني الارض - لما ثبت برهاناً وكتفاً وقرآنآ وسمعاً أن السموات أحياها ناطقون وعلماء عارفون بالله ، عابدون له ، خاضعون لعظمته ، سالكون في سبيله ، واجدون أنوار لطفه ، نائلون أشعة رحمته ، منتظرون لامره فإذا كان ضمير الجمع لمجموع السموات والارض ، وكان الانسان مماثلاً للمجموع من حيث هو مجموع كما مر من كونه عالماً صغيراً وكون المجموع انساناً كبيراً .

فإذا تحقق كونه تعالى قادرًا على خلق العالم الكبير والانسان الكبير فقد

كونه تعالى قادرًا على ما هو مثله وهو الانسان الصغير ، والعالم الصغير مطلقاً في أى وقت أراد و شاء ابتدائياً كان او اعادياً على طريق الاولى ، لأن ايجاد الاكبر اعظم وأشد من ايجاد الاصغر .

### قتمة فيها تصوره

ثم أجاب سبحانه عن الاستفهام الذي مفاده التقرير والتحقيق ، وفحواها طلب الاذعان والتصديق بقوله «بلى» اي : بلى هو قادر على خلق مثلهم ، وهو الخلاق الذي ذاته خلاق الاشياء ، وحقيقة بحقيقة فياض الوجودات ، الا انه ماهية يزيد عليها صفة الخلاقيّة .

وهو العليم بذاته يعلم الاشياء كلها ، كلياتها وجزئياتها ، ثابتتها ومتغيراتها ، مفارقاتها وماديّاتها ، قبل وجودها ومعها وبعدها ، اذ علم الذي هو عين ذاته سبب وجود الاشياء ، فاذا علم من ذاته صورة الحكمة في الاشياء ، ووجه المصلحة في الموجودات ، كان علمه بنظام الخير كافياً في صدور الاشياء على النظم البديع المتضمن لوجوه المصلحة والحكمة على افضل وجه وائقنه وأحکم نظام وأتمته .

ومن جملة الحكم انشاء النشأة الاخرة ، والابطلت الغايات الحقيقة ، وفسدت الاغراض الالهية المترتبة على وجود الانسان وبقائه وانفسخت الفوائد المتصورة على عقله وتكتيفه وفكرة ووهمه ، واضمحلت الآثار التابعة لمشاعره وحواسه ، وانقطعت المجازات الاخروية اللاحقة عن فعله وتركه وطاعته ومعصيته وكان وجوده من الله هباءً وهدرأ ، وخلق القدر والتمكين فيها سفهاً وعشاً ، وحسناته معطلة ضائعة ، وسيّاته وقبائحه غير محسوبة ولا مستبعة للوازمهـا وتعباتها .

فأين حكمة الله في وجودها ، وأين عدل الله في الانام ، وقد قال : \* (وما أنا بظلام للعبيد) \* [٥٠/٢٩] \* (ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) \* [٣٨/٢٧] وذلك ظن من لم يتصور ان لكل فعل غاية حكمية ، ولكل حركة نهاية طبيعية .

والحكماء الالهيون باحثوا عن غaiات الاشياء وأشواق الموجودات ، وتوجهاتها الى عواقبها وثمراتها ونتائجها ، وكما ان لكل قوة وطبيعة ووهم وتخيل وتعقل مبدء فاعلي يتقوم به وجودها ، فكذاك لكل منها غاية ذاتية يستعقبها ويستتبعها ، فللانسان بما يغرس في طباعه من الالات والمشاعر والقوى العلمية والعملية أفاعيل وآثار ، ولها لحقات وثمرات وعواقب وتأثيرات بعضها دنيوية وبعضها اخروية ، وللمغایات الدنيوية ايضاً غaiات ولغاياتها غaiات اخرى حتى تنتهي الى عاقبة العواقب وتنجر الى آخر الغaiات ، وهي لا يكون الا في الدار الآخرة عند الله .

وابطال الغاية يجب ابطال المبدء ، ولكل مبدء مبدأ حتى ينتهي الى مبدأ المبادى ، وهو ذات الصانع جل اسمه ، وبابطال الاسباب والغايات والمبادى والنهايات ينسد باب معرفة الله واثبات الصانع ، فمن كفر بنعمة الله والدار الآخرة فهو كافر به تعالى ، ومؤمن بالطاغوت الذي هو من سخر هذه النشأة الفانية \* (ذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرد ايكم فاصبحتم من الخاسرين) \* [٤١/٢٣]

## موعد تحقيقى

ان الاعتقاد منّا في أمر الاعادة هو أن المعاد في المعاد هو الانسان بمجموع النفس والبدن وأن هذا البدن المعين الشخصي يعاد في الآخرة مع النفس دون بدن آخر - كما ذهب إليه قوم - وهذا هو الاعتقاد الحق في المعاد، المطابق للشرع المصرى

والعقل الصحيح ، فمن صدق وآمن بهذا فقد أصبح مؤمناً حقاً وآمن بيوم الحساب والجزاء ، والنقصان عن هذه المرتبة خلل في أحد أركان الاعتقاد ، وقصور في الإيمان بالمعاد ، واظهار شيء من خبایا هذا المطلب الحقيقي بالتحقيق واخراج علق نفيس من هذا البحر الطافى العميق يستدعي تشبييد اصول وتمهيد فصول :

## الأصل الأول

ان تحصل كل ماهية نوعية وحقيقة ترکيبية انما كان بمبدئه فصله الاخير ، وأمامبادی باقی فصوله وأجناسه القريبة والبعيدة فهي بمنزلة اللوازم والتوابع ، وانما دخولها في مفهوم المحد بـما هو حـتـ دون المحدود ، كما قـرـرـنا فـي أسفارنا الالـهـيـة .

وكثيراً ما يكون في المحد زيادة على المحدود كما صرـحـ به صاحـبـ الشـفـاءـ وغيرـهـ ، ومـثـلـواـ ذـلـكـ بـتـحـدـيدـ القـوسـ مـنـ الدـائـرـةـ وـالـاصـبـعـ مـنـ الـأـنـسـانـ ، حيث يدخل في تحـدـيدـ القـوسـ الدـائـرـةـ لـافـيـ ذاتـ المـحـدـودـ ، وكـذـلـكـ يـدـخـلـ فـيـ تحـدـيدـ الـاصـبـعـ الـأـنـسـانـ معـ خـروـجـهـ عـنـ ذاتـ الـاصـبـعـ ، بلـ مـفـهـومـ العـرـضـ هـكـذاـ ، حيث يـدـخـلـ فـيـ حـدـ المـوـضـوعـ دونـ ذاتـهـ ، وـكـذـلـكـ كـلـ مـرـكـبـ طـبـيعـيـ لهـ صـورـةـ منـوـعـةـ هيـ مـبـدـئـهـ فـصـلـهـ الاـخـيـرـ ، انـماـ يـكـونـ تـحـصـلـهـ وـتـقـوـمـهـ مـنـ حـيـثـ حـقـيقـتـهـ ( المـطـلـقـةـ بـنـفـسـ صـورـتـهـ المـقـوـمـةـ لـهـ ) ( ١ ) وـأـمـاـ المـادـةـ فـانـمـاـ الـحـاجـةـ إـلـيـهـ لـحـمـلـ صـورـةـ الـمـاهـيـةـ لـأـجـلـ قـصـورـ وـجـوـدـهـ الـخـارـجيـ الـعـنـصـريـ عـنـ الـاسـتـقـلـالـ ، وـضـعـفـهـ عـنـ الـاـكـتـفـاءـ بـنـفـسـهـ وـبـمـبـادـيـهـ المـقـوـمـةـ إـيـاهـ كـالـفـاعـلـ وـالـغـاـيـةـ ، وـانـحـطـاطـ مـرـتـبـةـ شـخـصـيـتـهـ عـنـ أـنـ يـكـونـ مـجـرـداـ عـنـ الـعـوـارـضـ الغـرـبـيـةـ ، فـلـأـجـلـ كـوـنـهـ فـيـ وـجـوـدـهـ الـعـنـصـريـ مـسـتـصـحـجاـ

١ - ما بين الـهـلـالـيـنـ غـيرـ مـوـجـودـ فـيـ بـعـضـ النـسـخـ .

لعوارض - مسمة بالمشخصات - عرضت لحقيقة ذاته أن يفتقر إلى المادة المحاملة لعارضها المفارقة ، والأفكل ذاتحقيقة فهو - بما هو حق - مستغنٍ القوام عن المادة ولو احتجها ، الأسباب أمر غريب عارض لها ، كالصور عن البلوغ إلى كمال ذاته ، والنقصان عن الوصول بتمام ماهيته ، لأن المادة في كل شيء من حيث هي مادة له ، مستهلكة في صورته إذا نسبتها إلى الصورة نسبة القوة إلى الفعل ، ونسبة النقص إلى التمام ، لأنها مأخذ الجنس ، ونسبة الجنس إلى الفصل بحسب تحصيل الماهية نسبة المادة إلى الصورة في تحصيل الوجود .

فكمَا ان الجنس ماهيّة ذاتية للنوع ، فالمادة وجود ذاتي لها ، فالخشب في كونه مادة للسرير مطلقاً لا يدخل فيه التعين الخشبي ولا غيره ، وكذا حكم جميع المواد .

ولهذا حكم بعض من له توقّد في الطبيع وصفاء في الذهن بالاتحاد الترتكبي بين المادة والصورة ، والسر فيه عموم المادة وابهامها ، بحيث يشتمل في صدقها على الأشياء وتحققها لنفس الصورة المفردة بلا فرقينة - كما حقق مثله في معنى المشتق - فلو أمكن وجود الصورة مجردأ عن المواد لكن الحقيقة بحالها كافية المثل الأفلاطونية والصور المفارقة ، فالعالم عالم بصورته والأنسان إنسان بروحه المدبّرة لا ببدنه .

## الأصل الثاني

إن " تشخيص بدن الإنسان المعين الشخصى من حيث هو بذاته إنما هو بنفسه التي هي نحو وجوده ، وصورته المقومة مرتبة ما من آحاد المقادير ، ووضع ما من أفراد الاوضاع وكيف ما من أفراد الكيفيات ، وأين ما من أعداد الآيون ، من غير أن تشرط خصوصية كل من أفراد هذه المقادير والاضاع و

الكيفيات والابون الا في خصوصيات أزمنة مدة البقاء .

وقد بيّنا في بعض شروحنا للكتب النظرية ان الموضوع للحركة الكمية كالنمو والذبول هو شخص الانسان المتocom من نفس واحدة متعدنة مع مادة مبهمة الذات والكمية، وما يقع فيه تلك الحركة هي خصوصيات الكميات .

وبنينا ذلك على ان المعتبر في تشخيص الانسان هو وجود نفسه التي هي صورة ذاته، وهي الباقية عند تبدل اعضائه من الطفولية الى الشباب والشيب فمادامت النفس الشخصية باقية يكون الانسان الشخصي باقياً وان تبدلت اعضائه كلاً أو بعضاً .

وكما أن تشخيص ذاته بنفسه ، فكذا تشخيص بدنـه – أعني هذا الجسم الطبيعي بالمعنى الذي هو مادة – وكذا تشخيصات اعضائه ايضاً بالنفس السارية قـواها فيها ، فاليد والرجل وسائر الاعضاء مادامت تقومها النفس بقواها ، وتدبرها وتحرـكها ويصل اليها مدد الفيـض منها وبـها ، وهي مسافة اليها اضافـة طبيعـية ولا عـرضـية فهي متـعـينة بها بـأـسـتها يـدهـا ، ورـجـلـها ، واعـضـائـها – وان تـبـدـلت خـصـوصـيات مـقـادـير كلـ منـها وآـحـاد كـيفـيـاتـها و اوـضـاعـها بـعـدـما انـحـفـظـت نـسـبـتها الطـبـيعـيـة الى النـفـس الـواـحـدـة الـمـعـيـنـة الـمـسـتـمـرـة من اـوـلـالـعـمـرـ الى آخرـه .

فالبدن له اعتباران: اعتبار كونه بـدـنـا لهـذـه النـفـسـ ، واعتـبارـ كـونـه حـقـيقـةـ فـيـ حدـاتهـ وـجوـهـهـ منـ جـمـلةـ أـجـسـامـ الـعـالـمـ ، فهوـ باـلـعـتـارـ الـأـوـلـ باـقـ مـسـتـمـرـ بـيـقـاءـ النـفـسـ التـيـ هيـ صـورـةـ ذاتـهـ وـعـلـةـ وـجـودـهـ وـغـايـةـ تـكـونـهـ ، وهوـ باـلـعـتـارـ الـثـانـيـ زـائـلـ فـاسـدـ مـتـبـدـلـ وـكـلـ نـمـوـ وـذـبـولـ وـزـيـادـةـ وـنـقـصـانـ عـلـيـهـ .

فلو سئـلـ سـائـلـ وـقـالـ: هلـ بـدـنـ زـيـدـ – مـثـلاـ – فـيـ وـقـتـ الشـيـابـ هوـ بـعـيـنـهـ بـدـنـهـ فـيـ وـقـتـ الطـفـولـيـةـ ؟

فالجواب بـ « لا » و « نعم » كلاهما صحيح ، كل من السلب والإيجاب صادق بوجه دون وجه ، فهو من حيث هو بدن زيد شخصي ذو نفس شخصية صح انه هو بعينه ذلك البدن بلا تبدل الا في عوارض هذا المعنى بما هو هذا المعنى ومن حيث أنه جسم له طبيعة جسمية - مع قطع النظر عن ارتباطه بأمر آخر - فهو في كل سنة غير الذي كان في السنة الأخرى ، بل في كل ساعة ولحظة هو غير الذي كان وسيكون لكونه دائماً في التحلل والذوبان .

فإذا حكمت هذا فاعلم انه اذا فرض تبدل هذا البدن بالبدن الآخر مع بقاء النفس فيهما صح قوله بأن أحدهما بعينه هو الآخر ، وصح اعتقادك بأن ما يرى في المنام بعينه هو هذا البدن المتعين ولا عبرة بتبدل المواد والخصوصيات أولاً ترى أن النبي صلى الله عليه وآله شخص واحد ، وقد يرى في ليلة واحدة لائف رجل بهيئات وأشكال مختلفة ، يرى لكل واحد منهم بوضع خاص من الشيب والشباب مخالف لما يرى لغيره ، ومع ذلك فكل من يراه في المنام فقد يرى شخصه ذاته ، لأن الشيطان لا يتمثل بصورة النبي صلى الله عليه وآله مع ان جسده العنصري مدفون في روضة المدينة لم يتحرك من مرقده الشريف وذلك لأن حقيقته المقدسة ليست الا روحه المطهرة مع أي بدن كان .

فكل من رأى بيصره القلبي نفسه المقدسة مع أي تمثيل كان فقد رأى صورة ذاته بعينه ، لأن العبرة بتعيين الشيء هي نفسه وصورته مع آية مادة كانت والبدن بمنزلة الآلة المطلقة للنفس والمادة المطلقة لحقيقة صورة الإنسان والآلة من حيث هي آلة اذما تعيين بذاتها ، وكذا المادة وجودها في غاية الابهام ، وانما يتعين بالصورة و تستهلك فيها .

ولهذا يكون شخصية زيد و تعينه باقياً مستمراً من أول صباح الى آخر شيخوخته ، مع أن جسميته مما تبدل و تجددت بحسب الاستحالت و

الامراض ، وكذا جسمية كل عضو من اعضائه ، وكما أن زيداً الشخصي بمجموع ما يدخل في قوام هويته من النفس والبدن باق مستمر فكذا جسميته وبدنه ايضاً من حيث كونه بدنأ له ومرتبطاً به ارتباطاً طبيعياً موجود شخصي واحد مستمر من أول العمر إلى آخره وإن تبدلت ذاته بذاته من حيث جسميته لامن حيث بدنيةه لما علمت من الفرق بين الاعتبارين ، فاقن هذا كي ينفعك في كثير من المطالب :

منها اثبات الحشر الجسماني وأحياء عظام الموتى وهي رميم .  
ومنها حشر بعض الناس بصورة القردة والخنازير ، مع كون المحسور وهو بعينه الذي كان في الدنيا متصوراً بالصورة الإنسانية . وفيه سر آخر .  
ومنها كون شخص من الإنسان حين تجرده عن المواد والبدان لم يــطل شخصيته ، بل يكون حين تجرده عنها وحين تعلقــه بالبدن هو بعينــه شيئاً واحداً شخصياً .

### الأصل الثالث

ان تشخيص كل شيء بنحو وجوده الذي يخصه ، سواء كان مجردأ أو مادياً وما اشتهر من كون المشخص في الماديات هي العوارض المادية فانما هو بمعنى آخر ، وهو ان كل شخص مادي يلزمــه مادام وجوده المادي كميةــه ، وكيفيةــه ، ووضعــه ، وأينــه ، و zamanــه ، من حد خاص إلى حد خاص يناسب قوته وبقائه في عالم الطبيعة ، فهي من لوازم كونــه الطبيعي وأمارــات وجوده الدنياوي ، وليس أن لا يتصور بقاء شخص بعينــه بدون تلك الاعراض ، بل يمكن تصوــر ذلك فيما لــه امكان أن يتقوى وجودــه ويستكمــل بحيث يستغنى بعلــته المفيدة (الفياضة - ن) عن المقارــنات والمعاونــات الغربية والاسباب الحســية

. المادية .

كما في الصور الإنسانية عند تجردها واستقلالها، فإن الصورة الإنسانية في أول التكون لم تكن إلا متعلقة بالمادة البدنية ، لأنها كانت نطفة ثم علقة ثم مضخة، ثم نباتاً، ثم حيواناً، ولكن بفضل الله ورحمته أنشأ فيها النشأة الآخرة الإنسانية ، وأعطاهما جناحين يطير بهما إلى صنع الملكوت متى قويت قوتها بالغذية الروحانية، وخلعت عن ذاتها اللباس الحسي ، ونفضت عن أطرافها هذه السلسل والاغلال ، بل النفس - وهي بعد في هذه الغواشي الهيولانية - تكاد ترك عالم الأجسام كلها وعوارضها جملة مع بقائها شخصاً .

## الأصل الرابع

ان الوحدة الشخصية في الجوادر المجردة يجامع قبول التطور بالأطوار المختلفة ، والتشاءن بالشوون المتعددة ، والاتصاف بصفات متضادة ، وليس الجوهر الجسماني في قبول سعة دائرة الوجود له كالجوهر الروحاني، فان الجسم الواحد يستحيل أن يجتمع عنده اوصاف متضادة وأعراض متقابلة ، و ذلك لضيق وعائه الوجودي .

أو لا ترى ان الجوهر الناطق من الانسان مع وحدتها الشخصية جامحة للتجمس والتجرد، حاصرة للسعادة والشقاوة، وهي مع وحدتها حائزة للحس والخيال، والعقل، وكل منها يكون من عالم آخر، وهي المحساس والمتخيل والمتعقل والمتحرك والساكن وغيرها من الحالات التي كل " منها في عالم من العالم .

وربما يكون في وقت واحد ملكاً مقرباً باعتباره، وشيطاناً مريراً باعتبار آخر وذلك لأن ادراك كل شيء هو أن ينال حقيقة ذلك الشيء المدرك بما هو مدرك، بل

بالاتحاد معه كما يراه طائفة من العرفاء المحققون من الحكماء ، كفر فوريوس مقدم المشائين ، وصرح به أبونصر الفارابي في كتابه ، واعترف به أبو علي بن سينا في كتابه المسمى بالمبعد والمعداد وفي موضع من الهيات الشفاء أيضاً ، حيث قال : «ثم كذلك حتى تستوفي في نفسها هيئة الوجود كله ، فتتقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم المحسوس كله ، مشاهدة لما هو المحسن المطلق والخير المطلق ، والجمال المطلق ومتحدة به ومنتقشة بمثاله وهبته ، ومنخرطة في سلكه وصائره من جوهره» انتهى (١) .

ومن له قدم راسخ في تحقيق الحقائق المتعلقة بمعرفة النفس يعلم ان المدرك بجميع الادراكات والفاعل لجميع الافاعيل الواقعه من الانسان على سبيل المباشرة هو النفس الناطقة النازلة الى مرتبة الحواس والالات والاعضاء ، والصادعة الى مرتبة العقل الفعال في آن واحد ، وذلك لسعة دائرة وجودها وبوسط جوهريتها وانتشار نورها في الاطراف والاكتاف للبدن ، بل تطور ذاتها بالشؤون والاطوار ، وظهورها في مظاهر الاعضاء والقوى والارواح ، وتنزليها بمنزل الاجسام والاشباح مع كونها من سبخ الانوار وعالم الاسرار .

فمن هذا الاصل تبيّن وتحقق كون شيء واحد تارة مجردأ وتارة مادياً ، وما اشتهر من متاخرى المشائين ان شيئاً واحداً لا يكون له الأحد نحوه الوجود - الربطى او الاستقلالى - غير بيّن ولا يبرهن عليه ، بل الحق خلافه ، نعم لو اريده منه أن الوجود الواحد من جهة واحدة لا يكون ناعتاً وغير ناعتي لكن صحيحاً .

١ - الشفا : المقالة التاسعة من الالهيات ، الفصل السابع : ٥٤٤ .

## الأصل الخامس

ان الصور والمقادير كما تحصل من المبدء بحسب استعداد القابل والجهات الانفعالية، كذلك يتحصل منه بمجرد الجهات الفعلية وتصورات الفاعل والحيثيات الفاعلية من غير مشاركة مادة ما او اشتراط حركة ما او استعداد عنصر ما ، ومن هذا القبيل وجود الافلاك والكواكب وكليات الطبائع والانواع حيث وجدت من المبادي العقلية بمحض تصورات المبادي كيفية وجودها ونظمها وكما ان للاوامر تأثيرات في العالم الانساني أحياناً مادامت النفس في هذه الدنيا، فحكم تعلقات المبادي في سبيتها لوجود الاجرام والاشكال وحكم تصورات النفس في الدار الاخرة هكذا .

وان سئلت الحق فالصور الخيالية صادرة عن النفس بقوتها الخيالية ، وهي ليست موجودة في هذا العالم ، والارهاك كل سليم الحسن لأنها من جنس المحسوسات ، ولأنها قائمة بالجسم الدماغي - كما زعمه الجمهور من الحكماء - ولافي عالم المثال - كما رأه الاشراقيون - بل هي مع عظمها وكثرتها من الاشكال والصور العظيمة على عظم الافلاك الكلية والصحابي الواسعة والبلاد العظيمة موجودة في عالم النفس وفي صدق منها، اذا القلب الانساني أعظم بكثير من العرش وماحواه ، بل العرش وماحواه لو كان في زاوية من زواياه لما أحسن بها ، كما ذكره أبو يزيد عن نفسه ، فهي صور موجودة لافي هذا العالم ، بل تراها النفس بباصيرتها القلبية ، وتشاهدها عند تغميض هذه العين مشاهدة أصح من مشاهدتها الحسينيات المادية .

واما عدم ثباتها وعدم ترتيب الآثار عليها فلضعف تحصيلها الوجودي لكثرة شواغل النفس وانفعالها ساعة فساعة بما يورده الحواس الظاهرة عليها من آثار هذا العالم ، وتفرق قواها في البدن وضعف همتها وعدم جمعية خواطرها ، حتى

لوفرض أن يرتفع عن النفس الاشتغال بأفاعيل سائر القوى المحركة والمدركة، وتزول افعالات الحواس الظاهرة عنها ، وتكون قواها منحصرة في الخيال والتوصير، تكون الصور التي تتصورها حينئذ بقوتها الخيالية وتشاهدتها بباصرتها الباطنية في غاية مافيها من قوة الوجود وترتباً الآخر ، وتكون هي أقوى خطرًا عن هذه المحسوسات بكثير .

وكما تكون تلك القوة يومئذ قوة باصرة تكون هي بعينها قوة فعالة ، فتচير قوة واحدة من النفس عند قيامها عن شوائب هذه الدار فاعلة ومدركة معاً من غير تغافل - لا بالذات ولا بالاعتبار - فتكون مشاهدة النفس لتلك الصور عين قدرتها عليها ، كما هو مذهب الاشراقيين في علم الواجب من أن علمه بالموجودات راجع إلى بصره الذي هو عين قدرته عليها.

## الأصل السادس

ان الله تعالى قد خلق النفس الإنسانية بحيث يكون لها اقتدار على إنشاء الصور الباطنة عن الحواس ، وكل صورة صادرة عن فاعلها بالذات فلها حصول له ، كما ان لها حصولاً لقابلها ان كانت مادية وليس حصولها لفاعلها وقيامها به عبارة عن حلولها فيه وانتصافه بها ، بل انما ذلك شأن حصول الصورة لقابلها - لأن القابل لنقصه الوجودي يستكمل بالصورة - جوهرية كانت او عرضية - ويتصف بها وينفع عندها ، وأمّا الفاعل فهو لا يستكمل بمحضه ولا يتصرف به ولا ينفع عنه ، لانه فياض يفضل عن وجوده وجود معلوله في مرتبة متاخرة . فللنفس الإنسانية في ذاتها عالم خاص بها من الجواهر والاعراض المفارقة والمادية ، والأفلاك المتحركة والساكنة ، والعناصر والمركبات وسائر الخلائق المحاصلة لها بقدرتها واحتراها ، والنفس تشاهد هابنفس حصولاته الاباحصولات

اخرى ، والايتسسلل لالى نهاية .

وهذه القدرة والقوة التي تكون لاصحاب الكرامات في ايجاد الصور الغيبية في الدنيا تكون لعامة الناس في الاخرة ، سواء كانوا سعداء او اشقياء ، الا ان السعداء لسلامة قلوبهم عن الامراض الباطنية وصححة نفوسهم عن العقائد الفاسدة يكون قرينهما في الدنيا والاخرة صور حسنة مليحة من وجوه الحسان والمحور والغلمان والرضوان ، وأنواع النعم والكرامات - على حسب ماغلب عليهم من العلوم والنيات و فعل الحسنات - .

واما الاشقياء فلم يثبت سيرتهم ودخل سريرتهم وردائة أخلاقهم وملكاتهم ، واعوجاج طبائعهم وفساد عقائدهم ، والفهم بالدنيا وعادتهم بالشهوات التي هي كسراب بقعة يحسبه الظمان ماء يكون قرينهما في القيمة عذاب جحيم ، ونار حميم ، وعقارب وحيتان وصور موحشة قباح ، وأنواع من العذاب والعقاب

## الاصل السابع

انه لا بد لتجدد المتتجددات من جهة استعدادية مرجعها الى القوى روالقوة وليس من شرط كل حادث أن تكون له مادة جسمانية تقبل مقداراً تعليمياً ذا وضع تنفع منه هذه الحواس الدنياوية، بل المصحح لوجود هذه الهيولى ايضاً ليست الا جهة من جهات الفاعل العقلي ، اذ كل من الهيوليات الفلكلورية والعنصرية انما صدرت عن فاعلها القريب بجهة خصيصة فيه - هي الامكان - ومنشأ الامكان - ذاتياً كان او استعدادياً - في الجوادر المفارقة أو المقارنة هو نقص الوجود وقصور التجوهر عن الوجود القيومي والتجوهر الالهي ، فاذا علمت ذلك فنقول : كما ان العقول عند المعتبرين من الحكماء والراسخين من العرفاء على ضربين : منها العقول العالية الواقعه في سلاسل طولية ، وهم الملائكة الاعلو

ليس فيهم الأجهة شريقة هي نسبتهم إلى المبدء تعالى جده ، وليس لهم التفاتاً إلى ذواتهم النورية القدسية فضلاً عما ورائهم ، فلا جرم لا يقع من جهاتهم الشريفة الوجودية الوجوبية الأعمدة الأخرى .

ومنها العقول العرضية التي هم الملائكة الأدنى لقربهم بعالم الأجسام ، ويسمون بـ «أرباب الأصنام» وهي أدوات منزلة من القواهر الطولية ، ولهذا صدر منهم الأصنام والجثث بواسطة التفاتهم إلى ذواتهم الفاقرة الموصوفة بالقصور الامكاني ، ولو لقصورهم الامكاني والتفاتهم إلى ذواتهم لما صدرت عنهم الأجسام .

فعلى شبه هذا التقسيم تنقسم النفوس بحسب الامكان الاستعدادي : فمنها ما يتعلق بالإبدان المادية الاستعدادية والأجرام المستحيلة الكائنة الفاسدة ، فتنفعل عن هيئتها وعارضها المادية ، لكونها بالقوة لا يمكن لها أن تستكفي بذاتها . ومنها ما لا يتعلق بالإبدان المستحيلة ، بل الإبدان تنشأ منها نسأة ثانية . وتوجد بتبعيتها كوجود الظل من ذى الظل من غير استعداد مادة وانفعال وتغيير من حال إلى حال ، بل بمجرد جهة فاعلية في النفس مع حبيبة امكانها وقصورها عن درجة الكمال التام العقلي ، اذ لو بلغت إلى حد العقل لم يتبعها تجسم وتكلدر ، فهذا القسم من النفوس تجردت عن الحسن دون الخيال ولو تجردت عن الخيال والتمثيل كانت عقولاً صرفة .

فالنفس عند تفردها عن البدن العنصري سواء كان بالنوم أو الموت يصبحها القوة الخيالية التي للنفس بمنزلة القوة الهيولانية للبدن ، ويلزمها البدن الناشي عن النفس نشو الظل عن الضوء ، والعكس عن الشخص من غير انفعال .

وهذا القسم من النفوس - سواء كانت أشراراً أو أخيراً - أقوى قوة وأشد

تأثيراً من النفوس العنصرية المنفعلة عن الابدان، وقد مر أن قوة النفس لا ينافي شقاوتها .

\* \* \*

فإذا تمهدت هذه الأصول ، وتشتد أركان هذه الفضول ، فبعد تذكرها وتدبرها من أوائلها إلى خواتيمها بادرك صحيح وطبع سليم ونظر ثاقب وفهم ذكي تحقق وتبين حقيقة المعاد الجسماني وحقيقة الرجوع الإنساني بكل جزئيه ، الجسماني والروحياني ، وبه يندفع جميع شبه المنكرين وكافة أبحاث الجاحدين للحق ، المعاندين في ثبات المعادين ، وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم ، ومنه المعن "الجسم".

ولولا مخافة التطويل المؤدي إلى الاطنان الممل لاوردت واحدة واحدة من الشبه المعقودة المذكورة في باب المعاد ، وتبيّنت وجه التفصي عنها باستعانته بهذه الأصول الممهدة واستنباطها ، ولكن الموفق ، المهتمي بنور الحق يمكنه الاستعانت بها ، والاستضيائة بأشعة أنوارها ، والاقتباس من لوامع أسرارها وبدايات آثارها ، فيسلك بها طريق الآخرة ، وينظر منها أسرار المعاد ، ويزيد بسببيها الإيمان بالله ، والاعتقاد يوم المحساب - يوم الجزاء لاعمال العباد ، يوم يخرجون من أجداد الأبدان .

واما البليد الذهن المختوم على قلبه الواقف ، او العنيد المنحرف الممسوخ المخالف ، فلا ينفعه تكثير الفوائد ونشر الموائد ، وبسط المقدمات وافاضة الخيرات ، بل ما يزيدهم عن الحق الانفوراً ، وما زادهم الحكمة اسفها وقصوراً

قوله سبحانه :

انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون [٨٢]

### في هذه الآية مسائل :

المسئلة الاولى في معنى الامر

قبل : «الامر» هيئنا بمعنى الشأن «انما أمره» اي : انما شأنه «اذا أراد شيئاً» ودعاه داعي حكمته ومصلحته الى تكوينه «أن يقول له كن فيكون» ولا بأس عليك ان تحمل «الامر» هيئنا على ما يرادف معنى الحكم الانشائي والامر التكعيبي فان الامر من الله كباقي اقسام كلامه على ضربين :

أحدهما ما هو بمعنى التكعيب والانشاء المطلق .

والثاني هو بمعنى طلب الفعل من العبد ، وهو الامر التشريعي .

ومن القبيل الاول : \* (يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) \* [٦٩/٢١] \* (كونوا قردة خاسدين) \* [٦٥/٢] \* (كونوا حجارة) \* [٥٠/١٧] \*

ومن قبيل الثاني قوله تعالى : \* (كونوا قوامين بالقسط) \* [١٣٥/٤] .

والمخاطب بالامر التكعيبي والخطاب الاجادي لا يكون الاذوات الماهيات المجموعلة ، المستعدة لسماع قول الحق بآذانهم السمعية ، الوعية المطيبة لاذان الحق وادنه لهم وندائه عليهم بالدخول في دار الوجود ، فسمعوا نداء الحق بقوله : «كن» وأطاعوا أمره ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ودخلوا في دار رحمته وبلدته جوده ونعمته ، كما قال مخاطباً للسموات والارض : \* (اعطياطوعاً او كرهها قالنا

\* [١١/٤١] أتينا طائعين)

واما المخاطب بالأمر التشريعي والخطاب التكليفي فلا يكون الا ضربا من النفوس الانسانية حين وجودها العنصرى ، وكونها الدنياوى وبلغها النفسيانى وكمالها البدنى .

وفي الامر الاول لامجال للعصيان لانه الدين الفطري الالهى الذى يستحبيل التمرد عنه والمعصية فيه ، وبهذا جرت سنة الله التي لا تبدل لها ، وأما الامر الذى أمر به عباده على ألسنة رسleه وألواح كتبه فمنهم من اطاع ومنهم من عصى وبارتفاع الوسائل لا سبيل لاحد الا القبول والطاعة .

ومثال هذه القاعدة النفس الانسانية التي خلقها الله مثلا له ذاتاً وصفة ، وجعلها سلطاً الى حضرته ، وصر اطاً مستقيماً الى جنابه ، وحاملا لسر ربوبيته وامرها ونهييه وكتبه ورسله وملائكته وعباده الصالحين والطالحين من الجن والانس أجمعين .

فمن أراد أن يعرف ما ذكرناه فلينظر الى نفسه في أمرها ونهييه وتكوينها بلا واسطة لسان ولا جارحة ولا مخلوق غيره ، فهو على بيته من ربها في كماله ، وقد خلقت أعضائه مسخرة لا تستطيع له خلافاً ولا عليه تمرداً ، فإذا أمر العين للانفتاح انفتحت ، وإذا أمر الرجل للحركة تحركت ، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم ، وكذا سائر الاعضاء ، فهي له من جهة أمثالها بمنزلة اجرام السموات والارض الله تعالى في حر كاتها وسكناتها .

ولهجنود روحانية هي أقرب منزلة منه ، وأسرع قبولا لطاعته ، وأشد سماعاً لامرها ونهييه ، وهي قواه الادراكية اولا وقواه التحريرية ثانياً ، كل منها على طبقات متفاوتة في الشرف ، ودرجات مترتبة في القرب منه والطاعة لحكمه والسماع لامرها ، هي كلها بمنزلة ملائكة الله العلوية والسفلى ، العلمية والعملية على شعوبها وقبائلها ، المترتبة في مقاماتها النازلة في مراتبها ، كل له مقام معلوم ، حيث أنهم كلهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافاً ، بل لا يعصون الله ما

أمرهم ويفعلون ما يؤمنون .

وأمّا أمره ونفيه بالواسطة من لسان أو غيره فقد يكون واقعاً وقد يكون غير واقع، فما شرع في التكوير بواسطة جارحة من جوارحه، فلم يقع في شيء دون شيء بواسطة كلّ الالات الجارحية وفتور الاعصاب والادوات العرضية مع عموم ذلك اذا رفعت الوسائل وتركت من البين فلا يقبح في كماله .

## المسئلة الثانية

### فِي مَعْنَى الْإِرَادَةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ

ان الارادة فيما شوق متأكّد عقيب داع، هو تصور الشيء الملاائم الحسي أو الظني أو الحقيقـي تصوراً تخليـياً أو ظنـياً أو عقلـياً موجـباً لتحرـيك القوة المحرـكة للأعضاء الآلـية، كالـرواح ثم الـاعصـاب ثم الـاعضـاء ، لـاجـل تحـصـيل ذلك الشيء من حدود العلم الى حدود العـيان والـشهـود .

والارادة في الواجب هي المحبـة الـالـهـيـة التـابـعـة لـابـتهاـجـه بـذـاتهـالـتـي يـنبـوـعـ كلـفضـيلةـوكـمـالـوـخـيرـ، وهـي عـيـنـ الدـاعـيـ، وهو نـفـسـعـلـمـهـبـنـظـامـالـخـيرـالـذـيـ هو عـيـنـذـاتـهـ ، المـقـتضـيـلـلنـظـامـالـكـلـيـ ، المؤـدـيـلـلنـخـيرـاتـ أـنـمـ اـقـضـاءـ وـنـادـيـةـ . لـانـهـ لـمـعـلـمـذـاتـهـالـذـيـ هوـأـجـلـالـاشـيـاءـبـأـجـلـعـلـمـ، يـكـونـمـبـتـهـجـأـ بـذـاتـهـأـشـدـ الـابـتهاـجـ ، وـمـنـابـتهاـجـبـشـيـ اـبـتهاـجـبـجـمـيـعـ ماـيـصـدـرـعـنـهـ مـنـحـيـثـكـوـنـهـاـ صـادـرـةـ عنـهـ، فـالـوـاجـبـ تـعـالـىـ يـرـيدـالـاشـيـاءـلـاـلـاجـلـذـوـاتـهـالـامـكـانـيـةـ ، بلـلـاجـلـأـنـهـآـثـارـ صـادـرـةـعـنـهـ تـعـالـىـ ، فـالـدـاعـيـ فـيـاـيـجـادـهـلـلـمـمـكـنـاتـ وـغـايـةـلـهـاـهـوـذـاتـهـ تـعـالـىـ ، فـيـكـونـذـاتـهـ فـاعـلـاـ وـغـايـةـ ، فـهـوـاـلـوـلـ وـالـاـخـرـ .

قال بعض الحكماء : لو أن إنساناً عرف الكمال الذي هو حقيقة واجب الوجود، وكان ينظم الأمور التي بعده على مثاله، حتى كانت الأمور على غاية

النظام، لكان غرضه بالحقيقة واجب الوجود الذي هو الكمال، فان كان واجب الوجود هو الفاعل فهو الغاية والغرض .

ومن هيبتها يظهر حقيقة ما قاله بعض العرفاء، لو لا العشق ما يوجد أرض ولا سماء ولا بحر ولا هواء ولا ماء .

ومما يجب عليك أن تعتقد أن البارى تعالى كما أنه غاية الأشياء بالمعنى المذكور - أي الداعي والسبب الغائي - فهو غاية أخيرة بمعنى أن جميع الأشياء طالبة لكمالاتها، ومتشوقة للخير الأتم، ومتشبثة به في تحصيل ما يتصور في حقها من الخير كل بحسبه، فلكل منها عشق وشوق اليه ارادياً كان او طبيعياً ولأجل هذا المعنى حكم حكماء الالهيون بسريان العشق في جميع الموجودات على تفاوت طبقاتها، وأثبتوا لكل منها شعوراً وعلمًا ، واليه الاشاره في قوله تعالى : \* (ولكل وجهاً هو مولتها) \* [١٤٨/٢] وقوله : \* (وان من شيء الايسبح بحمده) \* [٤٤/١٧] .

ويقتبس كل منها بنار الشوق نور الوصول لديه والقرب منه كمقابل واحد من الحكماء المعلميين: صلت السماء بدورانها، والارض برجحانها ، والمطر بهطلانه، كل يدور على المبدء .

وقيل ايضاً مشيراً الى حركة السماء وسكن الارض: انهما ليسان في هذا الشأن :

فذلك من ع溟 اللطف سكر وهذا من رحيم الشوق سكر

### المسئلة الثالثة

ان حقيقة الامر التكوبيني والارادة الالهية بالمعنى الذي مر " كلتاهمما واحدة، فأمره لكل شيء عين ارادته له، ولامعقب لحكمه ولا راد لقضاءه، فكل

ما أمر به أمراً تكوينياً فلابد من وقوعه وكذا كل مأراد وقوعه ارادة ذاتية أزلية  
فيجب تحققها .

### المسئلة الرابعة

في أن أمره للخلافات وارادته للموجودات ليس أمر قسر واجبار وارادة  
قهقق واضطرار، بل ما أمرهم إلا ما أحبّوه، ولا أراد منهم إلا ما عشقوه ، بحسب  
ذواتهم الأصلية وما هيّاتهم الذاتية قبل أن ينحرفوها ويتغيّروا عما فطرهم الله عليه  
بل الله سبحانه عامل كل أحد من خلقه معاملة لولم يكن خلق سواه كان عامله  
بها، واختار لكل موجود ما ان وكل أمره إلى نفسه اختار ذلك .

ألم تسمع في الاخبار الواردة ان الله عزوجل خلق الصنائع وعرضها  
علىبني آدم قبل أن يخلقهم هذا الوجود الدنيوي في بعض مواطن الغيوب  
ومكامن النشتات، فاختار كل " لنفسه صناعة فلما اوجدهم اختار لهم ما اختاروا  
لأنفسهم .

وهكذا الامر في كل ما يجري على الانسان، لا يختص ذلك بالصناعات، بل  
ذلك مثال واحد من هذا الشأن، وقس عليه غيره، وليحسن كلّكم ظنه بربه و  
ليحبّه بكل قلبه، فان ربه من الرحمة اليه والحنان له على ما وصفناه، لا على  
ما يظنه بعض المتكلّفة القائلة بأن «نظر الحق بالرحمة والإيجاد الى مجموع  
النظام دون خصوصيات الاحاد» .

فكانه لم يعلم معنى كونه أرحم الراحمين، وكأنه لم يفهم كون الله أحب  
الأشياء للعباد، لأن المحبة والحنان يتبعان الملازمة ، ولا يكون أشد ملازمة و  
خيراً للعبد من الخالق الذي منه وجوده واليه معاده، وهو أوله وآخره وظاهره  
واباطنه وأمره كلّه ، فالحق ان " أمره لهم مسبوق بداعائهم له وطلب الدخول اليه

فلولا سبق السؤال الاستحقاقى لما ورد الامر من الله بالدخول فى دار الوجود بالفيض المقدس، كما انه لولا الفيض المقدس المستدعي لما هياتهم وأعيانهم الثابتة التى هي كظلال أشعة الاسماء الالهية، لما سبق منهم الاستيدان والسؤال الوجودى الفطري الذى يسأله الذات المطيبة السامعة لقول الله «كن» الداخلة امثلا له في الوجود .

وقول «كن» ليس أمر قهر وقسر، لأن الله غني عن العالمين، ولا حاجة له الى وجودهم ليجبرهم عليه ، كما لا حاجة له الى عبادتهم و طاعتهم فى الامر التشريعى ، وإنما أمرهم بالاحكام الدينية لما رأى فيه صلاح حالهم فى النشأة الأخرى، كذلك أمرهم بالامر التكويني أمر اذن ، لأنه مسبوق بسؤال الوجود منهم له ، فكانه قال العبد لربه ائذن لي أن أدخل فى عالمك وهو الوجود، فقال الله «كن» اي «أدخل حضرتى فقد أذنت لك» كما حكى الله عن عيسى عليه السلام :\*(أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله)\* [٤٩/٣] فلو لا سبق السؤال الوجودى عن الطائر أن يكون لم يسم ذلك اذنا .

## حجاب وكشف

فإن قيل: أين للمعدوم لسان يسئل بها ؟

قلنا : ان ذلك بعد ثبوت أعيانهم و ثبوت ما هو بمنزلة لسانهم كما أشرنا اليه ، و هو المشار اليه فى قوله صلى الله عليه و آله : « ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره » -- الحديث -- فالاول اشارة الى الفيض المقدس ، و الثاني الى الفيض المقدس ، و تتحققيقها يحتاج الى مجال آخر ، لانه من مزال الاقدام و مضال الاقوام ، و من هيهنا ضلت المعتزلة من أهل الكلام ، و ذهبوا الى انفكاك الماهيات عن وجودها فبعدوا عن الحق بمراحل .

## المسئلة الخامسة

في لميّة صدور العصيّان وحصول الشقاوة لفراود الإنسان

لما تحقق أمره وارادته تعالى للأشياء على الوجه الذي  
قررت من كونها عين المحجة الالهية، الجاعلة كل أحد على أفضل ما يختار له  
ويحب لنفسه، فما معنى صدور المعاichi عنهم والاثام المعقيبة لهم يوم القيمة  
صنوافاً من الالام؟

<sup>١</sup> - المسند: ٤ / ٦٢ (فأصلتهم عن دينهم).

إلى غير ذلك من الطاعات المعروفة، فإن كل ذلك دين الله الذي دينه ودعا إليه عباده أجمعين، وأمرهم به قبل خلق السموات والارضين، فأطاعوه وتقلدوه طوعاً ورغبة وحنيناً ومحبة.

ولو لم يكن هذه الهيئات مما يقتضيها ذاتهم كانت دعوتهم إليها دعوة إلى شقاوتهم، لأن سعادة الشيء ليست إلا ما يقتضيه ذاته ويلاائم نشأته ويوافق طبعه (طلبهـن) ولا شقاوته إلا خلاف ما يقتضيه ذاته، وإنما كبرت الصلوة وثقلت الطاعات على الناس لما انشب فيهم أظفار من العارض الغريب \* (بل أتبناهم بذكرهم عن ذكرهم معرضون) \* [٢٣ / ٧١] \* (ولوشئنا لابينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني) \* - الآية [٤٢ / ١٣] .

فأما الخاسعون - وهم الذين باشروا أنوار الحق فهو سهم حتى خشعوا لها فإن الله إذا تجلى لشيء خشى له - فليست الصلوة كبيرة عليهم، ثم إن هذا المرض الذي عرض لذواتهم، والحالة المنافية التي حلّت بهم، لو لا أن وجدوا قبولاً من ذواتهم لعوضها لهم وادناؤ في لحوتها بهم لم يكونوا يعرضان لهم أبداً ولا يلحقان بهم ، فاذن كان مما يقتضيه ذاتهم أن يلحق بهم امور منافية لجواهرهم، فإذا لحقتهم تلك الامور اجتمعت فيها جهتان: جهة نورية فطرية، وجهة ظلمانية وهمية، فكانت ملائمة منافية.

اما الملائمة فلان ذواتهم اقتضتها، واما كونه منافية فلانها اقتضتها على أن يكون منافية لهم، ولو لم يكن منافية لهم لم يكن ما فرضناه مقتضى لها، مقتضى لها، بل أمر آخر - هذا خلف - .

فالشيء عند عروض مثل هذا المنافي ملتصق متألم، سعيد شقي، ملتصق ولكن لذاته ألمه، سعيد ولكن سعادته شقاوته، وهذا عجيب جداً ولكن او ضحناه لك ايسحاياً لم يبق معه عجب ورب انشاء الله .

ولهذه الواقعة أمثلة كثيرة في العلوم الطبيعيات مثل الحركة القسرية فإنها صادرة عن الطبيعة بواسطة عروض ميل غريب، ومثل الحرارة الغريبة عند الحمي، فإنها محللة للبدن، مضعة له، مؤذية للنفس، مع أن النفس يحدثها في البدن، لاجل انحراف الطبيعة عن اعتدالها اللائق بها في كل وقت .

ومثل الشكل الغريب الذي عرض للارض أولاً بواسطة أمر غريب حادث فيغيرها عمما كانت وأخرجها عن الكروية التي مقتضى طبيعتها الاصلية فصار لها طبيعة قبلته الارض وحفظته ببوستها التي هي كيفية طبيعية لها ، فالذي كان لها أولاً بمنزلة الافة والمرض ، صار لها أخيراً بمنزلة المطبوع الموافق كالصحة ، فلو لم يكن في طبعها من القوة الهيولانية ما يقبل الاشكال العارضة لاجل مصادفة الامور الغريبة لما قبلتها بوجه من الوجوه أصلاً ، كالأفلاك وما فيها ، فالذي قبلته الارض من هذه التضاريس في سطحها فانما قبلته لأنها مطبوعة من وجهه ، مقصورة من وجهه .

وتحت هذه الامثلة أسرار عظيمة لا ينفعون بها الا القلون من العلماء\*(و تلك الامثال نضر بها للناس وما يعقلها الا العالمون)\*[٤٣/٢٩]

## تفريغ

فإذا علمت هذه القاعدة فمهما سمعت قول الله عزوجل يذكر هذه الأشياء بالبعد والشقاوة، فهم أشقياء مبعدون لا شك في ذلك ، فان العذاب مطبق عليهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ومهما سمعت عزوجل ينبيء عن خلقه كلته بالحسن والبهاء، ويدرك نفسه بالرحمة التي وسعت كل شيء، فاعلم انه بالنظر الى تلك الجهة الدقيقة التي نسبناك عليها ، ان " ذواتهم لولم تستدع عروض العذاب الدائم لم يكن يفعل بهم ذلك ، فان الله عزوجل لا يولئ أحدا الا

ماتولاه عدلا منه ورحمة .

وقد ورد: إن الله خلق الخلق في ظلمة، ثم قال لهم ليختبر كل منهم صورة أخلقه عليهما، وهو قوله تعالى: \* (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) \*[١١/٧] فمنهم من قال: «رب أخلقني خلقاً حسناً أعدل ما يكون ، حتى لا يكون مثلي أحد في الحسن والجمال» ومنهم من قال: «أخلقني خلقاً قبيحاً أبعد ما يكون من المناسب وأوغله في التنافس، حتى لا يكون مثلي في القبح والبعد عن الاعتدال أحد» و كل منهما أحب لنفسه التفرد، فان حب الفردانية فطرة الله السازية في كل الامم التي يقوم بها وجود كل شيء، فخلق الله كلا من الخلق على ما اختار لنفسه، و أراد لكل منهم ما أراده لنفسه .

## تفريع آخر

فاعلم يا حبيبى ان كل نكرة معرفة ، وقبل كل لعنة رحمة ، وهى الرحمة التي وسعت كل شيء، فان الله تولى كل أحد ماتولاه لنفسه، وهو قوله : \* (و من يشاقق الرسول من بعد ماتبىءن له الهدى ويتبىءغ غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى و نصله جهنم و سائئت مصيره) \*[١١٥/٤] .

وقد ورد في الخبر موقوفاً على ابن مسعود في صفة يوم القيمة (١) ان الله عز وجل ينزل في ظلل من الغمام من العرش الى الكرسي ، فينادى مناد أيها الناس ، ألم ترضاوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، أن يولي كل أحد منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا أليس ذلك عدلاً من ربكم ؟ قالوا : بلى .

١ - راجع الحديث في المستدرك للحاكم : كتاب الاهوال : ٤/٥٩٠ والترغيب والترهيب للمنذري : كتاب البعث : ٦/١٨٣ .

قال : فينطلق كل قوم الى ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ، ويمثل لهم أشياه ما كانوا يعبدون – الحديث بطوله .

وكما يولون في الآخرة ما تولوا في الدنيا ، فانما يولون في الدنيا ما تولوا في السوابق حين خلقوا في الظلمة ، فان شككت في ذلك فاتل قوله تعالى :

\* (انّا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبین أن يحملنها أو أشققن منها وحملها الانسان) \* – الآية [٧٢/٣٣] لتعلم أن الله لا يحمل أحداً شيئاً قهراً وجبراً ، بل يعرض عليه أولاً ، فان تولاه ولاه ، وان لم يقوله لم يقوله ، وهذا حمة الله وارادته الخالية عن الكراهة أصلاً ، ويرحم الله امرءاً آمن بالكتاب كله ولم يدار بالصرف والتأويل الى ما يبلغه بعقله وبعقول غيره من الباطيل ، ولم يسلك سبيل المقتسمين ، الذين جعلوا القرآن عضين .

## وهم وتنبيه

لا يقال : ليس تولية الشيء ما تولاه عدلاً من كل وجه ، بل حيث يكون ذلك التولي من رشد وبصيرة ، فان السفيه قد يختار لنفسه ما هو شر بالنسبة اليه وضر لجهله وسفاهته ، ثم لا يكون توليته اياه عدلاً وحكمة – بل ظلماً وجوراً – وانما العدل والحكمة والشفقة في ذلك منعه اياه وصرفه عنه .

لانقول : هذا التولي الذي كلام مترافقه ليس تولياً يحكم عليه بالرشد والسفه ، والمنفعة والمضر ، وانما هو تولى سابق على النفع والضر ، حاكم على المخير والشر ، لأن به يصير الشيء متعيناً في الخارج بالأسباب المقدرة له ، وما يختاره السفيه لذاته انما يسمى شرًّا ، لأنها مناف لذاته فلذاته اقتضاء أول متعلق بنقيس هذا الاختيار ، فذلك هو الذي اوجب لنا أن نسمى هذا شرًّا بالنسبة اليه ، وأما اقتضايه الاول فلا يمكن وصفه بالشر ، لأنهم يكن قبله اقتضاء يكون هذا بخلافه

فيوصف بأنه شر، بل هو الاقتضاء الذي لا يكون إلا خيراً، لأن الخير ليس إلا ما يقتضيه ذات الشيء، ولو اطلق لفظ «الشر» على ماهية امكانية يكون مرتبتها في درجة الوجود والفضيلة الحقيقة دون مرتبة موجود آخر مع استحالته أن تكون هي إلا هي، لأن ذلك الاطلاق على غير المعنى الذي كلامنا فيه الان فان الشر معناه العرفي هو عدم وجود ما، او عدم كمال وجود ما - لمامن حقه بما هو هو - أن يناله بحسب استعداده الفطري او الكسبى .

وأما كون الحمار ليس له وجود الانسان وكماله، فلا يعد شرًا بهذه المعنى والتولى الذي كلامنا فيه ان الحق سبحانه ما ولتى كل شيء الا ما تولا به بنفسه، هو الاستدعاء الذاتي الاولى، والسؤال الوجودي الفطري ، الذي يسئله الذات القابلة المطيبة السامعة لقول «كن» منه تعالى، فيدخل في عالمه بعد الاستيدان منه ، والامر من الحق تعالى .

فهذا تحقيق الامر الابداعى والارادة الازلية، المتعلقة بذوات الاشياء وأما الامر التشريعى والتكتويني الحادثان، والارادة المترتبة على استحقاق العبد من جهة أعماله فهي ايضاً على ما يناسب الفطرة الثانية له في الدنيا والآخرة فمن تولى الله وأحب لقائه وجرى على ما جرى عليه الاوامر الشرعية والتکاليف الدينية، تو لهم الحق وهو يتولى الصالحين ، ومن تعدى ذلك فقد طغى وتولى الطواغيت واتبع الهوى ، ولكل نوع من الهوى طاغوت ولاه الله ما تولا به، فشخص لكل معبود ووجه اليه ، وهو قرينه في الدنيا والآخرة :\*(وما على الرسول الا البلاغ المبين)\* .

أعادنا الله من متابعة الهوى والشياطين، وجعلنا من عباده الصالحين الذين تو لاهم برحمته يوم الدين .

## المسئلة السادسة

### في معنى القول

اعلم ان القول والكلام عبارة - عند المحققين من المتكلمين من انشاء ما يدل على المعنى، وليس من شرط الدلالة المغایرة الذاتية بين الدال والمدلول عليه، بأن يكون ذات المعنى المدلول عليه شيئاً آخر غير ذات ما يدل عليه ، والا لم يفهم عند سماع اللفاظ والعبارات انها لفاظ وعبارات ، وكذا ليس يشترط كون الدال على المعنى من جنس الاصوات والمحروف، بل قد صرخ المحققون من العرفاء وأهل الكشف والشهود، ان روح المعنى المقصود من الكلام هو الاعلام .

وربما يستدلون عليه بتسبيح الحصاة وغيرها، وغير ذلك من الشواهد الدالة على أن الأشياء متكلمة بأسنة ذاتها، ناطقة بحمد الله وتسبيحه من جهة وجوه دلالاتها على وحدانية الله تعالى، وقد عبر سبحانه عن هذه الدلالة في قوله سبحانه : \* (أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) [٤١/٢١] .

وما روى عن أمير المؤمنين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال ذات ليلة سمع صوت ناقوس النصارى (١) : «هذا الناقوس يقول التسبيح الفلاني كذا وكذا» - الحديث . وكذا ما روى عنه صلوات الله عليه انه قال : «أنا كلام الله الناطق» وكذا ما روى عنه أيضاً انه قال مخاطباً للإنسان: وانت الكتاب المبين الذي (٢)  
بآياته يظهر المضمر

١ - بحار الانوار: آخر كتاب العلم ، ٣٢١ / ٢

٢ - ديوانه عليه السلام .

فيه دلالة واضحة على أنه ليس من شرط الكلام والكتاب أن يكون من جنس الأصوات والاحروف، وأمثال ذلك منقوله من كثير من الأكابر والعرفاء وأعاظم العلماء.

والآحاديث الصحيحة الدالة على نطق الأحجار والأشجار لرسول الله صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام كثيرة من غير تعرض في جميع ذلك بأنه كان بطريق الصوت ، أم لا – وإن كان ذلك جائزاً – بل هو مما قد وقع في بعض الأحيان حيث اتفق لهم محاكمات هذه الدلالة الذاتية بالنطق الظاهري أيضاً، فيسمونه كفاحاً بسبب اشراق نور النبوة على مشكوة حواسهم الظاهرة المنورة بأنوار صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله فانعكس ظل السماع القلبي على قوة السمع الظاهري ، فانطبع على لوح بنيطاسيا صورة ذلك السماع العقلي – على سبيل الانحدار من العالي إلى المتوسط ، ثم إلى السافل على عكس عادة الناس في ادراكهم صور حقائق الأشياء ، حيث يقع لهم الاحساس بها أو لا ثم التخيل ثانياً ، ثم التعلق آخرأ .

فإذا علمت هذا فاعلم ان كلام الله ليس معانى قائمة بذات الله تعالى تكون هي من مدلولات الألفاظ التي وقعت في كتب الله النازلة على الأنبياء – كما ذهب إليه الأشعراة، وسموه بـ«الكلام النفسي» وـ«الروايات المدلول الكلام الفظي» – فان ذلك يؤدي إلى مقاصد شنيعة ومثالب عظيمة يجب تنزيه الله عنها ، مما هو مذكور في كتب أهل البحث والكلام.

ولانحصر أيضاً في خلق الألفاظ والعبارات المسموعة – كما زعمه المعتزلة – بل مطلق إنشاء ما يدل على المعانى مع الشعور والإرادة للإعلام ، ولهذا قال تعالى – مثيراً إلى جوهر عيسى عليه السلام – : \* (وَكَلِمَتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مُرِيمَ وَرُوحَ مِنْهُ) [٤/١٧١] وقال مثيراً إلى النفوس الناطقة الإنسانية : \* (قُلْ لَوْ كَانَ

البحر مداداً للكلامات ربي لنجد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي)\* [١٠٩/١٨] « والبحر » اشارة الى الهيولى القابلة للتشكلات ، والصور الحادثة التي هي قوالب معانى النقوس، كالمداد القابل لتشكلات الحروف الدالة على المعانى

## ذكر تنبئيهى

انفقت أئمة أهل الكشف على ان النفس الانسانى تحاكي النفس الرحماني وهو كصداقه ينادي بندائه و يحاكي بأدائه ، فمظاهرهما متطابقة، و مراتبهما متحاكية متشابهة، ومنازلهما منحصرة في ثمانية وعشرون على ما ناح به لسان العارفين .

## اشراق افاضى

ذكر بعض أكابر العلماء انه فرق ما بين « الكلام الالهي » و« الكتاب السماوي » فالكلام بسيط والكتاب مركب من حامل ومحمول، والكلام أمرى \*(انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) \* [٨٢/٣٦] والكتاب خلقى :\*(ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدريك ما عليهن \* كتاب مرقوم يشهد المقربون) \* [١٨/٨٣ - ٢١] وعالم الامر خال عن التضاد، بل انه مقدس عن التغير والتكرر \*(وما أمرنا الا واحدة) \* [٥٤/٥٠] واما عالم الخلق فمشتمل على التضاد والتغير \*(ولارطب ولا يابس الافي كتاب مبين) \* [٥٩/٦] .

و كما أن الكلام مشتمل على الآيات :\*(تلk آيات الله نتلوها عليك بالحق) \* [٢٥٢/٢] فكذا الكتاب مشتمل عليها \*(تلk آيات الكتاب المبين) \* والكلام اذا تشخص و تنزل من سماء التجرد صار كتاباً ، كما ان الامر اذا تنزل والحكم اذا مضى صار فعلا \*(كن فيكون) \* [٨٢/٣٦]

فعلم مما تمهد وتقرر ان وجود عالم الامر « هو قول الله » و صحيفه عالم الخلق هي « كتاب الله» و آياتها أعيان الممكناات و ماهيات الكائنات \* (ان في اختلاف الليل والنهر وما خلق الله في السموات والارض ليات لقوم يتقون) \*

[٦/١٠]

وهذه الآيات البينات انما اندعنت وانشأت أولاً في جواهر عالم الامر و التدبير، ثم بنيت وتصورت في مواد عالم الخلق والتقدير، ليستعد أصحاب التفكير والذكر بسبب مطالعة أبواب هذه الكتب ، و مشاهدة آياتها الفعلية المثبتة في الأفق، واستئماع آياتها القولية المثبتة في الانفس، للارتفاع إلى عالم الامر والانتقال من المحسوس إلى المعقول، والارتفاع من الجزئي إلى الكلي والسفر من الخلق إلى الحق، ومن الشهادة إلى الغيب، ومن الدنيا إلى الآخرة، ليفوزوا بالسعادة العظمى، ويصلوا إلى مشاهدة عالم الربوبية والوحданية الحقة وملوكوت ربهم الأعلى \* (سنر لهم آياتنا في الأفق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم انه الحق) \*

[٥٣/٤١]

## حكمة برهانية

ان الانسان مadam كونه الدنياوي محبوس في مضيق الحواس ومقيد بسجين عالم الزمان والمكان ، فلا يمكنه سماع قول الحق كفاحاً ، ولا مشاهدة الآيات الافقية والنفسية الا واحدة بعد واحدة، وزماناً بعد زمان ويوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ، فيتلو آية وتغيب عنه اخرى ، فتتوارد عليه الاوضاع وتعاقب عليه الانات ، \* (وذكرهم بأيام الله ان في ذلك ليات) \* [٥/١٤] .

وهو على مثال من يقرء طوماراً وينظر الى سطر منه بعد سطر، ويطالع حرفاً بعد حرف، وهذا القصور دركه عن مشاهدة الجميع دفعه واحدة ، فاذا

قويت بصيرته وتكلمت بنور الهدایة والتوفيق - كما هي عند القيامة - فيتجاوز نظره عن مضيق عالم الخلق والظلمات الى سعة عالم الامر والانوار ، فيطلع على جميع ما في هذا الكتاب المبين ، الجامع للاكون الخلقية دفعة ، كمن يطوى عليه السجل الجامع المسطور والكلمات \* (يوم نطوي السماء كطفي السجل للكتب) \* [٢١/٤٠] \* (والسموات مطويات بيمينه) \* [٣٩/٦٧] .

ويمين الله عالم الامر ، ولم يقل بشماله ، لأن أهل الشمال وسكان عالم الضلال ليس لهم نصيب من طي السموات ، وكذلك كل من كان محبوساً في سجن الأجسام ، مقيداً بقيود الحواس فلا اقتدار له على مطالعة آيات الله سبحانه واطلاع على معاناتها ، وفهم حقائق المعارف التي فيها ، ومن لم يتمكن من فهم آيات الله فهو لامحالة معرض عنها ، كأنه لم يسمعها ، ويكون حاله ما أقصح الله عنه بقوله : \* (يسمع آيات الله تتنى عليه ثم يصتر مستكراً كأن لم يسمعها ، فبشره بعذاب اليم) \* [٤٥/٨] .

واعلم ان في الكلام والكتاب أسراراً عظيمة لا يحتمل المقام ايرادها وذكرها ، ولا يمكن لهذه الاسماء الدنياوية أن يسمعها ، فوقع الاكتفاء بهذه اللمعنة البسيرة من آيات كواكبها المنيرة .

## المسئلة السابعة

في حاصل معنى الآية وغرضها المسوق اليه على حسب طاقتنا

لما كانت عمدة ما يصد الناس عن الاعتقاد بأمر المعاد هي أن المفس بعد خروجها عن غبار هذه الدار ، وتفردها عن بدنها العنصري المستعار ، وأر كأنها المتداهية الى الاضمحلال والبوار ، يستحيل رجوعها تارة اخرى الى تدبير هذا

البلقع الخراب ، الحالى عن الاعتدال والاستعداد ، الواقع في مهوى الزوال والفساد، الا بعد حركات فلكلية، واستحالات مادية، وانفعالات هيولوية، وهو ينافي حدوث الابدان عند القيامة دفعة واحدة ، ويلزم ايضاً من عودها الى البدن ما يلزم القول بالتناسخ ، فأشار سبحانه الى حل هذه العقدة ودفع هذه الشبهة بأن انشاء البدن الآخرowi ليس من قبيل الاسباب الارضية والجهات الانفعالية المادية، ومن طريق الاستكمالات العنصرية والانقلابات الهيولوية ، بل جميع الابدان والصور والاشكال الآخرويه والاكونانية انما نشأت من العالم الاعلى دفعة واحدة بحسب ارادة الله التي تبعث منها عالم الامر ، فيحدث منها الاكون و الا بدان المكتسبة ، لكل نفس بحسب ما يناسبها من اخلاقها و صفاتها .

وتعلق النفس بالبدن الآخروي ليس كتعلقها بالبدن الدنيوي ، ومن عادة الله سبحانه أن يعبر عن اختراعه لشيء بلا توسيط مادة جسمانية بـ«الامر» و«القول» ففي هذه الآية اشعار بأن نشو الآخرة وعالم المعاد ليس من لواحق المواد و عوارض استعداد الاجساد ، بل تكونها من عالم الامر بحسب ارادة الله المبدع الججاد بلا توسيط الامزجة الحاصلة بالامتزاج والاعتدال ، المتوسط بين أطراف التضاد ، الموجب للمشابهة بالسبعين الشداد ، الحالية بالكلية عن الكيفيات المحسوسة القابلة للاشتداد الموجبة للتفسد والافساد .

والنفس في هذا العالم تنشأ من البدن كتشو الشعلة من الفتيلة بتتوسط روح هي كالدخان ، وفي الآخرة ينشاء البدن من النفس بحسب النبات والاعتقادات في بين الوجودين تعاكس في النشأتين .

وفي قوله : «كن فيكون» اعلام بأن الفاعل الحقيقي لا يجوز عليه مما يجوز على الفاعل الطبيعي اذا فعل شيئاً مما يقدر عليه من المباشرة لمواد الفعل ومحال

القدرة ، من استعمال الالات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب والمعطب بل انما أمره و فعله الخاص به كحدوث القول من القائل ، لا كحدوث الكتابة من الكاتب ، بل كحدوث الشعاع من الشمس لا كحدوث المطر من السحاب .

وفيه ايضاً اعلام بأن تخلف المعلول عن الفاعل الحقيقي في الامور الاختراعية مستحيل .

واما المسمى بـ«الفاعل» في عالم الطبيعة فهو في التحقيق ليس علة الوجود بل هو سبب الحركة والانتقال من حال الى حال ، فيحصل منه المعلول على التدرج والمهمة في الحصول ، ومثل هذا الفاعل فهو أشبه بالمعد منه بالمفید الجاصل .

فهذا ما تيسر لنا في فهم هذه الآية ومنه الهدایة في البداية والنهاية .

قوله سبحانه :

فسبحان الذي بيده ملکوت كل شيءٍ وعليه ترجعون [٨٣]

وقرئ «ملکة كل شيء» و«ملکة كل شيء» واعلم ان الملکة كالملکوت في المعنى ، كما ان الملکة كالملك فيه .

وقرئ «ترجعون» - بضم الناء وفتحها - .

فسبحان - تقدير لذاته تعالى عن مباشرة الاجسام في فاعليته وابجاده للأشياء وعن استعماله القوى والالات في صانعيته للموجودات ، وتزييه له عما يوصفه الجاهلون ، وتعجب من أن يقولوا فيه ما قاله الملحدون ، و«الفاء» للتفریع على ما ثبت في الآية السابقة من كيفية صنعه وابداعه ، حيث بين فيها ان ابجاده لشيء عين ارادته .

وقوله تعالى: «كُنْ فَيَكُونُ» فيتفرع عنه تقدیس الله عن القصور من الكمال والفتور في الأفعال، لأنه الذي بيده ملکوت الاشياء ، وله التصرف بمحاجات (بموجب - ن) مشيته وقضایا حكمته فيما يشاء واليه رجوع كل شيء ، لأنه الغایة الاصلية لكل ظل " وفي " .

## حكمة قرآنية فيها اشارات ربانية

اولاها الاشارة الى تقدیس ذاته وتنزیه صفاتة عن وصمة التغير والتجدد في نسبة الافعال الحاصلة من مصادرها بالانفعال اليه تعالى ، و ابطال ما ارتکز في اوهام أقوام من أهل الكلام «ان الفاعل ليس الا ما هو علة التغير» واشترط عندهم في مفهوم الفاعلية سبق الزمان موجوداً او موهوماً.

وأما الابداع المحسن من غير اشتراط سبق زمانی للفاعل بالذات على مجعلوه ولاقترانه بعدم المجعلو وهو التأیيس (التأیيس - ن) المطلق له من ليس ساذج غير زمانی ، فقوم لايسمون مثل هذا التأیيس(التأیيس - )المطلق «فعلا» لاشتراطهم انتقال الفاعل من حالة الى حالة وسبق العدم الزمانی فيه ، وهو وهم باطل ، انما حداتهم اليه حسبانهم ان حدوث العالم منه تعالى لا يتمشى الا بهذا الوجه .

وقد اوضحنا هذه المسئلة بما لا توقف لها على نسبة التغير اليه سبحانه ، وفي القرآن تنبیهات بلیغة على أن فعله تعالى ليس الا الابداع الصرف والتأیيس (التأیيس - ن) المحسن ، من غير مباشرة ولا تغير و انفعال و تکثر ، وقوله : «فسبحان الذى بيده ملکوت كل شيء» اشارة الى تفريع الحكم السابق بأن فعله ليس الا بأمره المطلق وارادته المطلقة ، المخالية عن شوب قصور و وصمة حدوث وفتور .

## الإشارة الثانية

الاعمار الى تقدیس ذاته وتنزیه صفاته عن أن يكون افتقار الممکن اليه في الحدوث فقط من جهة لافي البقاء ، كما ذهب اليه ايضاً او هام هؤلاء الفاقصرين من المتكلمين ، لما رأوا ان الابن يبقى بعد الاب ، والبناء يبقى بعد البناء ، والسخونة يبقى بعد النار ، ولم يتفطنوا أن هذه الامور ليست عللاً بالحقيقة ، فوقعوا في الغلط بسبب «أخذ ما بالعرض مكان ما بالذات» . وقد برهن في الحكمة الحقة على أن جسمًا من الاجسام - ولا أحد جزئه - لا يكون علة لجسم آخر ولا لأحد جزئيه ، وعلى أن علة كل جسم لا يكون الا ماهوبـرـء عن مخالطة الاجسام والمواد .

وأما مثل البناء فحر كته علة لحركة لبنيـما ، ثم سكونـه علة لسكنـونـه ، وانتهـاء تلك الحركة علة لاجتماع مادة ، وذلك الاجتماع علة لشكلـما ، ثم انـحفاظ ذلك فلما تقـتضـيه طبيـعة الارضـية التي في الـبنـات ، وهي مما أفادـها الله بقوـته التي تمـسـك السـماء والـارضـ أن تـزـولا ، ومن أسمـائه تعـالـى «الـحافظ» .

وكذلك النار علة لتسخين عـنصرـما ، لا أن تـفـيد السـخـونة ، بل أن تـبـطل البرودـة التي كانت مـانـعة من حـصـول السـخـونة في المـاء من جهة وـاـهـب الصـورـ وأما حدوث السـخـونة واستـحـالة المـاء إـلـى النار فـيـ الجـاعـل المـفـيدـ الذي يـكـسوـ العـناـصـر صـورـها ، وقد عـرـفـت أنها لا يـصـحـ أن يكون جـسـمـاً أو جـسـمانـياً ، وأما الاسـبابـ السابقةـ فهي مـعـدـاتـ ومـغـيـراتـ وـعـلـلـ بالـعـرـضـ .

وقد ثـبـتـ وتـقـرـرـ أن العـلـةـ تـجـبـ أن تكونـ متـقـدـمةـ علىـ المـعـلـولـ بالـذـاتـ لاـ بالـزـمانـ ، فـكـيفـ تكونـ نـارـ عـلـةـ لـوـجـودـ نـارـ اـخـرىـ ، وـلـ نـارـ أـحـقـ أنـ تكونـ عـلـةـ

لنار متقدمة عليها بالذات من نار اخرى وكذا الحكم في سبيّة انسان - كالاب - لانسان - كالابن .

وبالجملة كل ماهية نوعية لا تكون واجبة الوجود لم يكن لها بد من علة خارجة عن النوع، ولا تكون علتها الا ما يتساوى نسبته الى جميع افراده، و لاتحتاج في ايجاده الى أمر خارج عنه وعما ينتهي اليه في سلسلة الحاجة من زمان أو حرارة، فكل ما سوى الله تعالى - سواء كان جوهرأً أو عرضاً ، أو حرارة أو زماناً، موجوداً أو مموماً - فهي مفتقرة اليه، فائضة من لدنـه، ففعلـه لا يكون الا الامر والابداع والتأييس (التأسيس - ن) والاختراع .

فسبحان الذي بيده ملکوت كل شيء وباطنه، وما به قوام حقيقته وذاته فيكون مثل هذا المبدع الحق والجاعل المطلق علة الحدوث والهيئة دونبقاء الذات وقوام الماهية - تعالى عما يقوله الطالمون علوأكبيراً .

### الإشارة الثالثة

ان قوله: «بيده ملکوت كل شيء» مع قوله: «والـيـه تـرـجـعـون» يدلـان على أن ذاتـه المقدـسة عن وصـمة القـصور والـفـتـور، كما انه فـاعـل لـجـمـيع المـمـكـنـات كذلك غـاـيـة لـهـاـ، فـهـوـ أـوـلـ الـشـيـاءـ وـآـخـرـهـاـ، وـمـبـدـئـهـاـ وـتـمـامـهـاـ، فالـوـجـودـ كـمـاـ صـدـرـ مـنـهـ عـلـىـ التـرـتـيبـ الصـدـوريـ وـالـنـظـامـ النـزـوليـ، كـذـاـ وـرـدـ عـلـيـهـ وـرـجـعـ اليـهـ بـالـتـرـتـيبـ الصـعـودـيـ وـالـنـظـامـ العـروـجيـ عـلـىـ التـعـاـكـسـ فـيـ السـلـسـلـتـيـنـ .

فـكانـ أـوـلـاـ عـقـولاـ، ثـمـ مـجـرـدـةـ، ثـمـ نـفـوسـاـ مـنـطـبـعـةـ، ثـمـ صـورـاـ مـنـوـعـةـ، ثـمـ صـورـاـ مـجـسـمـةـ، ثـمـ هـيـولـىـ - هيـ نـهاـيـةـ تـدـبـيرـ الـامـرـ لـقـولـهـ : \* (يـدـبـirـ الـامـرـ مـنـ السـمـاءـ الـارـضـ ثـمـ يـعـرـجـ اليـهـ)\* [٥/٣٢] فـيـكـونـ الحـادـثـ أـوـلـاـ مـنـ الـهـيـولـىـ جـسـماـ مـطـلـقاـ، ثـمـ نـوـعـاـ بـسيـطاـ، ثـمـ مـرـكـباـ، ثـمـ نـبـاتـاـ، ثـمـ حـيـوانـاـ، ثـمـ اـنـسـانـاـ ذـاـ نـفـسـ مـجـرـدـةـ

على مراتبها ، ثم ذا عقل مفارق على درجاتها في الصعود الى أن ينتهي الى الحق المعبد ، فوقع الابتداء من العقل والانتهاء الى العاقل ، وبينهما امور متضادة .

\* \* \*

اعلم انّا كما أفادنا النظر في الوجود اثبات فاعل له، كذلك أفادنا اثبات غاية له، فكما لا يجوز أن يكون الممكّن موجوداً الا بموجد يفيد وجوده لافتقار ماهيّته الى مرجع ، كذلك لا يجوز أن يكون موجوداً الا لغاية يتم بها وجوده لقصور وجوده عن درجة التمامية الأخيرة .

وكمّا ان سلسلة الاسباب الفاعلية لابد وان تنتهي الى فاعل لا فاعل له ، والا لم يكن شيء منها فاعلا ولا موجوداً ، لأنّها على ذلك الفرض يكون الكل على حكم الوسط – وهذا خلف – فكذلك سلسلة الاسباب الغائبة لا يجوز أن تذهب إلى لانهاية ، بأن تكون لكل غاية غاية من غير انتهاء الى غاية أخيرة لأن تكون لها غاية أصلًا ، والا لم يكن شيء من الاشياء غاية أصلًا وهو خرق الفرض .

فثبت وتبين أن للممكّنات كلها فاعل أول لا يكون له فاعل أصلًا ، وثبت وتبين أيضاً أن لها غاية أخيرة لا تكون لها غاية أصلًا ، ثم يجب أن تكون هذه الغاية هي بعينها ما فرضناه فاعلا ، لاستحالة تعدد الواجب تعالى ، لأن كلاً منها موصوف بالمخارقة الكلية عن وصف الامكان والقصور ، والمفارقـة الكلية تقتضي سلب الماهيّة ، ويستحيل وجود شيئاً كل منهما لا ماهيّة له ، فالله هو الاول والآخر ، ليس كمثله شيء ، منه ابتداء ملحوظ كل شيء وأمره ، واليه يرجع كمال وجوده وغايته اذا بعشر مافي القبور وحصل مافي الصدور ، ألا الى الله تصير الامور .

## خاتمة

في موضع نزول هذه السورة وعدد آياتها وبيان فضلها .

أما موضع النزول: فهي مكة بالاتفاق، قال ابن عباس: الا آية منها، وهي قوله: «و اذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله» - الآية - نزلت بالمدينة . وأما عدد آياتها: فهي ثلاثة وثمانون آية كوفي واثنتان وثمانون عند الباقيين واختلافها آية واحدة «يس» كوفي .

وأما فضلها: ابْتَيْ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآلِه (١) قال: «من قرأ سورة يس يريد بها الله عزوجل ، غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن أثنا عشرة مرة ، وأيّما مريض قرئ عنده سورة يس نزل عليه بعد كل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صافوفاً، ويستغفرون له ويشهدون بقضيه، ويتبعون جنازته، ويصلّون عليه، ويشهدون دفنه ، وأيّما مريض قرأها وهو في سكرات الموت - او قرئت عنده جائه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فسقاه اياه، وهو على فراشه، فيشرب فيماوتريان وييعثر يان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان» .

وعن النبي صلى الله عليه وآلِه قال: (٢) «سورة يس تدعى في التوراة «المعمة» - قال: تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة، وتکبد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوايل الآخرة، وتدعى المدافعة القاضية، تدفع عن صاحبها كل شر وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت

١- الكشاف: ٥٩٦/٢ . مجمع البيان: ٤١٣/٤ .

٢- الدر المتشور: ٢٥٦/٥ . مجمع البيان: ٤١٣/٤ .

له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها ثم شربها ادخلت جوفه ألف دواء، وalf نور، وألف يقين، وألف بركة وألف رحمة، وزنعت منه كل داء وعلة». وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآلـه قال: «ان لكل شيء قلباً وقلب القرآن آن يس» (١) .

وعنه ، عن النبي صلى الله عليه وآلـه (١) قال : «من دخل المقابر فقراء سورة يس خفف عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات» .

وروي أبو بصير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام (٢) :«ان لكل شيء قلباً وقلب القرآن آن يس ، فمن قراء يس في نهاره قبل أن يمسى كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسى ، ومن قرئها في ليله قبل أن ينام كان في ليله من المحفوظين والمرزوقين حتى يصبح ، و وكل به ألف ملك [يحفظونه من كل شيطان رجيم ومن كل آفة ، وان مات في نومه ادخله الله الجنة وحضر غسله ثلاثون ألف ملك] (٣) كلهم يستغفرون له ويشيّعونه الى قبره بالاستغفار له ، فإذا ادخل لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له ، وفسح له في قبره مدّ بصره ، وأمن من ضغطة القبر ، ولم يزل في قبره نور ساطع الى أعنان السماء الى أن يخرجه الله من قبره .

فإذا أخرجه لم يزل ملائكة الله معه يشيّعونه و يحدثونه و يفسّحون في وجهه و يبشرونه بكل خير حتى يجوزوا به الصراط والميزان ، ويوقفوه من الله موقفاً لا يكون عند الله خلق أقرب منه الاملائكة الله المقربون وأنبيائه المرسلون وهو مع النبيين واقف بين يدي الله ، لا يحزن مع من يحزن ، ولا يهتم مع من يهتم ، ولا يجزع مع من يجزع ، ثم يقوله رب تعالى: «اشفع عبدي اشفعك في

١- مجمع البيان: الصفحة السابقة .

٢- مجمع البيان: الصفحة السابقة . ثواب الاعمال: ١٣٨ وفيه فروق .

٣- ما يبين [إضافة من مجمع البيان] .

جميع ماتشفع، وسلني عبدي اعطك جميع ماتسأل» .

فيسئل فيعطي، ويشفع فيشفع، ولا يحاسب فيمن يحاسب، ولا يذل مع من يذل، ولا ينكت بخطيئته ولا بشيء من سوء عمله، ويعطي كتاباً منشوراً، فيقول الناس بأجمعهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ، ويكون من رفقاء محمد صلى الله عليه وآلها» .

وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: (١) ان لرسول الله صلى الله عليه وآلها عشر اسماء، خمسة منها في القرآن: محمد وأحمد وعبد الله ويسون ون» .

\* \* \*

فهذا يا حبيبي آخر ما قصدنا ترقيمه وحاولنا تفهميه من الصنایع العلمية والعملية القرآنية، والذخائر العقلية البرهانية، المتعلقة بآيات هذه الكريمة، ولعمات هذه الدرة اليتيمة ، لتكون وسيلة لمن اهتدى في ظلمات البر والبحر، وخلص من دياجير الظلم والجور، وغلبة المضلين، وكثرة أنواع الشياطين وخمول الحق وأهله، وانقطاع طرقه وسبله .

فأنت ايها الرفيق الشقيق، المؤمن الموقن بحقيقة هذه الاسرار الحريمى على اقتداء هذه الاثار، كنت بين أهل زمانك وأقرانك وأعداء ايمانك وجحدهم ايقانك، كقادح زنادفي ليلة ظلماء ذات رياح عاصفة، وظلمات متراكمة، وأهوية باردة، ي يريد استضائة بنوره في طريق قد نفت ادلتها، واندرست معالها، وذهبت دلالتها، فلم يبق الا طرق وعرة، وعلامات دائرة يصعب السلوك فيها، والقصد اليها الا على أصحاب اقتداء الاثار الخفية، بمعرفة قد سبقت عندهم وخفيت على الذين يريدون اطفاء نور الله بأفواهم بذهابها وازالتها لثلا يرتفع

حجـة الله من أرضه وينمـي آثار حـكمـته .  
 فـلـمـا أورـاكـ الزـنـادـ بـنـورـهـ وـدـلـكـ الدـلـيلـ بـظـهـورـهـ حتـىـ وـصـلـتـ إـلـىـ بـقـعـةـ مـنـ  
 بـقـاعـ الجـنـةـ وـرـوـضـةـ مـنـ رـيـاضـهـاـ،ـ التـيـ فـيـهـاـ تـبـدـلـ الـأـرـضـ غـيـرـ الـأـرـضـ وـالـسـمـوـاتـ  
 مـطـوـيـاتـ يـوـمـ العـرـضـ،ـ فـيـهـارـجـالـ لـأـتـلـهـيـمـ تـجـارـةـ وـلـأـبـيـعـ عـنـ ذـكـرـ اللهـ،ـ تـرـاهـمـ رـكـعـاـ  
 سـجـداـ يـبـغـونـ فـضـلـاـمـنـ اللـهـ وـرـضـوـاـنـاـ،ـ سـيـماـهـمـ فـيـ وـجـوهـهـمـ مـنـ أـثـرـ السـجـودـ .  
 وـالـحـمـدـلـهـ الـمـلـكـ الـمـعـبـودـ ،ـ وـالـصـلـوةـ عـلـىـ مـحـمـدـ صـاحـبـ الـمـقـامـ الـمـحـمـودـ،ـ  
 وـآلـهـ الـهـادـيـنـ إـلـىـ سـبـيلـ الـمـعـرـفـةـ وـالـشـهـودـ .

وـكـتـبـ أـرـقـامـ هـذـهـ السـطـورـ بـيـدـهـ الـفـانـيـةـ الـجـانـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـأـيـامـ  
 وـالـشـهـورـ مـنـ عـامـ الـفـ وـثـلـاثـيـنـ مـحـمـدـ الـمـشـتـهـرـ بـصـدرـ الـدـينـ  
 الشـيـرـاـزـيـ حـامـدـاـ لـلـهـ مـسـتـغـرـاـ غـفـرـ اللـهـ لـهـ وـلـوـالـدـيـهـ وـلـسـائـرـ  
 الـمـؤـمـنـيـنـ حـيـثـ مـاـ كـانـواـ فـيـ الـبـلـادـ ،ـ وـنـجـاهـمـ عـنـ مـوـبـقـاتـ يـوـمـ  
 الـمـعـادـ ،ـ وـالـلـهـ وـلـىـ الرـشـادـ .



# تعليقات

الحكيم الالهی المولی علی النوری  
قدس سره الشریف

علی تفسیر سورۃ یس

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص ٤٩ س ١٨ قوله : اشعار الطيفاً - وجه الاشعار هو انهم قالوا : «ربنا يعلم» اشعاراً بأن غير الله لا يمكن أن يعلم سر كوننا بأعياننا مرسلين من عنده ، الامن شاء الله من عباده الذين هم المتعلمون بالعلم اللدني ، وهم أوليائه وخلفائه الذين بنوره تعالى - الذي يقذف في قلب من يشاء - يشاهدون حقائق الاشياء ، وينكشف بذلك النور الرباني لهم أسرار الاشياء وسرائر أحوالهم - فافهم (\*).  
ص ٥١ س ١١ قوله : وجه الاحتجاج - لعل وجه الاحتجاج هو سر تو صيف «البلغ» بالابانة بين الحق والباطل ، وهو لا يتصور الا يكون البلغ مع البرهان - هذا .

ص ٥٧ س ١٨ قوله : خزناها وهي خامدة - اي : عبرنا عنها وجاؤزنا وطردناها وهي مسبحات منزهات حامدات لربها الاعلى ، كما قال تعالى :  
\*(يسبح لله ما في السموات وما في الارض)\* [١/٦٢] .

ومحصلة انها الماكانت مسبحات وحامدات ومقدسات لربها الاعلى وشاهدنا منها تلك الآثار والآيات البينات - الكاشفة عن كونها مربوبات مسخرات بأمر ربنا الاعلى - فتركتناها على ما فطرت عليها وجلبت وخلقت لاجلها ، وحكمنا عليها بكونها مجالي جلاله ومظاهر جماله تعالى ، وجاؤزنا وعبرنا عنها عبر السلاك عن الصراط الى المقصد الذي يتأنى بسلوكه الى ذلك المقصد على وجه الاستقامة من دون اعوجاج ما .

فمن يأخذ الصراط والطريق الى المقصود مقصوداً ومقصداً يكون ضالاً عن سواه السبيل ، اذا الصراط يجب أن يؤخذ على وجه كونه صراطاً يتادي بسالكه الى المقصود والمأوى - فلاتغفل (\*) .

\* \* \*

ويحمل صورة الصيغة «جزناها» - بالجيم والزاء الممنوع - بمعنى عبرنا عنها الى ما هو المعبد الحق لها ولنا - فافهم (\*) .

ص ٥٨ س ١٠ قوله : ان لكل شيء قلباً - وسر السر فيه هو انه لما كان القلب في الایمان بالله وبالرسول الختمى صلى الله عليه وآلـه في الوجود الانساني سابقاً علىسائر القوى والمشاعر والاعضاء والالات ، وله فضيلة السبق فيه فكذلك حال صاحب يس في كونه من جملة السباق الذين هم الرؤساء في السعي الى الله تعالى ، والقادة المسادة لسائر الامة في ذلك السير والسلوك ، حيث ينزلون ويسعون من أقصى أمكنة المعرفة الربانية الى أدنى المكان والمنزلة من أمكنة القوم ، ليتمثل لهم بصورة البشرية المناسبة للدعوة بأبانة الحق عن الباطل بالبيانات التي تناسب حال العوام الغافلين ، من اقامه البراهين الظاهرة والحجج الواضحة المسممة بالمعجزات وخرارق العادات ، المشهودة بحسن البيان ، التي لا يمكن من ردها وانكارها الامن رسمخ فيه رين العناد للحق وطبع الاستكبار - فلاتغفل (\*) .

ص ٧٥ س ١٦ قوله : وفيه نظر لا يخفى - وحق الجواب هو اختصاص أهل الرجعة بغير الهاكين بهلاك الاستيصال ، فسان الرحمة الواسعة تأبى من أن يعذب بعداب الاستيصال مرتين ، كما ورد في الحديث عن ائمتنا عليهم السلام - هذا .

وفي جواب المؤلف مالا يخفى ، اذ أمر الرجعة لاتختص بالنفوس الكاملة

في السعادة بل ذلك الرجوع - حسبما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام -  
يعلم المؤمن والكافر ، الكاملين البالغين في الأيمان والكفر ، وليس سر الرجعة  
منحصراً في استخلاص الاسارى ، كما لا يخفى على من تتبع أخبار الرجعة  
وأحاديثها .

بل السر في حل اشكال هذه الآية التي بظاهر منطوقها احتاج وتمسك الشخص  
المنكر للرجعة هو ما تضمنه الحديث الوارد عنهم عليهم السلام من كون حكم  
الرجعة مختصاً بغير الهاكلين ، المهلكين بعذاب الاستيصال في الدنيا ، وهذا  
هو مقتضى العدل والعدالة ، فان حكم الرجعة في باب الكفارة البالغين في دركات  
الكافر والعداوة للحق وأهله ، هو معاينة ضرب من النعمة والعقاب في الدنيا  
كمعاينة أهل عذاب الاستيصال قبل عذاب الآخرة - فافهم ولاتغفل .

ص ٧٨ س ١٨ قوله : من المنبئة للنبات (١) الظاهر ان لفظة «من» سهو  
من قلم الكاتب ، وصورة العبارة : «أثر الحيوة المنبئة للنبات» او «أثر الحياة  
المهيضة للنبات» فلا تغفل (\*).

ص ٧٨ س ١٩ قوله : بارتفاع دائرة الشمس - ان للشمس وشعاعها وانحطاطها  
وارتفاعها ظهراً وبطناً ، وكذلك للسماء وحرارتها وللارض ونير اناثها ولسائر  
ما ذكر في هذه الكريمة ظهراً وبطناً . والظاهر ينظر الى الظاهر المحسوس منها  
والبطن يكشف عن بواضتها التي تعم القلوب والانفس والارواح المتعلقة بأرض  
الابدان ، وهي في أنفسها مadam تعلقها أراض قابلة ، قابلة (٢) للزرع الآخروي .  
مزرع سبز فلك ديدم وراس منهنو \* يادم از کشته خویش آمد وهنگام درو

١ - العبارة في مطبوعتنا هكذا : (من الحرارة المنشئة) فالاظاهر ان لفظة الحرارة  
ساقطة من نسخة المحسني .

٢ - كذلك - والاظهر ان لفظة (قابلة) الثانية زائدة .

وهكذا في جانب السماء والشمس وما يتعلق بهما (\*) .

ص ٨٦ س ٩ قوله : يكاد زيتها يضيء - اذ بضوءه يشاهد الصور العقلية الموجودة في الذهن عند التفات القلب اليها ، فان المشاهدة شيء ، وجود الصور في لوح النفس شيء آخر فالوجود لا يكفي للشهود ، كما في الصور الحسية الواقعه على وجه الارض عند غروب نور الشمس (منه - طاب ثراه) .  
ص ٩١ س ٩ قوله : ينفي الشرك - «توحيد الافعال» أول مقام من مقامات التوحيد الخاصي ، فالذى قبله يكون «عامياً» و«عاماً» يعم العوام والخواص -

فأفهم (\*)

ص ٩١ س ٢٠ قوله : لها اختيارات - في نفس اختياراتها مسخرات له ، وهو بعينه شأن كون الحيوان الانسانى مختاراً بكون اختياره مسخر اختياره تعالى  
\*(ماتشارون الأن يشاء الله) [٣٠ / ٧٦]

ومن هنا ينكشف سر قوله (ع) : «لاجبر ولا تفويض ، بل أمر بين أمرین»  
اذ جهة الاختيار فيناهى بعينها جهة اضطرارنا في عين اختيارنا - فافهم (\*)

ص ٩٦ س ١٥ قوله : منحصرة في ثلاثة أجناس - فحاصل هذا البيان يرجع الى انه سبحانه خلق كلية الكائنات العائدات الكائنة في سلسلة العائدات و الصاعدات من اصول ثلاثة بأن يكون لفظة «من» في قوله : «مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» صلة لخلق ومتعلقة به ، لا بياناً للزواج - كما ذهب اليه جمهور المفسرين و القشريون منهم - ففي هذا النوع من البيان و تطبيق الكلام عليه نوع من الدقة و اللطافة لا يتعلق به ولا يصل اليه الافهام العامية (\*) .

ص ١٣٠ س ١٦ قوله : كما ذهب اليه القدمون - اشاره الى بطلان ما ذهب اليه الاخرون من اتباع المشائين ، الذين لم يتيسر لهم القول بعالم المثال و

الملكت الأذى ، الذي هو البرزخ الواسط بين العالمين: عالم الجبروت العقلاني النوراني وعالم الناسوت الهيولاني الظلماني وهذا العالم الملكوني الجسداني الصوري المجرد عن المادة الهيولانية وعن غواصيتها و لواحقها الظلمانية هو عالم بعد الصوري القائم بنفسه من دون تعلق بالمادة وحلول في محل الهيولاني الذي أنكره أولئك الاتباع وتبعهم مثل الشيخ الرئيس و من يحدو حذوه في انكار بعد المجرد عن المادة والمحل والعالم البرزخي الصوري المثالي من فلاسفة الاسلام .

والحق هو أن كل من أنكر ذلك العالم البرزخي - المتوسط بين العالمين - لم يتمكن ولا يمكن أبداً من القول بالمعاد الجسماني على وجه البصيرة و الاستبصار بانسارة نير البرهان القاطع القالع لاصول الشبهات والمغالطات المستحدثة من أولئك المتكلّفة -- اللهم الا تقليداً للمخبر الصادق (ص) من دون بصيرة أصلاً .

والحاصل ان القول بذلك العالم المتوسط، الموروث من أساطين الحكمة التابعين لسلاطين مملكة النبوة والولاية، المقتبسين أنوار الحكمة والمعرفة من تلك المشكوة - مشكوة النبوة والولاية - ركن ركين وأصل متين من أركان الایمان واصول الاسلام وبدونه لا يتصور الایمان بصدق المخبر الصادق (ص) وكلية ماجاء به على وجه اليقين الحاصل من قواطع البراهين .

ص ١٣١ س ٨ قوله: واستعجال السفينة - لعله أراد بالاستعجال هيئنا سرعة سير الدنيا وقرب انتهائها الى الآخرة ، لأنها خلقت وجابت على الاستعجال في التأدي براكبها الى منزل الآخرة وسرعة سيرها في ذلك التأدي والايصال يعتبر عنها في الانسنة الحكمة بالحركة الجوهرية التي جبت علىها الموجودات الدنيوية في وصولها الى الغاية المطلوبة لكل منها - فأنفهم (\*).

ص ١٣٣ س ١٣ قوله: لا ينافي - سر عدم المนาفة هو التفرقة بين الرحمة الرحمانية التي وسعت كل شيء من الأشياء ، والرحمة الرحيمية المختصة بطبيعة السعداء ، التي لها درجات متفاوتة ومقامات مختلفة ، والدرجة القصوى منها انها الأخلاص سير الحضرة الختامية، وسلام تلك الدورة القصوى المعنوية (المطوية) المنظوية فيها كل ما مضى من الدورات النبوية والولائية انطواه أشعة النور القوى المحيط القاهر لجميع الانوار فيه بوجه أشرف وبضرب أعلى ، والرحمة الرحيمية منزلتها من الرحمانية منزلة الصورة من المادة ، وهي صورة العلوية العليا ، والرحمانية هي نور المحمدية البيضاء ، الساري في السموات العلي والأرضين السفلى في كل بحسبه .

ومنزلة الرحمانية المحمدية من الامة على وجه العموم منزلة الاب من الأولاد ، ومنزلة الرحيمية منزلة الام ، كما ينظر اليه قوله صلى الله عليه وآله : « أنا وعلى أبواب هذه الامة » ، فان الرحمانية هي جهة الوجود الموجود به كل ذي وجود ، والرحمة الرحيمية هي جهة العين والماهية .

والماهيات والاعيان على ضربين ، ضرب منها علنية ، وضرب آخر سجينة فالعين والماهية التي يعبر عنها بالرحمة الرحيمية هي الاعيان العلنية ، المقابلة المضادة للاعيان السجينة ، وعين الاعيان العلنية هي لب الباب في العلوية ، وهي العلوية العليا ، وتقابليها عين الاعيان السجينة وهي العمارة السفلية التي لادرك أسفل منها ، وهي لب باب السجينة الكبرى .

فالعبادات الفطرية والتسبيحات الجوهرية التي جبت عليها فطرة كل شيء من الأشياء ، وان من شيء الا يسبح بحمد ربها ، هي بموجب الرحمة الرحيمانية العامة التي هي تجلی نور الحق الحقيقي على هياكل الأشياء ، وتعترف لها وظهورها لها بالقاء مثاله في هو ياتهم : \* (سنريهم آياتنا - الآية) \*

واما العبادات الاختيارية التي تتعلق بقدرة العباد و اختيارهم ولاجلها بعشت  
الاقياء ونزلت الكتب والصحف من السماء فهي تتفاوت درجاتها وختلفت  
مراتبها التي لا تكاد تحصى ، من آثار الرحمة الرحيمية ومن آيات العلوية  
العليا ونزو لانها وشلوناتها وتطوراتها - فلا تغفل .

ص ١٤٣ س ١٦ قوله : فافهم - اشارة الى كون جهة القرب من حضرة  
الوجود الحق الحقيقي ، الذى هو تمام التمامات وكمال الكمالات ونهاية  
النهايات في قوة كمال الوجود وشدة ، وملائكتها هو قوة الوجود الاضافي  
وشدته، وجهة البعد منها ومدارها ومناطها هو ضعف هذا الوجود الاضافي الذى  
هو تعرفه تعالى للأشياء وتجليه عليها .

فإذا بلغ هذا الوجود الاضافي في الضعف والتضييف إلى النهاية يغلب عليه وفيه  
جهة العدم والهلاكة، التي هي ملائكة الغيبة والخفاء والاختفاء والاحتجاب والامتناع  
عن الانكشاف والاباء عن الظهور والحضور، ولما كان ملائكة الشبيهة في المزدو جات  
والمركبات من الاشياء غلبة عنصرها ، كان العنصر الغالب فيما وقع  
في الدرك الاسفل من بعد العدم الابي عن الظهور والحضور ، فيكون مكان  
ذلك الموجود الواقع في الدرك الاسفل المتقوم بقوام البعد ، الملازم لغلبة  
العدم مكان عنصره الغالب ، وينسب اليه ويرجع ويعود حكمه اليه .

فإنكشف من هيئنا سر نسيانه تعالى للأنفس التي غلبت على فطرتهم المكتسبة  
بقدرتهم ورادتهم ، ولسوء اختيارهم بعد اقامة الحجج البالغة عليهم وانارة  
طريق الهدى من الضلال ، لديهم الشقاء والشقاوة ، ورسخت في قلوبهم ريون  
العناد والاستكبار ، وأحاطت بهما غشاوة الجهل المضاد للعقل الذي يعبد به  
الرحمن الواحد القهار - فهكذا ينبغي ان يفهم سر المقام وليس المراد ما  
يتبرأى من ظاهر العبارة والكلام .

ص ١٤٤ س ٢٠ قوله : وأما افساد - محصل هذه الكريمة الواقية انه اذا  
قيل لهم : تصرفوا فيما رزقكم الله تعالى من النعم - خارجية كانت او داخلية ،  
باطنية كانت او ظاهرية - تصرفأ يكون لكم - لاعليكم - فاذا تصرفوا فيها على  
هذا السبيل ، وصرفوها في سبيل الرب الجليل يكون صرفاً نافعاً لهم ، وخلافه  
يكون ضاراً مضرأ لأنفسهم .

ومن تملك النعم التي خلقت لكم هو خلق المساكين والفقراء المستحقين  
لإنفاقكم - فلاتغفل (\*).

ص ١٤٦ م ١٥ قوله : قلنا فائدهه - اه - أقول : ذلك وان كان كذلك ،  
لكن السر المستور الكاشف عن وجـه المقام - كما هو حقه - هو عموم لطفه  
سبحانه ، الذي به يتبيّن الرشد من الغي ، والضلاله من الهدایة ، وشمول عدله  
الذي به قامت السموات والارضون ، كما قال تعالى اشارة الى ذلك العموم :  
\*(لا اكره في الدين قد تبیین الرشد من الغي)\* [٢٥٦/٢] وايماء الـى ذلك  
الشمول : \*(وما أنا بظلام للعبيد)\* [٢٩/٥٠] وعموم المططف يلزمـه من جهة  
كونـه خـيرـ الخـيرـاتـ وـتمـامـ التـمامـاتـ ، وـكـذـالـكـ شـمـولـ العـدـلـ يـلـزـمـهـ منـ جـهـةـ  
كونـهـ كـمالـ الـكمـالـاتـ .

وأما سر قوله تعالى : \* (لا إكراه في الدين) \* هو كون صراط الاستقامة، الذي يؤدي سالكه إلى دار السلام والسلامة منوطاً بالسلوك الاختياري من السلاك إلى قربه تعالى، والإكراه والاجبار ينافي طلب القرب بالارادة والاختيار إذا «الطلب» أمر قلبي يتوقف على معرفة المطلوب ومحبة المحبوب الناشئة من المعرفة، وتلك المعرفة «معرفة كسبية» غير «المعرفة الفطرية» التي جبت عليها كلية أعيان الأشياء والمعرفة المكتسبة بالارادة والاختيار بموجب الفكر والتأمل في آيات الله وبياناته هي ملأك الإيمان فافهم (\*).

ص ١٥٠ س ١٢ قوله : من غير تشبيه ولا تعطيل - خارج عن الحدين ، حد الابطال وحد التشبيه ، وهذا هو حق التقديس والتقدیس في حق المبدء والمعاد ، \*(ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)\* والمراد من «الفرقان» نور يقذف في قلوب عباده المتقيين ، يخرجون به من ظلمات الوهم والظن والتخيّم الى نهار نور اليقان واليقين .

و«اليقين» هو الفاروق الاكبر الذي به يفرق بين الحق والباطل ، واليقين هو خاصة الملوك تبين ، الذين هم أهل الجبروت المسمى بالملوك الاعلى ، والظن والتخيّم هما خاصّة أهل الناسوت ، الذين احتجبوا بالحجب الناسوتية والسحب الهيولانية عن مشاهدة شمس سماء الجبروت بعين اليقين او حقه ، فلا يمكن قمر قلب أهل الحجاب من الاستنارة بضياء بيضاء الجبروت ، او من الاستضاءة بنور شمس الlahوت عند حلوله الارض - النفس الامارة بالسوء والفحشاء - في حال المقابلة ، بل يصير منخسفاً ممنوعاً عن الاستنارة والاستضاءة.

فالقوى ثمرة هو رفع حجاب تلك الحيلولة ، بسل شجرة القوى هي عين ثمرتها التي بها تكشف في ليالي الايام الدنياوية والظلمات الهيولانية أنجم سموات الملوك وكواكب ملوك السموات ثابتة كانت او سيارة لاصحاح التقى . (\*)

ص ١٥٠ س ١٣ قوله : واعبدربك - هذه الكريمة نصّة صريحة في كون حصول نور اليقين - علمًا وعيّنا وحقًا - موقوفاً على السير والسلوك العلمي ، المعبّر عنه بالعبادة والقوى والورع المسبوق بالزهد في الدنيا . والزهد طرح الدنيا الابقدر الضرورة والبلغة الى الآخرة ، والورع طرح الكون الاخروي الانساني الحيواني الملوكى المثالي الجسدانى الذي نشأته نشأة الصور المثالية الجسدانية البهية النورانية التي هي أمثلة وأظللة الحقائق الجبروتية ، والصور

الربانية العقلانية ، المعبر عنها بأرباب الانواع وحقائقها .  
ولقد عبر في اللسان القرآني عن الطرحين بخلع التعلين وصفع نور اليقين  
هوفوق هذين العالمين ، المسمى بالكونيين - فاعتبر .

\* \* \*

وفي الكافي عن ائمتنا عليهم السلام ما محصله ان للزهد عشر درجات ، وآخر درجاته هو أول درجة الورع ، وللورع عشر درجات وآخر درجاته أول درجات اليقين ، الحديث . . . والسر فيه هو كون عالم اليقين - بتفاوت درجاته - عالم الجبروت ، الذي هو فوق العالمين - عالم الدنيا وعالم الآخرة المثالية - فالسالك إلى الله تعالى لا يصل إلى عالم اليقين الا بطرح الكونيين الذي عبر عنه في الحديث المذكور بالزهد والورع ، وفي هذه الكريمة بالعبادة ، فهذه العبادة هي العبادة الجامعة ، لهاتين المرتبتين من التقوى فتدبر .

ص ١٥٦ س ١٣ قوله : الفيض النوري الوجودي -- ومرتبة ذلك الفيض المقدس قد يعبر عنها بصبح الازل - وهو الازل الثاني - وهي مرتبة «فأحببت أن أعرف» وهو التجلي الكلى الذي هو تعرفه تعالى للاشياء كلها ، وهو سطوع نور شمس الازل الاول وشعاعها المنبسط على هياكل الأعيان الامكانية ، المنقسمة إلى نهار عالم الجبروت ، والبرزخ المتوسط بين ذلك النهار وبين الليل المسمى بعالم الناسوت ، ويعبر عن ذلك البرزخ المثالي بالملائكة ، اي الملائكة الذي مرتبته دون مرتبة الملائكة الاعلى المسمى بالجبروت ، والى الناسوت الذي هو الليل المقابل بعالم ذلك النهار ، كما ينظر إلى ذلك الوجه من القيامة بوجه قوله عز من قائل : \* (والشمس وضحاها \* والقمر اذا تلاها \* والنهار اذا جلاها \* والليل اذا يغشاها) \* [٩١ / ٤--].

فـ«الشمس» ينظر إلى مرتبة كنه ذاته الاحدية عزو علا ، وـ«ضحاها» ينظر إلى

ذلك الضوء الانبساطي والنور الاشرافي الاضافي الذى هو شعاع نور الشمس الحقة ، المسمى بالنور الحقيقى والحق الحقيقى المطلق القيومى . و «القمر» ينظر الى العالم النفسي الكلى ، الذى ينقسم الى اللوحين : لوح المحفوظ العقلانى ، ولوح المحظ والا ثبات القدر المثالي البرزخى ، الذى منزلته من العالم الاكبر والانسان الكبير منزلة خيال الانسان الصغير منه . و «النهار» ينظر الى العالم الجبروتى الربانى .

و «الليل» ينظر الى عالم الطبيعة الظلمانى المادى الغشاوى ، الذى منزلته من النور الحق الحقيقى ونور الانوار القيومى وشمس الشموس تعالى منزلة الليل المعروف المشهور لدى الجمهور من هذه الشمس التى هي أعلى مجالى شمس الحقيقة في عالم الطبع والطبيعة .

وهذا الانسان البشري بما هو انسان ومن حيث طبيعته وتجوهره على وجه الاطلاق مع قطع النظر عن خصوصيات افراده وتعيينات آحاده جبل على كونه مغرباً لشمس الحق الحقيقى سبحانها ، ومشرقاً ومطلعاً لها ، وقيام القيامة الكبرى لا يتصور الابطلوع شمس الحقيقة من مغربها الذي هو عين مشرقها ، الجامع للمشارق والمغارب كلها ، وذلك الجامع لجواجم المشارق ومجامع المغارب كلها هي مرتبة الحضرة المحمدية الختمية البيضاء والعلوية العلية وسائر المراتب الآلية الفاطمية الى المهدوية — عليهم صلوات وتسليمات لانكاد تحصى — .

والى تلك الجامعة الكبرى أشار صلى الله عليه وآله بقوله : «اوتيت جوامع الكلم» وهي من ثمرات شجرة الختمية في الولاية والختمية في النبوة ، وهي مرتبة المحمدية ومرتبة الاسم الجامع بقسمية — من الباطن والظاهر — والاسم عين المسمى من وجه وغيره من وجه آخر ، والعينية والغيرية كلتا هما من جهة واحدة — فتبصر .

ص ١٥٨ س ١٣ قوله : قوله لما علمت من استحالة رجوع النفوس -  
هذا بظاهره لا يلائم القول بالرجعة التي يقول بها أصحابنا الإمامية والطائفة المحمدية  
والمفسر قدس سره - وهو من أساطير الحكم المطلقة والعلوم الحقة الحقيقة  
الموروثة من أهل بيته ولاده والعصمة عليهم السلام ممن يكون له قدر راسخ  
في القول بها والذب عنها كما سبق منه الذب والدفع قبيل هذا في ذيل تفسيره  
الكريمة : \* (ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من القرون إنهم إلينا لا يرجعون) \*

واما وجه الكشف عن سر وجه الجميع - بين ما صرحت به هيئتنا من الاستحالة  
وبين ما سبق منه قبيل هذا من الذب والدفع عن الرجعة المعروفة من مذهبنا  
المعروفة الموروثة من ساداتنا وأئمتنا عليهم السلام - هو الفرق والتفرقة بين  
شأن القيامتين الصغرى - المعروفة بعالم القبر والبرزخ المتوسط بين النشتتين :  
نشأة الدنيا ونشأة الآخرة الكبرى - والكبرى - المعروفة بالساعة التي بعث عند قيامها  
كل من في القبور وحصلت ما في الصدور ، وهو يوم البعث والنشور ، لمكان  
سر امكان رجوع الانفس المقبورة الى الدنيا مادامت الانفس برازخية موجودة  
بوجود منوسط بين الدنيا والآخرة الكبرى ، متعلقة بضرب من التعلق بالدنيا ،  
باقية تعلقاتها بأبدانها الدنيوية بقاء لا يعرفه الا الراسخون في العلم عليهم السلام  
وبعدهم (ع) من اقتبس نوره من مشكوة ولا يتهم ميع صيرورة أبدانها تراباً او  
عظامها رميمه .

وأما سر استحالة رجوعها الى الدنيا عند قيام الساعة وتحقق النفحه الاولى  
التي بها يتحقق فناء دار الدنيا طرأ ، ويرتفع كلها رأساً ، ويصعق كل من في  
السموات العلي والارضين السفلى جمعاً وجميعاً ، ويرتفع آثار علاقة النفس  
بالدنيا ككلية ، فهو انصرام أجل الدنيا بما فيها ، وقلع اصول اشجارها ورقاتها  
اصولها ودقائقها ، بحيث لا يبقى منه علاقة من علاقت الانفس بها ، لانتفاء مادة

التعلق رأساً ، وجهاً العلاقة طرأ ، بانتهاء الشجرة الى الثمرة القصوى وانقلاب المادة الى الصورة التي هي الصورة القصوى بشر اشر وجودها هذا - فافهم .

ص ١٦١ س ٨ قوله : بمثال الشمس - فالحاصل ان منزلة ذلك الروح من الله تعالى منزلة شعاع الشمس منها ، وشعاع النور يرجع الى النور لانه ظهور النور وطوره وأثره ، وليس بشيء مبائن عنه مبائنة شيء عن شيء آخر ، اذ شعاع النور منزلته من النور منزلة الحكاية من المحقيقة ، ومنزلة الوجه من الكنه في الشيئية .

ومن هنا قال عليه السلام : « وهو الشيء بحقيقة الشيئية » -- ثبت بهم (\*)

ص ١٦٢ س ١٨ قوله : الانسان ذو وجهين - لكل شيء من الاشياء وجهان : وجه به يلي ربها ، ووجه يلي نفسه ، وبالوجه الذي به يلي ربها يرجع اليه ويبقى بيقائه ، وبالوجه الذي به يلي نفسه يرجع الى أصله الذي هو العدم ويفنى عند النفخة الأولى ، اذ لا يبقى عندهما الا وجه رب الاعلى ، ومرجع وما ينبع وما يوجه من الاشياء التي بها تلبي الاشياء ربها الاعلى « الرحمة الرحمانية » - المعتبر عنها بـ « النفس الرحماني » و « النور المحمدني » و « حقيقة الحقائق » التي هي وجه الله الجامع لجوامع الوجوه الربانية ومجمع مجتمعها .

ومن هيئتنا قالوا (ع) : « نحن وجه الله الباقي بعد فناء الاشياء كلها ، ان علينا حسابهم ، ثم ان علينا ايا لهم ». فافهم (\*) .

ص ١٦٨ س ٨ قوله : ليوم الجمع - من التنبية الى هنا وجدت في نسخة أخذت من الاصل وكتب هذه الاسطرون في الحاشية بلا علامات يفهم منها انه من المتن أو الحاشية ، لكن فيها علامات انها اذا كانت من الاصل أو الحاشية موضعه هنا والله أعلم (\*) .

ص ١٨٩ س ٣ قوله : الروح والملائكة - الروح جوهر جبروتى نوري

قدسي له قوتان : قوة العقل النظري ، وقوة العقل العملى .  
والنفس جوهر ظلماني ناسوتى أمرة بالسوء لها قوتان: قوة الجهل النظري  
وقوة الجهل العملى وقد يعبر عن النظري منها بالشيطنة والنكراء .

والقلب جوهر نوراني جبروتى بموجب الفطرة الأصلية ، أبوه الروح  
القدسي ، وامه النفس الامارة ، وهو بين ذينك الاصبعين من أصابع الرحمانية  
ان اتبع الام أخلد الى الارض ، وان اتبع الا بارتفع الى السماء .

ص ١٩٨ س ٢ قوله : عن أمره بالواسطة – فالحاصل: ان الامر بالواسطة  
أمر اعدادي ، وأمّا الامر بلاواسطة فهو أمر ايجابي ايجادي . والاعداد ان هو  
الامنات الصحة والجواز والامكان الذي هو معيار تساوي الطرفين ، والايجاب  
ملاك الوجوب واللزموم ومبني امتناع تختلف المعلول عن علته الفيّاضة  
الموجبة واستحالة عدمه طرًّا .

والواسطة التي تصير الامر بواسطته اعدادياً ويتحصل بموجبها صحة  
الطرفين وتساويهما في وجه ليست الا الجسم والجسماني – الذين هما غير  
خارج عن عالم الوضع والمقدار وغير حال عن الجسمية الامتدادية التي هي  
ذات اوضاع مقدارية .

والوجود الوضعي المنقسم الى الاجزاء المقدارية المختلفة في الوضع  
والمتباينة في الاشارة الحسية – حسبما تقرر في محله بالبراھين الباهرة –  
لا يمكن أن يكون فيّاضاً للوجود وملاكاً للفيض والافاضة والوجود، اذ الوضع  
والوجود الوضعي نسبة وامر نسبي يتوقف تقرره وتحصيله على وجود الطرفين  
ونقررهما قبله و شأن الافاضة والايجاد والافادة والايجاب على خلاف ذلك – كما  
لا يخفى على من له ربط وارتباط بالحكمة البحثية .

واما وساطة الوسائل الغير الجسمية والجسمانية فلاتنافي الايجاب والافاضة

والإيجاد والأفادة - كيف لا - وبينه تعالى وبين عالم خلقه يتوسط عالم أمره الذي له مراتب متربة ومنازل متتالية في السلسلة الطولية .

فللأنسان الكامل وجهان : وجه به يلى ربته - وبذلك الوجه الرباني لا يتصور التخلف والعصيان عن حكمه وأمره - ووجه به يلى نفسه البشرية الخلقية الجسمانية، فبهذا الوجه السفلي الخلقي الجسماني والوجود الوضعي المقداري يتصور الطاعة والعصيان، والمتابعة والطغيان والتخلف عن حكمه والتعصي عن أمره ونهيه .

فاحتفظ بهذا يا طالب البصيرة في الدين - لاتغفل عما تلوت عليك من الكتاب المبين - .

ص ٢٠١ س ٩ قوله : منفصلة عن النفس - مراده من الانفصال نفي الاتصال الانطباعي الانفعالي ، وسبب الارتباط الحلواني الذي يلزمـه التأثر والانفعال ، المستلزم لكون النفس جوهرـاً بالقوة ، خارجة من القوة الى الفعلية بارتسام الصورة فيها ، والصورة الاخروية قائمة بجوهر الروح الانساني قيام صدور ومتول بين يديه ، لا قيام حلوـل وانطباع فيه ، والقيام الصدوري المعبر عنه بالقيام عنهـ هو قيام الفعل بالفاعل ، والفعل منفصل عن الفاعل ، لاـ كـانـفـصـالـشـيـءـعـنـشـيـءـ وـمـتـصـلـبـهـ ، لاـ كـانـفـصـالـشـيـءـبـشـيـ ، بلـ كـانـفـصـالـظـلـ وـقـيـامـهـبـالـشـاخـصـ وـيـعـبـرـعـنـهـ هذاـانـفـصـالـذـيـ هـوـ عـيـنـ الـاتـصـالـبـالـبـيـونـةـ الضـفـقـيـةـ - تثبتـ فـيـ بـعـثـهـ .

ص ٢٠٨ س ٢ قوله : تحت كـرةـ النـارـ لـقـائـلـ أـنـيـقـولـ : اـنـ هـيـهـناـ اـحـتمـالـ آخرـ ، وـهـوـ مـاـ مـالـ إـلـيـهـ الشـيـخـ الـأـشـرـاقـيـ وـاحـتـمـلـ مـنـ كـوـنـ ذـلـكـ الجـرمـ تـحـتـ فـلـكـ الـقـمـرـ وـفـوـقـ كـرـةـ النـارـ غـيرـمـنـخـرـقـ قـابـلـ لـلـخـرـقـ وـالـلتـيـامـ بـرـزـخـاـ بـيـنـ الـأـثـيـريـ وـالـعـنـصـرـيـ .

والجواب عنه يتصور على وجهين : فـأـمـاـ الـوـجـهـ الـأـوـلـ هـوـ أـنـ يـقـالـ : اـنـ

الموجود الناقص الغير التام - حسبما برهن عليه في محله - اما مستكف في استكمالاته بذاته أو بمقومات ذاته ، أو غير مستكف ، والحضر عقلتي ، وأمّا المستكفي منهما فهو المراد من الفلك والفلكلة ، وأما غير المستكفي فهو العنصري لا غير - كما برهن عليه .

والوجه الآخر هو أن يقال: ان لكل جرم من الاجرام ولكل جسم من الاجسام روحًا ونفساً يدبر أمره ويتكفل تدبیر نظامه اللائق بحاله في استتمامه واستكماله ، وتعلق نفس اخری به او نفس اخری يلزم مفسدة التناسخ المبرهن على بطلانه - فليتأمل فيه لانه حقيق بحسن التأمل فلاتغفل .

ص ٢٠٩ قوله: وهاتان الجهاتان - محصلة: ان النفس - بما هي نفس - لها جهة تعلق ، وجهة تجرد ، فبالاولى ينفعل ويستكمل ، وبالثانية يفعل ويکمل ، واذا فارقت عن البدن وتجردت عن التعلق به صارت ذات جهة واحدة ، هي جهة التجرد فقط فيصير بموجب تجردھا وكونها من سُنْخِ الْمَلْكُوتَيْنِ ، الذين هم أهل القدرة والاقتدار ، فعالة للصور ، خلاقة لها بتجوهر ملکاتها التي هي نتائج أعمالها وأفعالها المتكرر صدورها عنها مدة الحياة في الدنيا ، وتلك الملکات التي تتجوهر النفس بموجبها ، ويتقوم جوهرها بها ، ويتصور بها في قوام ذاتها تصور المادة بالصور الجوهرية ، اما كريمة حميدة تسمى بالفضائل واما خسيسة دنية ذميمة تسمى بالرذائل .

فالكريمة منها تجوهرها تجوهر الملكية التي هي مظاهر اللطف والرحمة الرحيمية ، والذميمة منها تجوهرها تجوهر الابليسية والشيطانية التي هي مظاهر القهر والعدل ، المقابل للفضل ، فكل يعمل على شاكلته ، وتنجي وتطور وتمثل وتصور على مثال ما هو مضمون في هويته تطور الفاعل بأطوار ذاته وصفاته وتمثل العامل بصورة ملکاته ونياته - فأحسن التأمل .

ص ٢٣٨ س ١٨ قوله: علیم اللسان جھول القلب - يقولون بأفواهم ما ليس في قلوبهم لعدم مطابقة العمل للقول، فتكون العقود الإسلامية والقضايا اليمانية في حقهم عقوداً غير معقولة وقضايا لفظية بحتة ، وقوالب ميتة ، وأجساداً خالية عن الحياة القضائية ، وألفاظاً مهملاً ما شملت شامتها رائحة المعنى أصلاً .

والسر فيه ان العمل على شاكلة النية ، والنية أصل العمل وحقيقة العمل فرع النية وثمرته، بل النية هو عين العمل بعينه، والعمل عين النية بعينها اذ منزلة العمل من النية منزلة الوجه من الكنه ، ومن هنا يقال «الظاهر عنوان الباطن» - فلاتغفل .

\* \* \*

هذا الذي أظهرنا من العلم اللسانى هو وجه من وجوهه ونوع من أنواعه وضرب من ضروبه الذي يعبر عن بعض أصنافه بالاسلام النفاقي ، وفي بعض الوجوه يكون منزلة العلم اللسانى من القلبي منزلة القشر الاول الادنى المر " البعض من الجوز من لبّه ولبّ لبّه الذي هو النور .

ومقصود المفسر - قدس سره - من نقل قول القبيل هيهنا هو هذا - وأما ما أظهرناه وأؤمننا اليه، فالمعنى منه هو الایام الى روح معه العلم اللسانى العام والى عمومه وشموله للانواع المندرجة تحته، وقس عليه حال مقابلة الذي هو العلم القلبي من اختلاف أنواعه وتفاوت درجاته ومقاماته - فلاتغفل . (\*)

ص ٢٤٠ - ملا امیدی طهرانی :

سفیده دم ز کف ساقیان شراب طهور

(\*) بنوش وباك مدار ان" ربنا لغفور

ص ٢٤٥ س ٢٠ قوله: خلق را باتو - رباعی مناسب مقام:

یارب همه خلق را بمن بدخو کن

وز جمله جهانیان مرایکسو کن

روی دل من صرف کن از هر جهتی

پس سوی خودت يك جهت و يکرو کن (\*)

ص ٢٤٦ س ١٨ - خواجه :

ما بدان منزل عالی نتوانیم رسید

هم مگر لطف شما پیش نهد گامی چند (\*)

ص ٢٤٨ س ١٣ - سلمان :

اگر عکس رخت ظاهر نبودی در همه اشیاء

مغان هر گز نکردنی پرسش لات و عزی را (\*)

ص ٢٥٧ س ١٢ قوله: آخر العلم في الدنيا والمشاهدة في الآخرة -

لعل في العبارة سهو من النساخ ، لاحتمال أن تكون العبارة هنا هكذا: «آخر العلم في الدنيا أول المشاهدة في الآخرة» لأن في لفظة «آخر العلم» نوع دلالة على ما ذكر بحسن المقابلة ، وأما حسبما يقتضيه البرهان من جهة المعنى فهو كما ذكرنا من جهة كون آخر الدنيا أول الآخرة بحكم البرزخية - فافهم (\*)

ص ٢٦٤ س ١٢ قوله : دلیل انتکاسها -

ترسم نرسی به کعبه ای اعرابی

این ره که تومیروی به نر کستانست

فانهم بدلو العروج الى النزول ، والصعود الى الهبوط ، والارتفاع الى السقوط وأنحدروا الى الارض السفلی - كما لا يخفى (\*)

ص ٢٨٨ س ١٠ قوله : هذا شأن الحكماء - محصل التفرقة بين الحكماء

ويبين الانبياء والولياء يرجع في وجه الى التفرقة التي تكون بين العلم وبين العين ، و منزلة العلم من العين منزلة الوجود الظلي من الوجود العيني و منزلة الوجه من الكنه ، و منزلة الشبح والحكاية من الاصل والحقيقة ، فادراك الكنه يلزمك ادراك جميع وجوهه و ادراك الاصل والحقيقة يتبعه ادراك جميع فروعه و امثلته و حكاياته ، بخلاف ادراك الوجه والفرع والظل والحكاية .

والسرفي المقام هو كون الكنه بسيطاً هبنا ، والبسيط محيطاً بكل الاشياء -

ثبتت فيه .

هذا هو محصل التفرقة بين طور العقل وطور الولاية ، ف تكون منزلة الحكماء من الانبياء والوليام منزلة الوجوه من الحقائق -- فافهم .

ص ٢٨٩ س ١٠ قوله : قطع النظر عن النسب - والسرفي هو كون النسب والاواع من عوارض المادة الهيولانية والمواحد المادية من اللوازمو التوابع المختصة بالوجود الدنياوي والموجودات الدنياوية ، والتفاوت بين الدنيا والآخرة وبين وجوديهما و ما به يمتاز كل منهما عن الآخر انما هو بالتعلق بالمادة الهيولانية والاختلاط بلوارحها وعدم هذا التعلق المعبر عنه بالتجدد بالمعنى الاعم - فافهم (\*)

ص ٢٨٩ س ١٦ قوله: ينافي الاول - مراده من الاول تغليط الغير ، وهو ينافي البعثة لغاية الهدایة والارشاد ، ومن الثاني الاحتراز عن تغليط الغير له (ص) وهو ينافق شان العصمة المانعة عن تطرق الخطأ والسهوا والغلط الى وجود الموصوف بها - فلا تنفل (\*)

ص ٣٠٠ س ٢١ قوله: كذا يشتمل على ما ينتفع - الى قوله: وأما المدرك الثاني - هذا منه - قدس سره - تصریح بجواز التقليد في اصول الدين وفي أركان المسلمين وقوائم ايمان المؤمنين ، بل بلزومه في حق من لم يتمكن

بالفعل من تحصيل اليقين باقامة الحجج والبيانات المحكمات و البراهين الباهرات - سواء كان من أصحاب القوة البعيدة لتلك الاقامة ، أومن أرباب الاستعداد والمكنة القريبة من الفعلية .

والحق أن ذلك كذلك كما اسقر عليه رأى المحققين المحققين من أفضل علماء الملة البيضاء وأكابر حكمائهم وأفاخم عرفائهم، فاحتفظ بهذا .

و المراد من الاعتقاد الجازم باليوم الاخر قبل أن يتحقق و يتفسر قلب المؤمن بنور اليقين هو عقد القلب على اختيار الطريقة البيضاء، والتمسك بعروتها الوثقى على وجه الرسوخ والطمأنينة بحيث لا يضعف ولا يتضعف عند سقوح الشبهات وورود التشكيكات وخطور الوساوس الشيطانية، ولن يزل " قدم ذلك العقد والاعقاد ولا يتز لزل في سيره وسلو كه سبيل الرشد والرشاد بصدمة ورود الشبهات ونزوł التشكيكات المشتملة على ضرب من المغلطة و نوع من المغالطات .

فيمضي في سلو كه حيث يؤمر ، ولا يلتفت بوجهه المتوجه الى الحق عن ذلك التوجه أصلا طلباً لأنفتاح البصيرة وتنورها بنور العلم واليقين ، طالباً للحق وانكشافه بالبرهان المبين ، حسبما قال عزم قائل : \* (والذين جاهدوا فيما لنهدئنهم سبلنا) \* [٦٩/٢٩] و «السبل» هي البراهين الموصلة الى نور اليقين كما قال : \* (وابعدربك حتى ياتيك اليقين) \* [٩٩/١٥] و «العبادة» هي التقرب والسير و السلوك من عالم الظلمة والزور ودار بعد والدثور الى عالم القرب والرحمة والنور - سواء كان ذلك السير و السلوك علميا او عمليا ، والعلمي منه ايضا عمل اذ الايمان كله عمل .

وهذا النحو من الاعتقاد الراسخ قبل الوصول الى الفتح المبين وحصول نور الايمان واليقين ، وهو ملاك الايمان المعتبر في قبول الطاعات وصحة العبادات

وهو ملاك النجاة من الهلاك ومناط السلامة في العاقبة ودار الميعاد ، وقد يتم حصل  
ويتقرر هذا العقد والانعقاد الثابت الراسخ الباعث على السير والسلوك الحقاني  
بمجرد الموعدة الحسنة ، لكون العقل السليم المخلص عن المعارض  
المانع عن قبول بمقتضى الجبلة ، والأقبال على ما يقتضيه الفطرة السليمة مجبولاً  
على اختيار تحمل المشقة في الذب والدفع عن الضرر المحتمل ، ومحبوباً  
بالاختيار على ارتكاب العمل الدافع لاحتمال الضرر فينبغي القلب الذي هو  
الناظفة القدسية على تحريرك البدن وأعضائه وجوارحه ، وعلى تحريرك جملة  
جنوده وجميع قواه التي جبت على اطاعة تلك اللطيفة القدسية الجبروتية في  
سبيل ربه الأعلى بارتكاب السلوك على سواء السبيل، والسير على صراط الاستقامة  
حسبما اقتضاه التواميس الالهية النازلة من عند الله ، حتى يخرج من ظلمات  
الجهالة إلى نور اليقين وفتح البصر وال بصيرة - فافهم -

ص ٣٠١ س ١٤ قوله : وذلك بأن ينكشف لهم عن حقيقة الروح - اه -  
مراده من حقيقة الروح حقيقة الحقائق «المحمدية البيضاء» التي هي روح  
الأرواح الكلية الجبروتية وخزينة الخزائن الالهية الجامعة لجوامع الأرواح  
والحقائق الجامعة والمجمع لمجتمع الكلمات التامات الربانية، فهي مفتاح  
مفاصيح الغيب وخزينة الخزائن الالهية التي لا ينطرق في القول بوجودها شك  
ولا ريب فبالشك عن حقيقة ذلك الروح الاعظم والقلم الاول الاعلى ينكشف  
حقائق جميع الاشياء كماهي اذ العلم التام بالعملة الفياضة يلزمها ويتبعه العلم التام  
بجميع معلولاته - احسن التأمل (\*)

ص ٣٠١ س ١٩ قوله : مما لا رخصة فيه - اه - اشارة الى سر التوحيد  
الجمعي الذي يأنكشافه ينكشف جميع سرائر عوالم الوجود كماهي ، اذ حقيقة  
ذلك الروح القدس ائما هى تجلى الحق المحيقي الجمعي الجامع لجوامع

التجليات الذاتية والصفاتية الكمالية، من الجمالية والجلالية على الهيكل الجامع والمظهر الجمعي الانساني، وذلك التجملي الكلبي الجمعي هو تعرف كنه حضرة الذات الاحدية وظهور حقيقة الوحدانية بتفرده في الفردانية وتوحده في الوحدانية لذلك المظهر الجمعي لجميع صفاته العلياء وأسمائه الحسنى والروح النطقي القدسى الانساني انما هو مرتبة جامعة من مراتب ذلك التعرف والتجملي الكلبي .

فالكشف عن هذا الروح الانساني كما هو وحقه هو بعينه عين الكشف عن الوجود الحق الحقيقى تعالى الذى له مراتب ومقامات متفاوتة في شدة الكشف وضعفه حسب تفاوت المجالى والمرايى التي هى هياكل التوحيد بموجب تفاوت قوابل لطيفة الانسانية التي قيل في حقها وحق وصفها: «العبودية جوهرة كنها ربوبية» فاعرف من هنا سر قوله: «لارخصة في ذكره» .

ص ٣٠٢ س ١٢ قوله : يسمى معرفة ولاية - وتلك المعرفة الشهودية المعبر عنها بالولاية يعبر عنها بالسفر من الخلق الى الحق ، وخصوص هذا السفر الشهودي الكشفي لا يتحقق الا بالسير والسلوك العلمي والعملى معاً ، الذى يعبر عنه بالجهاد الاكبر والمجاهدة الجامحة الكبرى التي يجتمع فيها جوامع المجاهدات ومجامع العبادات .

ص ٣٠٦ س ١٠ يعني ان الدنيا بما هي دنيا ومن حيث ذاتها وأخذها بما هي هي حيفة، ويعبر عنها بالدنيا الملعونة وأما من حيث كونها بلغة الى الآخرة ومزرعة لها فهي ممدودة مطلوبة، لأنها ملاك السير والسلوك الى الغاية القصوى والسعادة الكبرى ، فلو لم يكن الدنيا وما فيها فمن أين يتيسّر الوصول الى الغاية القصوى ؟

ص ٣١٦ س ٢٠ قوله : فان الكل كالشىء الواحد - اه - فيه دلالة على

غاية مبتغاك اذ به يستدل على توحيد العالم الموجود ، بل على توحيد حضرة المعبود وتوحيد الوجود الذي هو الغاية القصوى ، فمن كفر بفتح العين كفر بوحدانية حضرة الوجود ، وفردانية حضرة المعبود وأحاط به الكفر بطناً وظهرأً ، سراً وجهرأً – فافهم ثم تفهم .

\* \* \*

والسر كل السر هي هنا هو ان كثرة الاسماء الحسنة والصفات العليا هي علة كثرة اعيان الاشياء والارتباط بين الاسماء الالهية هو مناط الارتباط بين الاعيان العالمية ووحدة حضرة المسمى – عز وعلا – وتوحدها في الوحدانية الكبرى ، هي علة سر سريان نور الوحدة في كثرة الاشياء – كما قيل :

وفي كل شيء له آية      \*      تدل على انه واحد

الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيما مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوب دري يوقد من شجرة مباركة – الآية – [٢٤/٣٥] .

لراقهه : گويم من وهر كه هست در فن ماهر

مقهور بود كثرت و وحدت قاهر

در مجتمع وحدت است كثرت مضمر

در مظهر كثرت است وحدت ظاهر

فاعتبر واستبصر .

ص ٣٦ ص ٢٠ قوله : كالشىء الواحد – سر الایراد بكاف التشبيه للإشارة الى سر الجمع بين التوحد والتعدد – توحد العالم في عين تعدده ، وتعدد[ه] في عين توحده ، اذ الارتباط هو ملاك التعدد ، وهو بعينه مدار التوحد – ثبت فيه .

\* \* \*

كيف لا وهو سر الجمجم بين التوحد والتعدد ، وبه ينكشف سر الوحدة في الكثرة ، والكثرة في الوحدة - سبحانه من ربط الوحدة بالكثرة ، والكثرة بالوحدة ، وتعالى من ربط الوحدة بالوحدة والكثرة بالكثرة ، اذ جهة الوحدة في الكثرة هي ظل وحدة حضرة الاحديه والكثرة العالمية وتكثر الاعيان الخلقيه هي أمثلة الاسماء الحسنی وصور صفات الله العليا وأظللة الاسماء الالهيّة هي بعينها الاعيان العالمية .

وهيئنا أسرار عظيمة لامجال فيه للكشف عنها .

ص ٣٢١ س ٢٠ قوله: اسباب قاصية -- مراده من الاسباب القاصية هي المثل الافلاطونية التي هي أرباب أنواع أصنام العالمية ، وهي حقائق الاشياء وحقائق أنواعها ، المعنية بأصنامها والمرتبة لها ، وهي خزائن علم الله تعالى وخزائن جوده عز وعلا ، وهي مفاتيح غيبة حضرة غيب الغيوب ومفاتيح خزاناته ، فهي «مفاتيح الغيب» في وجه من الاعتبار ، و«خزائن الغيب» من وجه آخر وهي كلمات الله التمامات ، والارواح القدسية الكلية القاهرات ، والانوار العقلية الباهرات ، وهي المباديء العليا والغايات القصوى لكلية الحركات والمحركات المسخرات - علوية كانت او سفلية - وهي الايدي لحضره الرحمن بها ينفتح أبواب الخيرات والبركات ، وهي أبواب الله تعالى الى خلقه ، كما انها في وجه أبواب الخلق اليه تعالى وان كان بين الوجهين بون بعيد ، فتلطف بالتجريد ولا تغفل .

فاما وجه كون تلك الارباب النورية الجبروتية الالهية أبواب الله تعالى الى خلقه فظاهر من جهة كونها مفاتيح حضرة الغيب .

واما وجه كونها أبواب الخلق الى الحق سبحانه فلكونها غايات حركات طبائع الاشياء ونهايات سيرها وسلوكها الى قربه عز وعلا بالغايات المطلوبة

بالمذات المعشوقة حقالها ضربة من الجذبة المطالب المشتاق تحركه اليها ، كما  
قبل نظماً بالفارسية :

تا که از جانب معشوقه نباشد کششی

کوشش عاشق بیچاره بجایی نرسد

ولما كان المعشوق او لا للكل الحق الحقيقى الواجبى القيومى ، وتلك الارباب  
منزلتها في ذلك العشق والاشتياق الحقانى منزلة المجالى والمظاهر للحسن  
الا扎لى والبهاء الحقى ولكماله وجماله وجلاله سبحانه ، صارت منزلتها منزلة  
الابواب الى المقصد الاحد الصمد - فافهم .

ص ٣٥٢ س ١٤ قوله : ونظائر ذلك - تنبئه : في هذه الآية دلالة واضحة  
على وجوب النظر في امور الدين واستعمال الاقيسة لتحصيل اليقين لأن الله تعالى  
أنكر على ترك النظر فنبئه على وجوب النظر في بدء خلقة الانسان ليعلم ان انتهائة  
وغايته الى ماذا ، لقوله : \* (كما بدئتم تعودون) \* فإذا علم ان مادة طينته حاصلة  
بقدرة (القدرة) الله تعالى ، وهو الذي أنشأ صورته ونفسه فيها فيعلم ان معاده الى  
الله تعالى - صح .

\* \* \*

كذا وجدت في نسخة اخذت من نسخة الاصل ، ولم أجدها علامه لاعلم  
ان هذه العبارة من أين تركت وحذفت (\*)

ص ٣٧٨ س ٥ قوله : وكلمات الطبائع والانواع - اعلم ان الطبائع الاجسام  
النوعية منها ما يحصل من تنزلات البساطط العقلية النورية كالافلاك والكواكب  
ومنها ما يحصل من ترقيات المركبات الهيولانية الظلمانية ، الآخروي له من قبيل  
القسم الاول ، والدنوي من قبيل القسم الثاني - فافهم واغتنم - ( منه طاب  
تراث ) .

ص ٣٨٤ س ٤ قوله : وفي الامر الاول لامجال - لا يخفى ان السرفي التفرقة بين الامرين ، وكون الامر التشريعى منهما يتصور فيه القسمين من المطبيع والعاصى - على خلاف الامر التكوينى - هو كون الامر التشريعى علة اعدادية والعلة الاعدادية - بما هي اعدادية - ان هي الامناظ الجواز والصحة من وجه ويكون مصححا حال وجود المعلول عن العلة لاعلة موجبة له . وثمرة المصححة ية ونتيجة الصحة ان هي الارفع ضرب من الامتناع والاباء والمانعة عن المادة القابلة وارتفاع الامتناع الغيرى عن القابل من بعض الوجه - يتفرع عنه أصل امكان القبول بالنسبة الى تلك العلة الاعدادية - فلا يلزم وجوب القبول ولزومه ولقد يعبر عن تلك الصحة والامكان بالقوة والاستعداد ، وكل منهما يتصور فيه التضعف والاشتداد ، ومن هنا يقال : ان الامكان الاستعدادي يتفاوت قرابة وبعداً من العلة الفياضة ، ويختلف شدة وضعفاً في قابلية المادة .

فمن هنا يتصور في الامر التشريعى الطاعة والمعصية كما قبل نظما بالفارسية هر كه را روی به بهبود نداشت      \*      دیدن روی نبی سود نداشت

وأما الشأن في الامر التكوينى فهو الايجاب والافاضة والإيجاد والإفادة ، ويلزم الايجاب وجوب وجود المعلول ولزوم صدوره عن العلة الموجبة الفياضة ، ومن ثمة يقال باستحالة تخلف المعلول عن العلة ، اي عن العلة الموجبة الفياضة -- فافهم ولا تغفل .

ص ٣٨٤ س ٧ قوله : وبارتفاع الوسائل لاسبيل لاحد الاقبول والطاعة - مراده من تلك الوسائل «الوسائل العرضية» التي تكون وساطتها او سببيتها من باب البخت والاتفاق وهي من مقوله العلل الاعدادية التي هي ملاك الجواز والصحة ومدار ارتفاع الاباء والامتناع عن مواطن القابلية والامكان والصحة - كما كشفنا في الحاشية المصدرة بـ «لا يخفى» عن سر التفرقة بين الامرين .

و تملک الوسائل العرضية هي علل اعدادية للكائنات الحادفة في العالم العنصري المستندة الى البخت والاتفاق في سببية تملک الوسائل العرضية ووساطتها التي هي غير ذاتية لها واقعة على وجه من التبعية لا يعرفه الأهل العلم وأصحاب المعرفة النورانية، وأما الوسائل الطولية فوساطتها ذاتية ايجابية على ضرب من الترتيب الذي يؤدي الى الوحدة في الوجود والايجاد ، وهي تعم الامرين - تكوينياً كان الامر او تشعرياً - فافهم .

\* \* \*

ولا يخفى انالما كشفنا عن وجه التفرقة بين الوساطتين - العرضية والطولية -  
وبينما تكون الوسائل الواقعة طولاً عملاً ايجابية فياضة مترتبة بضرب من الترتيب  
الذى تؤدي الى وحدتها ورجوعها الى علة فياضة ذات مقامات ومنازل مترتبة هي  
حضررة علة العلل ، ومبده المبادى وأول الازل ، وأول الاولى الخالق لكل شيء  
تعالى وتقدس عن مشاركة شيء له في الايجاد والافاضة - ينكشف لك ياطالب الحقيقة  
وصاحب البصيرة ان تعدد العلل الطولية والوسائل الواقعة الواسطة بين حضرة  
علة العلل ومسبب الاسباب - جلت عظمته وعمت رحمته - وبين مخلوقاته انما  
هو تعدد مقامات العلة الواحدة بالوحدة الحقة وتكثر مراتبها المترتبة طولاً ،  
لانه تعدد ذوات متباعدة بينونة العزلة ، وتكثر أعيان متشاركة في العلية - تعالى  
الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا هو سر توحيد الافعال ، وأن لفاعل في الوجود الا الله على وجه جامع  
بين الكثرة والوحدة ، وهذا هو قرة عين الحكمة والمعرفة .

ص ٣٨٧ س ٢١ قوله : فالحق - الى قوله : المسئلة الخامسة - كل ما أفاد فيه  
يبيّنى صحته عنده وعند أساطير الحكماء وسلاميين المعرفة على كون بسيط  
الحقيقة كل الاشياء بوجه الكثرة في الوحدة بضرب أعلى ، وهو صعب مستصعب

جداً - قل من تيسر له نيله كما هو حقه (\*)

ص ٣٨٨ س ٣ قوله : كظلال الاشعة الاسماء الالهية - يظهر منه كون منزلة تلك الاعيان في وجودها العلمي قبل انو جادها بوجوداتها الخاصة بها المسمى بالانو جاد الخارجي من الاسماء الالهية منزلة الملازم من ملزماتها والمعلمولات من عملها ولكن حال كونها موجودة بوجود عملها بضرب من التبعية - فافهم(\*) .

ص ٣٨٨ س ١٨ قوله : ان ذلك بعد ثبوت اعيانهم - يعني ان سؤالهم سؤال ثبوت ، لسؤال وجود ، وثبوت الشيء غير وجوده ، ومنزلة الوجود من الثبوت منزلة النور من الظل وللأشياء التي يعبر عنها بالاعيان الثابتة وبالمعاني والماهيات الكلية قبل انو جادها بوجودها الخاصة بها ، التي يتربت عليها آثار خصوصيات ذات الاشياء الخاصة بها ضرب من التقرر والقואم ، يعبر عن بقואم الماهية عند القوم ، وهو عين القوام المفهومي ونفس شيئاً المفهومي بعينها .

وظاهر ان هذا الضرب من القوام والتقويم لا يترقرر في صدق من الواقع الا بتبعية ضرب من الوجود ان لم يكن وجوداً خاصاً بشيء دون شيء دون شيء يتربت عليه آثار شيء بخصوصه ، بل كان وجوداً يكون متساوية النسبة الى خصوصيات الاشياء كوجود حضرة الحق تعالى ، فتلك الاعيان الثابتة المتقررة بتبعية وجود حضرة الحق في صدق من الواقع بعد مرتبة حضرة الذات قبل انو جادها بوجوداتها الخاصة بها يعبر عن تقررها وتقويمها التبعي - وهو نفس اعيان ذاتها المفهومية - بالثبوت .

فذلك التقرر الثبوتي لو قيل به - كما قال به المعتزلة - منفكاً عن الوجود ونور الوجود رأساً فهو سقطة ساقط عن درجة الاعتناء والاعتبار طرأ ، واذا قيل به كما قال به أهل الحق ومنهم هذا المحقق المحقق ملتجأ بالوجود وصاحبأ لنور

الوجود غير مفارق عنده طرأ - بل كأن يكون تابعاً له أينما يكون أو كان وحيثما كان أو يكون - فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل (\*).

ص ٣٨٨ س ١٧ قوله : وثبتت ما هو بمنزلة لسانهم - فإذا كان العين ثبوتيأً كان اللسان والسؤال ثبوتيأً وطلب ثبوتيأً وغير ذلك من ذاتيات العين وصفاتها وأعراضها وعرضياتها - فافهم (\*).

ص ٣٩٦ س ٦ قوله : وان كان ذلك جائزأ - اه - محصل كلامه في هذا المقام - أعلى الله مقامه - وخلاصة مرامه في باب التكلم والكلام وكتاب الله العلام على وجه العام هو رعاية قاعدة التعميم في المعاني الموضوعة لها الألفاظ بالوضع الالهي الذي يرجع محصل معناه الى انزال تلك المعاني الروحية، والارواح الجبروتية، والحقائق الامرية والانوار الكلامية الالهية وتتنزيلها من عند رب العالمين بصورة هذه الألفاظ والحرروف والكلمات النازلة بالوحى وبكسوة العبارات المنزلة الى هذا العالم الذي منزلته من عوالم الغيب المترتبة في النزول منزلة الظل ، والصنم ، والجسد ، والصورة ، والحكاية ، والفالب ، والمثال - من الشاخص و الحقيقة ، والروح ، وذى الصورة و العاكس الذى يحكى عنه عكسه وصورته وظلت و صنمه ومثاله .

ومن هنا نقول : «الاسماء تنزل من السماء» اي عن سماء حضرة الغيب وغيب الغيوب الى ارض الشهادة ومحضر الشهدود .

والضابطة في باب ذلك التعميم المخاصي - المعتبر المبرهن عليه في عرف اساطير الحكماء وسلطانين مملكة الولاية و الوراثة - هي عدم انحصر روح المعنى الكلي في الوجود بهذا الوجود الحسي المحسوس بالحسن الظاهري او الباطني او العقلي الظاهري الذهني البشري العامي ، بل لكل من تلك الحقائق الروحية والمعاني الكلية وجود الهي لاهوتى ، ثم الهي جبروتى ، ثم ملكوتى

ربّاني ثم ناسوتي فلكي، أو عنصرى في متن الواقع وعين الاعيان المخارجية. وهذا هو ضابطة التعميم في باب نفس المعانى المقصودة الموضوعة لها الالفاظ المتعارفة المعروفة عند الجمهور في العرف العامي، وأما الضابطة فى تعميم العبارات والحرروف والكلمات والالفاظ والقوالب والاسماء فهو بأن يسقط خصوصية كون العبارة، أو الاسم، أو الحرروف ، أو الكلمات الدلالات اللفاظاً وحروفاً من جنس الاصوات و الحرف المسموعة بالحسن " والسمع الظاهري المعروف بين العوام ويعتبر عمومه وشموله بحيث يصير ويكون كل موجود موجود ، وكل وجود وجود ، وكل شيء شيء ، وكل ظلل " وفي " متحصل فى هذا العالم الحسي المسمى بعالم الناسوت وعالم الملك والشهادة وعالم الظلمات الاهيولانية والاجسام والجسمانيات المادة عبارة وقالباً لفظاً و كلاماً أو كتاباً و نقشاً و رسمماً و اسمأ دالاً على ما بازائه في الملکوت الادنى ، و كان ما في الملکوت الادنى كذلك بالنسبة الى الاوسط ويكون ما في الملکوت الاوسط كذلك بالنسبة الى الاعلى - الذى هو عالم الجبروت الصرف بتفاوت درجاته - ويكون الملکوت الاعلى كذلك بدرجاته بالنسبة الى ما في عالم الالهوت وما في الالهوت من الاسماء الحسنى الالهية المعروفة بين الخاصة و خاصة الخاصة ، بل العامة في وجه تكون أسماء وعبارات و كلمات يعنون و يعبر بها عن حضرة الذات الاحدية التي لا اسم ولا رسم في مرتبة حضرتها . فمن هيئنا - اى مما حصلنا ولخصنا - ينكشف سر كون هذه الالفاظ والعبارات والاسماء المعروفة بين العامة التي تكون من جنس الاصوات و الحروف العامة أسماء الاسماء . ويظهر وجه كون العالم الجسمانية والنفسانية - حيوانية كانت أو انسانية - والعالم الجسمانية - سماوية كانت او أرضية - وكذلك النفسانية بجوهرها

وأعراضها وذواتها وصفاتها – باطنها وظاهرها، غيبها وشهادتها، كلها وجلها  
قلتها بعيتها الاجتماعية الجمعية – كتاب الله المنزل علينا ولعلنا لنقرؤه ونرقي  
ونتلوه ونرتقي إلى الجنة التي تجري من تحتها أنهار العلوم والمعارف، و  
يظهر لمن يكون أهله وجه كون كل كتاب كلاماً من وجه، ووجه كون الكتاب  
خلقياً ومن عالم الخلق، وكون الكلام أمراً ومن عالم الأمر الذي هو عالم  
صفات الفعلية وأسمائه الاضافية الغير الكمالية .

و عليك استنباط أحكام بوافي العوالم الغيبية التي هي فوق العوالم  
النفسانية – فضلاً عن الجسمانية الظلمانية – فيطالب الحقيقة وصاحب البصيرة  
أن كفت ممن يتحقق بحقيقة ما تلونا عليه وألقينا إليه صرت ممن يؤمن بأيات  
الله وكتبه و كلماته التي تكون من آماناته وكتبه وكلامه على وجه الحقيقة  
من دون شائبة تجوز أو عائبة توسع، كيف ولقد سمعت كون السلب من علامة  
المجاز – نعوذ بالله منه .

ص ٤٠٠ س ٩ قوله: والبدان المكتسبة لكل نفس بسبب ما يناسبها من  
هيئاتها وصفاتها – اه – فليعلم الطالب لكشف حقيقة الحال وشرح المقال في  
هذا المقام الصعب المستصعب المنال – ان المادة الاخروية التي تنبعث منها  
الصور الجسمانية و الأمثال البدنية ليست بمثابة المادة العنصرية الديناوية  
المنفعة عن مصادمات الاسباب الاتفاقية والعلل الاعدادية من الاوضاع العلوية  
وتأثيراتها وتصريفاتها التدريجية في الامتهان العنصرية القابلة لصور الكائنات  
الحادنة والماثرة الزائلة على وجه البخت والاتفاق، بل تلك المادة الاخروية  
التي هي نفس النفس الانسانية بصفاتها وملائتها المنجية أو المهلكة المكتسبة  
بتوسط الاعمال البدنية – صالحة كانت أو طالحة – انما هي بنفسها ومن دون  
تصرفات علل وأسباب خارجية خارجة عن قوام جوهرها وتجوهرها المكتسب

في هذه النشأة الدنيوية التي هي مزرعة الآخرة و بلغة إليها ، منبعث الصور الأخرىوية ومنشأها .

وتنبع تلك الصور الجوهرية -- نورانية كانت أو ظلمانية -- من تلك المادة الروحية المختلفة بتلك الأخلاق والملكات التي تجوهرت النفس بها انبعاث الأفعال من القوة الفعالة الفيّاضة، ولقد قامت تلك الصور والجساد - جمادية كانت أو نباتية أو حيوانية أو إنسانية - بتلك المادة الروحية قيام صدور لاعروض.

فالعنصر الآخروي الباقى بعد الموت ، الذى هو ملائكة الحشر و النشر و البعث إنما هو النفس الناطقة بقوتها الخيالية التى عبّر عنها فى الحديث المروى عنه صلى الله عليه و آله بـ «عجب الذنب» و مدار الحشر الجسمانى إنما هو جوهر تلك القوة الخيالية المتتجوهر جوهر نفسها و ذاتها بالملكات والصفات الراسخة التى هى تنقسم الى جنود العقل والجهل ، وهي الفطرة الثانية التى منوط كسبها بالقدرة والاختيار ، كما قال عزّ من قائل : \* (لا أكره فى الدين)\* وقال : \* (ليس للإنسان إلا ماسعى) \*

وأما الكلام فى الفطرة الثالثة يعبر عنها بالفطرة العقلية المكتسبة بتحصيل الحقائق والمعارف الإلهية ، فلطور بيانه مجال آخر لايسعه هذا المجال ، وهي فطرة أصحاب القرب والزلقى وأهل الجبروت والملكون الأعلى .  
وبالجملة فيكون إنشاء الصور الأخرىوية ابداعياً اختراعياً من دون سبق قوة امكانية استعدادية - فافهم ولا تغفل .

## فهرس العناوين

٣

مقدمة المصحح

٧

مقدمة المؤلف

\* \* \*

٢٠ - ١٧	يس و القرآن الحكيم ... (٦ - ١)
٢٥ - ٢١	لقد حق القول على أكثرهم فهم .... (٧ - ٩)
٢٩ - ٢٧	وسوء عليهم أأنذرتهم أم لم تذنرهم ... (١٠ - ١٢)
٣٠	قاعدة فرقانية - بيان كيفية تحصيل الملائكة
٣٣	زيادة كشف - أثر الأعمال وعلة المخلود

## قصة رسول عيسى

٣٦	واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون (١٣ - ١٤)
٤٠	شرح ماجاء في ارسال رسول عيسى
٤١	قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا ... (١٥)
٤٢	شبيه المعاندين في ارسال الرسل
٤٣	قالوا ربنا يعلم اننا ليكم لمرسلون (١٦)
٤٥	لزوم ارسال الرسل والجواب عن شبيه المنكريين .
٤٥	الفرق بين أرواح الانبياء ومن سواهم .
٥٤ - ٥١	وما علينا الا البلاغ المبين ... (١٧ - ١٩)
٥٦	وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ... (٢٠)

- |         |  |
|---------|--|
| ٥٨      | حبيب النجار - صاحب بيس - وشرح قصته .               |
| ٥٩      | اتبعوا من لا يسئلوكم أجراً وهم مهتدون (٢١)         |
| ٦٥ - ٦١ | ومالى لأنعبد الذي فطرني واليه ترجعون ... (٢٧ - ٢٢) |
| ٧٤ - ٦٨ | وما أنزانا على قومه من بعده من جند ... (٣١ - ٢٨)   |

### الإشارة الى المعاد والاستدلال عليه بآياته تعالى في خلقه

- |         |  |
|---------|--|
| ٧٧      | وان كل جميع لدينا محضرنون (٣٢)                     |
| ٨٣ - ٧٨ | وآية لهم الارض الميتة أحييئناها ... (٣٥ - ٣٣)      |
| ٨٨      | تشبيه الانسان الكامل بالايمان .                    |
| ٨٩      | الشكرا و كيف يمكن لنا شكر المنعم                   |
| ٩٥      | سبحان الذي خلق الازواج كلها مما نبت الارض ... (٣٦) |
| ٩٦      | المخلوقات منحصرة في ثلاثة اقسام                    |

### الإشارة الى آياته تعالى في خلق السماء وما فيها

- |     |  |
|-----|--|
| ٩٩  | وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (٣٧)                 |
| ١٠٢ | والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣٨)                |
| ١٠٤ | والقمر قدرناه منازل حتى عاد ... (٣٩)                               |
| ١٠٨ | لاشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ...                                  |
| ١٠٩ | كلام الرضا (ع) في أن النهار خلق قبل أم الليل؟                      |
| ١١٢ | سر آخر - وجوه التشابه بين النور الحسي والعقل                       |
| ١١٣ | سر آخر - تختلف مرتبة الوجود في الواقع ومرتبته حسب ادراك الناظرين . |
| ١١٥ | سر آخر - الشمس مثال للحق تعالى والقمر للمجدوب السالك اليه          |

- وكل في فلك يسبحون (٤٠) ١١٧

الافالاك أحياه ذات نفوس . ١١٨

المحث " على التفكير في خلق السموات والارض . ١٢١

آياته تعالى في خلقه ما في الارض والاستدلال على المعاد  
وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك ... (٤١-٤٢) ١٢٧ - ١٢٥

وجوه التشابه بين الانسان والملك والاشارة الى الموت . ١٢٨

تشبيه عرفاني - تشبيه أهل الدنيا وتعيشهم فيها بر kab السفينة . ١٣٠

وان نساً نغرقهم فلا صریخ لهم و ... (٤٤-٤٥) ١٣٥ - ١٣٢

مكاشفة قلبية -- يلتذ ويتألم أهل الآخرة بما معهم في الدنيا . ١٣٦

تعليم فرقاني - علة التعبير عن الدنيا بما خلفكم وعن الآخرة  
بما بين أيديكم . ١٣٨

وما تأتיהם من آية من آيات ربهم الا ... (٤٦) ١٤٠

افتتاح كشفي - سبب اعراض المخلق عن التفكير والاستماع  
انذار قرآنی - ظلمة القلب نتيجة الاعراض عن السمع ١٤٢

واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال ... (٤٧) ١٤٣

شبه المعرضين عن الانفاق والمحث عليه . ١٤٤

القيامة - زمانها وكيفية قيامها  
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (٤٨) ١٤٨

لا يمكن درك زمان القيامة بمشاعر دنيوى . ١٤٩

اشارة - زمان الآخرة ومكانها ليست كطرف لهذا الادنى . ١٥٠

ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون (٤٩) ١٥٢

- ١٥٢ كشف الهمامي - لاتكشف أسرار القيامة للمحبوبين في الدنيا
- ١٥٣ رمز عرشي - تعدد النفحات في القيامة وكيفيتها .
- ١٥٨ فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون (٥٠)
- ١٥٩ ونفح في الصور فإذا هم من الأجداد... (٥١)
- ١٦٠ معنى الصور والمراد منه .
- ١٦٢ مكاشفة قرآنية -- الله تعالى هو الغاية والكل سائرون اليه .
- ١٦٨ مكاشفة أخرى - خروج الخلق من القبور .
- ١٧٢ يا ولينا من بعثنا من مرقدهنا هذا ما ... (٥٢)
- ١٧٤ حكمة فرقانية - الناس في التحول والمحشر دائمًا .
- ١٧٧ ان كانت الا صيحة واحدة ...
- ١٨٠ زمان الآخرة ومكانها تسع جميع الازمنة والامكنة
- ١٨١ فاليوم لا تظلم نفس شيئاً
- ١٨٣ بصيرة قلبية - لميّة وقوع الشرور في الدنيا وعدمها في الآخرة .
- ١٨٤ محاورة بين رجلين في أمر الدنيا وآفاتها
- ١٨٧ حكمة قرآنية -- الجزاء نفس العمل .

### أهل الجنة

- ١٨٨ ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (٥٥)
- ١٩١ بصيرة اخروية - ما يوجد لاهل الآخرة من انشاء نفوسهم الكاملة
- ١٩٢ هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكتشون (٥٦)
- ١٩٣ مكاشفة - تفسير الازواج بالنفوس .
- ١٩٤-١٩٥ لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون (٥٧ - ٥٨)
- ١٩٦ مكاشفة برهانية - الانسان الكامل يخلق بارادته ما يشاء .

- تأييد كشفي - كمال الانسان كون فعله بلا واسطة جارحة . ١٩٧
- مباحثة عقلية - رد المصنف لما اعتقده الغزالى من عدم عينية المدركات الاخروية وبيان كيفية انشاء النفس فيها كلما أراد ٢٠٠
- مباحثة اخرى - نقض المصنف قول الشيخ الاشراقي في ادراكات ٢٠٥  
أهل الآخرة .
- تأييد تنبئي - مانقله عن محى الدين في تأييد رأيه . ٢٠٩
- وامتازوا اليوم أيها المجرمون (٥٩) ٢١١
- مكاشفة - حشر الانسان في الآخرة بصورة تناسب ملائكتها ٢١٢
- الشيطان والملك ومبادئ افعال الانسان**
- ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان .. (٦١) ٢١٦
- تذكرة لوحية - بيان اصول يعلم منها علة اتباع الناس للشيطان : ٢١٧
- الاول : الهادى والمضل صفتان له تعالى ولهم مظاهر . ٢١٧
- الثاني : مبادى افعال الانسان الاختيارية . ٢١٩
- الثالث : الانسان في معرض ورود الخواطر دائمًا . ٢٢٠
- الرابع : ان فى العالم نفساً شرير أشانها الوسوسة واسمها الشيطان ٢٢١
- الخامس : خلق الله في الانسان قوى وجنوداً وهي على قسمين ٢٢٤
- السادس : الخواطر وتقسيمها إلى الخير والشر . ٢٢٦
- السابع : للنفس الانسانى قابلية قبول الالهام والوسوسة ٢٢٨
- الثامن : كيفية قبول الانسان كلامن الوسوسة والالهام ٢٢٩
- تبصرة برهانية - لا يتيسر الكون على الصراط المستقيم الا بحسب ٢٣٣  
العلوم الالهية وتزكية القلب .
- تقسيم استكشافي - القلوب في عبادة الحق او الشيطان او التردد بينهما

- 
- |     |   |
|-----|---|
| ٢٣٥ | على ثلاثة أقسام وبيان المقابلة بين الجندين.             |
| ٢٤٣ | ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون (٦٢)      |
| ٢٤٤ | مكاشفة - حكمة خلق الشيطان وجعله مسلطاً على قلوب الكفار. |
| ٢٤٧ | مراتب الكفر   |
| ٢٤٩ | أسعار فارسية للمؤلف في وصف الإنسان وعبادته الاصنام      |
| ٢٥٢ | تنمية استبصارية - علة الاقدام على المعاصي ضعف الايمان   |

### جهنم وأحوال الناس في المحشر

- |           |   |
|-----------|---|
| ٢٦١ - ٢٥٦ | هذه جهنم التي كنتم توعدون . . . (٦٣ - ٦٥)               |
| ٢٦٢       | مكاشفة اخروية - حشر الناس على صور نياتهم                |
| ٢٦٢       | دقيقة كشفية - مراتب الحجب عن المعرفة                    |
| ٢٦٤       | ولونشاء لطمسنا على أعينهم فاستيقوا الصراط (٦٦ - ٦٧)     |
| ٢٦٦       | مكاشفة - ازالة استعداد الكفار وبيان الغرض من المسع      |
| ٢٦٨       | ليس للشيطان قوة الارقاء ودرك العلوم الحقيقة             |
| ٢٧٤       | الحجج الابليسية وانها مبانى شبه الكفار                  |
| ٢٧٦       | ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلاميعلون (٦٨)                 |
| ٢٧٧       | اشارة اخرى - لا يمكن الرجوع بعد رسوخ الملكات            |
| ٢٧٩       | اشارة اخرى - كلما طال العمر نقص البدن وتقوى الروح       |
| ٢٨٢       | وماعلمناه الشعر وما ينبغي له . . . (٦٩)                 |
| ٢٨٤       | كشف حال - الكلام الشعري وانه لم لاينبغي له (ص)          |
|           | اشارة اخرى - المقصود من الذكر والقرآن المبين وان القرآن |
| ٢٨٨       | يشتمل على أي نوع من الكلام .                            |
| ٢٩٠       | أشد الناس ضرراً على الاديان المجادلين المنافقين         |
| ٢٩٢       | ليذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين (٧٠)           |

- ٢٩٣ مكاشفة فيها اشارات : ١ - معنى المحب  
 ٢ - كل من المحيوتين الجسدي والمعنوي تحتاج الى أغذية وأدوية  
 ٢٩٤  
 ٢٩٥ ٣ - الانسان ذو جنبيتين جسماني وروحاني .  
 ٢٩٧ ٤ - الكفر هو الحجاب وسببه اما غلبة حب الدنيا او الاهوى

### الغاية من العالم المادى وجود الانسان وشرح النعم

- ٣٠٧ أولم يروا اننا خلقنا لهم مما عملت . . . (٧١)  
 ٣٠٨ تبيان كلامي - الغاية من ايجاد العالم العنصري هي الانسان  
 ٣١٠ اشارة قرآنية - معنى يد الله وكيفية صفاته تعالى  
 ٣١٢ تفريغ شهودي - التوحيد الاعمالى وبيان قدرته تعالى  
 ٣١٣ اشارة اخرى - كيفية خلق الحيوان مما عملته أيدي الرحمن  
 ٣١٤ شك وتحقيق - الملائكة الموكلة بالانسان وكيفية خلقة الملائكة  
 ٣١٧ ذكر بعض نعمه تعالى على الانسان وما يجب علينا من شكره  
 ٣٢٢ اشارة اخرى - بيان النعم المخلوقة لاجل الانسان  
 ٣٢٦ وذلك لها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون (٧٢)  
 ٣٢٧ تبصرة عقلية - الغاية من خلق الحيوان هي الانسان  
 ٣٢٩ - ٣٣٣ ولهم فيها منافع ومشارب أفلال يشكرون (٧٥ - ٧٣)  
 ٣٣٤ مكاشفة قرآنية - من أحب شيئاً فقد عبده  
 ٣٤١ - ٣٣٩ فلا يحزنك قولهم انا نعلم مايسرون (٧٧ - ٧٦)  
 ٣٤٣ نكتة فرقانية -- تسلية الله تعالى لرسوله من جهة خصمائه .  
 ٣٤٤ وضرب لنا مثلاً ونسبي خلقه قال . . . (٧٨)  
 ٣٤٦ تبيان - معرفة النفس أساس الإيمان  
 ٣٤٦ نقض المستدللين بهذه الآية على سراية الحياة في العظام

- قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو . . . (٧٩) ٣٤٧
- اشارة - علمه تعالى باعادة الانسان من أدلة المعاد ٣٤٧
- اشارة اخرى - علمه تعالى بكيفية خلق كل شيء ٣٤٧
- اشارة اخرى - دفع استبعاد المنكريين لمعاد انسان ٣٤٨
- الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً . . . (٨٠) ٣٥٠
- توضيح تنبئي - غاية ما يمكن أن يعلم الانسان من **لميّة المكونات** ٣٥١
- ضرب لرفع استبعاد المنكريين لالمعاد بثلاثة أمثل ٣٥٥
- أوليس الذى خلق السموات والارض بقدر . . . (٨١) ٣٥٨
- عجائب خلق السموات والارض ٣٥٩
- تذكرة عرفانية - السماء افضل ، أم الارض ؟ ٣٦٣
- ظل فرشي - الاقوال في معنى «أن يخلق مثلهم» ورد المصنف عليها ٣٦٥
- اشراق نور برهانى - تفسير المصنف لهذه الآية ٣٦٧
- تمة فيها تبصرة - علمه تعالى بنظام الخير دليل على المعاد ٣٦٩
- موعد تحقيقى -- بيان اعتقاد المصنف في المعاد**
- وان اثباته يحتاج الى بيان اصول : ٣٧٠
- الاول : تحصل كل ماهية نوعية بمبدء فصلها الاخير ٣٧١
- الثانى : تشخيص بدن الانسان بنفسه ٣٧٢
- الثالث : تشخيص كل شيء بنحو وجوده الذى يخصه ٣٧٥
- الرابع : الوحدة الشخصية في المجردات يجامع مع الاتصال بصفات متضادة .
- الخامس : يتحصل الصور والمقدار من المبدء بمجرد الجهات الفعلية ٣٧٨

- السادس : للنفس الإنسانية قدرة على إنشاء الصور ٣٧٩
- السابع : من النفوس ما يتعلّق بالإبدان ومنها ماتنشأ الإبدان منها ٣٨٠
- انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (٨٢) ٣٨٣
- في هذه الآية مسائل : الاول : معنى الأمر ٣٨٣
- الثاني : معنى الارادة من الله سبحانه ٣٨٥
- الثالث : الأمر التكويني والارادة الالهية واحدة ٣٨٦
- الرابع : أمره تعالى للموجودات مطابق لاختيارهم ٣٨٧
- الخامس : لميّة صدور العصيّان وحصول الشقاوة للإنسان ٣٨٩
- السادس : معنى القول ٣٩٥
- اشراق افاضي الفرق بين الكلام الالهي وكتابه ٣٩٧
- حكمة برهانية -- الإنسان يطلع على ما في الاكوان في القيامة دفعه ٣٩٨
- السابع : حاصل معنى الآية وغرضها. ٣٩٩
- فسبحان الذي بيده ملوكوت كل شيء . . . (٨٣) ٤٠١
- حكمة قرآنية : فيها اشارات الأولى : انه تعالى منزه عن التغيير. ٤٠٢
- الثانية : احتياج الممكّن اليه تعالى حدوثاً وبقاءاً ٤٠٣
- الثالثة : كما انه تعالى فاعل الجميع هو غایة الجميع ٤٠٤
- \* \* \*
- خاتمة : في موضع نزول السورة وعدد آياتها وفضليها ٤٠٦
- كلام المؤلف في ختم الكتاب ٤٠٨
- \* \* \*
- تعليقات الحكيم الربانى المولى على النورى (قده) ٤١٠

## فهرس الاحاديث

- أبغض الله عبد في الأرض الهوى .  
٢٤٨  
انقوا ما بين أيديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة .  
١٣٦  
أخوف ما أخاف على امتي منافق عليم اللسان ...  
٢٩١  
أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ...  
٩٩  
أكثر صيحة أهل النار من تسوييف التوبة .  
٢٤١  
اللهم اجعلنا في نظم أعدائه واعزلنا عن عداد ...  
٢٢٦  
اللهم احسأه عنّا بعبادتك واكتبه بدؤينا في ...  
٢٣٤  
اللهم اني أعوذ بك من الشرك الخفي .  
٢٥١  
اللهم حبّب الي صحبة الفقراء وأعنتي على ....  
٥٤  
اللهى خلقت آدم بيده ...  
٩٢  
أنا وعلى أبواب هذه الامة .  
٤١٧  
أنا وعلى من نور واحد .  
٣٨  
ان صبح ما قلنا فقد تخلصنا جميعاً والا فقد ...  
٦٠  
ان الله خلق آدم فتجلى فيه .  
٢٧٤  
ان الله يؤتيد هذا الدين بالرجل الفاجر .  
٢٢  
ان الجنة قيungan وان غراسها سبحانه الله .  
١٨٢

- ان رجلا منبني اسرائيل سألنى بالمدينة فقال ...  
١٠٩
- ان رسول الله (ص) كان يتمثل بهذا البيت ...  
٢٨٣
- ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم .  
٢٢٣
- ان العالم يستغفر له من في السماء وفي الأرض ...  
١٩٦
- ان في الجنة سوقا تباع فيه الصور .  
١٩٩
- ان لرسول الله (ص) اثنى عشر اسماء خمسة منها في القرآن . . . .  
٤٠٨
- ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس .  
٥٨ - ٤٠٧
- ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة . . .  
٢٢١
- ان لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة . . .  
١٩٣
- ان ما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسة عام .  
١٢٤
- انما هي أعمالكم ترد إليكم .  
١٨٧
- انه نهى عن قتل الذراري .  
١٢٦
- اني ابن امرأة كانت تأكل القيد .  
٥٠
- اني جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم .  
٢٣
- اني لا اجيز على شاهد الا من نفسي . . .  
٢٦١
- اوتيت جوامع الكلم .  
٤٢٢
- أول مخلوق الله العقل .  
٤٨
- أهل الجنة جرد مرد مكحلون .  
٢٦٣ - ٧٩
- اهجهم فوا الذي نفسي بيده له أشد عليهم من النبل .  
٢٨٧
- بعثت أنا والساعة كهاتين .  
١٧٦
- تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتباينانه . . .  
١٥٣
- ثلاث مهلكات شح مطاع وهو متبع . . .  
١٤٢
- جزناها وهي خامدة .  
٥٧ - ٢٥٩

- 
- |           |  |
|-----------|--|
| ١٧٦       | جعلت لى الارض مسجداً و ظهوراً .                |
| ٢٤٢       | خلقت هؤلاء للجنة ولا ابابي و ...               |
| ٣٤        | خلق الكافر من ذنب المؤمن .                     |
| ٢٧٣       | خمر طينة آدم بيده أربعين صباحتاً .             |
| ٣٠٦       | الدنيا حيفة وطالبهما كلاب .                    |
| ٣٠٦       | الدنيا ملعونة وملعون ما فيها .                 |
| ٢٩٧       | روحوا أنفسكم ببديع الحكمة فانها تكل كما ...    |
| ٤٠٦       | سورة يس تدعى في التوراة المعمدة .              |
| ٥٨        | سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين ...  |
| ١٨٢       | الشقي من شقى في بطن امه .                      |
| ٧٩        | ضرس الكافر مثل جبل احد .                       |
| ١٢٠       | فملاهن أطواراً من ملائكته ، فمنهم سجود . . .   |
| ١٦٦ - ٢٢١ | قلب المؤمن بين اصحابين من أصحاب الرحمن ...     |
| ٢٨٧       | قل وروح القدس معك .                            |
| ٥٨        | كنت نبياً وآدم بين الماء والطين .              |
| ٢٨٩       | كل نسب منقطع الانسبي .                         |
| ٣١        | كل من عمل حسنة يخلق الله منها ملكاً يشاب به .. |
| ٣٨        | لاتسبوا علياً فانه ممسوس بنور الله .           |
| ١٤٩       | لاتقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله .    |
| ٤١٥       | لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين .            |
| ٣٨        | لايزال العبد يتقارب الي بالنواقل حتى أحبتته .  |
| ٤٩        | لست كأحدكم أبىت عند ربى يطعمني ويستقيني .      |
| ١٥١ - ١٧٤ | لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟              |

- |           |   |
|-----------|---|
| ١٦٧       | ما لا يحيط به .                                   |
| ١٠٨       | مالك أطفأ الله نورك وأدخل الفقر بيتك ..           |
| ٢٣٩ - ٢٢٣ | مامن أحد (منكم) الا وله شيطان ...                 |
| ٣٧        | من أطاعني فقد أطاع الله .                         |
| ٤٠٧       | من دخل المقابر فقراء سورة يس ...                  |
| ٣٧        | من رأني فقد رأى الحق .                            |
| ١٢٥       | من عرف نفسه فقد عرف ربه .                         |
| ٣٤        | من قال سبحان الله غرست له في الجنة شجرة .         |
| ٤٠٦       | من قراء سورة يس يريد بها الله عزوجل ...           |
| ١٧٦ - ١٧٨ | من مات فقد قامت قيمته .                           |
| ٢٩٧       | منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا .           |
| ١٧٠       | الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .                 |
| ٢٠٢       | الناس نائم، فإذا ماتوا انتبهوا .                  |
| ٤٢٤       | نحن وجه الله الباقي بعد فناء الأشياء ...          |
| ١٧٧       | والله لديناكم عندي أهون من عراق ...               |
| ١٧٧       | والله مادنياكم الا كعفطة عنز .                    |
| ١٢١ - ٢٣٠ | ويل لمن تلى (قراء) هذه الآية ثم مسح بها سبلته .   |
| ١٩٧       | يأتي اليهم (أهل الجنة) ملك بعد أن يستأذن ...      |
| ٧١        | ياموسى مرضت فلم تعدنى .                           |
| ٢٦٢       | يحيشر الناس على صور تحسن عندها القردة والخنازير . |
| ٤٧        | يحيشر الناس على صور تحسن عندها القردة والخنازير . |
| ٢٨١       | يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان ...                  |
| ١٩٨       | يد الله مع الجماعة .                              |

## فهرس الموضوعات والاصطلاحات الهامة

- |                                     |   |
|-------------------------------------|---|
| الارض : ١٠٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ | آدم : ٢٧٤ ، ٢٧٣   |
| اسرافيل (ع) : ٢٩٥                   | الاخرة : ٣٤ ، ١١٤ ، ١٣٢ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٨٤ ، ١٨٠ ، ١٧٠ ، ١٣٨ |
| الاسلام : ٢٥٥                       | ، ٢١٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٤                               |
| الاشقياء : ١٣٨                      | ١٣٧ ، ٣٦٩ - أهلها لذاتها                                    |
| الاصنام : ٣٣٥ ، ٥٧                  | ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٠   |
| الاعمال : ٩٤ ، تجسدها ١٨٠           | الابداع : ٤٠٢   |
| الاعيان الثابتة : ٤٣٩ ، ٣٨٨         | الابليس : الشيطان   |
| الافلاك : ١٢٠ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩     | الاتحاد : ١١٦   |
| الله تعالى : ١١١ ، افاضته ٣٨        | الاجرام العلمية : ٢٠٧ - ٢٠٨                                 |
| ، ارادته ٣٨٦ ، تجليه ١١٣            | الاختيار : ٤١٩  |
| ١٦١                                 | الارادة : ٣٨٦ ، ٣٨٥   |
| ١١٤ ، رحمته ٣٨٧ ، صفاته ٢٧          | أرباب الاصنام : ٣٨١ ، ٨٤                                    |
| ، ٣٩٣ ، ٣١٢ ، ٣١٢ ، ٤٠٢ ، ٣٦٢       | أرباب الانواع : ٤٢١   |
| ، ٣٨٥ ، ٣٦٩ ، ٣٤٧ ، ٧٧              | اردى بهشت : ٨٤  |
| غاية الجميع ٣٨٦ ، ١٦٩ ، ١٦٢         |   |

- النوع ٤٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٢ ، ٢١٠ ، ٤٦  
 الانسان الكامل : ١٩٦ ، ٣٢٨ ، ٢٠٤ ، ٣٢٨  
 الانفاق : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦  
 الانواع المستطرة : ١٠٥  
 الایمان : ٢٧ ، ٨٨ ، ٤٥٢ ، ٣٠٢  
 باب ابواب : ٤٨  
 البدن المثالي : ١٣٠  
 البرزخ : ٤١٦ ، ٢١٠  
 تجسم الافكار : ٢١١ ، ٨٥  
 التجلى : ١١٦  
 التشخيص : ٣٧٤ ، ٣٧٥  
 التصور : ٢١٩  
 التفكير : ١٢٣ ، ١٢٢  
 التقليد : ٣٠٠ ، ٤٣٠  
 التكليف : ١٤٦  
 التناسخ : ٤٧ ، ١٥٧  
 الثنين : ١٣٧  
 توحيد الافعال : ٤١٥  
 الشواب : ١٨٧  
 الجحيم : ٢٥٦ ، ٢٥٧  
 الجدل : ٢٩٠ ، ٢٩١  
 الجزاء : ١٨٧
- ٤٤ ، فعله ٤٠٢ ، كلامه ٣٩٦  
 ٣٩٧ ، كما لـه ٢٨ ، لقائه ١٥٥ ،  
 نسيانه ٤١٨  
 الالهام : ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٢٨  
 الامامة : ١٥٧  
 الامام المبين : ٣٥  
 الامر : ٤٢٥ ، ٣٨٣ ، ٤٠٤ ، ٣٨٦  
 ٤٣٧  
 الانسان : ١٧ ، ٨٨ ، ٤٤ ، ١٢٩  
 ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٨٣ ، ١٨٩  
 ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤١  
 ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧  
 ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٣ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥  
 ٢٩٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩  
 ٣٧٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٢ ، ٣٩٨ ، ٤٢٦  
 اعراضه عن سمات الایيات ١٣٥ ،  
 ١٤٠ ، ١٤٥ ، احيائه بعد الموت  
 ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ثمرة العالم  
 ١٥٥ ، دائماً في الحشر والتحول  
 ١٦٨ ، ١٧٤ ، طعامه ٣١٨ ، غاية  
 ٢١٨ ، مبادى افعاله ، ٣٠٨ ،  
 الخلقة ، ٢١٩ ، مبادى تكونه ١٦٤ ، مختلف

- |  |   |
|--|---|
| المخلود : ٣٣ ، ٢٧٦<br>الخواطر : ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٠<br>٢٤٠ ، ٢٣٩<br>الدنيا : ٢٢ ، ١١٤ ، ٣٤ ، ١٣٢ ، ١١٤<br>١٨٣ ، ١٨٠ ، ١٥٦ ، ١٣٨ ، ١٣٧<br>٢٩٩ ، ١٨٩ ، ١٨٤<br>٧٢ ، ٤٣٣ ، ٣٣٩<br>الذرية : ١٣٣ ، ١٢٦<br>الرجعة : ٤٢٣ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٧٥<br>الرحمة : الرحمانية ، الرحيمية ٤١٧<br>الرسالة : ٤٣<br>الروح : ١٢٩ ، ١٦١ ، ١٣٠ ، ٢٧٤<br>٤٣٢ ، ٤٢٤ ، ٢٩٥<br>٢٠٦ ، الاعظم ، ٢٢٦ ، الاكابر ١٦٠<br>القدس ، ١٦٧ ، ١٦٠ ، القدسي ١٥٥<br>الزهد : ٤٢١<br>السالك : ٢٥٠ ، ١١٦ ، ١١٥<br>السعادة : ٢٧٨ ، ٢١٤ ، ٥٤<br>السعداء : ١٣٨<br>السفر المعراجي الاسمائى ، السمائى ١٩<br>السماء : ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ | الجنة : ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٥٦<br>٢٦١<br>الجهل العملى ، النظري : ٤٢٥<br>الحد : ٣٧١<br>الحركة الجوهرية : ٤١٦<br>الحسن المشترك : ٢٠٣<br>الحشر : ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٩<br>٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٤٧ ، على صور مختلفة ٤٧<br>٢٨٢ ، ١٦٧ ، ٨١<br>حقيقة الحقائق : ٤٢٤<br>الحكماء : ٢٨٨<br>الحكمة : ٢٨٨ ، ٢٢٥<br>الحكمى : ٣٨<br>الحلول : ١١٦<br>الحيوة : ٣٠٢ ، ٢٩٤ ، القلبى ٢٩٣<br>٣٠٦<br>الحيوان : ٣٣١<br>الخدلان : ٢٦ ، ٢٥<br>خرداد : ٨٤<br>المخشية : ٢٧<br>الخلقة : ٣٨<br>الخلق بالهمة : ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦ |
|--|---|

- |   |                                  |
|---|----------------------------------|
| صحائف الاعمال : ٣١                                | السنة الشميسية : ١٠٦             |
| الصور : ١٦٠                                       | الشر : ١٨٤ ، ١٨٣                 |
| الصورة : ٣٧٢                                      | الشقاوة : ٣٨٩ ، ٢١٤ ، ١٤٣ ، ٥٥   |
| الصور الخيالية : ٣٧٨ ، البرزخية<br>١٣٨            | ٣٦٤ ، ٣٥٨ خلقها ٣٦٨              |
| الطين : ٢٧٣                                       | الشقي : ١٨٨                      |
| الظلم : ١٨٢                                       | الشkar : ٣١٦ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ |
| الظلمة : ١٠٠                                      | الشعر : ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣    |
| العارف : ٣٨ ، ٢٥٠ ، ١٧٦ ، ٧٣                      | ٢٨٧                              |
| ٣٠٢   | الشمس : ١٠٩ ، ١٠٢ ، ١٠١          |
| عالم الامر : ٣٠١ ، ٣٩٨ ، البرزخي                  | ٣٦٠ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١١ ، ١١٠      |
| الصوري ٤١٦ ، الجبروت ١٦                           | ٤١٤                              |
| الخلق ٤٢١ ، القدر ٣٩٨ ، ٣٠١                       | الشوق : ٢١٩                      |
| ٣٦ ، القضاة ٣٦ ، الموح الخارجي<br>٤١٥ ، المثال ٣٦ | الشهوة : ٢٢٥ ، ٢١٩               |
| العالين : ٢٧٢                                     | الشيطان : ١٨٨ ، ١٦٥ ، ٣٣ ، ٣٢    |
| عبادة الاصنام : ٢٤٨ ، ٥٧                          | ٢٢٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٧      |
| عبادة غير الله تعالى : ٣٣٧ ، ٣٣٤                  | ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨      |
| العذاب : ١٨٧ ، أهلها ٧١ ، انزالها<br>٦٧ ، ٦٩      | ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٦      |
| العز : ٢١٩  | ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩      |
| العصيان : ٣٨٩                                     | ٢٧٥ ، ٢٧٤                        |
|   | الشيطنة : ٤٢٥                    |
|   | صبح الازل : ٤٢١                  |

العقل : ٩٧ ، ١١٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١١ ، ١١٠  
 القول : ٣٩٥  
 القوة : الطبيعية ١٦٥ ، العاقلة ٢١٨  
 المتخيلة ١٩٨ ، المزاجية ١٦٥  
 الوهمية ٢١٨  
 القيامة : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩  
 ، ١٥٣ ، ١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٦٨ ، ١٦٨  
 ٤٢٣ ، ٣٩٨ ، ٣٧١ ، ٢٦٢ ، ١٨٠  
 الكتاب : ٤٤٠ ، ٣٩٧  
 كتابة الاعمال : ٣٥ ، ٣٤  
 الكرام الكاتيون : ٣١  
 الكفار : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٣  
 ، ٢٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٧٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٧  
 ٣٣٨ ، ٣٠٣  
 الكفر : ٥٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٥٥  
 ٣٠٢ ، ٢٩٧ ، ٢٥٠  
 الكلام : ٤٤٠ ، ٣٩٥  
 اللذة : ١٣٧  
 الملوح : القضاء الالهي ٣٥ ، المحفوظ  
 ٣٦ ، النفسي ٣٥  
 الليل : ١٠٩ ، ١١٥ ، ٤٣١  
 المادة : ٣٧٢

العقل : ٢٢٥ ، ١١٤ ، ١١٠ ، ٩٧  
 الاعظم ١١١ ، الفرقاني ١٨ ، الفعال  
 ، ١٥٥ ، ٢٢٦ ، ٢٨٨ ، القرآني ١٨  
 العملي ٤٢٥ ، ٢٢٠ ، النظري  
 ٤٢٥ ، ١٦٦ ، ١٥٥  
 العقول : العالية ٣٨٠ ، العرضية ٣٨١  
 العلم : ٤٣٠ ، ٤٢٥ ، ٨٦  
 العلماء : ١٤٢ ، ٢٤٠  
 العلة : ٤٠٣ ، الفاعلي والغائي ٤٠٥  
 العلوية العلياء : ٤١٧  
 الغاية : ٤٠٥ ، ١٦٢  
 الغضب : ٢١٩ ، ٢٢٥  
 الفاعل : ٤٠١  
 الفرقان : ٤٢٠  
 الفلك المشحون : ١٣٣ ، ١٣٠  
 الفنان : ١١٥  
 القديم : ١٠٧  
 القرآن : ١٨ ، ١٩ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٨  
 ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٠ ، ٢٩٨  
 القلب : ٢٢٦ ، ٨٦ ، ١٨٩ ، ١٦٦ ، ٢٢٨  
 ٢٣٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٢٨  
 ٤٢٥ ، ٤١٣ ، ٢٥٥ ، ٢٤٢ ، ٤٣١  
 القمر : ١٠٩ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤

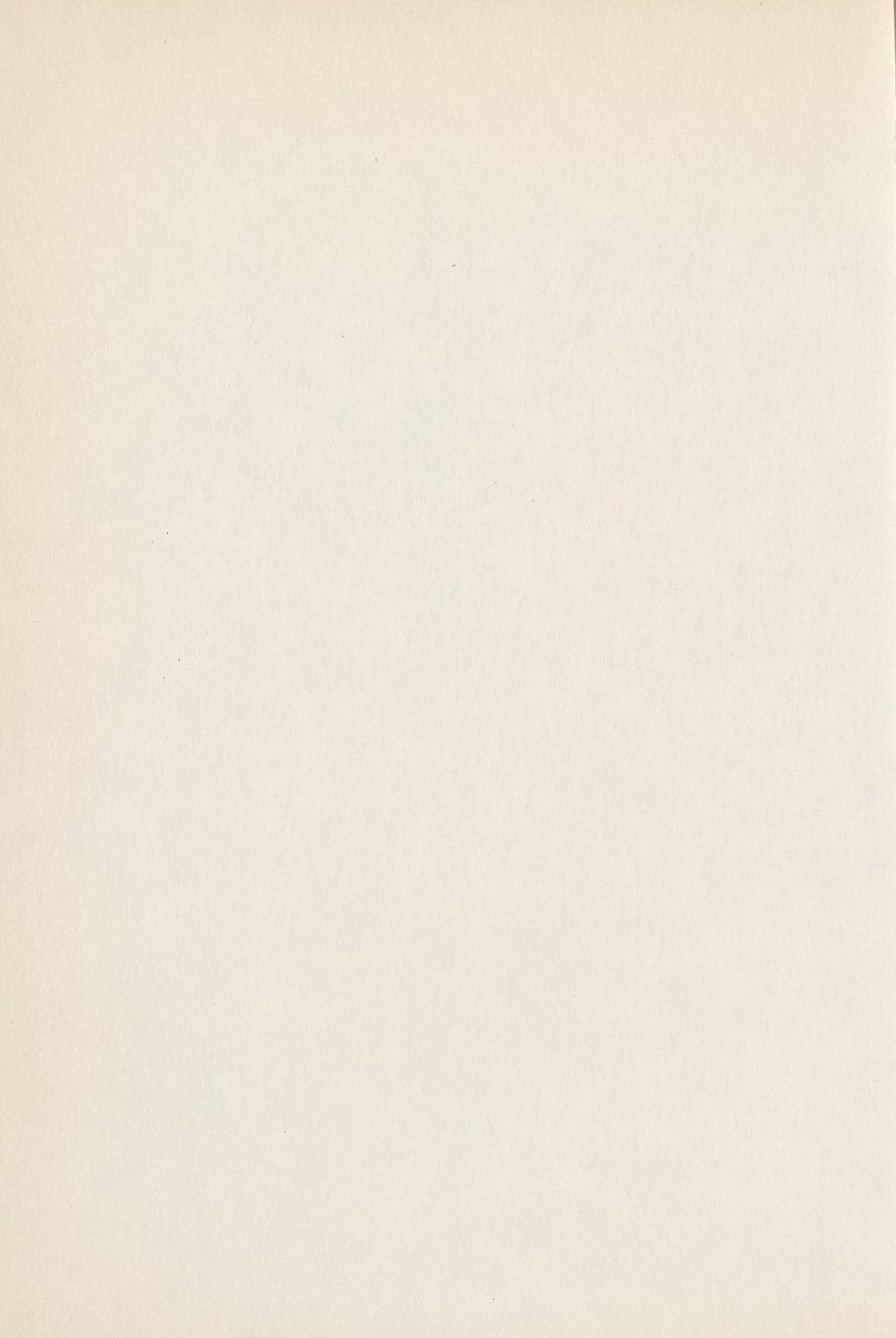
الملك : ٣٢ ، ٢٢١ ، ١٦٦ ، ٣٣ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩  
 المياه : ٨٤  
 الملكة : ٣٠ ، ٢١٣ ، ٣٣ ، ٢١٤ ، ٤٢١ ، الملوكوتين : ٢٠٣  
 الممکن : ٤٠٣  
 المنافقین : ٢٩٢ ، ٢٩١  
 موقع النجوم : ١٠٥  
 الموت : ١٢٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٢ ، القلبي  
 الموعظة الحسنة : ٢٨٨  
 المھلکات : ١٤٢ ، ١٤١  
 النار : ٢٧٣ ، ٢٥٦ ، ٢٠٤ ، ١٨٩  
 الناسوت : ٤٢١ ، ٤١٦  
 الناطق : ٩٧  
 النبوة : ٥٩ ، ٥٠ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٤٥  
 النبي : ١٧ ، ١٨ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ١٨  
 ، ٢٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٠٩ ، ٦٩ ، ٦٨  
 ، ٣٠١ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٥ ، ٢٥٨  
 ، ٣٩٦ ، ٣٢٥  
 النجوم : ٣٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٠  
 نعم الله تعالى على الانسان : ٣٢٢

المثل : ٤٣٥  
 المجردات : ٣٧٦  
 المحبة : ٣٣٦ ، ٣٣٥  
 المحظوظين : ٢٥ ، ٢٣  
 المحشر : ١٨٠  
 المحمدية البيضاء : ٤١٧ ، ٤٢٢  
 المخلوقات : ٩٦  
 مرداد : ٨٤  
 المستضعفون : ٣٠٦  
 المنسخ : ٤٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، في الآخرة  
 المضل : ٢١٧  
 المعاد : ٨٤ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٧٨  
 ، ٣٧٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠  
 المعاصي : ٢٥٣  
 المعرفة : ٧٤ ، ٧٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٠  
 معرفة النفس : ٣٤٦  
 المغایلة : ٢٨٩  
 مفاتيح الغیب : ٤٣٥  
 المقام : ٣٠  
 المکاشفة : ٩٣ ، ٨٩  
 الملائكة : ٣١٥ ، ٣١ ، الشمال  
 المقربین : ٣٦ ، اليمین

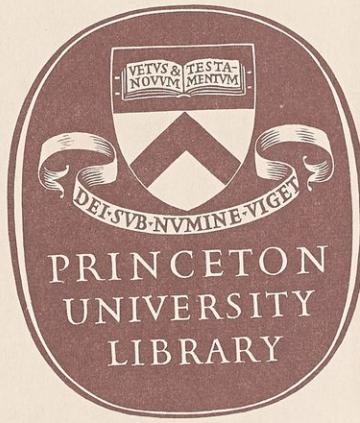


## جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
الاحياتنا	لا حيّاتنا	١٢	٤٢
مسلم	مسلم	٢٠	٧١
تمييزه	تمييزه	٢٠	٧٢
لقوم	لقوم لا	١١	٨١
يعقلها	تعقلها	٢٠	٨٧
شبكته	شبكة	٢١	١٢١
يشتاق	يشتاق	١٨	١٣٦
يعحي	يعحي	١٠	١٣٩
ترجع	يرجع	١٥	١٤٦
الاحابين	الاحابين	١٤	١٩٢
الهوى	الهواء	١	٢٣٠
تخطئة	تخطئه	١١	٢٣٧
معانيه	معانية	٨	٢٨٤
الروحانيين	الروحانين	١٩	٢٨٧
لا أضبطة	لا : اضبطة	٥	٣٠٨
تلعنون	يلعنون	١٣	٣١٧
أقصى	أقضى	١٨	٣٢٠
الهين	الهين	٢١	٣٣٢
الهيبة	الهيبة	١٤	٣٣٣
ارديكم	اردايكم	١٧	٣٧٠







PRINCETON  
UNIVERSITY  
LIBRARY

Princeton University Library



32101 047112105